

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



الفكر المنحصر في تفسير القرآن الكريم

وعمون الأفاضل في وجه التأويل

وهو تفسير القرآن الكريم : للإمام محمود بن عمر الزمخشري
المتوفى سنة ٥٢٨ هـ

وبذيله كتابان جليلان : الأول : كتاب الانتصاف للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد
ابن المنير الأسكندري المالكي قاضي الاسكندرية المتوفى سنة ٦٨٣ هـ وقد بين فيه
ما تضمنه الكشف من الاعتزال وناقشه في أعراب وأحسن الجدل مع حسن الإيجاز
الثاني : حاشية جليلة المقدار للعالم العلامة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عليان المرزوقي
الشافعي من أكابر علماء الأزهر . وهي تتضمن التنبيه على ما بالكشف من الاعتزال
وبيان عقائد أهل السنة فيها . وحل الألفاظ اللغوية الغريبة الاستعمال
(تنبيه) قد جعلنا القرآن الكريم بأعلى الصفحة . وتحت تفسير الكشف وتحت كتاب
الانتصاف . وفي أسفل الصفحة حاشية الأستاذ الشيخ محمد عليان . فليتبه القارئ لذلك

الجزء الثالث

قوبلت هذه الطبعة على جملة نسخ طبعة أميرية ونسخة خطية بمعرفة لجنة من أفاضل العلماء

طلب من المكتبة العامة الكبرى بأول شارع محمد علي
بإسطنبول
الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ

مطبعة رضى طبعي محمد
صاحب المكتبة العامة الكبرى بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء مكة

وآياتها ۱۱۲ نزلت بعد سورة ابراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَأَهْلِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَا النُّجُوى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

(سورة الأنبياء مكية وهى مائة واثنى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لا تقرب أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك أظف للحي رحيلهم الأصل أظف رحيل الحي ثم أظف للحي الرحيل ثم أظف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر تؤكداً عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبالك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقتراب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقتراب الوعد الحق (فإن قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقرب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يؤمراً عند ربك كآفة منة ماتعدون ولأن كل آت وإن طالأت أوقات استقباله وترقبه قريب إنما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولأن ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسمة الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق إلا صابرة كصابرة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلّة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه الدليل للقيام وهو ما يتلوه من صفات المشركين * وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم شأنهم لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يفتنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمفنى في الآخرة غنيت لهم الغنائم شهراً من سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والتدرا عرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا بها ونفروا بها عن ذكرها عن غيرهم يبين بنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجتد لهم الذر وقتاً فوقتاً ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكثر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجدل إلا لعباً وتلهياً واستسغارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عملة (محدث) بالرفع صفة على المحل * قوله (وهم يلعبون لاهية قلوبهم)

(قوله بعثت في نسيم الساعة) في الصباح نسيم الريح أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد ومنه الحديث بعثت في نسيم الساعة أي حين ابتدأت وأقبلت أوائلها والنسيم أيضاً جمع نسمة وهي النفس

أَفْتَاتُونَ السَّحَرَاءُ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۖ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ بَلْ قَالُوا

حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفتنوا أصلاً وثبتوا على رأس غفلتهم وذو لهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فإن قلت) النجوى وهى اسم من التاجى لاتكون إلا خفية فسامعنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالفوا في إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفتن أحد لتأجيلهم ولا يعلم أنهم متناجون ۖ أبدل (الذين ظلموا) من وأو وأسروا إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحرة وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرأ اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا ملكاً وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحرة وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (فإن قلت) لم أسروا هذا الحديث وبالفوا في إخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاو في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثييط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركو أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما يمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقاً فأخبرونا بما أسررنا (فإن قلت) هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى (قلت) القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ۖ ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية (فإن قلت) فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض (قلت) ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام اقتنائاً وتجمع

﴿القول في سورة الأنبياء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قرله تعالى ۖ قال ربّي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم ۖ (قال إن قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع أن المتقدم وأسروا النجوى الخ) قال أحمد وهذا من اتباع القرآن للرأى نعوذ بالله من ذلك لا سيما رأى ينفى صفات الكمال عن الله تعالى وما الذى دل عليه السميع العليم من نفى صفتى السميع والعلم في تفسيرهما بذلك مع أنه لا يفهم في اللغة سميع إلا بسمع ولا عليم إلا بعلم فإنها صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أولاً ثم ثبوت ما اشتقت منه ومن أنكر السميع والعلم فقد سارع إلى إنكار السميع العليم وهو لا يشعر وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الإيقاظ لما انطوى عليه الكشف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر وأما الأدلة الكلامية فنحن نتلقى وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزغات تختلف فترة يوردها عند كلام يتخيل في ظاهره إشعاراً بغرضه فوظيفتنا معه حينئذ أن تنازع في الظهور ثم قد ترقى إلى بيان ظهوره في عكس مراده أو نوصيته حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما وقد يلجئنا إلى انصاف إلى تسليم الظهور له فنذكر وجه التأويل الذى يرشد إليه دليل العقل ومرة يورد نبذاً من هذا الرأى عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه وغرضه التعسف حتى لا يتخلى شيئاً من كلامه من تعصب وإصرار على باطل فتنبه على ذلك أيضاً وما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

(قوله عمل المنصوبة في التثييط عنه) كأن فيه سقطاً وفي الصحاح نصبت لفلان نصبا إذا عاديته

أَضَعْتُ أَحْلِمَ بَلْ أَفْتَرُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ۖ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۖ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۖ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ ۖ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْسَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ۖ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ

الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربى يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للبالغه وثم قصد وصف ذاته بأن إنزاله الذى يعلم السر فى السموات والأرض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة ۖ وقرئ (قال ربى) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أضربوا عن قولهم وهو سحر إلى أنه تخالط أحلام ثم إلى أنه كلام مقترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج والمبطل متحير رجاء غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم فى درج الفساد وأن قولهم الثانى أفسد من الأول والثالث أفسد من الثانى وكذلك الرابع من الثالث ۖ صحة التشبيه فى قوله (كما أرسل الأولون) من حيث أنه فى معنى كما أتى بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أفهم يؤمنون) فيه أنهم أعنى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكشوا أو خالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث ۖ أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحاطهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً فلا يكذبونهم فيما هم فيه رده لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسداً والمعنى وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوى جسد غير طاعين ووحيد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوى ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام (فإن قلت) نعم قد ردت إنكارهم أن يكون الرسول بشراً يأكل ويشرب بما ذكرت فما زادت من قولهم بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاؤهم الممتد خلوداً (صدقناهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والأصل فى الوعد ومن قومه ومنه صدقهم القتال وصدقنى سن بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن فى بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التى كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أقطع السكسر وهو السكسر الذى يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين) لأن المعنى أهلكننا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهى وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما

(قوله وهكذا الباطل للجلج والمبطل متحير) فى الصحاح الحق أبلج والباطل للجلج أى يرد من غير أن ينفذ
(قوله تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر) لعله وحسن للذكر بالواو

فِيهِ وَمَسْكَنَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ۖ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ
حَصِيدًا خَمِدِينَ ۖ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۖ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ مِنْ
لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ۖ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۖ وَلَهُ

التياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين بخولين وروى حضورين بعث الله إليهم نيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بختصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من
السماء يا لئارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطيئة وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس
ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية ۖ فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حساً ومشاهدة لم
يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم
يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم
بالراكبين الراكضين لدوابهم ف قيل لهم (لا تركضوا) والقول محذوف (فإن قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون
بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه
ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم (وارجعوا إلى ما أترقم فيه) من العيش الرفاه والحال
الناعمة والإتراف بإطار النعمة وهي الترفة (لعلكم تسألون) تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم
تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما
كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمرهم ونهيكم ويقول لكم
بم تأمرون وبماذا ترسمون وكيف تأتي ونذر كمادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاونة في نوازل
الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدبيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الواقفون عليكم
والطامع ويستمتطرون سحائب أ كفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أخصياء ينفقون أموالهم رياء
الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء ف قيل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم وتوبيخاً إلى توبيخ (تلك) إشارة إلى ما قبلنا لأنها دعوى كأنه
قيل فما زالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخذ دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (فإن قلت) لم سميت
دعوى (قلت) لأن المولود كأنه يدعوا الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسماً أو خبراً وكذلك
دعواهم ۖ الحصيد : الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا
أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا
على المفعولية (فإن قلت) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك
جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمائلة الحصيد والخود ۖ أي وما سويانا
هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلقات مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما
تسوى الجارية سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويانا للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون
مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ۖ ثم بين
أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأننا قادر على اتخاذه إن كنت
فاعلا لأنني على كل شيء قدير ۖ وقوله (لا اتخذناه من لدنا) كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد

(قوله ويمترون أخلاف معروفكم) في الصحاح الريح تمرى السحاب وتمتريه أي تستدره وفيه أيضا الخلف بالكسر
حلبة ضرع الناقة (قوله في استئصالهم واصطلامهم) في الصحاح الاصطلام الاستئصال

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۖ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۚ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ۚ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ

بلغة الجن وقيل المرأة وقيل من لدنا أى من الملائكة لامن الإنس ردأ لولادة المسيح وعزير (بل) لاضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيهه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عاداتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجذ وندحض الباطل بالحق واستعارة لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله وإهداره وبحقه لجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل لما تصفون) به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فیدمغه بالنصب وهو فى ضعف قوله سأترك منزلى لبنى تميم ۖ والحق بالحجاز فأستريحاً وقرئ فیدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرهون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه ۖ (فإن قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون ۖ أى تسيبهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفرار أو شغل آخر ۖ هذه أم المنقطة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد أذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لمابعدا والمنكر هو اتخاذهم (آله من الأرض هم ينشرون) الموتى ولعمري أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموت (فإن قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم

ۖ قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهم آلهة لاتخذناهم من لدنا (قال معناه سبحاننا أن نتخذ لهم آلهة الخ) قال أحمدوله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة ولكنه من الكبرياء التي يحصى عليها في نار جهنم وذلك أن القدرة يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسنا بعقولهم ويظنون أن الحكمة تقتضى ذلك فلا يستغنى الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح فإن الحكمة تقتضى الاستغناء عنه فإلى ذلك يلوح الرخسرى وماهى إلا نزعة سبق إليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس في الإمكان أكل من هذا العالم لأنه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن ثم لم يخلق الله تعالى لكان بخلافنا في الجود أو يحجزا ينافي القدرة حتى اتبعهم في ذلك من لانسيميه من أهل الملة عفا الله عنه إن كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الأفعال حسنة كانت أو غيرها مصلحة كانت أو مفسدة وأن له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرة حسنا وله أن يفعل ما يتوهمونه في الشاهد قبيحا وأن كل موجود من فاعل وفعل على الإطلاق فقدرته توجد فليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه فلو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكه شيئا ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أفر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيئا اللهم ألهمنا الحق واستعملنا به عاد كلامه (قال وفى قوله تعالى بل تقذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبه من حسناته ولولا أن السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوث إن الحسنة يذهبن السيئات والله أعلم ۖ قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه إن قلت لم استعمل الاستحسار ههنا في النفي الخ) قال أحمد وبمثله أجيب عن قوله تعالى وماربك بظلام للعبيد فالظنه قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (قال إن قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ

(قوله على جرم رخو أجوف فدمغه) في الصحاح شبه حتى بلغت الشجرة الدماغ (قوله لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه) هذاعند المعتزلة أماعند أهل السنة فبعض البشر أفضل (قوله يوجب غاية الحسور وأقصاه) أى الكلال أفاده الصحاح (قوله هم ينشرون الموتى) الإنشار الإحياء بعد الموت أفاده الصحاح

كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثنائي القديم فكيف يدعونه للجداد الذي لا يوصف بالقدرة رأساً (قلت) الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنيشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنيشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهم بهم والتوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعده من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله (من الأرض) قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نبي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام لإثبات السماء مكاناً لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنها إما أن تحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض (فإن قلت) لا بد من نكسة في قوله هم (قلت) النكسة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنيشار إلا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشرا الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بالآلات توصف بغير لوقيل آلهة غير الله (فإن قلت) ما منعك من الرفع على البدل (قلت) لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاها ويدبر أمرها آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله (فإن قلت) لموجب الأمران (قلت) لعلنا أن الرعية تفسد بتدبير الملوك لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري

آلهة الخ) قال أحمد فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الإنكار والله سبحانه وتعالى أعلم ع عاد كلامه (قال محمود إن قلت لا بد لقوله هم من فائدة وإلا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفي هذه النكسة نظر لأن آلات الحصر مفقودة وليس ذلك من قبيل صدق زيد فإن المبتدأ في الآية أخص شيء لأنه ضمير وأيضاً فلا ينبغي على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم وتخصيص الإنيشار بهم ونفيه عن الله تعالى إذهداً ليناسب السياق فإنه قال عقبها لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومعناه لو كان فيهما إله غير الله شريكاً لفسدتا وكان مقتضى ما قال الزخشرى أن يقال لولم يكن فيهما آلهة إلا الأصنام لفسدتا وأما المتلو على خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزخشرى وعندي أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الإيذان بأنهم لم يدعوا لها الإنيشار وأن قوله هم ينشرون استئناف لإلزامهم وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم إذن يحبون الموتى ضرورة كونهم آلهة ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وإلزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموتى نظم في إبطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ع وأزيد هذا التقرير وضوحاً فأقول إن دليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية المقتبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله إله آخر وربما قالوا لو فرضنا وجود إلهين فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى وإنيشارهم وغير ذلك من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر ثم يحيلون جميع الأقسام وهو المسمى برهان الخلف وأدق الأقسام إبطالا قسم اتصافهما جميعاً بصفات الكمال وماعداه فيدأى الرأي يبطل فانظر كيف اختار له تعالى إبطال هذا القسم الخفي البطلان فأوضح فساده في أخصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الكلام ومعجزه وإنما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون إلزامهم ادعاء صفات الألوهية لأنهم حتى يتحزى أنهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى ووكل إبطال ماعداه من الأقسام إلى ماركبه في عباده من العقول وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلال والله الموفق فتأمل هذا

رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ ۖ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۖ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۖ

ولكن لا يجتمع خلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمايع فله تكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ۖ إذا كانت عادة الملوك والجبارة أن لا يسألهم من في ملكهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيأ وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يستلون) أي هم يملكون مستعبدون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم فعلتم في كل شيء فعلوه ۖ كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فها تواتر برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه ۖ أي (هذا) الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أي عظمة الذين معي يعني أمته وذكركم للذين من قبلي يريد أمم الأنبياء عليهم السلام وقرئ (ذكر من معي وذكر من قبلي) بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتما هو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الإضافة في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذرية أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كيدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي ۖ كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكاره وقرئ (الحق) بالرفع على تأكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل (يوحى) ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة

الفصل بعين الإنصاف تجده أنفس الأنصاف والله المستعان قوله تعالى «لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون» (قال) لما بين تعالى أنه رب الأرباب وخالقهم ومالكهم ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الإجلال والإعظام فإن آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعله فما ظنك بخالق الملوك وربهم ثم إن آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول أن أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (قال أحمد) صحيحا لها من لفظة ما أسوأ أدبها مع الله تعالى أغنى قوله دواعي الحكمة فإن الدواعي والصوارف إنما تستعمل في حق المحدثين كقولك هو مما توفردواعي الناس إليه أو صوارفهم عنه وقوله لا يجوز عليه فعل القبائح قلت وهذا من الطراز الأول ولو أنه في الذيل ۖ فقد نسيت وما بالعهد من قدم ۖ وبعد ما انقضى دليل التوحيد وإبطال الشرك من سمعك أيها الزمخشري وقبلك رطب بتقريره فلم نكصب وانتكست أقول أن أحدا شريك الله في ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التي تسميها قبائح فذمها عن قدرة الله تعالى وإرادته وما الفرق بين من يشرك الله ملكا من الملائكة وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول إنه يفعل ويخلق لنفسه شاء الله أو لم يشأ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والقدرية ارتضوا لأنفسهم شركا لأن غيرهم أشرك بالملائكة وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات نعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك قوله تعالى

(قوله ولكن لا يجتمع خلان في شول) في الصحاح الشول النوق التي خفت لبنها وارتفع ضرعها (قوله ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح) هذا عند المعتزلة أماعند أهل السنة فهو الفاعل للخير والشر كما بين في علم التوحيد

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَخْلَفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۖ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْسَ بِنَذِيرٍ لَهُمْ ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۖ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَجَعَلْنَا

لما سبقها من آي التوحيد ۖ نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ۖ نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم (مكرمون) مقربون عندى مفضلون على سائر العباد لمسامح عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادى تعاليت عن ذلك علواً كبيراً وقرئ مكرمون و(لا يسبقونه) بالضم من سابقته فسبقت أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة أى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسى فرسه ۖ وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً كذلك مبنى على أمره لا يعملون عملاً لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو يجازيهم عليه فلا حظهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقانهم ومن لحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله (مشفقون) أى متوقعون من أماراة ضعيفة كاثون على حذر ورقة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطاً كالجلس من خشية الله وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلهم عنده وأثنى عليه وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفضيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد قرئ (المير) بغير واو و(رتقا) بفتح التاء وكلاهما معنى المفعول كالحاق والنقض أى كاتما مرتوقتين (فإن قلت) الرق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لأنه مصدر فربما بال الرق (قلت) هو على تقرير موصوف أى كاتما شيئاً رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالأرض لافضاء بينهما أو كانت السموات متلاصقات وكذلك الأرضون لافرج بينهما ففتقها الله وفرج بينهما وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وإنما قيل كاتما دون كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أى جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر (فإن قلت) متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد في القرآن الذى هو معجزة في نفسه فقام مقام المرقى المشاهد والثانى أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين فإن تعدى إلى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه ووجه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الإنسان من عجل وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حتى بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدمنى وقرئ حيا وهو المفعول الثانى

سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله) قال أحمد وهذا التفسير من جعل القرآن تبعا للرأى فإنه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وليس غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية مالا تحتمله وتناول منها مالا تعطيه لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لاعلى بعضهم فدعوا

(قوله مفضلون على سائر العباد) هذا عند المعتزلة وبعض البشر أفضل منهم عند أهل السنة (قوله على حذر ورقة لا يأمنون) بالكسر أى انتظار أفاده الصحاح (قوله كالجلس من خشية الله) بكسر فسكون أو بفتح حين كسء رقيق يكون تحت البرذعة أو تحت الرحل أفاده الصحاح (قوله إن كان ذلك على سبيل الفرض) لعله إذ كان (قوله ومن هنا) لعله ومن هنا (قوله عليه السلام ما أنا من دد) فى الصحاح الدد اللهو واللعب

فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا جِجَاجًا سَبِيلًا لَعَلَّهُمْ يَحْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ

والظرف لغو ۝ أى كراهة (أن تميد بهم) وتضطرب أولئلا تميد بهم فحذف لا واللام وإنما جاز حذف لعدم الالتباس كما تزداد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين ۝ الفج الطريق الواسع (فإن قلت) في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا (قلت) لم تقدم وهى صفة ولكن جعلت حالا كقوله ۝ لعزة موحشا طلل قديم ۝ (فإن قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة محفوظا حفظه بالإمساك بقدرته من أن يقع على الأرض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أى عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسارها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصب وأودعها ما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آياتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة فى الدلالة على الجنس أى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمرها والاهتداء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأقطارها ۝ وهم عن كونها آية بينة على الخالق (معرضون) (كل) التنوين فيه عوض من المضاف إليه أى كلهم (فى فلك يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب فى جمعها بالشمس والاقار وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فإن قلت) الجلة ما محلها (قلت) محلها النصب على الحال من الشمس والقمر (فإن قلت) كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيدا وهنداً متبرجة ونحو ذلك إذا جئت بصفة تخص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى فى هذه السورة وهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أولا محل لها لاستثنائها (فإن قلت) لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون فى فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفاً أى كل واحد

شاملة ودليله مطلق والله الموفق ۝ قوله تعالى وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم (قال معناه كراهة أن تميد بهم أو تكون لا محذوفة لآمن الإلباس) قال أحد وأولى من هذين الوجهين أن يكون من قولهم أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه قال سيويه ومعناه أن أدم الحائط إذا مال وإنما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه ولأنه أيضاً هو السبب فى الإدعام والإدعام سبب فى إعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى كذلك مانحن فيه يكون الأصل وجعلنا فى الأرض رواسى لأجل أن تثبتا إذا مادتا بهم فجعل الميل هو السبب كما جعل الميل فى المثل المذكور سببا وصار الكلام وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد فتثبتا ثم حذف قوله فتثبتا لآمن الإلباس إيجازا واختصارا وهذا التقرير أقرب إلى الواقع مما أول الزخشرى الآية عليه فإن مقتضى تأويله أن لا تميد الأرض بأهلها لأن الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خلاف ذلك فكأن من زلزلة مادتها الأرض وكادت تغلب عاليها سافلها وأما على تقريرنا فالمراد أن الله تعالى ثبت الأرض بالجبال إذا مادتها وهذا لا يأتى وقوع الميد كما أن قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى لا يأتى وقوع الضلال والنسيان من إحداهما لكانه ميد يستعقبه التثبيت وكذلك الواقع من الزلازل إنما هو كالمحعة

(قوله يقع على الأرض ويتزلزل) لعله أو يتزلزل (قوله والعبر بالشمس والقمر) لعله كالشمس الخ كعبارة النسفي

مَنْ قَبْلَكَ الْخُلْدُ أَفَإِنْ مَتَ فُهُمُ الْخَالِدُونَ ۖ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ۖ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون ۖ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ

منهم أو كسأهم وقدهم هذين الجنسين فاكتمى بما يدل على الجنس اختصاراً لأن الغرض الدلالة على الجنس ۖ كانوا يقدون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفي الله تعالى عنه الشماتة بهذا أى قضى الله أن لا يتخذ في الدنيا بشراً فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيتى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أيقوا ۖ سلبق الشامتون كالقينا

أى نخبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وإنما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه فى صورة الاختبار و (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذاكراً صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكركم وقوله (أهذا الذى يذكركم آلِهتكم) والمعنى أنهم عاكفون على ذكر آلِهتهم بهمهم وما يجب أن لا يذكروا به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكروها ذكراً بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكروا به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلاً فهم أحق بأن يتخذوا هزواً منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى يذكروا الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن إلا مسيلة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل يذكروا الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال أى يتخذونك هزواً وهم على حال هى أصل الهزء والسخرية وهى الكفر بالله ۖ كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملقاة إلى العلم والإقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس يبدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وبجيتكم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح فى عينه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه شتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل

ثم يثبتها الله تعالى ۖ قوله تعالى أهذا الذى يذكركم آلِهتكم (قال فيه الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق بقيد القرينة فإن كان الذاكراً صديقاً فهم منه الخير وإن كان عدواً فهم منه الذم) قال أحمد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم معناه أتعيبون الحق لما جاءكم ثم ابتداء فقال أسحر هذا وإنما لم يجعله معمولاً للقول وبحكايته لأنهم قفوا القول بأنه سحر فقالوا إن هذا لسحر مبین ولم يشككوا أنفسهم ولا استفهموا وقد مضى فيه غير هذا وإنما أطلقوا فى قولهم أهذا الذى يذكركم آلِهتكم ولم يقولوا أهذا الذى يذكركم آلِهتكم بكل سواء لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح فى آلِهتهم رمية بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وحاشوها من نقل ذمها مفصلاً فأومأوا إليه بالإشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر فى موى إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان وأسأوا الأدب على الرحمن

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۖ بَلْ تُؤْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۖ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بُرْسِلٌ مِّنْ قَبْلِكَ خَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ قُلْ مَن يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُم عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ۚ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ۚ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ۚ وَلَكِنَّ مُسْتَهْزِئِهِمْ نَفْخَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوْمَلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

ينبت بين الماء والعجل والله أعلم بصحته (فإن قلت) لم نهمهم عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كإركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الإنسان جواب لو مخذوف وحين مفعول به ليعلم أى لو يعلمون الوقت الذي يستعملون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدر على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرًا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هوته عندهم ويجوز أن يكون (يعلم) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أى حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون أنهم كانوا على الباطل ويتنفي عنهم هذا الجهل العظيم أى لا يكفونها بل تفجؤهم فغلبهم يقال للغلوب في المحاجة مهوت ومنه فبت الذي كفر أى غلب إبراهيم عليه السلام الكافر وقرأ الأعمش يأتهم فيهمهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فإن قلت) فالإمام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة (قلت) إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى النار وهى التي وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة أو إلى البغته وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بغته بفتح الغين (ولا هم ينظرون) تذكير بإظهاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أى لا يمهلون بعد طول الإمهال ۖ سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه به يحق بهم كإحقاق بالمستهزئين بالأنبياء عليهم السلام ما فعلوا (من الرحمن) أى من بأسه وعذابه (بل هم) معرضون عن ذكره لا يخطر ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلام منه عرفوا من الكالى* وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكالى* ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لأعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما فى أم من معنى بل وقال (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ۖ ثم استأنف فين أن مالىس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ۖ ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلام إنما هو منا لأن مانع يمنعهم من أهلا كنا وما كلاً ناهم وآباهم الماضين لإلتمتعهم بالحياة الدنيا وإمهالها كما تمنعنا غيرهم من الكفار وأمهالناهم (حتى طال عليهم) الأمد وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا يزع عنهم ثوب أمتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمد كاذب (أفلا يرون أنا) نقص أرض الكفر ودار الحرب ونخذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردنا دار إسلام (فإن قلت) أى فائدة في قوله (نأتى الأرض) (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم وسرايهم كانت تغزو أرض المشركين وتأيتها غالبه عليها ناقصة من أطرافها ۖ قرئ (ولا يسمع الصم) ولا يسمع الصم بالياء أى لا يسمع

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْمَةَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِبَنَى حَسِبِينَ * وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرًا لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا

أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من أسمع (فإن قلت) الصم لا يسمعون دعاء المبشر كالأسمعون دعاء المُنذر فكيف قيل (إذا ما يندرون) (قلت) اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المُنذرين كائنة للعهد للجنس والأصل ولا يسمعون إذا ما يندرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسددهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الإنذار (ولئن مستهم) من هذا الذي يندرون به أدنى شيء لأذعنوا وذلولوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والوزارة يقال نفحته الدابة وهو رخ يسير ونفحه بعطية رضىه ولبناء المرة * وصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأما في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط واللام في (ليوم القيامة) مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لها ففرقتها * لسته أعوام وذا العام سابع وقيل لأهل يوم القيامة أي لأجلهم (فإن قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما إحصاء الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوازن بها الموزونات والثاني أنه يضع الموازين الحقيقية ويوزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من ذا الذي يقدر أن يملكه حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة (فإن قلت) كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة * وقرئ (مِثْقَالُ حَبَّةٍ) على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذراعاً * وقرأ ابن عباس ومجاهد (أتينا بها) وهى مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأنهم بالجزاء * وقرأ حميد أثبتنا بها من الثواب وفي حرف أى جئنا بها وأنت ضمير المثقال لضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه أى أثبتناها (الفرقان) وهو التوراة (و) أتينا به (ضياء) وذكر اللبتين والمعنى أنه في نفسه ضياء وذكر أو آتيناها بما فيه من الشرائع والمواظظ ضياء وذكر أو عن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فاق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف محل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه ووزارة خيره الرشد والهدى لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد كالعدم والعدم ومعنى إضافته إليه أنه رشده مثله وأنه رشده شأن (من قبل) أى من قبل موسى وهرون عليهما السلام ومعنى عليه به أنه علم منه أحوالاً بدبعة وأسراراً عجيبة وصفات قدر ضيها وأحمدتها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم بفلان

(قوله على النصارى من آيات الإنذار) لعله عن (قوله وهو رخ يسير ونفحة بعطية) في الصحاح رجة الفرس والبغل والحمار إذا ضربه برجله (قوله ترسمت آيات لها ففرقتها) يروى توسمت

لَهَا عِبْدِينَ ۖ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۖ قَالَ
بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ وَنَالَهُ لَا كِيدَ لَكُمْ فِيهِ وَلَهُ الْآخِرَةُ
بَعْدَ الْأُولَىٰ ۖ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۖ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهَتِنَا إِنَّهُ

فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل (إذ) إيمان يتعلق بآتين أو برشده أو بمعذوف أى اذكر من
أوقات رشده هذا الوقت قوله (ماهذه التماثيل) لجهلهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم
وإجلالهم لالم ينولعا كفين مفعولا وأجراه مجرى مالا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها (فإن قلت)
هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنامهم (قلت) لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما أقبح التقليد
والقول المقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها
جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصره مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة
أن عبدة الأصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض
الفعل يمتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على
من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون مامهم عليه ضلال
بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا
الذي جئت به أهو جد وحق أم لعب وهزل الضمير في (فطرهن) للسموات والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في
تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحها كما تصح الدعوى بالشهادة كأنه قال
وأنا أبين ذلك وأرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لا أنى لست مثلكم فأقول مالا أقدر على إثباته بالحجة كالم تقدر
على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تولوا ويقومها
قوله فتولوا عنه مدبرين (فإن قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) أن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة
منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه
لصعوبته وتعذره ولعمري أن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه
وتهالكه على نصرته دينه ۖ ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا ۖ روى أن أزر خرج به في يوم عيدهم فبدؤا ببيت الأصنام
فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقى
إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما مصطفاة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من
قومه وروى سمعه رجل واحد (جذاذا) قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذاذا جمع جديذ
وجذاذا جمع جذوة وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسمعوه من إنكاره لدينهم
وسبه لآلهتهم فيسكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي (إليه) إلى كبيرهم ومعنى هذا
لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما هؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على
عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعلوهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أوقاله مع
عليه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهاالا وأن قياس حال من يسجد له ويؤله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل

(قوله إذا الله سنى عقد شيء تيسرا) في الصحاح سناه أى فتحه وسهله (قوله ويؤله للعبادة أن يرجع إليه) لعله
ويؤهل بدون ضمير فتكون الأفعال الثلاثة مبنية للمجهول ويكون الكلام في المعبود لافى العابد

لَمَنِ الظَّالِمِينَ ۖ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ ۖ إِبْرَاهِيمُ ۖ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۚ
قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۖ فَرَجَعُوا
إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۖ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۖ قَالَ

مشكل (فإن قلت) فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعرافهم فأى فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يحمله إبراهيم صلوات الله عليه غرضا (قلت) إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم ۖ أى أن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة إما لجرأته على الآلهة الحقيقية عندهم بالتوقير والإعظام وإما لأنهم رأوا إفراطاً في حطها وتماديا في الاستهانة بها ۖ (فإن قلت) ما حكم الفعلين بعد (سمعنا فتى) وأى فرق بينهما (قلت) هما صفتان لفتى لأن الأول وهو (يذكرهم) لا بد منه لسمع لأنك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع وأما الثانى فليس كذلك (فإن قلت) (إبراهيم) ما هو (قلت) قيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى (على عين الناس) فى محل الحال بمعنى معاينة مشاهداً أى بمرأى منهم ومنظر (فإن قلت) فامعنى الاستعلاء فى على (قلت) هو وارد على طريق المثل أى ثبت إثباته فى العين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلمهم يشهدون) عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روى أن الخبر بلغ نمرود وأشراف قومه فأمرؤا بإحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الرضاة من علماء المعانى والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلا أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أنت كتبت هذا وصاحبك أتمى لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبتك أنت كأن قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزام به لانفيه عنك وإثباته الأتمى أو المحرمش لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكبا استهزأ به وإثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو الذى تسبب لاستهانتها بها وحطمه لها والفعل كما يسند إلى مباشرة يسند إلى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبه كأنه قال لهم ماتنكرون أن يفعل كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى لها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها ۖ وقرأ محمد بن السميع فعله كبيرهم يعنى فعله أى فعل الفاعل كبيرهم ۖ فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لامن ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ۖ نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أى استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط إطفائهم خجلا وانتكساراً وانخزالاً مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام فما أثاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالشدديد ونكسوا على لفظ ما سمى فاعله أى نكسوا أنفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان

(قوله ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة) الموجود فى الصحاح الخرش مثل الخدش والخراش سمته والخرشة خشبة

يخط بها الخراز ولم يوجد فيه خرمشة بزيادة الميم

أَفْتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۖ أَفَ أَنْتُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۚ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۚ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۚ وَبَجَيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۚ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۚ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

ابن عبدالمعبود (أف) صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متعجب أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم
وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان التأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف ۚ أجمعوا رأيهم لما
غلبوا بإهلاكه وهكذا المبطّل إذا قرعت شبهته بالحجة واقتضح لم يكن أحد أبغض إليه من الحق ولم يبق له مفرع إلا مناصبته
كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي أشار بإحراقه نمرود وعن ابن عمر رضى
الله عنهما رجل من أعراب الهجم يريد ألا كراد وروى أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً كالخظيرة بكوثاً وجمعوا
شهرأ أصناف الخشب الصلاب حتى إن كانت المرأة لتمرض فقول إن عافاني الله لأجمعن خطباً لإبراهيم عليه السلام
ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجوّ من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموا به فيها فتأداها جبريل
عليه السلام (يانار كوني برداً وسلاماً) ويحكى ما أحرقت منه إلا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمى به
هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي عليه بحلى وعن ابن عباس رضى الله عنه
إنما نجى بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال إني
مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه إذ ذاك ابن ست عشرة سنة
واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار إلا خالفها ومن ثم قالوا (إن كنتم فاعلين)
أي إن كنتم ناصرين آلِهَتكم نصرأ مؤزرأ فاخترأوا له أهول المعاقبات وهى الإحراق بالنار وإلا فزطتم في نصرتها ولهذا
عظموا النار وتكلفوا في شهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألو أجهداً في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وإرادته كما مورأمر
بشئ فامتثلته والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد أبردى فيسلم منك إبراهيم أو أبردى برداً
غير ضار وعن ابن عباس رضى الله عنه لولم يقل ذلك لأهلكته ببردها (فإن قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله
عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحز والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير
ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرّها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله
(على إبراهيم) وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمسكت وفزعوا
إلى القوة والجبروت فصره وقواه ۚ نجيا من العراق إلى الشام وبركاته الواصلة إلى العالمين إن أكثر الأنبياء عليهم السلام
بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية وقيل يارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثر
والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفیان أنه خرج إلى الشام فقيل له إلى أين فقال إلى بلديلا فيه الجراب بدرهم
وقيل ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التى بييت المقدس وروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة ۚ النافلة ۚ لدالود قيل سأل إسحق فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون
بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتأقل
عنها وأول ذلك أن يهتدى بنفسه لأن الانتفاع بهداه أعم والنفوس إلى الاقتداء بالمهدى أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل

وَكَانُوا لَنَا عِبْدِينَ ۖ وَلَوْ طَآءَتَيْنِهِ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَحِينِهِ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ لَإِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ
فَاسِقِينَ ۖ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ۖ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَآغَرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لَحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۖ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا آتَيْنَاهُمَا حُكْمًا
وَعِلْمًا وَنَخْرَنَاهُ مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۖ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ

الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات ۖ وكذلك لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة (حكما) حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين
الخصوم وقيل هو النبوة ۖ والقرية سذوم أى فى أهل رحمتنا أو فى الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى أرحم بهما من أشاء (من قبل)
من قبل هؤلاء المذكورين ۖ هو نصر الذى مطاوعه اتصرو سمعت هذينا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أى اجعلهم
منتصرين منه ۖ والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه ۖ أى واذا كرهما وإذا بدل منهما والنفس الانتشار بالليل
وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكين إليهما وقرئ لحكما ۖ والضمير فى (فهمناها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها
حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفرقيين فعزم عليه
ليحكم فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى أرباب الشاء يقومون
عليه حتى يعود كهيمته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فإن قلت) أحكما بوحى أم باجتهاد
(قلت) حكما جميعا بالوحى إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا جميعا بجاه اجتهد سليمان
عليه السلام أشبه بالصواب (فإن قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود عليه السلام
فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها إلى المجنى عليه كما قال أبو حنيفة رضى الله عنه فى العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى
بذلك أو يفديه وعند الشافعى رضى الله عنه يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث
ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم
وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثله ما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا
فأبق من يده أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغمصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد إذا ظهر ترادا (فإن قلت) فلو
وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالهار
إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعى رضى الله عنه يوجب الضمان بالليل وفى قوله فهمناها سليمان دليل على
أن الأصوب كان مع سليمان عليه السلام وفى قوله (وكلاما حكما وعلمنا) دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب
(يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلنا قال كيف سخرهن فقال يسبحن (والطير) إمام معطوف على الجبال أو مفعول
معه (فإن قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الإعجاز
لأنها جماد والطير حيوان إلا أنه غير ناطق روى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث
سار (فإن قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بأن يخاطق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى وجواب
آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتفسير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل
هذا وإن كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالأنبياء مثل ذلك ۖ اللبوس اللباس قال ۖ البس لكل حالة لبوسها ۖ والمراد

(قوله كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى) هذا عند المعتزلة بناء على أن كلام الله حادث فلا يقوم بذاته تعالى أما عند
أهل السنة فكلامه تعالى قديم قائم بذاته ويسمعه موسى عليه السلام بكشف الحجاب عنه

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ * وَلَسْلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ
عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ
رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا

الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الحقة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء
والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس *
قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فإن قلت) وصفت هذه
الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت في نفسها رقية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه
أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غنوها شهروروا حها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة
في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفا لهابوبها على حكم إرادته وقد أحاط علينا بكل شيء فنجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا أي
بغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع
الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا
أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مستخرون فيه أي ناداه بأني مسني الضر وقرئ لاني بالكسر على إضمار القول أو لتضمن
النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لاقتراق
المعنيين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكي أن
عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت بأمر المؤمنين مشيت جردان يتي على العصي فقال لها ألطف في السؤال
لاجرم لأردنها تثب وثب الفهود وملايتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد إسحق بن يعقوب عليهم السلام
وقد استنبأ الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان
يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولدون خيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض
في بدنه ثمانى عشر سنة وعن قتادة ثلاث عشر سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما
لودعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة
رخائى فلما كشف الله عنه أحياء ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا أي لرحمتنا
العابدين وأنادى كرمهم بالإحسان لأنسأهم أورحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما
أثيب في الدنيا والآخرة * قيل في ذى الكفل هو إلياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من

* قوله تعالى وسليمان الريح عاصفة (قال إن قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها عاصف فما وجه ذلك قلت
ماهى إلا جمعتهما وكانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى
تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجنان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجاني منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين
فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان ففي كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير

(قوله مشيت جردان يتي على العصي) في الصحاح الجرذ ضرب من الفأر والجمع جردان
(قوله وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد) في الصحاح الفدان القصر والفدان آله الثورين للحرث

لَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سَبِّحْكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ * وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى
رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا
يُسرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ * وَالَّتِي أَحْصَيْنْتَ فَرْجَهَا فَتَنْفَخُنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا

الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو إسمين
إسرائيل ويعقوب إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
(النون) الحوت فأضيف إليه برم بقومه لطول ماذكرهم فلم يذكرهم وأقاموا على كفرهم فراغهم وظن أن ذلك يسوغ
حيث لم يفعله إلا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة
عنهم فابتنى بطن الحوت * ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقة خوفهم حلول العقاب عليهم عندها قرأ أبو شرف
مغضبا * قرئ تقدر وتقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على البناء للفعول مخففا ومثقلا وفسرت
بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة
ففرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا إلا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه
قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب
التمثيل بمعنى فكانت حاله بمثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق
ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في
كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في
بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقيل ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر * أي بأنه
(لا إله إلا أنت) أو بمعنى أي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن ما نجاه
والله إلا إقراره على نفسه بالظلم (تنجي) وتنجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصعته فجعله فعل وقال نجي
النجاه المؤمنين فأرسل الياء وأسندته إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاه فتمتعف بارد التعسف * سأل ربه أن يرزقه
ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أي إن لم ترزقني من يرثني
فلا أبالي فإنك خير وارث * إصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق
الضمير للذكورين من الأنبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير
ومسارعهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون * وقرئ (رغبا ورهبا) بالإسكان وهو كقوله تعالى
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذللا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الدائم في القلب وقيل
متواضعين وسئل الأعمش فقال أما إني سألت إبراهيم فقال ألا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره
وأغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى أنه إن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويأطأ رأسه (أحصنت فرجها) إحصانا كلياً من

معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله والمجدود على الحقيقة) في الصحاح الجد الحظ والبحث تقول جددت يافلان أي صرت ذاجداً فأنت جديد حظوظ
ومجدود محظوظ (قوله فأضيف إليه برم بقومه لطول ما) سئمهم وتبرم بهم أفاده الصحاح

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۖ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ۖ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ
إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ۖ وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيبَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۖ وَقَاتَبَ

الحلال والحرام جميعاً كما قالت ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً (فإن قلت) نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي أى أحييته وإذا ثبت ذلك كان قوله (ففنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم (قلت) معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أى أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أى نفخت في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها (فإن قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لأن حالهما مجموعهما آية واحدة وهى ولادتها إياه من غير خلل الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام أى أن ملة الإسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تتحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) إلهكم إله واحد (فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة خبراً وعنه رفعهما جميعاً خبرين لهذه أو نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة ۖ والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينهى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذا نصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيورتهم فرقاً وأحزاباً شتى ۖ ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ۖ الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل الله شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلان تكفر سعيه (وإننا له كاتبون) أى نحن كاتبوا ذلك السعى ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه ۖ استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل إن الله حرّمهما على الكافرين أى منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم وقرئ حرّم وحرّم بالفتح والكسر وحرّم وحرّم ومعنى (أهلكنها) عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة وبجاز الآية أن قوماً عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينبذوا إلى أن تقوم القيامة حينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين يعنى أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قربة أهلكنها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور ثم علل فقيل إنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أى لأنهم لا يرجعون

ۖ قوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا (قال إن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه وحينئذ يكون معناه فأحييناه مريم ويشكل إذ ذاك قلت معناه فنفخنا الروح في عيسى في مريم أى أحييناه في جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشري في قوله عز وجل إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن أفضيه في التابوت فأفذه في اليم فليقله اليم بالساحل أن تكون الضمائر كلها راجعة إلى موسى أما الأول فلا إشكال فيه وأما التابوت إذا قذف في اليم وموسى فيه فقد قذف موسى في اليم وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الآخرين إلى التابوت لأنه فهم من قوله فأفذه في اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف في اليم الزمخشري نزل قذف التابوت في اليم وموسى فيه منزلة قذفه في اليم وفي هذه الآية مصداق لما اختاره فإن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى ليكون في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم فغير بما يفهم ظاهر هذا

الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا زَوْجِرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي

ولاصلة على الوجه الأول (فإن قلت) هم تعلقت (حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هي (قلت) هي متعلقة بحرام وهي غاله لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعني إذا وما في حيزها حذف المضاف إلى (بأجوج وماجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل فعت كما قيل أهلكتاها وقرئ أجوج وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها بأجوج وماجوج (وهم) راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر وقيل هم بأجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحذب النثر من الأرض وقرأ ابن عباس رضي الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تيمية وقرئ (بنسلون) بضم السين ونسل وعسل أسرع و (إذا) هي المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مستد الفاء كقوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فينا كد ولو قيل إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سيدياً (هي) ضمير مبهم توخه الأبصار وتفسره كما فسر الذين ظلوا وأسرؤا (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا (ما تعبدون من دون الله) يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدق ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون من دون الله الآيات فأقبل عبدالله بن الزبير فرآهم بها مسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد ابن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله أما والله لو وجدته لخصمته فذعه فقال ابن الزبير أنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى إن الذين سبقتم منا الحسنى الآية يعني عزيزاً والمسيح والملائكة عليهم السلام (فإن قلت) لم قرئوا بألهتهم (قلت) لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر إلى وجه العدو باب من العذاب ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستشفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض إليهم منهم (فإن قلت) إذا عنيبت بما تعبدون الأصنام فامعني (لهم فيها زفير) (قلت) إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وإن لم يكن الزفير إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس ۝ والحصب المحسوب به أي بحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفاً بالمصدر وقرئ حطب وحصب بالضاد متحركا وسا كذا ۝ وعن ابن مسعود يجعلون في توايت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يصمهم (الحسنى) الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرية بالثواب وإما التوفيق للطاعة يروي أن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يحز رداه وهو يقول (لا يسمعون حسيها) والحسيس

(قوله السد الحذب النثر من الأرض) في الصحاح النثر المكان المرتفع (قوله كما فسر الذين ظلوا وأسرؤا) لعله ضمير وأسرؤا أولعله واو وأسرؤا (قوله وأصنامهم في قرن واحد) جبل يقرن به البعير أن أفاده الصحاح

كُنْتُمْ تُوعِدُونَ ۖ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا
فَاعِلِينَ ۖ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۖ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
عَابِدِينَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۖ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۖ

الصوت بحس ۖ والشهوة طلب النفس اللذة ۖ وقرئ (لا يحزنهم) من أحزن و(الفرع الأكبر) قيل النفخة الأخيرة لقوله
تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق
على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح أى تستقلهم (الملائكة) مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت
ثوابكم الذى وعدكم ربكم قد حلّ العامل في (يوم نطوى) لا يحزنهم أو الفرع أو تلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء المفعول
(والسجل) بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة أى كما يطوى الطومار للكتابة أى ليكتب فيه
أول ما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فعناه المكتوبات أى لما يكتب
فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذى يفسره (نعيده) والكاف مكفوفة بما والمعنى
نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء فى تناول القدرة لها على السواء (فإن قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه
(قلت) أوله إيجاداه عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فإن قلت) ما بال خلق منكراً (قلت) هو كقولك هو أول
رجل جاءنى تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجالا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى
أول الخلق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل
الذى بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى (وعدا)
مصدر مؤكداً لأن قوله نعيده عدة للإعادة (إنا كنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبى رحمة الله عليه ۖ زبور داود
عليه السلام ۖ والذكر التوراة وقيل اسم لمجلس ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعنى اللوح أى يرثها المؤمنون
بعد إجلاله الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضى الله عنه هى أرض الجنة وقيل الأرض
المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم الإشارة إلى المذكور فى هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ
السكفاية وهو ما تبلغ به البغية أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما

قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين (قال فيه إن قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت
أول الخلق إيجاداه عن العدم وكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت هذا الذى ذكره ههنا فى المعاد قد عاد به إلى
الحق ورجع عما قاله فى سورة مريم حيث فسر الإعادة بجمع المتفرق خاصة لإلأنه كدّر صفا واعتراه بالحق بتفسيره قوله
إنا كنا فاعلين بالقدرة على الفعل ولا يلزم على هذا من القدرة على الفعل حصوله تحويما على أن الموعد به ليس إعادة الأجسام
عن عدم وإن كانت القدرة صالحة لذلك ولكن إعادة الأجزاء على صورها مجمعة مؤتلفة على ما تقدم له فى سورة مريم إلا
أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة أن الله ذكر ماضيا والإعادة وقوعها مستقبل فعين عنده ثم حمل الفعل على
القدرة فقد قارب ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره لأن الأفعال المستقبلية التى علم الله وقوعها كالماضية فى التحقق فن ثم عبر
عن المستقبل بالماضى فى مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والغرض الإيدان بتحقيق وقوعه والله أعلم

(قوله والسجل بوزن العتل والسجل) العتل الغليظ الجافى وقال تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) والعتل أيضا الرح الغليظ
ورجل عتل بالكسر بين العتل كذا فى الصحاح

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ۖ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۖ وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ۖ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۖ

أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويقي ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفریقین ولكن السكلان محنة على نفسه حيث حرما ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث أن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال ۖ إنما لقصر الحكم على شيء أولقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن (إنما يوحى إلى) مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيدو (إنما الحكم لله واحد) بمنزلة إنما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل أنتم مسلمون أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله وأن تخلصوا الانداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع وبجوز أن يكون المعنى أن الذي يوحى إلى فتكون ماموصولة ۖ آذن منقول من آذن إذا علم ولكنه كثر استعماله في الجرى مجرى الإنذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله ۖ وقول ابن حنبل ۖ آذنتنا بينها أسماء ۖ والمعنى أنى بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فبذل اليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنتهم جميعا بذلك (على سواء) أى مستوين في الإعلام به لم يطوئه عن أحد منهم وكشف كلهم وقشر العصا عن لحائها (ما توعدون) ۖ من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وإن كنت لا أدري متى يكون ذلك لأن الله لم يعلن عليه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاؤون به من كلام الطعانين في الإسلام (ما تكتُمون) ۖ في صدوركم من الإحن والاحقاد للمسلمين وهو يجازيكم عليه ۖ وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم (إلى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة ۖ قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم ورب احكم على أفعل التفضيل ورب احكم من الأحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا بيدر ۖ ومعنى (بالحق) لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشد وطأتك على مضر ۖ قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم ۖ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقرب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصاحفه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

(قوله ولكن السكلان محن على نفسه) لعله مخن بخاء معجمة فتون وفي الصحاح أخنى عليه الدهر أى أتى عليه وأهلكه (قوله وقد اجتمع المثالان في هذه الآية) لعله المثالان (قوله وقشر العصا عن لحائها) في الصحاح اللحاء ممدود قشر الشجر

سورة الحج مدنية

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَنْمَا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ

﴿سورة الحج مكية﴾

غير ست آيات وهي هذان خصمان إلى قوله إلى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

• الزلزلة شدة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها • ولا تخلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكيم فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها واختلفت في وقتها فمن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها • أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدة ذلك اليوم بامثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به وروى أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكية من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا بالسروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة • وقرئ نذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة • (فإن قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأها أن ترضع وإن لم تبشر بالإرضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعتة عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافي بطنها لغير تمام • قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائما أو رؤيتك قائما و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنته على تأويل الجماعة • وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى

﴿القول في سورة الحج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل) قال أحمد والفرق بينهما أن وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه أنه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل وخروج الصفة عليه وكذلك هو في الآية

﴿سورة الحج﴾

(قوله وأن يضاعف زليل الأشياء) أي يكرر انحراف الأشياء وتزحزحها عن مواضعها وفي الصحاح تقول زللت يافلان بالفتح زل زليلا إذا زل في طين أو منطق

شَدِيدٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَانْهَضْهُ

وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالي وعن الأعمش سكرى وبسكارى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن مارهتهم من خوف عذاب الله الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردتهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (فإن قلت) لم قيل أولاً ترون ثم قيل ترى على الأفراد (قلت) لأن الرؤية أولاً علفت بالزلزلة لجعل الناس جميعاً رائيين لها وهي معلقة أخيراً يكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيًا لسائرهم قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلى وصار تراباً وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعرض فيه بضرر قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخطب خطب عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) في ذلك خطوات (كل شيطان) عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جملة وليأله لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أولياً بل هم أشد الشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدويناً ولقنوه أشياءهم تلقيناً وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال :

ويارب مقفوا الخطابين قومه ۝ طريق نجاة عندهم مستونج ۝ ولوقروا في اللرح ما خطف فيه من ۝ بيان أعوجاج في طريقته عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ۝ والكتبة عليه مثل أى كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله ۝ وقرئ أنه فإنه بالفتح والكسر فنفتح فلان الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغنى الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرء في الجلب والطرء كأنه قيل إن ارتبتم في البعث فزبل ربيكم أن نظروا في بدء خلقكم والعلة قطعة الدم الجامدة والمضغة للحمية الصغيرة قدر ما يمتصغ والمخلقة المسواة للمساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملمسة كأن الله تعالى يخلق المصنغ متفاوتة منها ما هو كامل الحلقة أملس

لقوله عما أرضعت فأخرج الصفة على الفعل والحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى أثبت لهم أولاً السكر المجازى ثم نفى عنهم السكر الحقيقي) قال أحمد والعلماء يقولون إن من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول وما هو بحمار فتنتي عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازى نفى الحقيقي أبلغ نفى مؤكد بالباء والسر في تأكيده التثنية على أن هذا السكر الذى هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود فى شيء وإنما هو أمر لم يعمدوا قبله مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع إلى قوله وما هم بسكارى وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازى كأنه قيل إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سبه فقال سبه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أنه قال هو الوقت الذى يقول كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه نفسى نفسى

(قوله من رأيتك قائماً أو رؤيتك قائماً) لعله أو رؤيت قائماً (قوله رؤساء أهل الأهواء) إن كان مراده أهل السنة كما هو عادته فى الكتابة من التشنيع عليهم فينبغى مطالبته بالفرق بينهم وبين المعتزلة حتى استحقوا التشنيع دونهم (قوله وكأنهم ساطوه بلحومهم) خلطوه (قوله عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح) أى صاحوا (قوله هو كأنما كتب عليه هذا الكلام) لعله أى كأنما

وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَسَاءَ مَا يَحْكُمُ بِالنَّاسِ إِنَّ كُتُوبَ رَبِّكَ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَّكَ وَنُقَرِّ لَكَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ مِن يَوْمِهِ إِلَىٰ أَجَلٍ أُخَرٍ ۚ وَسَوْفَ يُعَلِّمُهُ الْكَلَامَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ فِي الْقُبُورِ

من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتساهمهم ونقصاهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقه إلى خلقه (لنبين لكم) بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولائهم من لطفة ثانياً ولاتناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يحمل النطفة علقه وبينهما باين ظاهر ثم يجعل العلقه مضغرة والمضغرة عظاما قدر على إعادة ما أبدأه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه بتبين بها من قدرته وعلمه مالا يكتننه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبله لبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ونخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر (في الأرحام ما يشاء) أن يقره من ذلك (إلى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو ستين أو أربع أو كإشياء وقدر ومالم يشأ إقراره بحجة الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدرج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلاً الأشد كال القوة والعقل والتميز وهو من ألفاظ الجوع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقود والباطيل وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبذيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أو أن طفولته ضعيف البنية سخييف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) أي ليصير نساء بحيث إذا كسب علماً في شيء لم ينشب أن ينسأه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فنقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وقرأ أبو عمر والعمر بسكون الميم المم المأمة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث وظهورها وكونها مشاهدة معانية كررها الله في كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت ۞ البهيح الحسن السائر للناظر اليه ۞ أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو (أن الله هو الحق) أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد

(قوله من ألقاها بالجمع التي لم يستعمل) الذي في الصحاح السد بالفتح واحد الأسد وهى العيوب (قوله لها واحد كالأسد والقنود والأباطيل) مثلى العمى والصمم والبكم على غير قياس وكان قياسه سدود والقنود خشب الرجل وجمعه قنود وأقناد والباطل ضد الحق والجمع أباطيل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطلا وفيه أيضا قوله تعالى (حتى يبلغ أشده) أى قوته وهو واحد جاء على بنا الجمع مثل إنك وهو الأسرب ولا نظير لها ويقال له جمع لا واحد له من لفظه مثل أسال وأبايل وعباديد وهذا كبير

وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝ ثَانِي عَظْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ ۝ وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد . عن ابن عباس أنه أبو جهل ابن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الأفاضل وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين ۝ والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبير والخيلاء كتصغير الحث ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه (ليضل) تعليل للجدالة قرئ بضم الياء وفتحها (فإن قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال (قلت) لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا لفرقه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالحارج من الهدى إلى الضلال وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما منى به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يدها وعدل الله في معاقبته الفجاءة وإثابته الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لاني وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنمة قروا طمأن والإفرو طار على وجهه ، قالوا نزلت في أغارب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا أصبح بدنه ونتجت فرسه مهرأس ريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا أو طمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشام بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت ۝ المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يسخط الله جامع على نفسه محتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ۝ استعير (الضلال البعيد) من ضلال من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته (فإن قلت) الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض (قلت) إذا حصل المعنى ذهب هذا الوم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعاً وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستنفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاه لها (لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كثر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره يكونه معبوداً أقرب من نفعه يكونه شفيعاً لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام ۝ المولى الناصر ، والعشير صاحب كقولهم لبئس القرين ۝ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغضبه أنه يظفر بمطلوبه فلا يستقص وسعه وليستفرغ بجهوده في إزالة ما يغضبه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مدّ جبلا إلى سماء بيته فاختنق فليظفر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغضبه

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَغِيطُ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

و سمي الاختناق قطعاً لأن المحتق يقطع نفسه بحبس مجاربه ومنه قيل للهر القطع و سمي فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكذب بحسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغظه وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحقهم على المشركين يستبطون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت و قد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يردّه مرزوقاً و أى ومثل ذلك الإزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات و) (لأن الله يهدي) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيناً و الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأما كن جميعاً فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابثون مع النصارى لأنهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضى بينهم أى بين المؤمنين والكافرين وأدخلت أن على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

إِنَّ الْخَلِيفَةَ أَنَّ اللَّهَ سَرِبَ لَهُ ۝ سَرِبَالُ مَلِكٍ بِهِ تَرْجَى الْخَوَاتِمِ

سميت مطاوعتها فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدييره وتسخيره لها بسجوداً له تشبيهاً لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذى كل خضوع دونه (فإن قلت) فما تصنع بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذى فسرت به لا يسجد به بعض الناس دون بعض والثانى أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من فى الأرض من الإنس والجن أولاً فإسناده إلى كثير منهم آخر مناقضة (قلت) لأنظم كثيراً فى المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله بسجوداً ويسجد كثير من الناس بسجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذى هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة فى حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله فى حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابلة يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبراً له أى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ فى تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عابهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب و قرئ حق بالضم و قرئ حقاً أى حق عليهم العذاب حقاً و من أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لماسبق فى عمله من كفره أو فسقه فقد بقى مهاناً لن تجرد له مكرماً

(قوله ومنه قيل للهر القطع) أى تتابع النفس أفاده الصحاح (قوله من كفره أو فسقه فقد بقى مهاناً) مبنى على أن الفاسق واسطة بين المؤمن والكافر وأنه يخلد فى النار كالكافر وهو مذهب المعتزلة والحق عند أهل السنة أنه مؤمن وإن دخل النار يخرج منها بالشفاعة أو بمجود فضله تعالى

وَمَنْ يَنْ أَلَّهِ قَمَالَهُ مِنْ مُكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُمْ مَقَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوءٌ إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءٌ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ يَلْحَاقْ بِهِ ظُلْمٌ نُذِقُهُ مِنْ

وقرى مكرم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه (يفعل ما يشاء) من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العالمين واعتقاد المعتقدين ۝ الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قبل هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا ولوقيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع إلى أهل الأديان الستة (في ربهم) أى في دينه وصفاته وروى أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً فهذه خصومتهم في ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى وإن الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسرة وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيراناً على مقادير جنثهم تشتمل عليهم كاتقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللباس بعضها فوق بعض ونحوه سرايلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنه لوسقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها (يصهر) يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للبالغة أى إذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أحشاهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبليغ من قوله وسقوا ماء حمياً قطع أمعاءهم ، والمقامع : السياط . في الحديث : لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أفلوها . وقرأ الأعمش ردتوا فيها والإعادة والرّد لا يكون إلا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم يخرجوا أعيدها فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهوا فيها سبعين خريفاً (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حال (ولؤلؤاً) بالنصب على ويؤتون لؤلؤاً كقوله وحوراً عينا ولؤلؤاً بقلب الهزمة الثانية واواً ولوليا بقلبها واوين ثم قلب الثانية ياء كأدل ولول كأدل فيمن جزر ولؤلؤا وليلبا بقلبها يامين عن ابن عباس وهما الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهما إلى طريق الجنة يقال فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى الصدود منهم مستمر دائم (للناس) أى الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضرو باد وتانى وطارئ ومكى وآفاقى وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها وعند الشافعى لا يمتنع ذلك وقد حاور إسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا

(قوله من حليت المرأة فهي حال) الذى فى الصحاح حليت المرأة أى صارت ذات حلى فهي حلية وحالية

(قوله بين حاضرو باد وتانى وطارئ) فى الصحاح تنأت بالبد تنوءاً فظنته والتانى من ذلك

عَذَابِ آلِيمٍ ۖ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ ۖ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ

من ديارهم وقال أنسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دار السجدة من مالكيها
أو غير مالكيها (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثانی مفعول جعلناه أي جعلناه مستويا
(العاكف فيه والباد) وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثانٍ الإلحاد العدول عن القصد وأصله الإلحاد الحافز وقوله (بالحد بظلم)
حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليقاوم كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً (نذقه من عذاب
آليم) يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهيم به ويقصده وقيل الإلحاد
في الحرم منع الناس عن عمرته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايع لا والله وبلى والله وعن عبد الله
ابن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقل له فقال
كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورد ومعناه من أتى فيه بالإلحاد ظالماً
وعن الحسن ومن يرد الإلحاد بظلم أراد الإلحاد فيه فأضافه على الاتساع في الظرف كسكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالماً
وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب آليم
وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنباً ۖ وإذا كرهين جعلنا (لإبراهيم مكان البيت)
مبارة أي مرجعاً يرجع إليه للعبادة والعبادة رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من باقوته حرام فأعلم الله إبراهيم مكانه
بريح أرسلها يقال لها الخجوج كذست ماحوله فبناه على أسنه القديم ۖ وإن هي المفسرة (فإن قلت) كيف يكون التهي عن
الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوءة (قلت) كانت التبوءة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا إبراهيم قلنا له
(لا تشرك بي شيئاً وظهر بيتي) من الأصنام والأوثان والأقدار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن في الناس)
ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وأذن والدعاء بالحج أن يقول حجوا وعليكم بالحج وروى أنه صعداً بأقيس فقال يا أيها الناس حجوا
بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الودع (رجالاً) مشاة جمع
راجل كقائم وقيام وقرئ رجالاً بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالي كعجالي عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال
معطوفة على حال كأنه قال رجالاً وركبانا (يأتين) صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال
والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود عميق يقال بئر بعيدة العمق والمعلق نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه
العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج
قلها حجّ فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكفى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن
أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نَحَرُوا أو ذَبَحُوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى أن يذكر
اسمه وقد حسن الكلام تحسيناً بيناً أن جمع بين قوله ليسذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في أيام
معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة ۖ الأيام المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة وهو قول الحسن
وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر البهيمية مهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن
والمعهز ۖ الأمر بالكل منها أمر بإباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نساءكهم ويجوز أن يكون ندباً لما فيه من
مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحباب الفقهاء أن يأكل الموسع من أخصيته مقدار الثلث وعن
ابن مسعود أنه بعث يهدى وقال فيه إذا نحرته فكل وتصدق وأبعث منه إلى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وأذخروا واتجروا

(قوله من الأصنام والأوثان والأقدار) في الصحاح الوثن الصنم (قوله بعيدة العمق والمعلق) في الصحاح المعلق قلب العمق
والإمعاق مثل الإعماق وهو ما بعد من أطراف المفاوز (قوله كلوا وأذخروا واتجروا) الظاهر أن المراد اطلبوا الأجر بالصدقة

لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ
الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَيُطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حَرَمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ
خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝

(البائس) الذي أصابه بؤس أى شدة و (الفقير) الذي أضعفه الإحسان قضاء التفث : قص الشارب والأظفار وتنف الإبط والاستحداد ، والتفث الوسخ فالمراد قضاء إزالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى يندرونه من أعمال البر في حجهم (وليطوفوا) طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحال وقبل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجابرة كم من جبار سار إليه لهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قرطهم عناق الخيل والطير (فإن قلت) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهه ففعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها ۝ المتلو لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناء في كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا كتحرير عبدة الأوثان البحرية والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك ۝ لما حث على تعظيم حرماته وأحدهم من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفى الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبغها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قرآن واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحقق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لاتقربوا شيئا منه لتمادي في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيلة عبادة الأوثان ۝ وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس يجتنب (من الأوثان) بيان للرجس وتمييز له كقولك عندى عشرون من الدراهم لأن الرجس منهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ۝ والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الإفك من إفكه إذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افتراءهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الإشراف بالله عدلت شهادة الزور الإشراف بالله عدلت شهادة الزور الإشراف بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية في تلييتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ۝ يجوز في هذا التشبيه أن يكون

۝ قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما ختر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق (قال) يجوز في

(قوله وأحمد من يعظمها) في الصحاح أحمدته وجدته محمودا موافقا مرصيا

حُفْنًا ۖ لِلَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۚ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمُ شَعْبُهُ ۖ إِنَّهَا مِنَ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۚ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

من المركب والمفرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسما والذى ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التى تنوزع أفكاره بالطير المختطفة والشیطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ۚ وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهى قرامة الحسن وأصلها تختطفه ۚ وقرئ الرياح ۚ تعظيم الشعائر وهى الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا سمانا غالبية الأثمان ويترك المكاس فى شرائها فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فهن الهدى والأضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أنه أهدى نجية طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمانها فدنا منها عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله

هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فإن كان مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فصيرته مزعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان فى علوه بالسما والذى ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء وشبه الاهواء التى تنوزع أفكاره بالطير المختطفة والشیطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة (قال أحمد) أما على تقدير أن يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرک بالهاوى من السماء إلى التنبیه على أحد أمرين إما أن يكون الإشراك المراد رده فإنه حينئذ كن علا إلى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده وإما أن يكون الإشراك أصليا فيكون قدعد تمكن المشرک من الإيمان ومن العلو به ثم عدوله عنه اختيارا بمنزلة من علا إلى السماء ثم هبط كما قال تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات فعدهم يخرجين من النور وما دخلوه قط ولكن كانوا متمكنين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا وفى تقريره تشبيه الأفكار المنوزعة للكافر بالطير المختطفة وفى تشبيه تطويع الشيطان بالهوى مع الريح فى مكان سحيق نظر لأن الأمرين ذكرا فى سياق تقسيم حال الكافر إلى قسمين فإذا جعل الأول مثلا لاختلاف الاهواء والأفكار والثانى مثلا لنزع الشيطان فقد جعلهما شيئا واحدا لأن توزع الأفكار واختلاف الاهواء مضاف إلى نزع الشيطان فلا يتحقق التقسيم المقصود والذى يظهر فى تقرير التشبيهين غير ذلك فنقول لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما الأول منهما المذبذب والمتماذى على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشرکين مشبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولى طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان عليه والثانى مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لاسيلا إلى تشكيكه ولا مطعم فى نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج لضلته فهذا مشبه فى إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار فى الوادى السحيق الذى هو أبعد الأخباء عن السماء وصف ضلاله بالبعد فى قوله تعالى وأولئك فى بعيد ۖ ووضوا ضلالا بعيدا أى صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم إلى الحق فهذا تحقيق القسمين والله أعلم

(قوله فتفرق مزعا فى حواصلها) مفردة مزعة بالضم أى قطعة لحم كافى الصحاح والمطاوح المقاذف وطاح يطوح ويطيح هلك وسقط وطوحته الطوايح قذفته القواذف كذا فى الصحاح أيضا

مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّذِكْرِهِمْ ۝ أَسْمِ اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَةِ الْأَنْعَامِ ۝ فَالْحَمْدُ
إِلَهُ وَحْدَهُ قُلْ أَهْلُوا بِشَرِّ الْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي
الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالْبَدَنُ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۝ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۝ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝

صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها حمل لاني جهل في أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقبايط فيصدق
بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه
(فإنها من تقوى القلوب) أي فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب تحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا
بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من يرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكر التقوى التي إذا ثبتت
فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء (إلى أجل مسمى) إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها ۝ و (ثم)
النراخي في الوقت فاستعيرت للنراخي في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وإنما يعتد
الله بالمنافع الدينية قال سبحانه يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطاً في النفع
(محله إلى البيت) أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت كقوله هديا يانغ الكعبة والمراد
نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وإنما
شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحله إلى البيت العتيق بأباه ۝ شرع الله لكل أمة
أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك ۝
وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أي أخلصوا
له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالماً أي خالصة لا تشوبه بإشراك الخبثون المتواضعون الخاشعون من الخبث وهو
المطمئن من الأرض وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن (والمقيمى الصلاة) بالنصب على
تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمى الصلاة على الأصل (البدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة
ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم
الإبل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية وقرأ
الحسن والبدن بضمين كسر في جمع ثمرة وابن أبي إسحق بالضمين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله
والقمر قدرناه (من شعائر الله) أي من إلام الشريعة التي شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها (لكم فيها خير) كقوله لكم فيها منافع
ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنابر فاشتري بها بدنة فقيل له
في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخره وعن إبراهيم من احتاج إلى ظهره أركب ومن احتاج إلى لبنها
شرب وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك (صواف) قائمات قد
صففن أيدين وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف
سنبكه لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي أي خواص لوجهه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتثنية عوضاً
من حرف الإطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها يسكون الباء وجوب الجنوب وقوعها على

(قوله مجللة بالقبايط) في الصحاح القبط أهل مصر والقبطية ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر والجمع قبايط

(قوله وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب) لعله صوافي بالسكون

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ
وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ أَذُنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ
ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ

الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى فإذا وجبت جنوبها وسكنت نساؤها حل لكم
الأكل منها والإطعام (القانع) السائل من قنعت إليه وكسعت إذا خضعت له وسألته قنوعاً (والمعترض) المعترض بغير
سؤال أو القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنوعاً وقناعة والمعترض المعترض بسؤال وقرأ
الحسن والمعترى وعزه وعراه واعتراه واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قنوع وقانع ۝ من
الله على عباده واستحمد إليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقاداً للأخذ طيعة فيعقلونها
ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعمون في لبانها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر
منها جرماً وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الإبل شاهداً وعبرة ۝ أى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء
المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا بمرعاة النية والإخلاص
والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك
لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثرت ذلك منهم وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية
إذا نحرروا البدن فضحوا الماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت ۝ كررت ذكر
النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته إياكم لإعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتملأوا فاختصر الكلام
بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ۝ خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال إننا لننصر رسلنا والذين
آمنوا وقال إنهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها فنصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى ذلك أنه لا يحب أضدادهم
وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغتمطونها ومن قرأ يدافع فغناه
يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجرى أقوى وأبلغ ۝ أذن ويقاثلون قرناً على لفظ المبني
للفاعل والمفعول جميعاً والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاثلون عليه (بأنهم ظنوا) أى بسبب كونهم
مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإنى لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزلت
هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين
فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم ۝ والأخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام
الجبارة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضاً (أن يقولوا) فى محل الجز على الإبدال من حق أى
بغير موجب سوى التوحيد الذى يذنبى أن يكون موجب الإقرار والتحكين لا موجب الإخراج والتسير ومثله هل
تقومون منا إلا أن آمنا بالله ۝ دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا
ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموا ولم يتركوا للتصارى بيعاً ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو أغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى
أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه

(قوله وسكنت نساؤها) فى الصحاح النسيئة والنسيس الإيكال بين الناس والنسائس الفمائم والنسيس بقية الروح
وفيه أيضاً الإيكال بين الناس السعى بينهم (قوله ويغتمطونها) أى يحقرونها

اللَّهُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هُدًى وَبَعْضٌ لِّبَعْضٍ ضَلَالٌ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَاتِ هُمْ فِي صَفْوَةٍ ۚ وَلِلَّهِ الْإِسْلَامُ بَعْدَ الْمُنَافِقِينَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْرُسُونَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَاتِ هُمْ فِي صَفْوَةٍ ۚ وَلِلَّهِ الْإِسْلَامُ بَعْدَ الْمُنَافِقِينَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْرُسُونَ ۚ

يُصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلواتا (من ينصره) أي ينصر دينه وأوليائه هو أخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم أن مكنتهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أنقذهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التسكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك اللانصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (ولله عاقبة الأمور) أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً له لست بأوحدى في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة (فإن قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت) لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكرتك كذب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وعظم معجزاته فإظنك بغيره التكبير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكاً وبالعارة خراباً كل مرتفع أظلك من سقوف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والحاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالي من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبراً بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة (فإن قلت) ما محل الجلوتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية (قلت) الأولى في محل النصب على الحال والثانية لاجل لها لأنها معطوفة على أهلكتها وهذا الفعل ليس له محل قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها

قوله تعالى فقد كذبت قبلهم إلى قوله وكذب موسى فأملت للكافرين ثم أخذتهم (قال فإن قلت) لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التأكيد قلت لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط أولان آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكانه (قال وكذب موسى أيضا على ظهور آياته) قال أحمد ويحتمل عندي والله أعلم أنه لما صدر الكلام بحكاية تمكيدهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينه إلى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكرره ليلى قوله فأملت للكافرين فيتصل المسبب بالسبب كما قال في آية ق بعد تعديدهم كل كذب الرسل «حق وعيد» فربط العقاب

(قوله مع بقاء عروشها وسلاطنتها) السلام الحجارة واحدها سلمة بكسر اللام أفاده الصباح (قوله وبقيت الحيطان مائلة) أى منتصبه قائمة أفاده الصباح

الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ۖ
وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ۖ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۖ

عطلت أى تركت لا يستقي منها هلاك أهلها والمشيد المخصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكتنا وكم بئر عطلنا عن
سقاتها وقصر مشيداً خلتنا عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه
روى أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت
وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حضرموت بنها قوم صالح وأمرؤا عليهم جلس
ابن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه فأهلكهم الله وعطل
بئرم وخرب قصورهم يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكتهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم
فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأنهم يسافروا ولم يروا وقرئ (فيكون لهم قلوب)
بالياء أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها) الضمير ضمير الشأن والقصة
يحيى مذكراً ومؤنثاً وفي قراءة ابن مسعود فإنه ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً يفسره (الأبصار) وفي تعنى ضمير راجع إليه
والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عى بها وإنما العى بقلوبهم أو لا يعتد بعى الأبصار فكأنه ليس بعى بالإضافة إلى عى
القلوب (فإن قلت) أى فائدة في ذكر الصدور (قلت) الذى قد تعرف واعقد أن العى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن
تصاب الخدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العى
إلى القلوب حقيقة وفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العى هو القلوب
لا الأبصار كما تقول ليس المضاء لل سيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيت له لسانه
وتنبئت لأن محل المضاء هو هو لا غير وكأنك قلت ما نقيت المضاء عن السيف وأثبت للسانك فلتة ولا سهواً منى ولكن تعمدت
به إياه بعينه تعمداً ۖ أنكر استعجالهم بالتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون
الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليعينهم ولو بعد حين
وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حله ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوماً واحداً عنده كألف سنة عندهم وقيل
معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنينكم لأن أيام الشدائد مستطالة وكأن
ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال وقرئ تعدون بالتاء
والياء ثم قال وكمن أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إلى وإلى حكى
(فإن قلت) لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الأولى وقعت بدلاً عن قوله فكيف كان نكيراً
وأما هذه فحكى حكماً ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف
سنة يقال سمعت في أمر فلان إذا أصلحه أو أفسده بسعيه وعاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب إنجاز الآخر
عن الحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وبجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحراً وشعراً وأساطير

والوعيد وصلهما بالسكذيب بعد أن جدد ذكره والله أعلم ۖ قوله تعالى ۖ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ۖ (قال
فيه إنذار بحلم الله تعالى ووقاره واستقصاره الأمد الطويل حتى إن يوماً واحداً عنده كألف سنة) قال أحمد الوقار المقرون
بالحلم يفهم لغة السكون وطمأنينة الأعضاء عند المزعجات والأناة والتؤدة ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى إلا بتوقيف
وأما الوقار في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً فقد فسر بالعظمة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت في النقل

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

ومن تثيط الناس عنهما سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم (فإن قلت) كأن القياس أن يقال
إنما أنا لكم بشيرو ونذير لذكر الفريقين بعده (قلت) الحديث مسوق إلى المشركين ويأياها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم
أفلم يسيروا في الأرض ووصفوا بالاستعجال وإنما أقبح المؤمنين وثوابهم ليغافطوا (من رسول ولا نبي) دليل بين
على تعبير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قيل فكم الرسل
منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جماعاً غيراً والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير
الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه
وتهاكمه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استئذانهم واستئذانهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به
ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادى قومه وذلك التمنى في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى
(ألقي الشيطان في أمنيته) التي تمناها أى وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرائق
العلوية وإن شفاعتهم لترتجى وروى الغرائقة ولم يفتن له حتى أدركته العصمة فتذبه عليه وقيل نهى جبريل عليه السلام أو تكلم
الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك
محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكوا وظلمة المؤمنون نوراً وإيقاناً والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجراتهم
كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في أمانهم مثل ما ألقى في أمنيك إرادة امتحان من حولهم والله سبحانه
له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى
قرأ وأنشد : تمنى كتاب الله أول ليلة ۝ تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرائق إشارة إلى الملائكة أى هم الشفعاء لا الأصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب
به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها ۝ والذين (في قلوبهم مرض) المنافقون والشاكرون (والقاسية قلوبهم) المشركون
المكذبون (وإن الظالمين) يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم
بالظلم (أنه الحق من ربك) أى ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة (وإن الله لهادى الذين
آمنوا إلى) أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الأصول المحكمة
والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعثرهم شبهة ولا تنزل أقدامهم وقرئ لهادى الذين آمنوا بالتونين ۝ الضمير
في (مرية منه) للقرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم ۝ اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد
النساء يقتلون فيه فيصرون كأنهن عقم لم يلدن أولاداً والمقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم
على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خيره فيه يقال ربح عقيم إذا لم تنشئ مطراً ولم تلقح شجراً وقيل لأمثل له في عظم أمره لقتال الملائكة
عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة

أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ۝ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لَّيْسَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ۝ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ
وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصِرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ يُوجِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُوجِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَإِنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَإِنَّ
اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝

وكانه قيل حتى تأتيتهم الساعة أو يأتيتهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير (فإن قلت) التنوين في (يومئذ) عن أي جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مرينهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مربة منه حتى تأتيتهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطى من قتل تفضلا منه وإحسانا ۝ والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفریط المفرط منهم بفضله وكرمه روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علينا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فأنزل الله هاتين الآيتين ۝ تسمية الابتداء بالجزاء ملاسته له من حيث أنه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظر على النظر والنقيض على النقيض للبلابة ۝ (فإن قلت) كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومنسوب إليه ومستوجب عند الله المدح إن أثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فإن الله لعفو غفور أى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرتة الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغى عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغى ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر بسبب أنه قادر ۝ ومن آيات قدرته البالغة أنه (يوجّل الليل في النهار ويوجّل النهار في الليل) أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغى والإنصاف وأنه (سميع) لما يقولون (بصير) بما يفعلون (فإن قلت) ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر (قلت) تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوها كما يضىء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقبل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ۝ وقرئ (تدعون) بالتاء والياء وقرأ اليماني وإن ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة إلى مآلته في معنى الآلهة أى ذلك الوصف يخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجرى فيها وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت لإهيته وإن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لأشئ أعلى منه شأننا وأكبر سلطانا ۝ قرئ (مخضرة) أى ذات خضر على مفعلة كمنقلة ومسبعة (فإن قلت) هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع (قلت) لنسكته فيه وهى إفادة بقاء أثر المطر زما بعد زمان

(قوله كما يضىء السرب بالسراج) السرب بالفتح الطريق والسرب بالتحريك بيت في الأرض أفاده الصحاح

(قوله بسبب أنه الله الحق الثابت) لعله أن الله كعبارة النسق

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنَى الْجَمِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۝ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ۝ وَإِنْ جَادُلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ اللَّهُ يَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ

كما تقول أنعم على فلان عام كذا فأروح وأغدوشا كراهه ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (فإن قلت) فماله رفع ولم ينصب جوابا بالاستفهام (قلت) لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الأخضرار فيقلب بالنصب إلى نفي الأخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبت فأنت ناف لشكره شك فخرطه فيه وإن رفعت فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اسم العلم في علم الإعراب وتوقير أهله (لطيف) وأصل علمه أوفضله إلى كل شيء (خير) بمصالح الخلق ومنافعهم (ما في الأرض) من البهائم مذلة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات ۝ وقرئ (والفلك) بالرفع على الابتداء (أن تقع) كراهة أن تقع (إلا) بمشيئته (أحياء) بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة (لكفور) لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ۝ هو نبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تلتفت إلى قولهم ولا تمنكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روى أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ما قتلتم ولأننا نكون ما قتل الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نبي له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك فلان أي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين (في الأمر) في أمر الدين وقيل في أمر النساءك وقرئ فلا ينزعك أي أثبت في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم بما يهيج حيته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكون من المشركين فلا تكون ظهير للكافرين وهيأت أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحى ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهيج والإلهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزع أي غلبته أي لا يغلبك في المنازعة ۝ (فإن قلت) لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعته عن هذه (قلت) لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النساءك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أبعاد عن معناها فلم تجد معطفا ۝ أي وإن أبوا للجاهل إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين (الله يحكم بينكم) خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبي صلى الله عليه وسلم بما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه

• قوله تعالى وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (قال فيه معناه أن الله عالم بالذات لا يتعذر عليه تعلق بمعلوم) قال أحمد وقد تقدم مثله وأنكرنا عليه تحميلة القرآن مالا يحتمله فإن الأعلم في اللغة ذو العلم الزائد المفضل على علم غيره فكيف يفسر بما ينفي صفة العلم البتة هب أن الأدلة العقلية لا وجود لها والله الموفق للصواب

(قوله فإن قلت لم جاءت نظيرة) هي قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا ليدكروا اسم الله الخ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۖ
وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَبْسُتُ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبَسُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارِ وَعِذَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَ الْمَصِيرِ ۖ يَسْأَلُهَا النَّاسُ ضَرْبَ مِثْلِ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۖ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۚ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه ۖ
والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه (يسير) لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يتمتع تعالى بمعلوم (ويعبدون) ما لم
يتمسكوا في صحة عبادته بمرهان سماوى من جهة الوحي والسمع ولا الأجسام إليها علم ضرورى ولا حلالهم عليها دليل
عقلى (وما) للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (المنكر) الفطيع من التجهيم والبسور أو
الإنكار كالمسكر بمعنى الإكرام ۖ وقرئ يعرف والمنكر ۖ والسطو الوثب والبطش ۖ قرئ (النار) بالرفع على أنه
خير مبتدأ مخدوف كأن قائلًا قال ما هو فقبل النار أى هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجزء على البدل من شر
من ذلك من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم (وعدها الله)
استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبراً وأن يكون حالاً عنها إذا نصبها أو جررتها بإضمار قد ۖ
(فإن قلت) الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم ۖ قرئ (تدعون) بالناء والياء
ويدعون مبنياً للفعول (إن) أخت لافى نفى المستقبل إلا أن لن تنفيه نفياً مؤكداً وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق
الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا (فإن قلت) محال (ولو اجتمعوا له) (قلت) بالنصب على
الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقهم وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزله
الله فى تجهيل قريش واستراك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالآلهية التى تقتضى
الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه
وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأقل
الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا ۖ وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) كالتسوية
بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب
وذلك مغلوب وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب
من الكوى فيأكله (ماقدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموه باسمه من هو منسلخ عن صفاته
بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكاً له إن الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شيئاً به ۖ هذا رد
لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ۖ ثم ذكر أنه تعالى دراك
للمدركات عالم بأحوال المكلفين مامضى منها وما غير لا تخفى عليه منهم خافية ۖ وإليه مرجع الأمور كلها والذى هو

(قوله الفطيع من التجهيم والبسور) كل منهما كروح الوجه أفاده الصحاح (قوله وتأكيده ههنا الدلالة على أن خلق
الذباب منهم مستحيل) لعله للدلالة كعبارة النسفى (قوله إن الشيطان قد خزمهم بخزائمه) فى الصحاح خزمت البعير
بالخزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى وتره أنفه يشد فيها الزمام

الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ
جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي
هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا
بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ۝ للذكر شأن ليس
لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين أولاً إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم إلى
العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلبوا يسجدون
بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى (واعبدوا ربكم) انصدوا بركوعكم
وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله (وافعلوا الخير) صلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) أي افعلوا
هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تسلكوا على أعمالكم وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله في سورة الحج يسجدان قال نعم إن لم تسجد هما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
فضلت سورة الحج بسجدين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه فرأى بسجدين في سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضي
الله عنهم لا يرون فيها إلا سجدة واحدة لأنهم يقولون قرر السجود بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا بسجدة تلاوة
(وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض
غزواته فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله ۝ يقال هو حق عالم وجد
عالم أي عالم حقا وجداً ومنه (حق جهاده) (فإن قلت) ما وجه هذه الإضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم
فيه كما قال وجاهدوا في الله (قلت) الإضافة تكون بأدنى ملازمة واختصاص فلما كان الجهاد مخصوصاً بالله من حيث أنه
مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليماً وعامراً (اجتباكم)
اختاركم لدينه ولنصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) فتح باب التوبة للجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات
والديات والأروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وإمامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة المحرومة
الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة ۝ نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فإن قلت) لم يكن
(إبراهيم) أباً للأمة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباً لأمة لأن أمة الرسول في حكم أولاده
(هو) يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب الله سماكم (من قبل وفي هذا) أي من
قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم (ليكون الرسول شهيداً عليكم)
أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بأن الرسل قد بلغتهم ۝ ولأخصصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه وثقوابه
ولا تطلبوا النصرة والولاية لإمامه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى
من الأجر كحجة حجها وعمره اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون مكية

وآياتها ١١٨ نزلت بعد الانبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ

﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثمانى عشرة عند السكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قد) نقيضة لما هي ثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخرطوا بمادل على ثبات ما توقعوه ۝ الفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير و﴿أفلق﴾ دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلقه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلق على البناء للمفعول وعنه أفلقوا على أكلوني البراغيث أو على الإيهام والتفسير وعنه أفلق بضمة بغير وا واجتزأ بها عنها كقوله فلوان الأطباء كان حولى ۝ (فإن قلت) ما المؤمن (قلت) هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواعظا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البرّ التقى دون الفاسق الشقى ۝ الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو إلزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى بصره نحو مسجد وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كفى الثوب والعبث بحسده وثيابه والالتفات والتعطى والتثاوب والتغميض وتغطية القدم والسدل والفرقة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن إلى رجل يعبت بالحصا وهو يقول اللهم زقجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبت (فإن قلت) لم أضيف الصلاة إليهم (قلت) لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عذته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فقضى متعال عن الحاجة إليها والاتفاف بها ۝ اللغو ما لا يعينك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاه وإطراحه يعنى أن بهم من الجدد ما يشغلهم عن الهزل ۝ لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على

﴿القول في سورة المؤمنون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله تعالى قد أفلق المؤمنون الآية) قال اختلف في الإيمان على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواعظا قلبه لسانه فقد اتصف بالإيمان والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البرّ التقى دون الفاسق الشقى (قال أحمد والأول مذهب الأشعرية والثاني مذهب المعتزلة والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر ولو لم يكن المعتزلة على هذا المعتقد تحريم الجنة على الموحد الفاسق بناء على أنه لا يندرج في وعد المؤمنين لكان البحث معهم لفظيا ولكن رتبوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد نقل القاضى عنهم في رسالة الإيمان خططا طويلا فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته أن الإيمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلا وتركوا ونقل عن أبي الهذيل العلاف أن الإيمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضى لأهل السنة أن الإيمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقا فوجب أن يكون كذلك شرعا عملا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فإنه لو كان لنيه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لأنه لما يبتنى عليه قاعدة الوعد والوعيد ولم ينقل لأن النقل إما آحاد أو تواتر إلى آخر مادته

مُعْرُضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَلَقَدْ

الأنفس الذين هما قاعدتا بناء التكليف ۝ الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرج المزكى من النصاب
إلى الفقير والمعنى فعل المزكى الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه مامن
مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحذوف فاعله تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل والمزكى فاعل التزكية
وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع
الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد
أنشد لامية ابن أبي الصلت المطعمون الطعام في السنة لا زمة والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة (على
أزواجهم) في موضع الحال أى الأولين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فأت عنها تخلف
عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أى والياً عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشاً والمعنى
أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه
قيل يلامون إلا على أزواجهم أى يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين
من قولك احفظ على عنان فرسى على تضمينه معنى الذى كما ضمن قولهم نشدك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك
(فإن قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث ۝ جعل المستثنى
حداً أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن
الإماء ما شئت (فأولئك هم) الكاملون في العدوان المتناهون فيه (فإن قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لأن
المشكوكه نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صح النكاح ۝ وقرئ لاماتهم سمي الشيء المؤمن عليه والمعاهد عليه
أمانة وعهداً ومنه قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وإنما تؤدى العيون
لالمعاني ويحان المؤمن عليه لا الأمانة في نفسها ۝ والراعى القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية
ويقال من راعى هذا الشيء أى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم فى كل ما اتهموا عليه وعاهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة
الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم ۝ وقرئ (على صلاتهم) (فإن قلت) كيف كثر ذكر الصلاة أو لا
وآخر (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير ، وصفوا أولاً بالخشوع فى صلاتهم وآخرأ بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا
عنها ويؤدوها فى أوقاتها ويقوموا أركانها ويوكّلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى أن تتم به أو صافها وأيضاً فقد وجدت
أوليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت وجمعت آخرأ لتفاد المحافظة على أعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر

۝ قوله تعالى « والذين هم للزكاة فاعلون » (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المزكى الذى هو
التزكية ويتعين ههنا أن يكون المراد التزكية لقوله فاعلون إذ العين المخرجة لم يفعلها المزكى ثم ضبط المصدر على الإطلاق
بأنه الذى يصدق عليه أنه فعل الفاعل فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدراً بالنسبة إلى الله تعالى وكذلك السموات
والأرض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال لجميع الحوادث إذ أقبل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد)
ويقول السنى فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له واسكن إذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل أن
يقال له من القائم من القاعد أجب بمن خلق الله الفعل على يديه وجعله محلاً له كزيد وعمرو

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُمْ

والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيسدين والجنائز والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتمجد وصلاة التيسيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل * أى (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا وراثادون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تحق على الناظر ومعنى الإرث ما مر في سورة مريم * أنث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر روى أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الریحان * السلالة الخلاصة لأنها تسلم من بين الكدور وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهري الطين (فإن قلت) ما الفرق بين من ومن (قلت) الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الأولان (فإن قلت) ما معنى (جعلنا) الإنسان (نطفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة * القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها في نفسها لأنها مكنة بحيث هي وأحرزت * قرئ عظاما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظام وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان ذو عظام كثيرة (خلقاً آخر) أى خلقاً مابين الخلق الأول مابين ما بعده حيث جعله حيواناً وكان جماداً وناطقاً وكان أبكم وسميعاً وكان أصم وبصيراً وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا ندرك بوصف الواسع ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن الخالقين) أى أحسن المقدرين تقديره فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ قوله خلقاً آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب هكذا نزلت فقال عبد الله إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنى يوحى إلى فلحق بمكة كافرأثم أسلم يوم الفتح * قرأ ابن أبي عتبة وابن محيصن لمائتون والفرق بين المئتين والمئات أن المئتين كالحى صفة ثابتة وأما المائتين فيدل على الحدوث تقول زيد مائتين الآن ومائتين غداً كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى «وضائق به صدرك» جعل الإمامة التي هي إعدام الحياة والبعث الذى هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضاً على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع (فإن قلت) فإذا لا حياة إلا حياة الإنشاء وحياة البعث (قلت) ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهى حياة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلاً على أن الثلث ليس عندك وأيضاً فالعرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة الإنشاء والإمامة والإعادة والمطوى ذكرها من جنس الإعادة * الطرائق السموات لأنه طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملاشكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها * أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعتها وما كان غافلاً عنهم وما يصلحهم (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة

بِهَ جَنَّتْ مِنْ تَخِيلٍ وَأَعْنَبَ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ
بِالدَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلآكِلِينَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لْتُسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ

أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكناه في الأرض) كقوله فلسكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه
ثابتاً في الأرض وقيل لأنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر
أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف
معاشهم ۝ وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع التسكرات وأحراها للبفضل
والمعنى على وجه من وجوه الذهب به وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعابا عليه شيء إذا أراد
وهو أبلغ في الإبعاد من قوله قل رأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة
في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكروها خص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها
وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطباً ويابساً
رطباً وعنباً ونمراً وزيتوناً بأن دهنه صالح للاستسباح والاصطباغ جميعاً ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون
من قولهم يأكل فلان من حرفة يجترفها ومن ضيعة يغتناها ومن تجارة يتربح بها يغنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل
رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها ترتزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت
مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة
اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس وكعبلك فيمن أضاف
فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلاً لا يكون ألفه للتأنيث كعبلباء
وحرباء ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي
موسى عليه السلام وقرأ الأعمش سينا على القصر (بالدهن) في موضع الحال أي تبت وفيها الدهن وقرئ تبت وفيه
وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ۝ قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل
والثاني أن مفعوله محذوف أي تبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تبت وقرأ ابن
مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي ثمر بالدهن وعن بعضهم تبت بالدهان وقرأ
الأعمش وصبغوا قرئ وصباغ ونحوهما ديبغ ودباغ والصبغ الخمس للائتمام وقيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها
الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة ۝ قرئ تسقيكم بماء مفتوحة أي تسقيكم الأنعام (ومنها تأكلون) أي تتعلق
بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منقعة زائدة وهي الأكل
الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن
لأنها سفائن البر قال ذو الرمة ۝ سفينة برّ تحت خدي زمامها ۝ يريد صيده (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ
والجمله استئناف تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم
ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصىونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (أن

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّاسْمِعِينَ بِهَذَا فِي آبَاءِ ثَنَا الْأَوَّلِينَ ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَنَرَبُّوا بِهِ حَتَّى
حِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ۝ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۝ وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۝ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝

يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الأرض (بهذا) إشارة إلى نوح
عليه السلام أو إلى ما كلهم به من الحث على عبادة الله أي ماسمعنا بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا الذي يدعى وهو بشر أنه رسول الله
وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوّة ببشر وقد رضوا للإلهية بحجر وقولهم ماسمعنا بهذا يدل على أنهم وآباؤهم كانوا في فترة
متطاولة أو تكذبوا في ذلك لانهما كهم في الغي وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق
وكذب الأترام كيف جنتوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا والجنة الجنون أو الجنأى به جن يخلونه (حتى حين)
أي احتملوه واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتهم ۝ في نصرته إهلا كهم فكانه قال
أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي أو انصرتي بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه والمغنى أبدلني من غم تكذيبهم
سلوة النصر عليهم أو انصرتي بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم (بأعيننا) بحفظنا وكلاءنا كان معه من الله حفاظا يكوّنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم
عليه من الله عين كائلة (ووحينا) أي نأمرك كيف تصنع ونعلمك روى أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ
الطائر ۝ روى أنه قيل لنوح عليه السلام إذا رأيت الماء يغور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع
الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار إلى نوح واختلف
في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن عيينة الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد
وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضى الله عنه التنور وجه الأرض وعن قتادة
أشرف موضع في الأرض أي أعلاه وعن علي رضى الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان
عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمى الوطيس والقول هو الأول ۝ يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلمه
قال ۝ حتى إذا سلطوهم في قتادة (من كل زوجين) من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق
والحصن والرمك (اثنين) واحد من زوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض وقرئ
من كل بالتونين أي من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان ۝ جرى بعلى مع سبق الضار كما جرى باللام مع سبق
النافع قال الله تعالى «إن الذين سبقتم منا الحسنى» «ولقد سبقتم كلمتنا العبادنا المرسلين» ونحوه قوله تعالى «لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت» وقول عمر رضى الله عنه ليها كانت كفافا لعلّ ولا لى ۝ (فإن قلت) لم نهأ عن الدعاء لهم بالنجاة
(قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وإيجاب الحكمة أن يغرقوا بالحالة لما عرف من المصلحة في إغراقهم والمفسدة
في استبقائهم وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاوّل فلم يزيدوا إلا ضلالا ولزمهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة
للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهى عنه الأمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين ۝ ثم أمره أن يدعو بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض
عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمثلته وهو

(قوله حتى إذا أسلحوهم في قتادة) في الصحاح قتادة اسم عقبه أي في طريق قتادة

وَقُلْ رَبِّ انْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۚ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ۚ فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ الْآخِرَةُ وَآلِ الْأُولَىٰ أَفَلَا تُحْشَرُونَ ۚ وَآتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِمُ الْأَمْثَالَ ۚ وَآتَيْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ۚ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ۚ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ۚ هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ۚ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

قوله (وأنت خير المنزلين) (فإن قلت) هلا قيل فقولوا لقوله فإذا استويت أنت ومن معك لأنه في معنى فإذا استويت (قلت) لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع مافيه من الإشارات بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا لملك أو نبي ۚ وقرئ منزلا بمعنى إنزال أو موضع إنزال كقوله : ليدخلهم مدخلا يرضونه (إن) هي الخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها في المعنى وإن الشان والقصة (كنائبتين) أي مصدين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويدكر كقوله تعالى : ولقد تركناها آية فهل من مدكر (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وبجيء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء (فإن قلت) حق أرسل أن يعدي إلى كآخواته التي هي وجه وأنفذ وبعث فما باله عدى في القرآن إلى تارة وبقي أخرى كقوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أي في عاد وفي موضع آخر وإلى عاد أخاهم هوداً (قلت) لم يعد بنى كعادى بالي ولم يجعل صلة مثله ولكن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للإرسال كما قال رؤبة ۚ أرسلت فيها مصعباً ذا إقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولوشداً لبعثنا في كل قرية نذيراً (أن) مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) (فإن قلت) ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو قال الملائكة الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئنا بك بآية وهما مع الواو فأى فرق بينهما (قلت) الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما (بلقاء الآخرة) بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة أي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه (إذا) واقع في جزاء الشرط وجواب المذين قالوهم من قومهم أي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ۚ ثنى (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالطرف ومخرجون خبر عن الأول أو جعل إنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبراً على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أرفقت الجملة الشرطية خبراً عن إنكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم إذا متم ۚ قرئ (هيئات) بالفتح والكسر والضم كلها يتنوين وبلاتوين وبالسكون على لفظ الوقف (فإن قلت) ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيات كما ارتفع في قوله ۚ فهيات هيئات العقيق وأهله ۚ فهاذه اللام (قلت) قال الزجاج في تفسير البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون فزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة (إلا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويدينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ماشاء والمعنى لأحياء إلا هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هي التي

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۖ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ۖ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَدِمِينَ ۖ فَاخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ غُثَا ۖ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ ثُمَّ انشأنا من بعدهم قرونًا آخرين ۖ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ۖ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَاجَاءِ أُمَّةٍ رَسُولَهَا كَذِبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۖ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَدُونَ ۖ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ

في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفتت ما بعدها في الجنس (نموت ونحيي) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما عود إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين (قليل) صفة الزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما تؤكد قلة المدة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضى بالحق إذا كان عادلا في قضايه شبههم في دمارهم بالغناء وهو حمل السيل بما يلي واسود من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس
من السيل والغناء فلسكة مغزل ۖ بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبيويه نصبت بأفعال لا يستعمل لإظهارها ومعنى بعدا بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا و(للقوم الظالمين) بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما تواعدون (قرونا) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما بنى إسرائيل (أجلها) الوقت الذي حد لهلاكها وكتب (تترى) فعلى الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تترى بالتوئين والتاء بدل من الواو كافي توجب وتيقور أي متواترين واحدا بعدواحد من الوتر وهو الغرد أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أمهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لأن الإضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه جميعا (فأتبعنا) الأمام أو القرون (بعضهم بعضا) في الإهلاك (وجعلناهم) أخبارا يسمربها ويتعجب منها الأحاديث تكرر اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للأحذوثة التي هي مثل الأنحوة واللاعوبة والاعجوبة وهي مما يتحدث به الناس تلها وتعجبا وهو المراد ههنا (فإن قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لأنها كانت أم آيات موسى وأولها وقد تعلق بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر يضر بهاها وكرنها حارسا وشمة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشام جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فذلك عطف عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن تراد الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة (عالمين) متكبرين وإن فرعون علا في الأرض «لا يريدون علوا في الأرض» أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم «البشر يكون واحدا وجمعا. بشرا سويا. لبشرين فإما ترين من البشر. ومثل وغير بوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث إنكم إذا مثلهم. ومن الأرض مثلن. ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله : إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما)

(قوله بعدا وسحقا ودفرا ونحوها) في الصحاح دفر إلى أي تننا (قوله كافي توجب وتيقور أي متواترين) التوجب كناس الوحش الذي يلج فيه قال سيبيويه التاء مبدلة من الواو وهو فوع كذا في الصحاح وفيه أيضا التيقور والوقار وأصله ويقور قلبت الواو تاء أهفوز نه فيقول

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنْتُمْ بِكُمْ فَاتَّقُونَ ۝
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ فَذَرْنُهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ اِيْحَسِبُونَ أَنَّ مِائِدَهُمْ

يعني بني اسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعاً ونذللاً أولاً لانه كان يدعى الإلهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة
(موسى الكتاب) أى قوم موسى النوراة (لعلهم) يعملون بشرائعها وواعظها كما قال على خوف من فرعون وملئهم
يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير في لعلهم إلى فرعون وملئه لأن النوراة
إنما أوتهى بنو اسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى (فإن قلت)
لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقى إليها وقد تكلم
في المهد وكان يحيى الموقى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية
(وأمته) ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها ۝ الربوة والرباوة في رائيهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة
بالكسر وهى الأرض المرتفعة قيل هى إيليا أرض بيت المقدس وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر
ميلاً عن كعب وقيل دمشق ووطنها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها
الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر ۝ والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماه يعنى أنه
لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ۝ والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصلته
فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه نخور كبه إذا ضرب به بركبته ووجه من جعله فاعلاً
أنه نفاع بظهوره وجريه من المساعون وهو المنفعة ۝ هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما وكيف والرسول إنما أرسلوا
متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمراً
نودى له جميع الرسل ووصوا به تحقيقاً أن يؤخذه ويعمل عليه ۝ والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق
حلال وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له بحجته على عقب قوله وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين
ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آويناها وقلنا لهما هذا أى
أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلاهما رزقنا كما واعملا صالحاً اقتداء بالرسول ۝ قرئ وإن بالسكسر على
الاستثناف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من الثقيلة و (أمتكم) مرفوعة معها وقرئ (زبرا) جمع زبور أى كتباً مختلفة
يعنى جعلوا دينهم أدياناً وزبراً قطعاً استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبراً مخففة الباء كرسل في رسل أى كل فرقة
من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق الغمرة الماء الذى يغمر القامة

۝ وقوله عز وجل ۝ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۝ (قال محمود هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما
وكيف والرسول إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودى بذلك) قال
أحمد هذه نفحة اعتزالية فإن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم أمرناه ألا ولا يشترط في تحقق الأمر وجود المخاطب
فعلى هذا قوله كلوا من الطيبات واعملا صالحاً على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت ألا على تقدير وجود
المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كما في هذا الخطاب أو مجتمعين كما في زعمه والمعتزلة لما أبوت اعتقاد قدم الكلام زلت بهم
القدم حتى حملوا هذه الآية وأمثالها على المجاز وخلاف الظاهر وما بال الرعشى خص هذه الآية بأنها على خلاف
الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الأوامر العامة في الأمة على خلاف الظاهر

بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۚ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۚ
وَالَّذِينَ هُمْ بِثَأْنِ رَبِّهِمْ يَوْمِنُونَ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآءَاتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۚ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۚ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا
كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۚ

فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جلهم وغماتهم أو شبهوا باللاعبيين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال
كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم (حتى حين) إلى أن يقتلوا أو يموتوا سلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم وقرئ يمتد بهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله
سبحانه وتعالى ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممتد به ويسارع مبنياً للمفعول والمعنى أن هذا الإمداد
ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي واستجاراً إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع
وإكرام ومعالجة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين و(بل) استدراك
لقوله أيحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لافطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة
في الخير (فإن قلت) أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره (قلت) هو مخذوف تقديره يسارع به
ويسارع به ويسارع الله به كقوله إن ذلك لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس
(يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعنها
أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي
يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون في الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون
في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المتافع ووجوه الإكرام كما قال قاتم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سارع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها
وهذا الوجه أحسن طباقاً للآية المتقدمة لأن فيه إثبات مانع عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات (لها سابقون)
أي فاعلون سبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز
أن يكون لها سابقون خبراً بعد خبر ومعنى وهم لها كعنى قوله ۚ أنت لها أحمد من بين البشر ۚ يعني أن هذا الذي وصف
به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت
لديه في كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لازيادة فيه
ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد إن الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن
يستفرغ وسعه ويبدل طاقته فلا عليه ولدنيا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نعلم أحداً من حق ولا نخطه دون درجته ۚ
بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها (من هذا) أي معاليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال) متجاوزة متخطية
لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها صارون لا يفتطمعون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب ۚ وحتى هذه هي التي
يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام
المحترقة والفتد والأولاد ۚ الجوار الصراخ باستغاثة قال ۚ جأر ساعات النيام لربه ۚ أي يقال لهم حينئذ (لا تجأروا)

حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذْ هُمْ يُجْهَرُونَ ۖ لَا تَجْهَرُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مَنَّا لَا تَنْصُرُونَ ۖ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ آعْقَابِكُمْ تَنْكَبُونَ ۖ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَآ تَهْجُرُونَ ۖ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۖ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۖ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ

فإن الجوار غير نافع لكم (من لا تنصرون) لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصرو مغوثة قالوا الضمير في (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفضرة إلا أنهم ولانهم والقائمون به ويجوز أن يرجع إلى آياتي لإلانه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكباراً ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يحدث لكم استماعه استكباراً أو عتواً فأنتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامراً أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرأ وشعرأ وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتهجرون والسمار نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سمرأ وسمارأ وتهجرون ونهجرون من أهر في منطقته إذا أخش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أ (جاءهم ما لم يأت آباهم) فذلك أنكره واستبدعه كقوله: لتنذر قوما ما نذر آبؤهم فهم غافلون. أوليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمان ما لم يأت آباهم حين خافوا الله فأنموا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم لإسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ريعة فإنهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلماً ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم من مترفائهم كانوا على الإسلام وما شككتهم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعاً كان مسلماً وروى في أن ضبة كان مسلماً وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمداً وصحة نسبه وحلوه في سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بأنه خير فتان قريش والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفي برغائهم نادياه الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه برىء منها وأنه أرجحهم عقلاً وأثبهم ذهناً ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مرداً ولا مدفعاً لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخذوا إلى الهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر (فإن قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب (فإن قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه

قوله تعالى بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (قال فإن قلت أكثرهم يعطى أن أقلهم لا يكره الحق وكيف ذلك والكل كفره قلت فيهم من أبي الإسلام حذرا من مخالفة آبائه ومن أن يقال صبا كأي طالب لا كراهة للحق) قال أحمد وأحسن من هذا أن يكون الضمير في قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله وأكثرهم على الجنس بجملة كقوله إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق والنبي صلى الله عليه وسلم جاء الناس كلهم وبعث إلى الكافة ويحتمل أن يحمل إلا أكثر على الكل كما حمل القليل على النفي والله أعلم وأما قول الزمخشري إن من تمادى على الكفر وآثر

بَلْ آتَيْنَهُمْ بَذَرَهُمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْتَلْهُمْ خَرْجًا خَفَرًا رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ *
وَلَا تَكْ تَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكِينُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ

(قلت) ياسبحان الله كأن أباطالب كان أنخل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى إسلام أبي طالب * دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانتقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولا هلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان إلها ولكن شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والأرض (بذكرهم) أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم ونفهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرنا من الأولين لكننا عباد الله المخلصين وقرأ بذكرهم * قرئ خراجا ونخرج وخرجا فخرج وخرجا فخرج وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج مال زمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خراجا فخرج ربك يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطلة الخالق فالكثير من عطاء الخالق خير . قد أزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلته خليك بأن يجتبي مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دينهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز الممكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه يجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكرهتهم للحق وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل أن هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لنا كون) أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله إلى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق بالتمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى

البقاء عليه تقليدا لآبائه ليس كارها للحق فردود فإن من أحب شيئا كره ضده فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة والله أعلم ثم انجر الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم لاشتهر إسلامه كما اشتهر إسلام العباس وحمزة وأجدد لأنه أشهر وللقاتل بإسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف في الإسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام وهذا الظاهر أنه لم يسلم وحسبك دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وأنه بعد ذلك لني شخصاض من نار يغلي رأسه من قدميه فإن قيل لا يلزم من ذلك موته على الكفر لأن كثيرا من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك قلنا من أثبت إسلامه ادعى أن ذلك كان قبيل الاحتضار فالإسلام جب ما قبله وتلك الدقيقة التي صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصي ما يوجب ذلك والله أعلم

(قوله وإنه لم يعرض له حتى يدعى) لعلمه لم يعرض له جنون حتى يدعى (قوله واستهتارهم بدين الآباء الضلال) في الصحاح فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه (قوله حتى أكلوا العلهز) في الصحاح العلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سنى المجاعة

وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الإيلاس وهذا التلق بين يديه يسترحونه واستشهد على ذلك بأننا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسروهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أظم العذاب فألبسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتامهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك أو يخناهم بكل محنة من القتل والجوع فما روى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يلبسون كقوله ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون . والإيلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فإن قلت) ما وزن استكان (قلت) استفعل من السكون أى انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنزاح (فإن قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لأن المعنى مخناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم

* قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال استكان استفعل من السكون أى انتقل من كون إلى كون كما يقال استحال إذا انتقل من حال إلى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل ثم أشبعت الفتحة فتولدت الألف كتولدها في قوله * ينباع من دفر غضوب جسة فإن هذا الإشباع ليس بفصيح وهو من ضرورات الشعر فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه لكن تنظير الزخشرى له باستحاله وهم فإن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذى معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل وأما استحاله فثلاثه حال حول إذا انتقل من حال إلى حال وإذا كان الثلاثي يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر قليل استحاله من استفعل للتحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذ لم يزد السداسى فيه على الثلاثى معنى والله أعلم ثم نعود إلى تأويله فنقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص إلى كون الخضوع والضرعة إلى الله تعالى * ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر إلى الخضوع بأولى من العكس وترى هذه الصيغة لانفهم إلا أحد الانتقاليين فلو كانت مشتقة من مطلق السكون لكانت بحملة محتملة للانتقاليين جميعاً * والجواب أن أصلها كذلك على الإطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها فى الانتقال الخاص كما غلب فى غيرها والله أعلم وكان جدى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر لى أنه لما دخل بغداد زمن الإمام الناصر رضى الله عنه أظهر من جملة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلاً للنظرة وكان يذكر لى أن مما انجر الكلام إليه حينئذ هذه الآية وأن أحدهم وكان يعرف بالأجل اللغوى خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك إذا خضعت وهى لغة هذلية فاستحسن منه ذلك * قال أحمد وقد وقفت عليها بعد ذلك فى غريب أبى عبيد المروى وهو أحسن محامل الآية وأسلمها والله أعلم وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وقد قال لى بعضهم يوماً لم لا تجمله على هذا التأويل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم فقلت لا يسعنى ذلك لأن المعنى يأباه وذلك أنها جاءت فى النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب فلو ذهبت إلى جعلها للمبالغة أفادت نقص المبالغة لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا نفي الخضوع الكثير وأنهم مالبغوا فى الضراعة نهايتها وليس الواقع فإنهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلبطة منها فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية والله أعلم

(قوله كما جاء بمنزاح) أى فى قوله وأنت من القوائىل حين ترمى * وعن ذم الرجال بمنزراح

وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْأَنَّهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ۚ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَانا لَمَبْعُوثُونَ ۚ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ۚ بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مَن إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۚ

باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا إنما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك أى تشكرون شكر أقليل (وما) مزيدة للأن كيد بمعنى حقاً (ذراًكم) خلقكم وبشكم بالتناسل (وإليه) يجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله) اختلاف الليل والنهار أى هو مختص به وهو متوليها ولا يقدر على تصرفها غيره وقرئ يعقلون بالياء عن أبى عمرو أى قال أهل مكة كما قال السكفار قبلهم ۚ الاساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤية ۚ إني وأسطار سطور سطرأ ۚ وهى ما كتبه الأولون عما لاحقيقه له . وجمع أسطورة أوفق ۚ أى أجيوني عما استعملتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجوز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين ۚ وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلاتنذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعاً كان قادراً على إعادة الخلق وكان حقيقاً بأن لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية ۚ قرئ الأول باللام لاغير والآخر باللام وهو هكذا فى مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا فى مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ۚ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت فى الرواية (أفلاتتقون) أفلاتخافونه فلاتشركوا به وتعصوا رسله ۚ أجرت فلان على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغث من يشاء بمن يشاء ولا يغث أحد منه أحداً (تسحرون) تخدعون عن توحيد وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى ۚ وقرئ آيتهم وآيتهم بالفتح والضم (بالحق) بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل (وإنهم لكاذبون) حيث يدعون له ولداً ومعه شريكاً (لذهب كل إله بما خلق) لا تفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزاً من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضاً كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء (فإن قلت) إذا لاندخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجواباً ولم

(قوله عما استعملتكم منه) لعله عنه (قوله وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية) يفيد أن القراءة المشهورة تذكرون بالتشديد

عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّزِيْقَكَ مَا تُعَدُّهُمْ لِقَدَرُونَ * أَدْفَعْ بِالنِّبِيِّ أَحْسَنَ الْبَيِّنَاتِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ *

يتقدمه شرط ولاسؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه الحاجة من المشركون (عما يصفون) من الأنداد والأولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ما والنون مؤكدتان أي إن كان لا بد من أن تربني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (فلا تجعلني) قربناهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره في حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء (فإن قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخبارا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه * وقرئ إِمَّا تَرْتَنِّمُ بِالْهَمْزِ مَكَانَ تَرِيْنِي كَمَا قُرِئَ فِيمَا تَرْتَنِّمُ وَلِزَوْنُ الْجَحِيمِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ وَقَوْلُهُ رَبِّ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ الشَّرْطِ وَقَبْلَ الْجُزْأِ حِثٌّ عَلَى فَضْلِ تَضَرُّعٍ وَجَوَارٍ كَانُوا يَنْكُرُونَ الْمَوْعِدَ بِالْعَذَابِ وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ وَاسْتَعْجَلَهُمْ لَهُ لِذَلِكَ فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِنْجَازِ مَا وَعَدَانِ تَأْمَلْتُمْ فَمَا وَجْهَ هَذَا الْإِنْكَارِ * هُوَ أَبْلَغُ مِنْ أَن يَقَالَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّفْضِيلِ كَأَنَّهُ قَالَ أَدْفَعْ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَالْمَعْنَى الصَّفْحُ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ وَمُقَابَلَتُهَا بِمَا أَمَكُنَ مِنَ الْإِحْسَانِ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الصَّفْحُ وَالْإِحْسَانُ وَبَذَلَ الْإِسْطَاعَةُ فِيهِ كَانَتْ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً بِإِزَاءِ سَيِّئَةٍ وَهَذِهِ قَضِيَّةُ قَوْلِهِ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هِيَ شَهَادَةُ أَنَّ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهَ وَالسَّيِّئَةُ الشُّرْكُ وَعَنْ مُجَاهِدٍ السَّلَامُ يَسْلَمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهِ وَعَنْ الْحَسَنِ الْإِغْضَاءُ وَالصَّفْحُ وَقِيلَ هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ وَقِيلَ مُحْكَمَةٌ لِأَنَّ الْمُدَارَاةَ مَحْثُوثٌ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَوْذَ إِلَى ثَلَمِ دِينٍ وَإِزْرَاءٌ بِمِرْوَةٍ (بِمَا يَصِفُونَ) بِمَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ أَحْوَالِكَ بِخِلَافِ صِفَتِهَا أَوْ بِوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم * الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض

قوله تعالى ادفع بالنبي هي أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفصيل كأنه قال ادفع بالحسنة السيئة والمعنى الصَّفْحُ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ وَمُقَابَلَتُهَا بِمَا أَمَكُنَ مِنَ الْإِحْسَانِ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الصَّفْحُ وَالْإِحْسَانُ وَبَذَلَ الْإِسْطَاعَةُ فِيهِ كَانَتْ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً بِإِزَاءِ سَيِّئَةٍ وَهَذِهِ قَضِيَّةُ قَوْلِهِ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ (قال أحمد) ما ذكره تقريراً للفاضلة عبارة عن الاشتراك في أمر والنيز بغيره ولا اشتراك بين الحسنه والسيئة فإنهما ضدان متقابلان فكيف تتحقق المفاضلة * قلت المراد أن الحسنه من باب الحسنات أزيد من السيئة من باب السيئات فتجوز المفاضلة بما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدّين كقولهم العسل أحلى من الخل يعنون أنه في الأصناف الحلوة أميز من الخل في الأصناف الحامضة وليس لأن بينهما اشتراكاً خاصاً ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال نشأت أنا والأعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا بمعنى أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية أشعب بلغ الغاية على السفلة والأعمش بلغ الغاية على العلية هذا تفسير كلامه عن نفسه ونعود إلى الآية فنقول هي تحتل وجهاً آخر من التفصيل أقرب متاولاً وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة فإنها قد تدفع بالصفح والإغضاء ويقع في دفعها بذلك وقد يرد على الصَّفْحُ الْإِكْرَامُ وَقَدْ تَبْلُغُ غَايَتَهُ بِيَذَلَ الْإِسْطَاعَةُ فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنَ الدَّفْعِ كُلُّهَا دَفْعٌ بِحَسَنَةٍ وَلَكِنْ أَحْسَنُ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ فِي الدَّفْعِ هِيَ الْآخِرَةُ لِأَسْتِهَا لَهَا عَلَى عِدَدٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحْسَنِ الْحَسَنَاتِ فِي دَفْعِ السَّيِّئَةِ فَفَعَلَ هَذَا تَجَرِي الْمَفَاضِلَةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَأْوِيلٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَتَأْمَلْهُ فَإِنَّهُ حَسَنٌ جَدًّا

(قوله وقرئ إِمَّا تَرْتَنِّمُ بِالْهَمْزِ) فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى إِمَّا تَرْتَنِّمُ بِالْهَمْزِ كَمَا قُرِئَ الْخ

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَآئِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ

والمعنى أَنَّ الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويفرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثاها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تعالى تَوَزَّهُمْ أَزًّا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المسكتر لندائه والتعوذ من أن يحضروه أصلاً ويحوموا حوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزاع (حتى) يتعلق يصفون أى لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويفريه على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون ۖ خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله ۖ فإن شئت حَرَمْتُ النساء سواكم ۖ وقوله ۖ أَلَا فَارْحَمُونِي يَا إله محمد ۖ إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلى أعمل صالحاً) في الإيمان الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحاً كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أسس أساً وأبنى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوماً إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ۖ والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله لعلى أعمل صالحاً فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخلها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسليط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أى أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كللى لماعلم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة ۖ الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفى الأنساب يحتمل أَنَّ التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف إلا بالأعمال فتلقوا الأنساب وتبطل وأنه لا يعتد بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفتر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بإدغام التاء في السين (فإن قلت) قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسئل حمياً قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهم (قلت) فيه جوابان أحدهما أَنَّ يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفتنون لذلك لشدة الهول والفرع والثاني أَنَّ التناكر يكون عند النفخة الأولى فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهى الموزونات من الأعمال الصالحات التى لها

ۖ قوله تعالى ۖ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ۖ (قال إن قلت قد ناقض هذا قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال أحمد يجب أن لا يسلك هذا المسلك في إيراد الأسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسؤال الأدب أن يقال قصر فهمى عن الجمع بين هاتين الآيتين فساوجه ولوسأل سائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن شئ من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة لا وجمع ظهره بالذرة ۖ عاد كلامه إلى جواب السؤال (قال وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة) قال أحمد وكثيراً ما ينهز الزحشرى الفرصة في إنكار الشفاعة ويشمر ذيله للرد على القائلين بها إذا انتهى إلى مثل قوله: ولا تنفعها شفاعة ۖ لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ۖ ويتغافل حينئذ عن طريق الجمع بين مآظيره نفي الشفاعة وبين مآظيره ثبوتها بحمل الأمر على اختلاف الأحوال في القيامة والله الموفق

(قوله أو على قوله وإنهم لكاذبون) لعله عطف على المعنى فكأنه قال فيما مر حتى ردة على قوله يصفون فقال هنا أو على قوله وإنهم لكاذبون

يَسْعَوْنَ ۖ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۖ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَإِنَّكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ۚ
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَإِنَّكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۖ تَلْفَحُ وَجوهُهُم النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۚ
أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ عَلَىٰكَ فَاكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۚ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۚ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۚ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ۚ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ
تَضَحِكُونَ ۚ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ۚ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۚ قَالُوا
لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِّينَ ۚ قُلْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ احْسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ

وزن وقد رعد الله تعالى من قوله تعالى « فلا تقم لهم يوم القيامة وزنا » (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم
ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) تسفع وقال
الزجاج التلفح والتفح واحد إلا أن التلفح أشد تأثيراً والكروح أن تنقلص الشفتان وتتشمرأ عن الأسنان كما ترى الرأس
المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عبته الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن
رروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه واسترخى شفته السفلى حتى تبلغ
سوته وقرئ كالحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا إذا أخذته منك وامتلكه ۚ والشقاوة سوء العاقبة
التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا بفتح الشين وكسر هاء فيهما (اخسؤا فيها) ذلوا فيها وانزجروا
كما تنزجر الكلاب إذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه (ولا تكلمون) في رفع العذاب فإنه لا يرفع ولا يخفف قيل
هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس
إن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار قالوا ألف سنقرنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألقاربا أمتنا اثنين
فيجابون ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألقا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون إنكم ما كنون فينادون ألقاربا
آخرنا فيجابون أولم تكونوا فينادون ألقا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألقارب أرجعون فيجابون
اخسؤا فيها ۚ في حرف أبي أنه كان فريقان بالفتح بمعنى لانه ۚ السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر إلا أن فياء النسب
زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء والمضموم من السخرة
والعبودية أي استعبدوهم والأول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه
اتخذوهم همزوا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاكلهم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركتموه أي تركتم أن تذكروني
فتخافوني في أوليائي ۚ وقرئ (أنهم) بالفتح فالكسر استئناف أي قد فازوا حيث صبروا واخسروا بصبرهم أحسن الجزاء والفتح
على أنه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم (قال) في مصاحف أهل الكوفة وقل في مصاحف أهل الحرمين والبصرة
والشام في قال ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار ۚ استقصروا مدة
لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة
اليها أولانهم كانوا في سرور وأيام السرور قصار أولان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسن لبثهم في الدنيا وبخهم
على غفلتهم التي كانوا عليها ۚ وقرئ (فسل العادين) والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم

(قوله يقال خسا الكلب) في الصحاح خسات الكلب وخسا بنفسه يتعدى ولا يتعدى

عَبَّأَ وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتَرْجِعُونَ ۖ قَتَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۖ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۖ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

لما نحن فيه من العذاب وما فيها أن نعداها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر أن يلقى إليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمال العباد ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الطلبة فإنهم يقولون كما نقول وقرئ العادين أى القدماء المعمرين فإنهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أناسهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفتين ۖ (عبثا) حال أى عابثين كقوله لا عين أومفعول له أى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهى أن تتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فثيب المحسن ونعاقب المسيء (وأنكم إلينا لاترجعون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا أى للعبث ولتركم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء (الحق) الذى يحق له الملك لأن كل شئ منه وإليه أو الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة أولنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذوالعرش المجيد (لا برهان له به) كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو قوله بطير بجناحيه جىء بها للتوكيد لأن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لأحق بالإحسان منه فآله مثيبه وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح فى معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوى كدوى النحل فكشنا فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر

• قوله عز وجل ومن يدع مع الله آلهة أخرى لا برهان له به (قال فيه لا برهان له به إما صفة لازمة أو كلام معترض لأن فى الصفة إفهاما لأن إلهام سوى الله يمكن أن يكون به برهان) قال أحد إن كان صفة فالمقصود بها التهمك بمدعى إله مع الله كقوله بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا فنفى إنزال السلطان به وإن لم يكن فى نفس الأمر سلطان لا منزل ولا غير منزل ومن جنس مجيء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما قدمه عند قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت حيث أعرب الزمخشري موعدا مصدرا ناصبا لمكان أسوى واعترضه بأن المصدر الموصوف لا يعمل إلا على كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم

(قوله وقرئ ترجعون بفتح التاء) عبارة النسق بفتح التاء وكسر الجيم

سورة النور مدنية

وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ الزَّانِيَةُ
وَالزَّانِي فَاجِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿سورة النور مدنية﴾

وهي ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سورة) خبر مبتدأ محذوف (أنزلناها) صفة أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيداضربه ولا محل لأنزلناها لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض القطع أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى وأنت تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدتهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمنيه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوها كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر وقرئ والزاني بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه (فإن قلت) أهدأ حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فإن المحصن حكمه الرجم وشرائط الإحصان عند أبي حنيفة ست الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بشكاح صحيح والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان وعند الشافعي الإسلام ليس بشرط لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنا وحجة أبي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فإن قلت) اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لأن قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائما في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل

﴿القول في سورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر) في الرفع وجهين أحدهما الابتداء والخبر محذوف وهو إعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدتهما . الثاني أن يكون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وإنما عدل سيبويه إلى هذا الذي نقله عنه لوجهين لفظي ومعنوي أما اللفظي فلأن الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب ومع ذلك قراءة العامة فلو جعل فعل الأمر خبرا وبني المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ إلى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنيا على الأمر فخاص من مخالفة الاختيار وقد مثلها سيبويه في كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار الآية ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره فنعين تقدير خبره محذوفا وأصله فيما نقص عليكم مثل الجنة ثم لما كان هذا إجمالا لذكر المثل فصل المجمع بقوله فيها أنهار إلى آخرها فكذلك ههنا كأنه قال وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني ثم فصل هذا المجمع بما ذكره من أحكام

وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ

بالاسم المشترك ۝ وقرئ ولا يأخذكم باليامور أفة بفتح الهمزة ورأفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجذ والمناة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرق طاعمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم والآخر) من باب التهيج وإلهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقيص من الحد سوطاً فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطاً فيقول ليذتوا عن معاصيك فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خبر لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلاً عالماً بصيراً يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائماً على مجزده ليس عليه إلا إزاره ضرباً وسطاً لا مبرحاً ولا هيناً مفترقا على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو والعرو وهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حد غير المحسن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت وقوله تعالى فأذوها ۝ قيل تسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذاباً لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا ۝ الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الخافقة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعداً وعن عكرمة رجلان فصاعداً وعن مجاهد الواحد فافوقه وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً وقال ولا تقربوا الزنا لأنه كان فاحشة وساء سبيلاً وعن النبي صلى الله عليه وسلم يامعشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب للسخط وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفي الله فيه عقد المائة بكاله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتل الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنتان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أفصح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله ۝ الفاسق الخبيث الذي من

الجلد ويناسب هذا ترجمة الفقهاء في كتبهم حيث يقولون مثلاً الصلاة الزكاة السركة ثم يذكرون في كل باب أحكامهم يريدون بما يصنف فيه ويوب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا بيان المقتضى عند سيويه لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر لأنه لا يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني بجمل حيث قال الزانية والزاني فأراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني فلما تشوف السامع إلى تفصيل هذا الجمل ذكر حكمهما مفصلاً فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة والله أعلم

(قوله قائماً على مجزده ليس عليه إلا إزاره) في الصحاح فلان حسن المجزء أي المعزى اه أي المكشوف عن الثياب (قوله وبهذه الآية نسخ الحبس الأذى) لعلة والأذى كما في عبارة النسفي

أَوْ مُشْرِكٍ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً

شأنه الزنا والتجب لا يرغب في نكاح الصوايح من النساء واللائى على خلاف صفته وإنما يرغب في فاسقة خبيثه من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محذور لمافيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفساد ومجاسة الخطأين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الإيأى منكم والصلأحين من عبادكم وإمائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت وعن عائشة رضى الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانياً وقد أجازاه ابن عباس رضى الله عنهما وشبهه بمن سرق ثم شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه إلى قولك الزانى لا يزنى إلا بزانية والزانية لا يزنى بها إلا زاناً وقيل كان نكاح الزانية محرماً في أول الإسلام ثم نسخ والناسخ قوله : وأنكحوا الإيأى منكم . وقيل الإجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه (فإن قلت) أى فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فإن قلت) كيف قدمت الزانية على الزانى أولاً ثم قدم عليها ثانياً (قلت) سبقت تلك الآية لعقوبتهما

قوله تعالى الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زاناً أو مشركاً (قال إن قلت أى فرق بين الجملتين في المعنى قلت معنى الأولى صفة الزانى بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان) قال أحمد وليس فيما ذكره إيضاح إطباق الجملتين ونحن نوضحه فنقول الأقسام أربعة : الزانى لا يرغب إلا في زانية . الزانية لا ترغب إلا في زان . العفيف لا يرغب إلا في عفيفة . العفيفة لا ترغب إلا في عفيف . وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعانى وحاصرة للقسمتين فنقول اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين واقتصرت على قسمين أخرى من المسكوت عنهما مجامع مختصرة جامعة فالقسم الأول صريح في القسم الأول ويفهم الثالث والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن المقتضى لا ينحصر رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة وذلك بعينه مقتضى لا ينحصر رغبتهما فيه ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والأعفاء بما لا يقل عن ذكر الزناة وجوداً وسلباً فإن معنى الأول الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثاني العفيفة لا ينكحها زان والسرى في ذلك أن الكلام في أحكامهم فذكر الأعفاء بسلب نقائصهم حتى لا يخرج بالكلام عما هو المقصود منه ثم بينه في إسناد النكاح في هذين القسمين للذكور دون الإناث بخلاف قوله الزانية والزانى فإنه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالاً وقدم الزانية على الزانى والسبب فيه أن الكلام الأول في حكم الزنا والأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطاع والكلام الثاني في نكاح الزناة وإذا وقع ذلك على الصحة والأصل في النكاح الذكور وهم المبتدئون بالخطبة فلم يسند إلا لهم لهذا وإن كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث من مناعة الزناة ذكر أو إناثاً جرأهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك ومن ثم ذكره مالك رحمه الله مناعة المشهورين بالفاحشة وقد نقل بعض أصحابه الإجماع في المذهب على أن للمرأة أول من قام من أوليائها فسخ نكاح الفاسق ومالك أبعد الناس من اعتبار الكفاءة إلا في الدين وأما في النسب فقد بلغه أنهم فرقوا بين عربية ومولى فاستعظمه وتلاه يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم .

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

على ما جنى والمرأة هي المسادة التي منها نشأت الجنابة لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمسكه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدئاً بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخطاب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضى الله عنه لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع فيه أيضاً معنى النهي وليسك أبلغ وأكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عاداتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها ۝ وقرئ وحرم بفتح الحاء ۝ القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيان : أحدهما : ذكر المحصنات عقيب الزواني . والثاني اشتراط أربعة شهداء لأن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحز العاقل البالغ لمحصنة يازانية أو لمحصن يازاني يابن الزاني يابن الزانية ياولد الزنا لست لا ييك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودى يا مجوسى يا فاسق يا خبيث يا ماص بظُر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العيب وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للإمام أن يعزr إلى المائة وشروط إحصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة ۝ وقرئ بأربعة شهداء بالتثوين وشهادة صفة (فإن قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم أن يحضروا في مجلس واحد وإن جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعى رضى الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فإن قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقدوفة واحداً منهم (قلت) يجوز عند أبي حنيفة خلافاً للشافعى (فإن قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما جلد الزانى إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضاً كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب إلا أنه عوقب صيانة للأعراض وردعا عن هتكها (فإن قلت) فإذا لم يكن المقدوف محصناً (قلت) يعزr القاذف ولا يجلد إلا أن يكون المقدوف معروفاً بقذفه فلا حد ولا تعزير ۝ رد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة رضى الله عنه باستيفاء الحد فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبل شهادته فإذا استوفى لم تقبل شهادته أبداً وإن تاب وكان من الأبرار الاتقياء وعند الشافعى رضى الله عنه يتعلق رد شهادته بنفس القذف فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فأبو حنيفة رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأييد فكانوا مردودى الشهادة عنده فى أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاماً مستأنفاً غير داخل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و(إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فإن الله غفور رحيم) والشافعى رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين أيضاً غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفاً وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجروراً بدلاً من هم فى لهم وحقه عند أبي حنيفة رضى الله عنه أن يكون منصوباً لأنه عن موجب والذى يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قبل ومن قذف المحصنات فاجلدوهن وردوا شهادتهن وفسقوهن أى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فإن قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رضى الله عنه كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام (قلت) المسلمين لا يعزون بسبب الكفار لأنهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقدوف بقذف الكافر من

(قوله وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف يكون) لعله بفتح الحاء والراء

رَحِيمٌ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا بِحُدُودِ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ

الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن إلحاق الشنار (فإن قلت) هل
للمقذوف أو للإمام أن يعفو عن حد القاذف (قلت) لما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب
إلى أن لا يرفع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن
هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح
عنه بمال (فإن قلت) هل يورث الحد (قلت) عند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث
وعند الشافعي رضي الله عنه يورث وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت
رضي الله عنه حين تاب بمأقال في عائشة رضي الله عنها هـ قاذف امرأته إذا كان مسلما حراً بالغاً عاقلاً غير محدود في
القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما إذا قذفها بصرح الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أوزنيت
أورأيتك تزنين وإذا كان الزوج عبداً أو محدوداً في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الأجنبية ومالم ترافعه إلى الإمام
لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة
أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما
رمانى به من الزنا ثم تقول في الخامسة أن غصب الله عليا إن كان من الصادقين فيما رمانى به من الزنا وعند الشافعي
رضي الله عنه يقام الرجل قائماً حتى يشهد والمرأة قاعدة ويقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهدو يأمر الإمام من يضع
يده على فيه ويقول له إني أخاف إن لم تكن صادقاً أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة
على المنبر وبيت المقدس في مسجده ولعان المشرک في الكنيسة وحيث يعظم وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا إلا في المسجد
الحرام لقوله تعالى إنما المشرکون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند
أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم إلا عند زفر فإن الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة أصلاً وعند الشافعي رضي الله عنه تقع
بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التظليقة الباتة عند أبي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها فإذا أکذب الرجل
نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هي فرقة بغير طلاق توجب
تحريماً مؤبداً ليس لها أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فقام عاصم بن عدی الأنصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر
جلد ثمانين وردت شهادته أبداً وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكنت سكنت على غيظ وإلى أن يحجى بأربعة
شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت
على بطن امرأتى خولة وهي بنت عاصم شريك بن سماء فقال هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّم خولة فقالت لا أدري الغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزلهم وقال

(قوله من الشين والشنار ما يلحقه بقذف) في الصحاح الشنار العيب والعار (قوله فقام ابن عدي الأنصاري رضي الله عنه) لعنه عاصم بن عدي وفي الخازن سبب نزول هذه الآية ماروي عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتلته فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيضا عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليينة أوحده في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس اليينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اليينة أوحده في ظهرك فنزل جبريل بقوله تعالى والذين يرمون أزواجهم الآية

الْصَّادِقِينَ * وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذَّابِينَ * وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذَّابِينَ * وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسِبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها أن لعنة الله عليه
إن غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها إن كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب
الله إن غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فإن جامت به أصيب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك وإن جاءت
به أورق جعدا جماليا خدج الساقين فهر لغير الذي رميت به قال ابن عباس رضى الله عنهما فجاءت بأشبه خلق الله
لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شأن * وقرئى ولم تكن التاء لأن الشهاد جماعة أو لأنهم
فى معنى الأنفس التى هى بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لأنه فى حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذى هو شهادة
أحدهم وهى مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئى أن لعنة الله وأن غضب الله
على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئى أن غضب الله على فعل الغضب وقرئى بنصب الخامسة على معنى وتشهد الخامسة
(فإن قلت) لم خصت الملاعة بأن تخمس بغضب الله (قلت) تغليظاً عليها لأنها هى أصل الفجور ومتبعه بخلافتها وإطاعتها
ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلود يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحولة فالرجم أهون عليك من غضب الله * الفضل
الفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتسه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به * الإفك أبلغ
ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه قول مأفوك
عن وجهه والمراد مأفك به على عائشة رضى الله عنها * والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصبة
واعصوبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمزة بنت
جحش ومن ساعدكم * وقرئى كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذى تولاه عبد الله لإمعانه فى عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانتأزه الفرص وطلبه سبيلا إلى الغميرة * أى يصيب كل خائض فى حديث الإفك من تلك
العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه * والعذاب العظيم لعبد الله لأن معظم الشركان منه يحكى أن صفوان رضى
الله عنه مز بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضى الله عنها فقال والله مانجت منه ولا
نجا منها وقال امرأة نبيكم بانت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها * والخطاب فى قوله (هو خير لكم) لمن ساءه
ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضى الله عنهم ومعنى
كونه خيراً لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لأنه كان بلاء مينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثمانى عشرة آية كل
واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته له وتزيه لأم المؤمنين رضوان الله

(قوله فإن جاءت به أصيب أثيبج) فى الصحاح الصهبة الشقرة فى شعر الرأس والرجل أصهب وفيه يثبج كل شىء وسطه والاثبج
العرىض الثبج ويقال النأى الثبج اه وما فى الحديث تصغيرها وفيه أيضاً الخدجة بتشديد اللام المرأة الممتلئة الذراعين
والساقين (قوله وقرئى بنصب الخامسة على معنى) فى النسفى أنه لاخلاف فى رفع الخامسة الأولى على المشهور
(قوله ومنعه بخلافتها) فى الصحاح الخلافة الخديعة باللسان (قوله بالضم والكسر وهو عظمه) فى الصحاح
عظم الشىء أكثره ومعظمه

بأنفسهم خيراً وقالوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۖ لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ قَالُوا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۖ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّتِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۖ

عليها وتطهير لاهل البيت وتحويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تجبه أذناه وعدة أطفاف للسامعين والتأنيب إلى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها (بأنفسهم) أى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلبسوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصارى قال لآثم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بجرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ما كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (فإن قلت) هلا قيل لولا إذ سمعتموه ظنتم بأنفسكم خيراً أو قلتم ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر (قلت) ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قاله في أخيه أن يبنى الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا إفك مبين) هكذا بلفظ المصرح ببرائة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات ۖ جعل الله التفصيلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم تكن لهم بيعة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا (عند الله) أى في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجتدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب الفاذف بغير بيعة والتشكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بآثم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله ۖ لولا الأولى للتحضيض وهذه لا متاع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أنى قضيت أن أنفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جعلتها الإهمال للنوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك ۖ يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض (إذ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تلقونه) يأخذه بعضهم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات ۖ وقرئ على الأصل تتلقونه وإذ تلقونه بإدغام الذال في الناء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه

ۖ قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيراً (قال معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلبسوا أنفسكم) قال أحمد والسري في هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شيء أشنع من ذلك والله أعلم ۖ عاد كلامه (قال ونقل أن أبا أيوب الأنصارى قال لا مرأته ألا ترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما كنت وصفوان خير منك وعائشة خير مني) قال أحمد ولقد ألهمت بنور الإيمان إلى هذا السر الذى انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس فإنها نزلت زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الأولى رضى الله عنها ويحتمل والله أعلم خلاف ما قاله الزخشرى وهو أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة والمقصود إلزام سيء الظن بنفسه لأنه لم يعتد بوازع الإيمان في حق غيره وألغاه واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى والله أعلم

(قوله وإذ تلقونه بإدغام الذال) لعل رسمه هكذا وتلقونه إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ۖ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ

من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتلقونه من الولي والائق وهو الكذب وتلقونه بحكمة عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أُمي تقرأ إذ تنقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فإن قلت) ما معنى قوله (بأفواهكم) والقول لا يكون إلا بالفم (قلت) معناه أن الشيء المعلوم يكون وعلمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفاك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ۚ أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعنه عند الله نخلة وهو عندك فقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تاتي الإفاك ألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الإفاك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طارفيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظام (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وإنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها (فإن قلت) فأى فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلاً (قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفاك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فإن قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه مثلب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغي ويصح أى ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق و(سبحانك) للتعجب من عظم الأمر (فإن قلت) ما معنى التعجب في كلمة التسييح (قلت) الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أولتنزيهه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فإن قلت) كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يحز أن تكون فاجرة (قلت) لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفروا وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات ۚ أى كراهة (أن تعودوا) أو فى أن تعودوا من قولك وعظمت فلانا فى كذا فتركه ۚ وأبدى ماداموا أحياء مكلفين و(إن كنتم مؤمنين) فيه تسييح لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح

قوله تعالى « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم » (قال إن قلت القول لا يكون إلا بالأفواه فما فائدة ذكرها قلت المراد أن هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب وإنما هو مجرد قول اللسان) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد المبالغة أو تعريضاً بأنه ربما يمشدق ويقضى تمشدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع وهو السر الذى أنبأ عنه قوله تعالى قد بدت البغضاء من أفواههم والله أعلم ۚ قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم (قال) معناه التعجب من عظيم الأمر وأصله أن الإنسان إذا رأى عجباً من صنائع الله تعالى سبّحه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه ۚ ثم أوردناها هنا سؤالاً على توبيخهم على ترك التعجب فقال إن قلت لم جاز أن تكون زوجة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يحز أن تكون فاجرة ولم يكن كفرها متعجباً منه وفجورها متعجب منه قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويتزلفوا إليهم وكفر الزوجة غير مانع ولا منفر بخلاف الكشخنة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحداً يشكل عليه أن ينسب الفاحشة إلى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

(قوله سمعت أُمي تقرأ إذ تنقفونه) وفي نسخة تنقفونه بمعنى تتبعونه وكلا النسختين قراءة (قوله وهو عند الله كبيرة موجبة) لعله موجبة للعقاب (قوله والكلام بدونه مثلب) لعله محرف وأصله مستتب وفي الصحاح استتب الأمر تهاً واستقام (قوله وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات) كأنها الديانة

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
وَاَنَّ اللّٰهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ يٰۤاَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ فَاِنَّهٗ
يَاْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكٰى مِنْكُمْ مِنْ اَحَدٍ اَبَدًا وَلٰكِن اللّٰهُ يَزَكِيْكُمْ
يَشَآءُ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۝ وَلَا يَأْتِلْ اُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ اَنْ يُؤْتُوْا اُولٰٓئِ الْقُرْبٰى وَالْمَسْكِيْنَ وَالْمُهَاجِرِيْنَ
فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلِيَعْفُوْا وَلِيَصَفَحُوْا اَلَا تَحِبُّوْنَ اَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ
الْمُحْصَنٰتِ الْغَافِلٰتِ الْمُؤْمِنٰتِ لُعْنُوْا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ السَّيِّئٰتُ

ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ
الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة ۝ المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة
ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان
لحسن فضربه ضربة بالسيف وكفّ بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم (والله يعلم) مافي القلوب من
الأمرار والضماير (وأتمم لاتعلمون) يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها ۝ وكثر المنة بترك المعالجة
بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثم وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤف
والرحيم ۝ الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب ۝ ضرائر حرمي تفاحش غارها ۝ أي أفرطت غيرها والمنكر
ما تنكره النفوس فتفر عنه ولا ترتضيه ۝ وقرئ خطوط بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا
أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصنة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين
بقبول توبتهم إذا محضوها وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضائرتهم واخلصهم وهو من اتلى إذا حلف افتعال من الآلية
وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا
إلى المستحقين للإحسان أولا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شخاء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم
بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان
ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط
آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للسوء ويروى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوه
وابن قطيب أن توتوا بالناء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليات الصدور
النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفتن لما تفتن له
المجربات العرافات قال ولقد لهُوت بطفلة ميالة ۝ بلهاء تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله ۝ وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة
للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء
تغليظه في إفك عائشة رضوان عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البالغ والزجر
الغيف واستعظام ماركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه عن طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف
في بابه ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكانت بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ يَوْمَئِذٍ يَوْفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۚ
الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ بِمَا يَقُولُونَ

الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكروا وسهتوا وأنه يوفيههم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكثروا بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك إلا لأمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذن ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بإنطاق يدها حين نادى من حجرها إلى عبد الله وبزأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبني على إنافة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليشتق ذلك من آيات الإفك ولينأمل كيف غضب الله له في حرمة وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابها (فإن قلت) إن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثاني أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان كما قاله قتيبي من نصر الخبيثين قتيبي ۚ أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان أعدؤه يكنونه بخبيث ابنه وكان مضعوبا وكنيته المشهورة أبوبكر إلا أن هذا في الاسم وذلك في الصفة (فإن قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق البين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن فحق مثله أن يتق ويحترز بحارمه ۚ أي (الخبيثات) من القول يقال أو تعدد (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون و(أولئك) إشارة إلى الطيبين وإنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رويت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أي الخبيثات

ۚ قوله تعالى وإن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ۚ الآية (قال إن كانت عائشة هي المرادة فلم جمع قلت المراد إما أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقذفهن وإما عائشة وجمعت إرادة لها ولبناتها كما قال : قتيبي من نصر الخبيثين قتيبي ۚ يعني عبد الله بن الزبير وأتباعه وكان يكنى أبا خبيب) قال أحمد والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذلك كرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم على أن تعمم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت وأرادت يوسف تهويلا عليه وإرجافا والمعصوم من عصمه الله تعالى ۚ قوله تعالى ۚ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ۚ الآية (قال) تحتل الآية أمرين أحدهما أن يكون المراد الكلمات الخبيثة للخبيثين والمراد الإفك ومن أفاض فيه وعكسه في الطيبات والطيبين الثاني أن يكون المراد بالخبيثات النساء والخبيثين الرجال (قال أحمد) إن كان الأمر على التأويل الثاني فهذه الآية تفصيل لما أجمله

(قوله وكان مضعوبا) في الصحاح أضعفت الشيء فهو مضعوف على غير قياس

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَّا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ

يَتَزَوَّجْنَ الْخَبَائِثَ وَالْخَبَائِثُ الْخَبَائِثُ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الطَّيِّبِ ۝ وَذَكَرَ الرِّزْقَ الْكَرِيمَ هَاهُنَا مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لَهُ رِزْقًا كَرِيمًا وَعَنْ عَائِشَةَ لَقَدْ أُعْطِيَتْ تَسْعًا مَا أُعْطِيَتْ امْرَأَةً لَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُورَتِي فِي رَاحَتِهِ حِينَ أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي وَلَقَدْ تَزَوَّجَنِي بِكَرَامَةٍ تَزَوَّجَ بَكْرٌ أَوْ مَاتَزَوَّجَ بَكْرٌ أَوْ غَيْرِي وَلَقَدْ تَوَفَّى وَإِنْ رَأَيْتَهُ لَنِي حَجْرِي وَلَقَدْ تَوَفَّى بَيْتِي وَلَقَدْ حَفَّتَهُ الْمَلَائِكَةُ فِي بَيْتِي وَإِنَّ الْوَحْيَ لَنَزَلَ عَلَيْهِ فِي أَهْلِهِ فَيُفَرِّقُونَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ لَيُنْزَلُ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ فِي الْحَافَةِ وَإِنِّي لَابْنَةُ خَلِيفَتِهِ وَصَدِيقُهُ وَلَقَدْ نَزَلَ عَذْرَى مِنَ السَّمَاءِ وَلَقَدْ خَلَقْتَ طَيِّبَةً عِنْدَ طَيِّبٍ وَلَقَدْ وَعَدْتَ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا (تَسْتَأْنِسُوا) فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنَ الْاسْتِنَاسِ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْاسْتِجَاشِ لِأَنَّ الَّذِي يَطْرُقُ بَابَ غَيْرِهِ لَا يَدْرِي أَيُؤْذَنُ لَهُ أَمْ لَا فَهُوَ كَالْمَسْتُوحِشِ مِنْ خِفَاءِ الْحَالِ عَلَيْهِ فَإِذَا أُذِنَ لَهُ اسْتَأْنَسَ فَلَمَعْنَى حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ كَقَوْلِهِ «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ» إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْكُنْيَةِ وَالْإِرْدَافِ لِأَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْاسْتِنَاسِ يَرُدُّ الْإِذْنَ فَوْضِعَ مَوْضِعِ الْإِذْنِ وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْاسْتِنَاسِ الَّذِي هُوَ الْاسْتِعْلَامُ وَالْاسْتِكْشَافُ اسْتِفْعَالٌ مِنْ أَسَّ الشَّيْءُ إِذَا أَبْصَرَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا وَالْمَعْنَى حَتَّى تَسْتَعْلِمُوا وَتَسْتَكْشِفُوا الْحَالِ هَلْ يَرَادُ دُخُولُكُمْ أَمْ لَا وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ اسْتَأْنَسَ هَلْ تَرَى أَحَدًا وَاسْتَأْنَسْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَيْ تَعْرِفْتُ وَاسْتَعْلَمْتُ وَمِنْهُ بَيْتُ النَّابِغَةِ عَلَى مَسْأَلَتِهِ وَحَدِّثُ وَبِحُجْرَتِهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِنْسِ وَهُوَ أَنْ يَتَعَرَّفَ هَلْ ثَمَّةُ إِنْسَانٍ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْاسْتِنَاسُ قَالَ يَتَسَكَّمُ الرَّجُلُ بِالتَّسْبِيحَةِ وَالتَّكْبِيرَةِ وَالتَّحْمِيدَةِ وَيَتَنَحَّضُ يُؤْذَنُ أَهْلُ الْبَيْتِ ۝ وَالتَّسْلِيمُ أَنْ يَقُولَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخَلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَالْإِرْجَعُ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ أَتَى بَابَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخَلَ قَالَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ رَجَعَ وَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْاسْتِنْدَانُ ثَلَاثًا وَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَلْجُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا مَرَأَةَ يَقَالُ لَهَا رَوْضَةٌ قَوْمِي إِلَى هَذَا فَعَلِيهِ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ قَوْلِي لَهُ يَقُولُ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخَلَ فَسَمِعَهَا الرَّجُلُ فَقَالَهَا فَقَالَ ادْخُلْ وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا دَخَلَ بَيْتًا غَيْرَ بَيْتِهِ حَيْثُمْ صَبَاحًا وَحَيْثُمْ مَسَاءً ثُمَّ يَدْخُلُ فَرُبَّمَا أَصَابَ الرَّجُلَ مَعَ امْرَأَتِهِ فِي الْحَافِ وَاحِدٌ فَصَدَّ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ الْإِحْسَنَ وَالْأَجْمَلَ وَكَمْ مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الدِّينِ هُوَ عِنْدَ النَّاسِ كَالشَّرِيعَةِ الْمَنْسُوخَةِ قَدْ تَرَكَوا الْعَمَلَ بِهِ وَبَابُ الْاسْتِنْدَانِ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَا أَنْتَ فِي بَيْتِكَ إِذَا رَعَفَ عَلَيْكَ الْبَابُ

قَوْلُهُ تَعَالَى الزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحَهَا إِلَّا زَانٍ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ تَصْرِيحًا وَتَضْمِينًا لِحُجَاتِ هَذِهِ الْآيَةِ مَصْرُوحَةً بِالْجَمْعِ وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى فَائِدَةٍ أُخْرَى وَهِيَ الْاسْتِشْهَادُ عَلَى بَرَاءَةِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهَا زَوْجَةُ أَطِيبِ الطَّيِّبِينَ فَلَا بَدَّ وَأَنْ تَكُونَ لَهْرَةً طَيِّبَةً مَبْرَأَةً مِمَّا أَفْكَتَ بِهِ وَهَذَا النَّوْبِلُ الثَّانِي هُوَ الظَّاهِرُ فَإِنَّ بَعْدَ الْآيَةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَبِهَذَا وَعَدَ أَزْوَاجَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «تُؤْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا» وَاللَّهُ أَعْلَمُ عَادَ كَلَامِهِ (قَالَ وَنَقَلَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لَقَدْ أُعْطِيَتْ تَسْعًا مَا أُعْطِيَتْ امْرَأَةً فَذَكَرْتُ مِنْهُنَّ أَنَّهَا خَلَقَتْ طَيِّبَةً عِنْدَ طَيِّبٍ) قَالَ أَحْمَدُ وَهَذَا أَيْضًا يَحْتَقِقُ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبِينَ لِلنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ وَأَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ إِظْهَارُ بَرَاءَةِ عَائِشَةَ بِأَنَّهَا زَوْجَةُ أَطِيبِ الطَّيِّبِينَ فَلْيُزْمَ أَنْ تَكُونَ طَيِّبَةً وَفَاءً بِقَوْلِهِ «وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا» (قَالَ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنَ الْاسْتِنَاسِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْاسْتِجَاشِ أَيْ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ فَتَسْتَأْنِسُوا عَنِ الشَّيْءِ عَمَّا هُوَ رَادِفٌ لَهُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْاسْتِعْلَامِ مِنْ أَنْسَ إِذَا أَبْصَرَ وَالْمَعْنَى حَتَّى تَسْتَكْشِفُوا الْحَالِ هَلْ يَرَادُ دُخُولُكُمْ أَمْ لَا وَذَكَرَ أَيْضًا وَجْهًا بَعِيدًا وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ حَتَّى تَعْلَمُوا هَلْ فِيهَا إِنْسَانٌ أَمْ لَا (قَالَ أَحْمَدُ) فَيَكُونُ عَلَى هَذَا الْآخِرِ بَنَى مِنَ الْإِنْسِ اسْتِفْعَالٌ وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ هُوَ الْبَيْنُ وَسَرُّ التَّجَوُّزِ فِيهِ وَالْعُدُولُ إِلَيْهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ تَرْغِيبُ الْمُخَاطَبِينَ فِي الْإِتْيَانِ بِالْإِسْتِنْدَانِ بِوَسْطَةِ

(قَوْلُهُ إِذَا رَعَفَ عَلَيْكَ الْبَابُ) فِي الصَّحَاحِ رَعَفَ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ الدَّمُ مِنْ أَنْفِهِ وَرَعَفَ الْفَرَسُ إِذَا سَبَقَ وَتَقَدَّمَ فَكَانَ مَا هُنَا جَازٍ عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ

أَهْلَهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الأذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلبوا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة أبي حتى تستأذنوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان * يحتمل (فإن لم تجدوا فيها أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عوزة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويحفظون من إطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاة وإلا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أي لا تلجوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدر في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوى مروءة ومرئاضين بالآداب الحسنة وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبي عبيد مافرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (فإن قلت) هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد أن جزم الهى عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منها عنه مع الضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن (فإن قلت) فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهورا منكر يجب إنكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل * أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لمسافيه من سلامة الصدور والبعد من الرية أو أنفع وأخيرا * ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خاطبوا به فوف جزاءه عليه * واستثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على دخولها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين * المتاع المنفعة كالاستئذان من الحز والبرد وإيواء الرجال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنما تختلف في تجارتنا فنزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ما تبذرون وما تكتُمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الرية * من للتبعض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصاريه على ما يحل وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيديويه (فإن قلت) كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضاءهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات والأجنبية بنظر

ذكر فإن له فائدة وثمرة تمل النفوس إليها وتفر من ضدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان ففيه تنبيه

فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خير بما يصنعون ٥ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن
فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعوثهن

إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فمضيق وكفالك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه وحظر
الجماع إلا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن
من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ٥ ثم أخبر أنه (خير) بأفهامهم وأحوالهم وكيف يحيلون أبصارهم
وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعلمهم إذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون ٥ النساء
مأمورات أيضاً بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ماتحت سرته إلى ركبته وإن اشتهدت غضت بصرها
رأساً ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن
أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا
بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعميا وإن أتتني ألبصرتني (فإن قلت) لم
قدم غص الأبصار على حفظ الفروج (قلت) لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكث ولا يكاد يقدر
على الاحتراس منه ٥ الزينة ما زينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتحة والكحل
والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدمليج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا
تبدية إلا لحولاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالنصون والتستر لأن هذه الزين وافعة على
مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فهى عن
إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملاستها تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملازمة لها لا مقال في حله كان
النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهداً على أن النساء حقن أن يحتطن في سترها ويتقن الله في
الكشف عنها (فإن قلت) ماتقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء إليها (قلت) نعم (فإن قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل
لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقت القراميل على ما يحاذى ماتحت السرة (قلت) الأمر كما قلت ولكن
أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن
للأجانب فضلاً عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرفته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل وافعة عليه (فإن
قلت) ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلبسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسر
وقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في
به والكف والقدم موقع الخاتم والفتحة والخضاب بالحناء (فإن قلت) لم سويح مطلقاً في الزينة الظاهرة (قلت) لأن سترها فيه
خرج فإن المرأة لا تجدد من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر
إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله (إلا ما ظهر منها) يعني إلا ما جرت العادة والجملة على
ظهوره والأصل فيه الظهور وإنما سويح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا اغتصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم

للدواعي على سلوك هذا الأدب والله سبحانه وتعالى أعلم ٥ قوله تعالى ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها (قال المراد
النهي عن إبداء مواضع الزينة فليس النهي عن إظهار الزينة مقصوداً أعيته ولكن جعل نفسها كناية عن الهي عن إبداء
مواقعها بطريق الأولى) قال أحمد وقوله تعالى عقيب ذلك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن محقق أن

(قوله كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب) في الصحاح الفتحة بالتحريك حلقة من فضة لا فص فيها فإذا كان فيها
فص فهو الخاتم وربما جعلها المرأة في أصابع رجلها وفيه الإكليل شبه عصا ترين بالجواهر ويسمى الناج إكليلاً
(قوله فإن قلت ماتقول في القراميل) في الصحاح القراميل ما تشده المرأة في شعرها (قوله والخضاب بالوسمة في حاجبيه)

أَوْ آبَائِهِمْ أَوْ آبَاءَهُمْ بَعُولَتَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَنَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَنَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَتِهِنَّ
أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَمْلُوكَتِكُمْ أَيْمَنَهُنَّ أَوْ التَّسْعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى

ومخالطتهم وقلّة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن ماسة القرائب ونحتاج المرأة إلى محبتهم في الأسفار للزول
والركوب وغير ذلك . كانت جيوهين واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن ومأحواليها ولكن يسدن الخمر من وراءهن
فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدن لها من قدامهن حتى يغطيها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها
ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت يدي على الحائط إذا وضعتها عليه وعن
عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيراً من نساء الأنصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل
فصدعت منه صدعة فاخترن فأصبحن كأن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوهين بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا
غير بيوتكم قيل في نساءهن هن المؤمنات لأنه ليس للؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كناية عن ابن عباس رضي الله
عنهما والظاهر أنه عني بنسائهن وماملكت أيمانهن من في محبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء
في حل نظر بعضهم إلى بعض وقيل ماملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعاً وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت
النظر إليها لعبدها وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حرّ وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع
وقال لا تغرنكم آية النور فإن المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصياً كان أو غلاماً
وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصي فتفقت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى
أن المثلة به تحلل ما حرّم الله وعند أبي حنيفة لا يحل استخدام الخصيان وإمساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد
من السلف إمساكهم (فإن قلت) روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله (قلت) لا يقبل فيما نعلم به
البلوى إلا حديث مكشوف فإن صح فعله قبله ليعتقه أو لسبب من الأسباب (الإربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم
ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمرهن أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن
غضوا أبصارهم أو بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجزء على الوصفية . وضع الواحد موضع
الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع ونحوه نخر جكم طفلاً (لم يظهروا) إقامن ظهر على الشيء إذا اطلع
عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإقامن ظهر على فلان إذا قوى عليه وظهر على القرآن أخذه
وأطافه أي لم يبلغوا أو أن القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل (فإن قلت) لم يذكروا الله الأعمام والأخوال
(قلت) سئل الشعبي عن ذلك فقال لثلاث يصفها العم عند ابنه والحال كذلك ومعناه أن سائر القربات يشرك
والابن في المحرمية إلا العم والحال وأبناءهما فإذا رآها الأب فرمى وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوّره لها بالوصف
نظره إليها وهذا أيضاً من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر . كانت المرأة تضرب الأرض
برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب بأحدى رجلها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين
وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ

إبداء الزينة بعينه مقصود بالنهي لأنه قد نهى عما هو ذريعة إليه خاصة إذ الضرب بالأرجل لم يعلل النهي عنه إلا ليعلم
أن المرأة ذات زينة وإن لم تظهر فضلاً عن مواضعها والله أعلم

في الصحاح الوسمة بكسر السين العظم يختضب به وتسكينها لغة وفيه العظم نبت يصبغ به وفيه أيضاً الغمرة طلاء يتخذ
من الورس (قوله قامت كل واحدة منهن إلى مرطها) في الصحاح المرط كساء من صوف أو خز كان يؤتز به وفيه
أيضاً مرط مرحل إذا خز فيه علم (قوله يشترك الأب والابن في المحرمية) الرابط محذوف أي يشترك بها الأب والخ

عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبَنَّ بَارِجُهُنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

• أوامر الله ونواهي في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فذلك وصي المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة (فإن قلت) قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ماقبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء إن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه يلزمه كلما يذكره أن يحدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن يلتقي ربه وقرئ آية المؤمنين بضم الهاء ووجه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعته حركتها حركة ما قبلها (الأيامى) واليتامى أصلهما أيام ويتامى قبلها والأيام للرجل والمرأة وقدام وآمت وتأيما إذالم يتزوجا بكرين كانا أويتيين قال فإن تسكحى أنسكح وإن تأيى • وإن كنت أفتى منكم أتأيى

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزيم والقرم والمراد أنسكحوا من تأيى منكم من الأحرار والحرار ومن كان فيه صلاح من غلبتكم وجواريتكم وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر للندب لماعلم من أن النكاح أمر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ويميدل على كونه مندوباً إليه قوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرني فليستن بسنني وهى النكاح وعنه عليه الصلاة والسلام من كانه ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه الصلاة والسلام إذا تزوج أحدكم عج شيطانه ياويله عصم ابن آدم منى ثلثي دينه وعنه عليه الصلاة والسلام يا عياض لا تزوجن عجزاً ولا عافراً فإني مكاثر والأحاديث فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة (فإن قلت) لم خص الصالحين (قلت) ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليتهم يشفقون عليهم ويتزولونهم منزلة الأولاد في الآخرة والمودة فكانوا مظنة للنوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فخالهم عند مواليتهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح • ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهى مشيشه ولا يشاء

• قوله تعالى وأنسكحوا الأيامى منكم الآية (قال هذا أمر والمراد به الذنب ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك وأدرج فيها قوله عليه الصلاة والسلام من وجد نكاحاً فلم ينسكح فليس منا) قال أحمد وهذا بأن يدل على الوجوب أولى ولكن قد ورد مثله في ترك السنن كثيراً وكان المراد من لم يستن بسننا على أنه قد ورد في الواجب كقوله من غشنا فليس منا وبجانبه الغش واجبة ومن شهر السلاح في فتنه فليس منا ومثله كثير • عاد كلامه قوله إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله (قال فيه ينبغي أن تكون شريطة

(قوله من العيمة والغيمة والأيمة والكزيم والقرم) في الصحاح العيمة شهوة اللبن وفيه الغيم العطش وحر الجوف اه وهو يفيد أن الغيمة المزة من ذلك وفيه الأيامى الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء وآمت المرأة من زوجها فقيم أيمة وفيه كزيم الشئ بمقدم فيه أى كسره واستخرج ما فيه وفيه قزم الصبي والبهم قرما وهو أكل ضعيف فى أول ما يأكل والقرم بالتحريك شدة شهوة اللحم اه وروى في الحديث القدم بالذال بدل الراء في الصحاح القدم على وزن الهجف الشديد وفيه أيضا الهجف من النعام ومن الناس الجافى الثقيل قال السكيت : هو الأضبط الهواس فينا شجاعه • وفيمن يعاديه الهجف المثقل ولا يستقيم الوزن إلا بتشديد الفاء وفيه الهواس الأسد (قوله إذا تزوج أحدكم عج شيطانه) أى صاح

الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» وقد جاءت الشريعة منصوصة في قوله تعالى «وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله عليم حكيم» ومن لم ينس هذه الشريعة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففنى وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكوا إليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله

الحكمة والمصلحة غير منسية واستشهد على ذلك بقوله «وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله» قال أحمد بن حنبل «والله لو لم يمتنع عليه الصواب فإن معتقده وجوب رعاية المصالح على الله تعالى فمن ثم شرط الحكمة والمصلحة بحجر أو اسعاً من فضل الله تعالى ثم استشهد على ذلك بما يشهد عليه لاله فإن قوله تعالى في الآية الأخرى إن شاء يقتضي أن وقوع الغنى مشروط بالمشيئة خاصة وهذا معتقد أهل الحق فطاح اشتراط الحكمة عن محل الاستدلال تعالى عن الإيجاب رب الأرباب لكن ينبغي التنبيه لنكتة تدعو الحاجة إلى التنبيه عليها ليعم نفعها ويعظم وقعها إن شاء الله وذلك أنا إذا بينا على أن ثم شرطا محذوفاً لا بد من تقديره ضرورة صدق الخبر إذ لو اعتقدنا أن الله تعالى يغني كل متزوج على الإطلاق مع أننا شاهد كثير أن استمراره بالفقر بعد النكاح بل زاد للزم خلف الوعد تقدس الله وتعالى عن ذلك فقد ثبت الاضطرار إلى تقدير شرط للجمع بين الوعد والواقع فالقدريه يقولون المراد إن اقتضت الحكمة ذلك فكل من لم يغنيه الله بأثر الزوج فهو ممن لم تقتض الحكمة إغناؤه وقد بطلنا أن يكون هذا الشرط هو المقدر وحتماً أن المقدر شرط المشيئة كما ظهر في الآية الأخرى وحينئذ فكل من لم يستغن بالنكاح وذلك لأن الله تعالى لم يشأ إغناؤه فلقائل أن يقول إذا كانت المشيئة هي المعتبرة في غنى المتزوج فهي أيضاً المعتبرة في غنى الأعزب فواجه ربط وعد الغنى بالنكاح مع أن حال الناكح منقسم في الغنى على حسب المشيئة فمن مستغنى به ومن فقير كما أن حال غير الناكح كذلك منقسم وليس هذا كإضرار شرط المشيئة في الغفران للموحد العاصي فإن الوعد ثم له ارتباط بالتوحيد وإن ارتبط بالمشيئة أيضاً من حيث أن غير الموحد لا يغفر الله له حتماً ولا نستطيع أن نقول وغير الناكح لا يغنيه الله حتماً لأن الواقع يأباه فالجواب وبالله التوفيق أن فائدة ربطه الغنى بالنكاح أنه قد ركن في الطباع السكون إلى الأسباب والاعتماد عليها والغفلة عن المسبب جل وعلا حتى غلب الوهم على العقل فخيّل أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتماً وعدمها سبب يوجب توفير المال جزماً وإن كان واحد من هذين السببين غير مؤثر فيما ربطه الوهم به فأريد قلع هذا الخيال المتمكن من الطبع بالإيدان بأن الله تعالى قدير يوفر المال وينمي مع كثرة العيال التي هي سبب في الأوهام لنفاد المال وقد يقدر الإملاق مع عدمه الذي هو سبب في الإكثار عند الأوهام والواقع يشهد لذلك بلامراء فدل ذلك قطعاً على أن الأسباب التي يتوهمها البشر مرتبطات بمسبباتها ارتباطاً لا ينفك ليست على ما يزعمونه وإنما يقدر الغنى والفقر مسبب الأسباب غير موقوف تقدير ذلك إلا على مشيئة خاصة وحينئذ لا ينفر العاقل المتيقظ من النكاح لأنه قد استقر عنده أن لا أثر له في الإقترار وأن الله تعالى لا يمنعه ذلك من إغناؤه ولا يؤثر أيضاً الخلو عن النكاح لاجل التوفير لأنه قد استقر أن لا أثر له فيه وأن الله تعالى لا يمنعه مانع أن يقر عليه وأن العبد إن تعاطى سبباً فلا يكن ناظراً إليه ولكن إلى مشيئة الله تعالى وتقدس فعنى قوله حينئذ إن يكونوا فقراء الآية أن النكاح لا يمنعهم الغنى من فضل الله فعبء عن نفي كونه مانعاً من الغنى بوجوده معه ولا تبطل المسانعة إلا بوجود ما يتوهم ممنوعاً مع ما يتوهم مانعاً ولو في صورة من الصور على أثر ذلك فمن هذا الوادي أمثال قوله تعالى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض» فإن ظاهر الأمر طلب الانتشار عند انقضاء الصلاة وليس ذلك بمراد حقيقة ولكن الغرض تحقيق زوال المسانعة وهو الصلاة وبيان أن الصلاة متى قضيت فلا مانع فعبء عن نفي المانع بالانتشار بما يفهم تقاضى الانتشار مبالغة في تحقيق المعنى عند السامع والله أعلم فتأمل هذا الفصل واتخذوا حيث الحاجة إليه

(قوله إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة) كأنه مبنى على أنه تعالى يجب عليه فعل الصلاح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة لا يجب على الله شيء (قوله فقال عليك بالباءة) في الصحاح سمي النكاح باء وباءة لأن الرجل يتبأ من أهله أي يستمكن منها كما يتبأ من داره وفيه أيضاً الرايح من الإبل الهالك هزالاً اه فإن كان مختصاً بالإبل فقد يتوسع فيه إلى غيرها

فَضْلُهُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ۖ وَلَيْسَتْ عَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ
مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ

عنه يجب لمن لا يطلب الغنى بالباء ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت
فسألته فقال كنت في أول أمرى على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن الفقر فلما
ولدى الثانى زدت خيرا فلما تاتوا ثلاثة صب الله على الخير صبا فأصبحت إلى ما ترى (والله واسع) أى غنى ذو سعة
لا يرزؤه إغناء الخلائق ولكنه (علم) ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر (وليست عفيف) وليجتهد في العفة وظلف النفس
كأن المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه (لا يجدون نكاحا) أى استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح
ما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله) ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأمله
لطفالهم في استغفارهم وربط على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه
الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من موقعة المعصية وهو غرض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين ويقع به
الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحل على النفس الأمانة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن
يرزق القدرة عليه (والذين يبتغون) مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه
ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتب كالعقاب والمعاقبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف
درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمسال وكتبت لى على نفسك أن تنى بذلك أو كتبت عليك
الوفاء بالمسال وكتبت على العتق ويجوز عند أبى حنيفة رضى الله عنه جاللا ومؤلوا ومنجما وغير منجم لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم
وقياسا على سائر العقود وعند الشافعى رضى الله عنه لا يجوز إلا مؤجلا ومنجما ولا يجوز عنده بنجم واحدا لأن العبد لا يملك
شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى
خدمة فى مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر فى مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه أجرها
وجصها وما يبنى به وإن كاتبه على قيمته لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط
وليس له أن يطاء المكاتبه وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالسكيب الذى هو فى الأصل له وهذا الأمر
للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رضى الله عنه ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب وإن شاء لم يكاتب وعن عمر رضى
الله عنه هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود (خيرا) قدرة على أداء ما يقرقون عليه وقيل أمانة
وتكسبا وعن سلمان رضى الله عنه أن تملوكا لها بتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفأمرنى أن آكل غسالة أيدي الناس
(وآتوهم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المسال كقوله تعالى
وفى الرقاب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم (فإن قلت) هل يحل لمولاه إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه
(قلت) نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للولى ما أخذه لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة
ولكن بسبب عقد المكاتبه كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبته له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث بريرة
هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعى رضى الله عنه هو لإيجاب على المولى أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا
أجبروا وعن على رضى الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضى

(قوله لا يرزؤه إغناء الخلائق) أى لا ينقصه (قوله وليجتهد فى العفة وظلف النفس) فى الصحاح ظلف نفسه عن الشيء
أى منعها وظلفت نفسى عن كذا بالكسر أى كفت (قوله وعزفها عن الطموح إلى الشهوة) فى الصحاح عزفت نفسى عن
الشيء زهدت فيه وانصرفت عنه (قوله وإن كاتبه على وصيف جاز) الوصيف الخادم غلاما كان أو جارية كذا فى الصحاح

عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أُرِدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

الله عنه أنه كاتب عبداله يكنى أبا أمية وهو أول عبدكوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر رضي الله عنه وقال استعن به على مكاتبك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبي حنيفة رضي الله عنه على وجه التدب وقال إنه عقد معاوضة فلا يجبر على الخطيئة كالبيع وقبل معنى وآتوهم أسلفوهم وقبل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدروا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت ۝ كانت إمام أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقيلة يكرهن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ۝ ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل أحدكم فتأى وفتأى ولا يقل عبدى وأمتى ۝ والبغاء مصدر البغى (فإن قلت) لم أقم قوله (إن أردن تحصنا) (قلت) لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وأمر الطيعة الموالية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها وكلمة إن وإثارها على إذا إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أولهن أولهم ولهن إن تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لمن غفور رحيم (فإن قلت) لاجابة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكروهة على الزنا بخلاف المكروه عليه في أنها غير آثمة (قلت) لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتسكون آثمة (مبينات) هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فأتسع في الظرف وقرئ بالكسر أى بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه . ولولا إذ سمعتموه . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ۝ نظير قوله (الله نور السموات والأرض) مع قوله مثل نوره . ويهدي الله لنوره : قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعمش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولى الذين

۝ قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا (قال إن قلت لم أقم قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يكون إلا إذا أردن تحصنا ولا يتصور إلا كذلك إذ لولا ذلك لكن مطاوعات ولم يجب بما يشق الغليل) وعند العبد الفقير إلى الله تعالى أن فائدة ذلك والله أعلم أن يبشع عند المخاطب الوقوع فيه لكي يتقظ أنه كان ينبغي له أن يأف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعى ووجه التشيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى إلا إكراهها عليها ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العرية والله الموفق

(قوله وأروى وقيلة يكرهن على البغاء) لعله قتيلة بالقاف بدل الفاء كما في عبارة النسفي (قوله والبغاء مصدر البغى) عبارة النسفي مصدر لبغت

يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ

آمَنُوا يَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أى من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين إما للدلالة على سعة إشرافه وفشوق إضاءته حتى قضى له السموات والأرض ولما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى السكة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (في زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامى أزهر ۝ شبهه في زهرته بأحد الدرارى من الكواكب وهى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (توقد) هذا المصباح (من شجرة) أى ابتداء ثقبه من شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالبته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لأنها تنبت في الأرض التى برك فيها للعالمين وقيل برك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداؤوا به فإنه مصححة من الباسور (لأشرفية ولاغربية) أى منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لأنى مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصنى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً فهى شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبص وأنه لثلاثه (يكاد) يضئ من غير نار (نور على نور) أى هذا الذى شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوى النور ويزيده إشرافاً ويمد بإضاءة بقية وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضواؤه وأجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبت فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإضاءة وكذلك الزيت وصفائه (يهدي الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أى يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يميناً وشمالاً ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والأرض أى نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب رضي الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودرى منسوب إلى الدرأى أبيض متلألئاً ودرى بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرى كريق ودرى كالمسكنة عن أبي زيد وتوقد بمعنى توقد والفعل للزجاجة وبوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وفتح الباء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسه بالياء لأن التأنيث ليس بحقبي والضمير فاصل (في بيوت) يتعلق بما قبله أى كمشكاة في بعض بيوت الله وهى المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التى من صفحتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أى يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أى سبحوها في بيوت ۝ والمراد بالإذن الأمر ورفعها بناؤها كقوله «بناها» رفع سمكها فسواها» وإذ يرفع إبراهيم القواعد» وعن ابن عباس رضي الله عنهما هى المساجد أمر الله

(قوله من الظلمات إلى النور أى من الباطل إلى الحق) لعله مقولوب وأصله من الباطل إلى الحق كعبارة النسفي (قوله قنديلا من زجاج شامى أزهر) نعت لزجاج وبوضوحه قوله أزهر وعبارة النسفي شامى بكسر الزاى أى قرأ الشامى زجاجة بكسر الزاى (قوله يعنى زويت ذبالبته بزيتها) فى الصحاح زويت الشيء جمعته وقبضته وانزوت الجلدة فى النار أى اجتمعت وتقبضت وفيه الذبالة الفتيلة ولعله رويت بالراء كما فى عبارة النسفي (قوله وقيل لا مضحى ولا مقناة) فى الصحاح المقناة المكان الذى لا تطلع عليه الشمس (قوله بالصفاء والوبص) البريق واللمعان أفاده الصحاح

فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۚ لِيُجْزِيَهمَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ
 يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً ۚ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ
 لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفِيَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن
 فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ظُلُمَاتٌ لِّبْطِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا

أَن تَبْنِي أَوْ تُعْظِمَهَا وَالرَّفْعُ مِنْ قَدَرِهَا وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ بِالْبِنَاءِ وَلَكِنْ بِالْتَعْظِيمِ (وَيَذَكِّرُ
 فِيهَا اسْمَهُ) أَوْ قُلْ لَهُ وَهُوَ عَامٌ فِي كُلِّ ذِكْرٍ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنْ يَتْلَى فِيهَا كِتَابُهُ ۚ وَقُرِئَ يُسَبِّحُ عَلَى الْبِنَاءِ
 لِلْمَعْمُولِ وَيُسْنَدُ إِلَى أَحَدِ الظُّرُوفِ الثَّلَاثَةِ أَعْنَى لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَرِجَالٌ مَرْفُوعٌ بِمَادَلٍّ عَلَيْهِ يُسَبِّحُ وَهُوَ يُسَبِّحُ لَهُ وَتُسَبِّحُ
 بِالْبِنَاءِ وَكَسْرُ الْبَاءِ وَعَنِ أَبِي جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْبِنَاءِ وَقُتِحَ الْبَاءُ وَوَجَّهًا أَنْ يُسْنَدَ إِلَى أَوْقَاتِ الْغُدُوِّ وَالْآصَالِ عَلَى زِيَادَةِ
 الْبَاءِ وَتَجَمُّعِ الْأَوْقَاتِ مُسَبَّحَةً وَالْمُرَادُ رِبْهَا كَصِيدٍ عَلَيْهِ يُؤْمَانُ وَالْمُرَادُ وَحْشُهُمَا ۚ وَالْآصَالُ جَمْعُ أَصْلٍ وَهُوَ الْعَشْيُ وَالْمَعْنَى
 بِأَوْقَاتِ الْغُدُوِّ أَيْ بِالْغُدُوِّ وَقُرِئَ وَالْإِصْصَالُ وَهُوَ الدُّخُولُ فِي الْأَصْلِ يُقَالُ أَصْلًا كَأَظْهَرٍ وَأَعْمَى ۚ التَّجَارَةُ صِنَاعَةُ
 التَّاجِرِ وَهُوَ الَّذِي يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لِلرَّيْحِ فَإِمَّا أَنْ يَرِيدَ لَا يَشْغَلُهُمْ نَوْعٌ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ثُمَّ خَصَّ الْبَيْعَ لِأَنَّهُ فِي الْإِلْهَاءِ
 أَدْخَلَ مِنْ قَبْلِ أَنْ التَّاجِرُ إِذَا اتَّجَهَتْ لَهُ بَيْعَةٌ رَاجِحَةٌ وَهِيَ طَلَبَتُهُ الْكَلِيَّةُ مِنْ صِنَاعَتِهِ أَلْهَتْهُ مَا لَيْلِيهِ شَيْءٌ يَتَوَقَّعُ فِيهِ
 الرِّيحُ فِي الْوَقْتِ الثَّانِي لِأَنَّهُ هَذَا يَقِينٌ وَذَلِكَ مَظْنُونٌ وَأَمَّا أَنْ يُسَمَّى الشِّرَاءُ تِجَارَةً إِنْ تَبَيَّنَ لَاسْمِ الْجِنْسِ عَلَى النَّوعِ كَقَوْلِ
 رَزَقَ فَلَانَ تِجَارَةً رَاجِحَةً إِذَا اتَّجَهَ لَهُ يَبِيعُ صَالِحٌ أَوْ شَرَاءٌ وَقِيلَ التَّجَارَةُ لِأَهْلِ الْجَلْبِ اتَّجَرَ فَلَانٌ فِي كَذَا إِذَا جَلَبَهُ ۚ النَّاءُ فِي
 إِقَامَةِ عَوْضٍ مِنَ الْعَيْنِ السَّاقِطَةِ لِلْإِعْلَالِ وَالْأَصْلُ إِقْوَامٌ فَلَمَّا أَضْيِفَتْ أَقِيمَتْ الْإِضَافَةُ مَقَامَ حَرْفِ التَّعْوِضِ فَاسْقَطَتْ
 وَنَحْوُهُ ۚ وَأَخْلَفُوكَ عِدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا ۚ وَتَقَلَّبَ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ إِمَّا أَنْ تَتَقَلَّبَ وَتَتَغَيَّرَ فِي أَنْفُسِهَا وَهُوَ أَنْ
 تَضْطَرِبَ مِنَ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ وَتَشْخَصَ كَقَوْلِهِ وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَإِمَّا أَنْ تَتَقَلَّبَ أَحْوَالُهَا
 وَتَتَغَيَّرَ فَتَفْقَهُ الْقُلُوبُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَطْبُوعًا عَلَيْهَا لَا تَفْقَهُ وَتَبْصُرُ الْأَبْصَارُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَمِيًّا لَا تَبْصُرُ (أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا)
 أَيْ أَحْسَنَ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ كَقَوْلِهِ «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى» وَالْمَعْنَى يُسَبِّحُونَ وَيَخَافُونَ لِيُجْزِيَهمَ ثَوَابُهُمْ مُضَاعَفًا وَيَزِيدَهُمْ
 عَلَى الثَّوَابِ تَفَضُّلاً وَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ الثَّوَابِ الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ الْعِلْمِ مِنْ التَّفَضُّلِ، وَعَطَاءُ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا تَفَضُّلًا
 وَإِمَّا ثَوَابًا وَإِمَّا عَوْضًا (وَاللَّهُ يَرْزُقُ) مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ (بَغَيْرِ حِسَابٍ) فَأَمَّا الثَّوَابُ فَلَهُ حِسَابٌ لِكُونِهِ عَلَى حَسَبِ
 الْإِسْتِحْقَاقِ ۚ السَّرَابُ مَا يَرَى فِي الْفَلَاةِ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَقَدْ ظَهَرَتْ يَسْرُبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ يَجْرِي
 ۚ وَالْقِيعَةُ بِمَعْنَى الْقَاعِ أَوْ جَمْعُ قَاعٍ وَهُوَ الْمُنْبَسِطُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ كَبْكِرَةٍ فِي جَارٍ وَقُرِئَ بَقِيعَاتٍ بِنَاءً بِمَطْوِئَةٍ كَدِيمَاتٍ
 وَقِيَمَاتٍ فِي دِيمَةٍ وَقِيَمَةٌ وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمْ بَقِيعَةً بِنَاءً مَدْرُورَةً كَرَجْلٍ عَزَاهَا شَبَّهَ مَا يَعْمَلُهُ مِنْ لَا يَتَعَقَّدُ الْإِيمَانُ وَلَا يَتَّبِعُ الْحَقَّ
 مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَحْسِبُهَا تَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَتَنْجِيهِ مِنْ عَذَابِهِ ثُمَّ تَحْثِبُ فِي الْعَاقِبَةِ أَمَلُهُ وَيَلْقَى خِلَافَ مَا قَدَّرَ بِسَرَابٍ يَرَاهُ
 الْكَافِرُ بِالسَّاهِرَةِ وَقَدْ غَلَبَهُ عَطَشُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَحْسِبُهُ مَاءً فَيَأْتِيهِ فَلَا يَجِدُ مَارْجَاهُ وَيَجِدُ زَبَانِيَّةَ اللَّهِ عِنْدَهُ يَأْخُذُونَهُ فَيَعْتَلُونَهُ
 إِلَى جَهَنَّمَ فَيَسْقُونَهُ الْحَمِيمَ وَالْغَسَاقُ رَهْمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِنَاعًا وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا
 مِنْ عَمَلٍ لِّجَعْلِنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أُمِيَّةٍ قَدْ كَانَ تَعْبُدُ وَلبَسَ الْمَسْوُوحَ وَالتَّمَسَّ الدِّينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 ثُمَّ كَفَرَ فِي الْإِسْلَامِ ۚ اللَّجْجُ الْعَمِيقُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ مَنْسُوبٌ إِلَى اللَّجِّ وَهُوَ مَعْظَمُ مَاءِ الْبَحْرِ ۚ وَفِي (أَخْرَجَ) ضَمِيرُ الْوَاقِعِ
 فِيهِ (لَمْ يَكْدِرْهَا) مُبَالَغَةٌ فِي لَمْ يَرَهَا أَيْ لَمْ يَقْرُبْ أَنْ يَرَاهَا فَضَلًا عَنْ أَنْ يَرَاهَا وَمِثْلُهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ

فَقَالَ مِنْ نُورٍ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا
ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ۝ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ

إذا غير النأي المحبين لم يكده ۝ رسيس الهوى من حب مية يبرح

أى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أو لا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تغله إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق لظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته واطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الإلطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقين الأثرى إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى (صافات) يصفن أجنتهن في الهواء ۝ والضمير في (علم) لكل أوله وكذلك في (صلاته وتسبيحه) والصلاة الدعاء ولا يبعد أن ياهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما أهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها (يزجي) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها والسحاب يكون واحداً كالعلماء وجمعاً كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض ويجازيه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كإقيل في قوله بين الدخول فحول والركام المترام بعضه فوق بعض والودق المطر (من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله (وينزل) بالتشديد ويكاد سنا على الإدغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للارتفاع (يذهب بالأبصار) على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاهم له وابتاهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته وبرهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فإن قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاهم وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) عليه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طريق الوحي (فإن قلت) ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الأولى لا ابتداء الغاية والثانية للتبعض والثالثة للبيان أو الأوليان لا ابتداء والآخرة للتبعض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال (فإن قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر والثاني أن يريد

(قوله واحدا كالعلماء وجمعاً كالرباب) في الصحاح الرباب بالفتح سحاب أبيض (قوله أنه يكون قزعا فيضم بعضه) القزعة قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة (قوله ويكاد سنا على الإدغام) لعل رسمه هكذا يكاسنا إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام

لَعِبْرَةَ لَأُولَى الْإِبْصَارِ ۖ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ
وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ
يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَقُولُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أَوْلَيْتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۚ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ۚ وَلَئِنْ يَكُنْ

السكرثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرى خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز
غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم يميزون فمن ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي
على أربع قوائم (فإن قلت) لم نذكر الماء في قوله (من ماء) (قلت) لأن المعنى أنه خالق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك
الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فما هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله
تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل (فإن قلت) فما باله معترف في قوله «وجعلنا من الماء كل شيء حي»
(قلت) قصد ثمة معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن
تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه
(فإن قلت) لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل
أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (فإن قلت) لم سمي الزحف على البطن مشياً (قلت) على سبيل الاستعارة
كما قالوا في الأمر المستمر قدم مشي هذا الأمر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفة والمشفّر مكان الشفة
ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا أو إلى
الفريق المتولى فعناه على الأول إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولى وحده وعلى الثاني إعلام بأن
الفريق المتولى لم يكن ماسبق لهم من الإيمان إيماننا إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لأنه لو كان صادراً عن صحة
معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولى والإعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت
وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان الموصوفون في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى (إلى الله
ورسوله) إلى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله «غسلته قبل القطا وفرطه» أراد قبل
فرط القطا روى أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض لجعل اليهودي يحجّره إلى رسول الله
والمنافق يحجّره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمداً يحيف علينا وروى أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب

قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء (قال فيه إن قلت لم نذكر ماء هنا وعرفه في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت
الغرض فيما نحن فيه أنه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف
نطفها فمنها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وأما آية اقرب فالغرض فيها
أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحمد وتحرير الفرق أن المقصد في الأولى إظهار الآية بأن شيئاً واحداً
تكوّن منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها في آية النور والرد والمقصود في آية اقرب أنه خلق الأشياء المنفقة في جنس
الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع فذكر معرفاً ليشمل أنواعه المختلفة فالآية في الأول لإخراج المختلف من المتفق والله أعلم

(قوله مكان الجحفة والمشفّر مكان الشفة) في الصحاح الجحفة للحافر كالشفة للإنسان اه أي لدى الحافر

(قوله ومنه قوله غلسته قبل القطا) في الصحاح الغلس ظلمة آخر الليل والتغليس السير من الليل بغلس يقال غلّسنا

الماء أي وردناه بغلس

لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفاسقون * وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون * قل أطيعوا

رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتية ولا أحاكم إليه فإنه يبغيضني وأنا أخاف أن يحيف علي (إليه) صلة يأتوا لا من أتى وجاء قد جاءا معذنين يأتى أو يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المزو العدل البحت يزورون عن المحاكاة إليك إذا ركبهم الحق لثلا تنزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم * ثم قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكرهوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأتون المحاكاة إليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لأن أولى اليمين بكونه اسما لكان أو غلما في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتكبير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فإن قلت) لإلام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مسند إلى مصدره لأن معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف تخفف كقوله قالت سليمة اشتربنا سويقا ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز وعن ابن عباس في تفسيرها (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سنته (ويخش الله) على ماضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فقلت له هذه الآية * جهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبالغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا لحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنسوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدا محذوف الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا يمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة وقرأ الزيدى طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (إن الله خير) يعلم ما في ضمائمكم ولا يخفى عليه شيء من سرايركم وأنه فاضحكم لاحالة ويجازيكم على نفاقكم * صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبيكتهم * يريد فإن تتولوا فاضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حملة الله وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهده تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلمتم من التلقى بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه

(قوله ما ذاب لهم في ذمة الخصم) في الصحاح ذاب لي عليه من الحق كذا إذا وجب وثبت

اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا
وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ نَعْلَمَكُمْ
تَرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي النَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَأْسِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع والضرر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح وهاذ وما عليه
إلا أن يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم * والبلاغ بمعنى التبليغ كالإدعاء بمعنى التأييد * ومعنى المبين كونه
مقرونا بالآيات والمعجزات * الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح
وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بنى إسرائيل حين أورثهم مصر
والشام بعد إهلاك الجبارة وأن يمكن الدين المرغى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيتاً وتوطيده وأن يؤمن سربهم
ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا
كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله
عليه وسلم لا تغربون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم الملاء العظيم محتياً ليس معه حديدة فأبجز الله وعدهم وأظهرهم
على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائهم واستولوا على الدنيا
ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون
سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكاً ثم تصير بيزرى قطع سيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها * وقرئ كما
استخلف على البناء للمفعول وليدلتهم بالتشديد (فإن قلت) أين القسم المتلقى باللام والنون في (ليستخلفنهم) (قلت) هو
مخذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعده الله في تحقيقه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم
الله ليستخلفنهم (فإن قلت) ما محل (يعبدونني) (قلت) إن جعلته استئنافاً لم يكن له محل كأن قال ما لهم يستخلفون
ويؤمنون فقل يعبدونني وإن جعلته حالاً عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحل نصب (ومن
كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله (فأولئك هم الفاسقون) أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك
النعمة العظيمة وجسروا على عظمها (فإن قلت) هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل
وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس
ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكثرت
طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها وقرئ لا يحسن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين في الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسن
الذين كفروا أحداً يعجز الله في الأرض حتى يطعموا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوى جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره
في قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا يحسنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول
وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله
(وماؤهم النار) على لا يحسن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماؤهم النار والمراد بهم

(قوله ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر) عبارة النسفي في قولكم (قوله لا تغربون إلا يسيراً) أي لا تبقون أفاده الصحاح (قوله ثم
تصير بيزرى قطع سيل) في الصحاح بزه بزه واسله والاسم البيزرى مثل الخصبى (قوله وجسروا على غمطها) أي احتقارها

لَيْسَتْ بَيْنَكُمْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ

المقسمون جهد أيمانهم ۝ أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار (ثلاث مرات) في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لأنه وقت النجود من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يخلل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين ۝ ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله (طوافون عليكم) يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة بطوافون عليكم للخدمة وطوافون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لآذى إلى الحرج وروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاماً أنصاريأ أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عند ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبنائنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزل بسبب عمر رضي الله تعالى عنه وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلاننا يدخلون علينا في حال نكرها وعن أبي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وعن الأعمش عورات على لغة هذيل ۝ (فإن قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وإذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقترراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة (فإن قلت) هم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالأبتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع ييطوف مضمرأ لتلك الدلالة (الأطفال منكم) أي من الأحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشرعية المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لأمر جارقي أن تستأذن على وسأله عطاء أستأذن على أخى قال نعم وإن كانت في حجر كتمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحد من الناس الإذن كله وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله وإذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آباءكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له إن

(قوله ومنها أعور الفارس) في الصحاح أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب (قوله وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد) لعله مرثدا في عبارة النسفي

الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرَ لِمَنْ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس
تعاونوا بها (فإن قلت) ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثمان عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في
الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة أشبار وبه أخذ
الفرزدق في قوله مازال مذ عقدت يده إزاره ۝ فما فأدرك خمسة الأشبار

واعتبر غيره الإنبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن غلام فقال هل أخضر إزاره ۝ القاعد التي قعدت
عن الحيض والولد لكبرها (لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه ۝ والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالمحففة
والجلباب الذي فوق الخمار (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ولا يبدن
زينةن إلا للبلواتن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتجن إليه والاستغفاف من الوضع خير لهن
لما ذكر الجائر عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا
خير لكم (فإن قلت) ما حقيقة التبرج (قلت) تكلف لإظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارح لا غطاء عليها والبرج سعة
العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه اختص بأن تكشف المرأة للرجال بأبدان زينةا وإظهار
محاسنها وبدا ورز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتباج كذلك ۝ كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات إلى
بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها تغافل قلوب المطعمين والمطعمين رغبة
في ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
فقل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة
كانت الأنصار في أنفسها قرازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس
ومؤاكلتهم لمعاشى يؤدى إلى السكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين أكله إليه وهو
لا يشعر والأعرج يتفلسف في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه والمرضى لا يخلو من رائحة تؤذى أو جرح
يبض أو أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح
ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتخرجون حكي عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد
في بيته وماله فلما رجع رآه مجهوداً فقال ما أصابك قال لم يكن عندى شيء ولم يجل لى أن آكل من مالك فقبل ليس على
هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك إذا فسر بأن
هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة

۝ قوله تعالى والقواعد من النساء الاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة
وأن يستغفرن خير لهن ۝ قرر الزخشرى هذه الآية على ظاهرها ۝ وبظهر لى والله أعلم أن قوله تعالى غير متبرجات
بزينة من باب ۝ على لاحب لا يهتدى بمناره ۝ أى لا منار فيه فيهدى به وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء الاتى
لا زينة لهن فيتبرجن بها لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استغفاهن عن وضع الثياب
خير لهن فما ظنك بذوات الزينة من الثياب وأبلغ ما في ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب في حق القواعد من الاستغفاف

(قوله في أنفسها قرازة) في الصحاح القرازة التنطس والتباعد عن الدنس وفيه التنطس المبالغة في التطهر (قوله أو جرح
يبض أو أنف يذن) أى يسيل قليلا قليلا ويذن أى يسيل مخاطه أفاده الصحاح

أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يَبُوتَكُمْ أَوْ يَبُوتَ آبَائِكُمْ أَوْ يَبُوتَ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ يَبُوتَ إِخْوَانِكُمْ أَوْ يَبُوتَ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ يَبُوتَ
أَعْمَامِكُمْ أَوْ يَبُوتَ عَمَّاتِكُمْ أَوْ يَبُوتَ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ يَبُوتَ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَمْلَكَتِكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا وَأَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ

منهما منى عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر
فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر (فإن قلت) هلا ذكر الاولاد (قلت)
دخل ذكرهم تحت قوله (من يوتكم) لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه
وان ولده من كسبه ومعنى من يوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب من عدد من القربات
فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى (فإن قلت) مامعنى (أوما ملكتم مفاتيحه) (قلت)
أموال الرجل إذا كان له عليها قيم وكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كرمها
في يده وحفظه وقيل بيوت الممالك لأن مال العبد لمولاه وقرئ مفاتيحه (فإن قلت) فما معنى (أو صديقكم) (قلت)
معناه أوبيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن أنه دخل داره
وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا أسلانا من تحت سريره فيها الخبيص وأطابب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهلك أسارير
وجهه سرورا أو ضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدرين رضى الله عنهم وكان
الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ماشاء فإذا حضر مولاه فأخبرته أعتقها
سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة
والانسباط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والآب والآخر والابن وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصديق أكبر من
الوالدين إن الجهنمين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأقهار فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا إذا
دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم إليه طعام فاستأذن
صاحبه في الأكل منه (جمعا أو أشتاتا) أى مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتخرجون أن
يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل في قوم من الأنصار إذا
نزل بهم ضيف لايأكلون إلا مع ضيفهم .وقيل تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة
بعضهم على بعض (فإذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا فبدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية

ليدانا بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة هذا في القواعد فكيف بالكواعب والله أعلم قوله تعالى ولا على أنفسكم
أن تأكلوا من يوتكم إلى قوله تعالى أو صديقكم (قال الصديق يكون واحدا وجمعا والمراد هنا الجمع) قال أحمد وقد قال
الزحخشري إن سر إفراده في قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم دون الشافعين التنبيه على قلة الأصدقاء
ولا كذلك الشافعون فإن الإنسان قد يحصى له ويشفع في حقه من لا يعرفه فضلا عن أن يكون صديقا ويحتمل
في الآيتين والله أعلم أن يكون المراد به الجمع فلا كلام ويحتمل أن يراد الإفراد فيكون سره ذلك والله أعلم

ه قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال معناه فسلموا على الجنس الذي هو منكم دينا
وقرابة) قال أحمد وفي التعبير عنهم بالأنفس تنبيه على السر الذي اقتضى إباحة الأكل من هذه البيوت المعدودة وأن ذلك إنما
كان لأنها بالنسبة إلى الداخل كبيت نفسه لاتحاد القرابة فليط نفسا بالبساط فيها والله أعلم

(قوله لتأكلوا فبدؤوا بالسلام) كذا في الأصل المنقول منه

يَسِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ

من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أولان التسليم والنية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحيا من عند الله ۝ ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لى شىء فعلته لم فعلته ولا قال لى شىء كسرت لم كسرت و كنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبى وأمى يا رسول الله قال متى لقيت من أمتى أحداً فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأقابين وقالوا إن لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلاموا لأنها فى معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا ۝ أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذنه (إذا كانوا معه على أمر جامع) فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإيما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يريد توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شىأ آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصدق لصحة الإيمان وعرض بحال المنافقين وتسليمهم لو إذا ۝ ومعنى قوله (لم يذهبوا حتى يستأذنه) لم يذهبوا حتى يستأذنه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له ۝ والأمر الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل الجواز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور فى خطب مهم أو تضام لإرهاب مخالف أو تسامح فى حلف وغير ذلك أو الأمر الذى يعم بضرره أو نفعه ۝ وقرئ أمر جميع وفى قوله إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوى رأى وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته ففارقة أحدهم فى مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر فى الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض ما يهملهم ويعينهم وذلك قوله (لبعض شأنهم) ۝ وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك يذنبى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدمهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا يحدلونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرون عنهم والأمر فى الإذن مفقوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه ۝ إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعهم عنده لأمر فدعاهم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تفتسوا دعاهم إلا كما على دعاء بعضهم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضهم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فر بما أجابه وربما رده قال دعوات رسول الله

بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

سورة الفرقان مكية

إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ

صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسللون) ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل ۝ واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذلك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لو آذا) حال أى ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لو آذا بالفتح ۝ يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صدعته دونه ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون لحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه ۝ الضمير في أمره لله سبحانه أول للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأحوال عن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ۝ أدخل قديو كدعله بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التأكيد في نحو قوله :

فإن تمس مهجور الفناء فربما ۝ أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير : أخى ثقة لانهلك الحرما له ۝ ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون سترها عن العيون وإخفائها ۝ وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله (قديعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ۝ والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل أولانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه

﴿القول في سورة الفرقان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى ۝ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ۝ (قال يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل ويجوز أن يراد نزوله مفترقا شيئا فشيئا كما قال وقرآنا فرقناه) قال أحمد والأظهر ههنا هو المعنى

وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا
 نُشُورًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُهُبًا وَزُورًا ۝
 وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَمْ كُتِبَ فِيهَا فِئْتًا لِيُقْرَأَ بِهِ كَأَنَّهُ ظَاهِرٌ ۝ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ

على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ۝ ومشركي كافر بالفرق ۝ وعن ابن الزبير رضى الله عنه
 على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه كما قال لقد أنزلنا إليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ۝ والضمير في (ليكون)
 لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والإنس (نذيرا) منذرا أى مخوفا أو إنذارا
 كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي له) رفع على الإبدال من الذى نزل أو رفع على المدح
 أو نصب عليه (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين البذل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل منه صلته نزل وليكون
 تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به (فإن قلت) في الخلق معنى التقدير فامعنى قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) كأنه قال وقدر
 كل شيء فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير والنسوية فقدره وهما لما يصلح له مثاله أنه خلق
 الإنسان على هذا الشكل المقدر المستوى الذى تراه فقدره للكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والديناو وكذلك كل حيوان
 وجماد جاء به على الجبلية المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمرها ومصلحة مطابقة لما قدر له غير متجاف عنه
 أو سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة
 قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكانه قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجادها لم يوجد متفاوتا
 وقيل لجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد معلوم ۝ الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى إنما تعبدون من
 دون الله آوثانا ونخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا يعجز آيين من يعجزهم لا يعبدون
 على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالبحث والتصوير
 (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع اليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال
 ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها إلا الله لا يعجز (قوم
 آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلام بن الحضرمى وأبو فكيهة الرومى
 قال ذلك الضر بن الحرث بن عبدالدار ۝ جاء وأقى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا
 ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل ۝ وظلهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى
 كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب ۝ والزور أن بهتوه بنسبة ما هو برئ منه إليه (أساطير الأولين) ماسطوره
 المتقدمون من نحو أحاديث رستم وأسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة (اكتبتها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول
 استكتب الماء وأصطبه إذا سكب وصبه لنفسه وأخذها وقرئ اكتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتبها كاتب له لأنه
 كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأنضى الفعل إلى الضمير فصار اكتبها إياه كاتب
 كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي

الثانى لأن في أثناء السورة بعد آيات وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال الله تعالى كذلك أى أنزلناه مفترقا
 كذلك لتثبت به فؤادك فيكون وصفه بالفرقان فى أول السورة والله أعلم بالمقدمة والتوطئة لما يأتى بعد

(قوله وقد جاء الفرق بمعناه) فى الصراح والفرق أيضا الفرقان ونظيره الخسر والخسران قال الراجز ومشركى الخ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يَأْتِيهِ إِلَهٌ كُنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ

ضمير الاساطير على حاله فصار اكتبتها كما ترى (فإن قلت) كيف قيل اكتبتها (فهى تملى عليه) وإنما يقال أملت عليه فهو يكتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتبتها أو طلبه فهى تملى عليه أو كتبت له وهو أى فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الالتقاء على الحافظ كصورة الالتقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ السكرام وأن ۝ أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الأولين (بكرة وأصيلا) أى دائما وفى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أى يعلم كل سر خفى فى السموات والأرض ومن جملة ما تسرونه أنتم من السكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع عليكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرأته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فإن قلت) كيف طابق قوله (إنه كان غفورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم يميل ولا يعاجل ۝ وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربى وخط المصحف سنة لا تغير وفى هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطعن كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن رسولي الذى أرسل اليكم لمجنون أى إن صح أنه رسول الله فما به حاله مثل حالنا (يا كل الطعام) كأننا كل ويتدرد فى الأسواق لطلب المعاش كما تردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ۝ ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا فى الإبدار والتخويف ۝ ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز باقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ۝ ثم نزلوا فاقنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرزق كما الدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به فى دنياهم ومعاشهم ۝ وأراد بالظالمين إياهم بأعينهم وضع الظاهر موضع المضمهر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون (فإن قلت) ما وجه الرفع والنصب فى فيكون (قلت) النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحل الرفع الأنراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه باقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما فى حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبدالله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذاسحر وهو الرثة عنوا أنه بشر لا ملك (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك واللقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا إليه ۝ تنكأ خير (الذى إن شاء) وهب لك فى الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك

(قوله وإن أورث ذودا شصائصا جمع شصوص بالفتح وهى الناقة القليلة اللبن (قوله سخرية منهم وطعن) فى الصحاح الطعن السخرية

بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۖ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ۚ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُّقْرِنِينَ
دَعَوْا هُنَاكَ ثُبُورًا ۖ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۚ قُلْ أَذْكَاءٌ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي
وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۚ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۚ وَيَوْمَ

في الآخرة من الجنات والقصور ۚ وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله وإن أتاه خليل يوم مسئلة ۚ يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في ويجعل لك إذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط
بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل
بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة
وهم لا يؤمنون بالآخرة ۚ السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن رضى الله عنه أنه اسم من أسماء جهنم (رأتهم)
من قولهم دورهم تترا أى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا ترا أى نارهما كأن بعضها يرى بعضها على سبيل المجاز
والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المنغيظ والزافر ويجوز أن يراد
إذا رآتهم زبانتها تغيطوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم السكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة
ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا
وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضيق والإرهاق حيث أقام في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسيره أنه يصيق عليهم كما يصيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون
في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد ۚ والثبور
الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبورا أى تعال ياثبور فهذا حينك وزمانك (لا تدعوا) أى يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن
يقال لهم وإن لم يكن ثمة قول ومعنى (وادعوا ثبوراً كثيراً) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير
إمالة العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدة وقضاة أولاهم كلما فضجت جلودهم بدلوا غيرها فإلا غاية هلاكهم
الراجع إلى الموصولين محذوف يعنى وعدا المتقون وما يشاؤنه وإنما قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققة
كأنه قد كان أو كان مكتوباً في اللوح قبل أن يرأهم بأزمة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فإن قلت) ما معنى قوله
(كانت لهم جزاء ومصيراً) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرفتقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بمس الشراب
وسامت مرفتقا فمدح العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للتعلم إلا بطيب المكان وسعته وموافقة للراد والشهوة وإن لا تنغص
وكذلك العقاب يتضاعف بغثائه الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع
ذكر الجزاء والضمير في (كان) لما يشاؤون والوعد الموعود أى كان ذلك موعوداً واجبا على ربك لإنجازه حقيقة أن
يسئل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك

ۚ قوله تعالى إذا رآتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً (قال فيه هو من قولهم دورنى فلان تترا أى على المجاز)
قال أحمد لا حاجة إلى حمله على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة وقد أظفرت الظواهر على وقوع
هذا الجواز وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدرا كاحسباً وعقلياً لا ترى إلى قوله سمعوا لها تغيظاً وإلى حاجتها مع
الجنة وإلى قولها هل من مزيد وإلى اشتكاها إلى ربها فأذن لها في نفسين إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى
تأويلها إذ لا محجج إليه ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادى الضلالة والتحيز

(قوله يتضاعف بغثائه الموضع) أى فسادته وردائه والاجتواء كراهة المقام بالمكان أفاده الصحاح

يَحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ قَالُوا سَبَّحْتَكَ

ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ۚ يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلي الأصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعاً (فإن قلت) كيف صح استعمال ما في العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شجرا من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حيث من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تغني أطويل أم قصير أفتيه أم طيب (فإن قلت) ما فائدة أنتم وهم وهلا قبل أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإبلاغه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه (فإن قلت) فإله سبحانه قد سبق عليه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يحجوا بما أجابوا به حتى يبيك عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبتها وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليسكن حكاية ذلك في القرآن لطمأ للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤون من إضلالهم ويستعذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجدلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا رأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعذوا منه فهم لربهم الغنى العدل أشد تبرئة وتنزيهاً منه ولقد زهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبور إلى الكفرة فشرحو الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللهم والمعنى أنتم أوقعتهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم ۚ وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداة الطريق والأصل إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالاً أي ضائعاً لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو

إلى فرق الفلاسفة فالحق أنا متعبدون بالظاهر مالم يمنع مانع والله أعلم ۚ قوله تعالى ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله إلى قوله قوما بورا (قال) في هذه الآية كسر بين لمن يزعم أن الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤون منهم ويستعذون بما نسب إليهم ويقولون بل تفضلت على هؤلاء أو يجب أن جعلوا عوض الشكر كفراً فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتنزيهاً منه ولقد زهوه حيث أضافوا التفضل بالنعمة إلى الله تعالى وأسندوا الضلال الذي نشأ عنه إلى الضالين فهو شرح للإسناد المجازي في قوله بضل من يشاء ولو كان مضلاً حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللهم (قال أحمد) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق في هذا المعنى وأن الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم للتوحيد المحض والإيمان الصرف الذي دل على صحته بعد الأدلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شيء والضلال شيء فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم وأما من حيث الخصوص فأمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدي

(قوله هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لعله أم ضلوا كعبارة النسفي (قوله فيبتها وينخذلوا وتزيد حسرتهم) يدهشوا أو يتحيروا أفاده الصحاح (قوله لقول من يزعم أن الله) يريد أهل السنة القائلين بإضلال الله لعباده خلق الضلال في قلوبهم خلافاً للمعتزلة القائلين أنه تعالى لا يخلق الشر ولا يريده

مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۖ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَنِّكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝

لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو لظقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسيحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة والذين كفروا أولياءهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المديني تتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعني اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ ولياً وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلاناً ولياً قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله إبراهيم خليلاً فالقراءة الأولى من المتعدى إلى واحد وهو من أولياء والأصل أن تتخذ أولياء فزيدت من لنا كيد معنى النفي والثانية من المتعدى إلى مفعولين فالأول ما بنى له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعية أى لاتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذكر ذكر الله والإيمان به أو القرآن والشرائع ۝ والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائد وعود ۝ هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ۝ ثم القول فقد جئنا خراسانا

۝ وقرئ يقولون بالناء والياء فعنى من قرأ بالناء فقد كذبوكم بقولكم أنهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم

من تشاء والأصل الحقيقة وقول موسى عليه السلام إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء فلو كان الإضلال مستحيلاً على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه الكليم بما لا يجوز فإذا أوضح ذلك فالملائكة لم يستلوا في هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة فيقال لهم من أضل هؤلاء وإنما قيل لهم أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق للعتيد أن يقولوا أنت أضللتم ولو كان معتقدهم أن الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم في جواب هذا السؤال بل أنت أضللتمهم مجاوزة لحز السؤال ومحلّه وإنما كان هذا الجواب مطابقاً لوقيل لهم من أضلّ عبادي هؤلاء فقد وضع أن هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله الزمخشري بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذى أضلهم وأن عدوهم عنه ليس لأنهم لا يعتقدونه ولكن لأنه لا يطابق وقد بقي وراء ذلك نظري أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لأهل الحق لأن أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وإن خلق لهم الضلالة إلا أن لهم اختياراً فيها وتميزاً لها ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات العرشية ونحوها وقد قدمنا في مواضع أن كل فعل اختياري له نسبتان إن نظر إلى كونه مخلوقاً فهو منسوب إلى الله تعالى وإن نظر إلى كونه اختيارياً لا عبد فهو منسوب إلى العبد وبذلك قطعت الملائكة في قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فنسبوا نسيان الذكر إليهم أى الانهماك في الشهوات الذى نشأ عنه النسيان لأنهم اختاروه لأنفسهم فصدمت نسبته إليهم ونسبوا السبب الذى اقضى نسيانهم وانهماكهم في الشهوات إلى الله تعالى وهو استدراجهم ببسط النعم عليهم فيها ضلوا فلا تنافى بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حيثئذ بل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

(قوله هذه المفاجأة بالاحتجاج) التى فى قوله تعالى فقد كذبوكم

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَسُكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ۝ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَسُكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ

سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فإن قلت) هل يختلف حكم البلاء مع التاء والبلاء (قلت) إى والله هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهى مع الياء كقوله كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضاً يعنى فما يستطيعون أتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أى يحتال أو فما يستطيع آهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يخالوا لكم ۝ الخطاب على العموم للمكلفين ۝ والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله إن الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ۝ وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم ۝ الجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعنى من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا إلا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد ۝ وقرئ يمشون على البناء للمفعول أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق (فتنة) أى تحنة وابتلاء وهذا تصدير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستدعوه من أكله الطعام ومشييه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاولهم الخارجية عن حد الإنصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثير وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وموقع (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليلوكم أيكم أحسن عملا (بصيرا) عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيق صدرك ولا يستخفك أقاويلهم فإن في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسليته لعمامير به من الفقر حين قالوا أويلق إليه كنز أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وأنها حكمتهم ومشيئته بغنى من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو بمزوجة بالدنيا فإمّا بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى وقيل كان أبوجهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل ومن في طبقهم يقولون إن أسلنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض ۝ أى لا يأملون لقاءنا بالخبر لأنهم كفرة أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقاراً جعلت الصيرة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا ۝ افترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء وأن الله لا يصح أن يرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعتن باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فإن قلت) ما معنى (في أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان ۝ وقد وصف العتو بالكبير فبالغ

(قوله ولو قرئ يمشون لكان أوجه) مبني للفاعل وفي نسخة يمشون (قوله لا يصح أن يرى) هذا مذهب

وَيَقُولُونَ حَجَرًا مَّحْجُورًا ۖ وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ لَّجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۚ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا ۚ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها قول القائل

وجارة حساس أبانا بنابها ۚ كليا غلت ناب كليب بواؤها

وفي نحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب (يوم يرون) منصوب بأحدثيئين إما بمادلّ عليه لا بشرى أى يوم يرون الملائكة ينعون البشرى أو بعدمونها ويومئذ للتكرير وإما بإضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وقوله للمجرمين إما ظاهر في موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه (حجر المحجور) ذكره سيويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروكة إظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة ثانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو متورا وهجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجر اوهى من حجره إذا منعه لأن المستعذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً ويجثيه على فعل أو فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر ۚ عوذ برى منك وحجر

(فإن قلت) فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقرحونه وهم إذا رآهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو والمتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم ۚ ليس ههنا قدوم ولا ما يشبهه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشياءهم وقصد إلى ماتحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً ولا غيراً ۚ والهباء ما يخرج من السكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء (منثوراً) صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمشور منه لأنك تراه منتظماً مع الضوء فإذا حركته الريح رأيت أنه قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ما كرل لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفاً بالأل كال ولأن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثراً أو مفعول ثالث لجعلناه أى لجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أى جامعين للسخ والخس والام الهباء أو بدليل الهبوة ۚ المستقر الممكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحدثون ۚ والمقبل الممكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهم وملاستهم كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك

المعتزلة وعند أهل السنة يصح أن يرى (قوله نحو معاذ الله وقعدك الله) في الصحاح وقولهم قعدك لا آتيك وقعدك الله لا آتيك وقعدك الله لا آتيك عيين للعرب وهي مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر والمعنى بصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى كما يقال نشدتك الله (قوله عند لقاء العدو المتور) في الصحاح الذي قتل له قاتل فلم يدرك بدمه (قوله لم يترك لها أثراً ولا غيراً) في الصحاح العير يتسكن الناء الغبار (قوله أو مفعول ثالث بالأل كال) في الصحاح الأ كال بالضم الحكمة

الرَّحْمَنُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى السَّكَفَرَيْنِ عَسِيرًا ۝ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَوْمَئِذٍ لِّيَتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ

اليوم فيقول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي معناه قوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون قبل في تفسير الشغل افضاض الأبار ولا نوم في الجنة وإنما سمي مكان دعهم واسترواحهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الأحسن رمز إلى ما يميز به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من التماسين والزين ۝ وقرئ (تشقق) والأصل تشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فإن قلت) أي فرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن إلا لبي إسرائيل في تبهم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ۝ وقرئ ونزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل قراءة أهل مكة ۝ الحق الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى إلا ملكه ۝ عض اليمين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنات وحرق الأسنان والأرم وقرعها كنيات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثّر بحالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعابته وقال صبا يا عقبة قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستجيت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسى فقال وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمراً علياً رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصاري وقال يا محمد إلى من الصية قال إلى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياً بأحد فرجع إلى مكة فأتى واللام في (الظالم) يجوز أن تكون للعهد براديه عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره ۝ تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقاً واحداً وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد أنى كنت ضالاً لم يكن لي سبيل قط فليتنى حصلت بنفسى في صحبة الرسول سبيلاً ۝ وقرئ يا ويلتى بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادى ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وإنما قلبت الياء ألفاً كما في صحارى ومدارى ۝ فلان كناية عن الإعلام كما أن الهم كناية عن الاجتناس فإن أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم اتخذ أياً خيلاً فسكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خيلاً كان خياله اسم علم لا محالة فجملة كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على

(قوله وأكل البنات وحرق الأسنان والأرم) في الصحاح حرقت الشيء حرقاً بروتة وحككت بعضه ببعض ومنه قولهم حرقت نابه أى سحقته حتى سمع له صريف وفلان يحرق عليك الأرم غيظاً وفيه أيضاً أرم على الشيء أى عض عليه وأرمة أيضاً أى أكله والأرم الأضرار كأنه جمع أرم يقال فلان يحرق عليك الأرم إذا غيظك فحك أضراره بعضها ببعض (قوله وقال يا محمد إلى من السية) في الصحاح السية المرأة تسبى

لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۖ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۖ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۖ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۖ الَّذِينَ

الإسلام ۖ والشيطان إشارة إلى خليفه سماه شيطانا لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله لم ينفعه في العاقبة أو أراد إبليس وأنه هو الذي حمله على مخالفة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشبطن من الجن والإنس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله اتخذت يقرأ على الإِدْغَام والإِظْهَار والإِدْغَام أكثر ۖ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قریش حتى الله عنه شكواهم قومه إليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء كانوا إذا التجؤا إليه وشكوا إليه قومه حل بهم العذاب ولم ينظروا ۖ ثم أقبل عليه مسليا ومواسيا واعد النصر عليهم فقال (وكذلك) كان كل نبي قبله مبتلى بعداؤه قومه وكفالك في هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرأ لك عليهم ۖ مهجور اتركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفاً لم يتعهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجوراً أقض بيني وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أى جعلوه مهجوراً فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين والثاني أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى المهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجراً ۖ والعنق يجوز أن يكون واحداً وجمعاً كقوله فإنهم عدو لى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى أنزل لا غير كخبر بمعنى أخبر وإلا كان متدافعا وهذا أيضاً من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجاهلهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق والقائلون قریش وقيل اليهود وهذا فضول من القول وعبارة بما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفزقا وقوله (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفزقا ۖ والحكمة فيه أن نقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعبا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجماً في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضاً فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيمياً أنزل مفزقا (فإن قلت) ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم هو إنزاله جملة واحدة فكيف فسرت به بكذلك أنزلناه مفزقا (قلت) لأن قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفزقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لا ذنوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملة (ورتلناه) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفه عقيب وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلاً أى اقرأه بترسل وثبت ومنه حديث عائشة رضى الله عنها في صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسر دكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه يعدها وأصله الترتيل في الأسنان

(قوله ثم أقبل عليه مسليا ومؤسيا) في الصحاح أسيتة تأسيسية عزيتة (قوله لبعل به وتعبا بحفظه) في الصحاح لبعل الرجل بالكسر أى دهش وفيه أيضاً عيت بأمرى إذا لم تهتد لوجهه وأعيا عليه الأمر وتعيا وتعايا بمعنى اه قنبر

يَحْشُرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۖ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۖ وَقَوْمُ نُوحٍ
لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ
الرَّسِّ وَقَرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۖ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لُؤْلُؤًا مِثْلَ وَكُلَّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ۖ وَلَقَدْ أَنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الأفحوان في تفليجه وقيل هو أنزله مع كونه متفرقا على تمسك وتهل في
مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من سؤالهم الباطلة كأنه مثل في البطلان
إلا آيتنا نحن بالجواب الحق الذي لا يحيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ۖ ولما كان التفسير هو التفسير
عمائيل عليه السلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال
وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحوان يقرن بك ملك ينذر معك أو يأتى إليك كنز أو تكون لك جنة
أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيتك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكميلاً لما
بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزله مفترقا وتحذيرهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز
وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم إن حاملكم
على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحقرن مكانه ومنزلته ۖ ولو نظرتم بعين الإنصاف وأتم من المسحوبين على
وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أي القرينين خير مقاماً
وأحسن ندياً ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة
أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلاً ۖ الوزارة تافى النبوة فقد كان يبعث في الزمن
الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً والمعنى فذهبوا إليهم فكذبواهم فدمروهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانقلب أي
فضرب فانقلب أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها أعني إلزام الحجة ببعثه الرسل
واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمرهم وقرئ فدمرناهم على التأني كيد بالنون الثقيلة كأنهم
كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل صريحاً أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع أولم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة
(وجعلناهم) وجعلناهم أغرافهم أو قصصهم (للظالمين) إما أن يعني بهم قوم نوح وأصله وأعدنا لهم إلا أنه قصد تظليهم فأظهرهم وإما
أن يتناولهم بعمومه ۖ عطف عاداً على هم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى واعدنا الظالمين ۖ وقرئ وثمود على تأويله القيلة وأما
المنصرف فعلى تأويل الحى أولاً لأنه اسم الأب الأكبر قيل في أصحاب الرس كانوا قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواس فبعث الله
إليهم سميعاً فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبيناهم حول الرس وهو البرغير المطوية عن أبي عبيدة انهارت
بهم غسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية ببلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي
حنظلة بن صفوان كانوا مبشرين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جملهم الذي يقال
له فتح وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم أنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا
وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس يأنطاكية قتلوا فيها حبياً الجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه
في بئر أي دسوه فيها (بين ذلك) أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك وبحسب
الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا له الأمثال)

أَمْطَرْتُ مَطَرَ السَّوءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ أَهْمَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ
يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ أَضْلَ سَبِيلًا ۝ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ

بيننا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله
وتدميره ۝ والتدبير التفيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج ۝ وكل الأتول منصوب بمادل عليه
ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له ۝ أراد بالقريية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلها
الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة ۝ ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشا مزوامرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك
القريية التي أهلكت بالحجارة من السماء (أفلم يكونوا) في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون (بل
كانوا) قوما كفرا بالبعث لا يتوقعون (نشورا) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن
ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومزواها كما مزت ركبهم أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب
أعمالهم أولا يخافون على اللغة التهامية ۝ إن الأولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما ۝ واتخذ هزوا
في معنى استهزا به أو الأصل اتخذه موضع هزوا وهزوا به (أهذا) محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار (وبعث الله رسولا)
وإخراجه في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار تخزية واستهزاء ولم يستهزؤا قالوا أهذا الذي زعم أو ادعى
أنه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم (إن كاد ليضلنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله
قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام
لولا فرط لجاحهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم و (لولا) في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة
يجرى التقيد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طال مدت الإمهال ولا بد للوعيد أن
يلحقهم فلا يغترهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا) كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله ۝ من كان في طاعة
الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليل ولا يصنع إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله
هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفنتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد
أن تسلم شئت أو آيت ولا إكراه في الدين وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بصيطر ويروى أن الرجل
منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي أم هذه منقطعة معناه بل
أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لأنهم
لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة
منها (فإن قلت) لم آخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلهها (قلت) ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية
كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطق (فإن قلت) ما معنى ذكر الأكثر (قلت) كان فيهم من لم يصد عنه

قوله تعالى أريت من اتخذ إلهه هواه (قال إن قلت لم قدم إلهه وهو المفعول الثاني وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك
ظننت منطلقا زيدا إذا كانت عنايتك بالمنطق) قال أحمد وفيه نكتة حسنة وهي إفادة الحصر فإن الكلام قبل دخول
أريت مبتدأ وخبر المبتدأ هواه والخبر إلهه وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أريت من لم يتخذ معبوده
إلا هواه فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه والله أعلم

(قوله ووصفنا لهم ما أجروا عليه) لعله ما أجروا

أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا

الإسلام الأداء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا (فإن قلت) كيف جعلوا أضل من الإنعام (قلت) لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تلغفها وتتعهدها وتعرف من يحسن إليها بمن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينفقون لرهبهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الحنفي والعذب الروي (ألم ترى إلى ربك) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينسبط فينتفع به الناس (ولو شاء لجعله ساكنا) أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا فينبون حاجتهم إلى الظل واستغنائهم عنه على حسب ذلك وقبضه إليه أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أى على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع مالا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فإن قلت) ثم في هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها للتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فبتنا ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخها بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الأجرام التى تبقى الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستمر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فإن قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) النشور في مقابلته بأباه أباء العيوف الورد وهو مرتق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب يستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أى عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فننشر قرئ الريح والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور وهى الحية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرو (بين يدي رحمة) استعارة مليحة أى قدام المطر

(قوله من كونه ثابتا في مكان زائلا) لعله زائلا عن آخر (قوله أنه ينسخه بضح الشمس) فى الضحاح ضحج السراب وتضعض إذا ترقق والضح الشمس وفى الحديث لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان (قوله ظلها على الأرض فبتنا ما في أديمه جوب) فى الصحاح الفينان الطويل وفيه الأدم جمع الأديم مثل أفق وأفق وربما سمي وجه الأرض أديما وفيه جاب يجوب جوبا إذا خرق وقطع فتدبر (قوله بأباه أباء العيوف الورد وهو مرتق) فى الصحاح العيوف من الإبل الذى يشم الماء فيدعه وهو عطشان وفيه رفقة ترنقا كدبرته (قوله قرئ الريح والرياح نشرا إحياء) لعله ونشرا أى وقرئ نشرا وقوله إحياء لعله أى إحياء فليحرر

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لِنُخَيِّ بِهٖ بَلَدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِي كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ

(طهورا) بليغا في طهارته وعن أحد من يحي هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا غيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويضدده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقده النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوا حسنا ذكره سيويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بطهور أى طهارة (فإن قلت) ما الذى يزيل عن الماء اسم الطهور (قلت) يتقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الطان تغير أحد أو صافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله في الدين لاداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس رضى الله عنهما ما لم يتغير أحد أو صافه فهو طهور (فإن قلت) فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين وإنما قال (ميثا) لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسيقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل ۝ وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا ۝ الأناسى جمع إنسى أو إنسان ونحوه ظرائى في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرايين وقرئ بالتخفيف بخذف باء أفاعيل كقولك أناعم في أناعم (فإن قلت) إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملنى الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقى الأناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتميلا للمنة عليهم وبيان أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فإن قلت) لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت) لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسى وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإناعام عليهم بسقى أنعامهم كالإناعام بسقيهم (فإن قلت) فما معنى تنكير الإناعام والأناسى ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء فيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فإن قلت) لم قدم احياء الأرض وسقى الأنعام على سقى الأناسى (قلت) لأن حياة الأناسى بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواسيهم لم يعدوا سقياهم ۝ يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التى أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فأبى) أكثرهم إلا كفران النعمة وجودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والافات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من ابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفرور وأن يقولوا مطرنا بناء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطر آمن عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية قروا أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد ويتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسى كأنه قال لنحي به بعض البلاد الميثة ونسقيه بعض الأنعام والأناسى وذلك البعض كثير (فإن قلت) هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الاثواء (قلت) إن كان لا يراها إلا من الاثواء ويجحد أن تكون هى والاثواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى إن الله خالقها وقد نصب الاثواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر ۝ يقول لرسوله

(قوله وظرايين قرئ بالتخفيف) لعله وقرئ (قوله وجود ورذاذ وديمة ورهام) أى مطر ضعيف والرهام جمع رهمة وهى المطرة الضعيفة الدائمة كذا فى الصحاح

بَيْنَهُمْ يَنْذَرُوا فَابْتَأَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَهَدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا *
قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لحففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و(لبعثنا في كل قرية) نبياً ينذرها وإنما قصرنا الأمر
عليك وعظمتناك به وأجلناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك
عليه وإنما أراد بهذا تهيجه وتمييز المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن أولئك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع
والمراد أن الكفار يجحدون ويجهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلمهم
وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيراً من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجب على كل نذير مجاهدة قريبه فاجتمعت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدكم) بسبب كونك
نذير كافة القرى (جهاداً كبيراً) جامعاً لكل مجاهدة * سمي المائين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة
حتى يضرب إلى الخلاوة والأجاج نقضه * ومرجعهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما
التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر بمروج وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج
(برزخاً) حائلاً من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مربية وهو قدرته * وقرئ ملح على فعل وقيل
كانه حذف من مألح تخفيفاً كما قال وصلينا برداً يريد بارداً (فإن قلت) (وحجراً محجوراً) ما معناه (قلت) هي الكلمة التي
يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له
حجراً محجوراً كما قال لا يبغيان أى لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد
منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة * أراد قسم البشر
قسمين ذوى نسب أى ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن
ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكور والأنثى (وكان ربك قديراً) حيث خلق من النطفة الواحدة بشر أنواعين ذكراً
وأنثى * الظهير والمظاهر كالعين والمعاون وفعل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه
بالعداوة والشرك روى أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء
الصديق والخليط يريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل
هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هيناً مهيناً من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه
وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم * مثال (إلا من شاء) والمراد إلا فعل من
شاء واستثنائه عن الأجر قول ذى شفقة عليك قدس لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثواباً على ما سمعت إلا أن تحفظ
هذا المال ولا تضعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد

وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ۝ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي

فائدتين إحداهما قلع شبه الطمع في الثواب من أصله كأنه يقول لك إن كان حفظك لمالك ثوابا فإني أطلب الثواب والثانية إظهار الشفقة البالغة وأنتك إن حفظت مالك أعتد بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه ۝ ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة وقبل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله ۝ أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء ضرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحى الذى لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتشكل على غيره من الأحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء آمنوا أم كفروا وأنه خير بأعمالهم كاف في جزاء أعمالهم (في ستة أيام) يعنى في مدة مقدارها هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله ملائكته تلك الأيام المقطرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام وأما الداعى إلى هذا العدد أغنى الستة دون سائر الأعداد فلأنشك أنه داعى حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقدير إلا بداعى حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدى لإمعنه ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحمة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبع والأرض كذلك والصلاوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعى الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب هو الإيمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك إلا هو وهو الجواب أيضا في إن لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنهما إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعلما لخلق الرق والثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين ۝ الذى خلق مبتدأ و (الرحمن) خبره أوصفة للحى والرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحى ۝ وقرئ فسل والباقى به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقوله بحث عنه وقش عنه ونقر عنه أو صلة خير أو تجعل خيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خيرا كقوله رأيت به أسدا أى برؤيته والمعنى إن سأله وجدته خيرا أو تجعله حالا عن الهام تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من يشكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذى باليامة يعنون مسيلة وكان يقال له رحمن اليامة (وما الرحمن) يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى (لما تأمرنا) أى الذى تأمرنا به بمعنى تأمرنا بعبودته على قوله أمرتك الخير أو لأمرتك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما أمرنا

(قوله حتى يعرف من يشكره ومن ثمة) عبارة النسفي تعرف

جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِّمَنۢ ارَادَ اَنْ يَذَّكَّرَ اَوْ ارَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِيۡنَ يَمْشُوۡنَ عَلٰى الْاَرْضِ
هَوْنًا وَاِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُوۡنَ قَالُوۡا سَلٰمًا ۝ وَالَّذِيۡنَ يَبْتَغُوۡنَ لِرَبِّهِمْ يَحْسَدًا وَّيَقِيۡمًا ۝ وَالَّذِيۡنَ يَقُوۡلُوۡنَ رَبَّنَا اصْرِفْ
عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ اِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ اِنَّهَا سَاعَتٌ مُّسْتَقَرَّةٌ وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِيۡنَ اِذَاۤ اُنْفَقُوۡا لَمْ يُسْرِفُوۡا وَلَمْ

يحمد صلى الله عليه وسلم أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي (زادهم) ضمير ايجدوا للرحمن لانه هو المقول البروج
منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى
والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج
لظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ مسرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ
الحسن والاعمش وقرأ أميرا وهي جمع ليلة قراء كأنه قال وذا قرأ منيرا لأن الليالي تسكر قرأ بالقمر فأضافه إليها ونظيره في بقاء
حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان :

يريد ما بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي
الحلة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفه أى ذوى عقبه أى يعقب هذا ذاك
وذلك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفه واختلاف
إذا اختلف كثيرا إلى متبرزه وقرئ يذكرو يذكرو وعن أبي بن كعب رضى الله عنه يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر
فيه لم أن لا بد لا تتقاهما من حال إلى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة
فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله وليكونا وقتين للتذكرين والشاكرين من فاته في أحدهما وردة من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن رضى الله عنه
من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب (وعباد
الرحمن) مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزؤون الغرفة ويجوز أن يكون
خبره الذين يمشون وأضافهم إلى الرحمن تخصيصاً وتفضيلاً وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة للشئ
بمعنى هينين أو مشياً هيناً إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحب
حببك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل إذا عز أخوك فهن ومعناه إذا عاسر فياسر والمعنى أنهم يمشون
بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم إشرافاً وبطراً ولذلك كره بعض العلماء الركوب
في الأسواق ولقوله يمشون في الأسواق (سلاماً) تسليماً منكم لاجتماعكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شرأى يتسلم منكم تسليماً فأقيم
السلام مقام التسلم وقيل قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة
من قوله :

ألا لا يجهل أحد علينا ۝ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقاتلة مستحسن في الأدب والمروءة
والشريعة وأسلم للعرض والورع ۝ البيتوة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تتم وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن
في صلاته وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم
ياحياء الليل أو بأكثره يقال فلان يظل صائماً ويبيت قائماً (غراماً) هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً قال :

يوم النصار ويوم الجفا ۝ ركانا عذاباً وكأنا غراماً

(قوله ويقال بفلان خلفه) لعله لفلان (قوله وقلة الأدب وسوء الرعة) في الصحاح يقال فلان سيء الرعة أى
قليل الورع وفيه قيل ذلك الورع بكسر الراء الرجل التقى وقد ورع يرع بالكسر فيهما ورعاً ورعة

يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ

وقال إن يعاقب يكن غراما وإن يه ط جزى لا يبالى

ومنه الغريم لإلحاحه وإزاهه * وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة (ساعت) في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقر أو المخصوص بالذم مخذوف معناه ساءت مستقر أو مقاما هي وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أجزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقر حال أو تمييز والتعليل أن يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم * قرئ يفتتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والفتز والافتار والتفتير التصديق الذى هو نقيض الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله ﷺ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الإسراف إنما هو الإلتفاف في المعاصي فأما في القرب فلا إسراف وسمع رجل يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت رجاء بكلام حسن فقال ابن عبد الملك إنما هو كلام أعدته لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السنتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يابني أهذا أيضا ما أعدته وقيل أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يستجوعونهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يسترعونهم ويكسبون من الحرز والقرز وقال عمر رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى رجل شيئا إلا اشتراه فأكله والقوام العدل بين الشديدين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما نقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعني بين ذلك قواما جاز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا أو أن يكون الظرف خبرا أو قواما محالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبنى لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير إن نطقت * وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لأن ما بين الإسراف والتفتير قوام لاحتمال فليس في الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أى حرمها والمعنى حرم قتلها و(إلا بالحق) متعلق بهذا القتل المخذوف أو بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم بما أنتم عليه والقتل بغير الحق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضى الله عنه قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزاني حليلة جارك فأنزله الله تصديقه * وقرئ يلق فيه أثاما وقرئ يلقى بإثبات الألف وقد مر مثله والأثام جزاء الإثم بوزن الوبال والنكال ومعناها قال

جزى الله بن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أنام

وقيل هو الإثم ومعناه يلقى جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب (بضاعف) بدل من يلقى لأنهما فى معنى واحد كقوله متى تأتينا تلهم بنا فى ديارنا * نجد خطبا جزلا ونارا تأججا

(قوله من الحرز وقال عمر) أى البرد (قوله غير إن نطقت وهو من جهة) بقية حماسة فى غصون ذات أوقال وفى الصحاح أن لا أوقال شجر المقل وإن المقل ثمر الدوم (قوله أياما أى شدائد) وفى الصحاح الأيام الدخان

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا بِشَآئِئِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُومًا وَغَمِيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد
وقرئ ويخلد على البناء للفعول مخففا ومثقلا من الإخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالناء على الالتفات (يبدل) مخفف
ومثقل وكذلك سيئاتهم (فإن قلت) مامعنى مضاعفة العذاب وإبدال السيئات حسنات (قلت) إذا ارتكب المشرک معاصي
مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وإبدال السيئات حسنات أنه
يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشرکين
وبالزنا عفة وإحصانا ۝ يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله (متابا)
مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فإنه تائب متابا إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون
والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمان الوارد
والعقيم الوالد أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع ۝ يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين
ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانه لدينهم عما يثله لأن مشاهدة الباطل
شركة فيه ولذلك قيل في النظارة إلى كل مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الإثم لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا
به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى
ابن مريم عليه السلام إياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور لخدف المضاف وأقيم المضاف اليه
مقامه وعن قتادة الس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشرکين ۝ اللغو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح
والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم
كقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن
رضي الله عنه لم تسفهم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وقيل إذا ذكروا النكاح
كنوا عنه (لم يخروا عليها) ليس بنى للخروج وإنما هو إثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو
للسلام للالقاء والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على الذكر بها وهم في إكبابهم عليها
سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكركر بها مظهرين الحرص
الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون مافيا كالمناققين وأشباههم قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة
أعين وقرات أعين سألوأربهم أن يرزقهم أزواجا وأقبا عمالا لا يسرون بمكانهم وتقربهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء
أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوأربهم
أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة لئتم لهم سرورهم أراد أنما فاكثي بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله
تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أرادوا جعل كل واحد منا إماما أو أراد جمع أمكصائهم وصيام أو أرادوا جعلنا إماما واحدا لاتحادنا
واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرئاسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات
في العشرة المبشرين بالجنة (فإن قلت) من في قوله من أزواجنا ما هي (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة
أعين ثم بينت القرّة وفشرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا
أى أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فإن قلت) لم قال

قُرَّةُ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا *

قُرَّةُ أَعْيُنٍ فَتَسْكُرُ وَقُلْ (قلت) أما التفسير فلأجل تسكير القرّة لأن المضاف لاسيّل إلى تسكيره إلا بتسكير المضاف إليه كأنه قيل هب لنا منهم سروراً وفرحاً وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقيل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال فى تسكير أعين أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين المراد يجزون الغرفات وهي العلالى فى الجنة فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم فى الغرفات آمنون وقراءة من قرأ فى الغرفة (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشيعاء فى كل مصبور عليه * وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسروراً ويلقون كقوله تعالى يلق أئاماً * والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيى بعضهم بعضاً وسلم عليه أو يعطون التبية والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم فى دار رضوانك * لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم فى الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكثر لأولئك وعبادهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكثرات لهم عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها للمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكثر لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالى به * والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي فى محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأى عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم يعنى أنكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتدته به من فوادم هموى وبما يكون عباً على كما تقول ما اكرثت له أى ما اعتدته به من كوارثى وبما يهمنى وقال الزجاج فى تأويل ما يعبا بكم ربى أى وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية (فقد كذبتم) يقول إذا أعلمتكم أن حكى أنى لا أعتد بعبادى إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكى فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم فى النار ونظيره فى الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادى أن أحسن إلى من يطيعنى ويتبع أمرى فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه لياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة (فإن قلت) إلى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخطبوا بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب * وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزماً وعن مجاهد رضى الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتل لزماً * وقرئ لزماً بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتننه الوصف والله أعلم بالصواب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

* قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّةُ أَعْيُنٍ (قال إن قلت لم قلل الأعين إذ الأعين صيغة جمع قلت لأن أعين المتقين قليل بالإضافة إلى غيرهم يدل على ذلك قوله وقيل من عبادى الشكور) قال أحمد والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّةُ أَعْيُنٍ وهذا أسلم من تأويله فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلاً إلا أنهم فى أنفسهم على كثرة العدد والمعتبر فى إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلاً فى نفسه لا بالنسبة والإضافة والله أعلم

سورة الشعراء مكية

إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ * إِنْ تَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ
الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَسُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَوْ لَمْ يَرَوْا
إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ

(سورة الشعراء مكية)

(إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهي مائتان وبسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون آية)
(بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم) بتفخيم الالف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها (الكتاب المبين) الظاهر إعجازه
وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب
المبين * البقع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للإشفاق يعنى
أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لثلا يؤمنوا ولا امتناع إيمانهم
أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضى الله عنه باخع نفسك على الإضافة * أراد آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه
(فظلت) معطوف على الجزاء الذى هو نزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق
وقد قرئ لوشننا لأنزلنا وقرئ فظل أعناقهم (فإن قلت) كيف صح بجى خاضعين خبراً عن الأعناق (قلت) أصل
الكلام فظلوها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة
كان الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لى ساجدين وقيل أعناق الناس
رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق كقيل لهم هم الرؤس والنواصى والصدور قال * فى تحفل من نواصى الناس مشهود *
* وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضى
الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بنى أمية قال ستكون لنا عليهم لدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان
بعد عزة * أى وما يجد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به (فإن قلت) كيف خولاف
بين الألفاظ والغرض واحد وهى الإعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض
كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية
لأن من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موثقا له (فسياأتهم)
وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (ما) الشئ الذى كانوا يستهزون به وهو
القرآن وسياأتهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة
لكل ما يرضى ويحمد فى بابه يقال وجه كريم إذا رضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم مرضى فى معانيه وفوائده وقال
حتى يشق الصفوف من كرمه أى من كونه مرضيا فى شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع
(إن فى) إنبات تلك الأصناف (لآية) على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم

(قوله لثلا يؤمنوا ولا امتناع إيمانهم) عبارة النسفي أو لا امتناع (قوله بالأعناق كقيل لهم هم) لعله كقيل لهم الرؤس

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ إِنَّ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَتَّقُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي

غير مرجو إيمانهم (وإن ربك هو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فإن قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم (قلت) قد دلّ كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته (فإن قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلي ذكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات نفعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وبه على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأن الحكم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح والحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها الغافلون (فإن قلت) فحين ذكر الأزواج ودلّ عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصى إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وها قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشارآ به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في الآيات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر يحمل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعقبان على مؤدى واحد إن شاء ذا كرم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقوتى فخذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالسكرة (فإن قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل لإرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التي شغعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ ألا يتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحز مزاجه وحمى غضبه قطع مباحة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم تستح من الناس (فإن قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة والملفت إليهم غيب لا يشعرون (قلت) إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه محضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردتها وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يأناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ۝ ويضيق وينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر أن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث

﴿القول في سورة الشعراء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (قال إن قلت ما فائدة الجمع بين كل وكم وأجاب بأن كلا دخلت للإحاطة بأزواج النبات وكم دلّ على أن هذا المحيط به متكاثر مفرط الكثرة قال أحمد فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير الأنواع والظاهر أن المقصود آحاد الأزواج والأنعام ويدل عليه أنه لو أسقطت كل فقلت انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكانت مكثرا عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه فإذا أدخلت كلا فقد أدبت بتكريره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين والله أعلم

(قوله كم أنبتنا فيها من زوج كريم) لعل هنا سقطا تقديره كان مستقيما (قوله وحز مزاجه وحمى غضبه) في الصحاح حز يحز حزاً وحرارة وحروراً

أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۝ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِمَا تَنْتَسَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۝ فَاتَّيَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فإن قلت) في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جعلها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعاً فكيف جاز تعليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فإن قلت) اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى (فإن قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى وأخى هرون هو أفصح مني لساناً ومعنى (فأرسل إلى هرون) أرسل إليه جبرائيل واجعله نبياً وأزرنى به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودلّ بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبواهما فأهلكهم (فإن قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلم وقد علم أن الله من ورثته (قلت) قد أمثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونوا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فهد قبل التماسه عذره فيما التمس ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في أمثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلاً على النقبل لاعلى التعلل ۝ أراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم على تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلوني به فحذف المضاف أو سمي تبعة الذنب ذنباً كما سمي جزاء السيئة سيئة (فإن قلت) قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللاً وجعلتها تمهيداً للعذر فيما التمس فما قولك في هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللاً والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلام والدفع ۝ جمع الله الاستجابتين معاً في قوله (كلا فاذهبا) لأنه استدفعه بلاهم فوعده الدفع برده عن الخوف والتمس منه الموازنة بأخيه فأجابه بقوله اذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هرون (فإن قلت) علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذي يدل عليه كلاً كأنه قبل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكا كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقراً ومعكم لغواً (فإن قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا نجياً» ويقال استمع إلى حديثه وسمع حديثه أي أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع إلى حديث قوم وهم له

(قوله من الفصحاء المصاقع) في الصحاح صقع الديك صاح وخطيب مصقع أي بليغ (قوله واجعله نبياً وأزرنى به واشدده) في الصحاح أزرت فلانا عاونته والعامة تقول وأزرت (قوله وهي قود ذلك القتل) لعله القليل

أَنْ أَرْسَلَ مَعْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَ أَلَمْ تُزَيِّنْ لَنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ
الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ قَالَ فَعَلْتُمَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۖ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ

كارهون صبّ في أذنيه البرم (فإن قلت) هلاثنى الرسول كائني في قوله إن أرسولا ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل
وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاء التوسية فيه إذا وصف به بين الواحد
والثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال: الكنى إليها وخير الرسو ۖ ل أعلمهم بنواحي الخبر
لجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله: لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم ۖ بسرولا أرسلتهم برسول
ويجوز أن يوحد لأن حكمهما التساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللإخوة كان حكما واحدا فكأنهما
رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (إن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك
أن أفعل كذا لما في الإرسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التولية والإطلاق
كقولك أرسل البازي يريد خلعهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة
حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأذيا إليه الرسالة فعرف موسى
فقال له (ألم تزبك) حذف فأتيا فرعون فقولا له ذلك لأنه معلوم لا يشبهه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد
الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن أبي عمرو من عمره بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكثر
القبلي وهو ابن ثلثي عشرة سنة وفترتهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسروهي قتلة القبلي لأنه
قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأبى كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال
وويح بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفضعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون
حالا أى قتله وأنت لذلك من الكافرين بنعمتي وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان
يعايشهم بالتيقن فإن الله تعالى عاصم من يرد أن يستنبه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون
قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه
بدعائه أو بأنه من الكافرين لفرعون وإلهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونها يشهد لذلك
قوله تعالى ويذكر وأهلك وقرئ أهلك فأجابه موسى بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو (من الضالين) أى الجاهلين
وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمت ما فعلتم
يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير عمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل
إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبزأساحته بأن وضع الضالين موضع
الكافرين ربأ بمحل من رشح للنوة عن تلك الصفة ثم كثر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى

قوله تعالى حكاية عن فرعون وفعلت فعلتك التي فعلت الآية (قال عدد نعمته عليه وويح بما جرى على يده من قتل خبازه
وفضعه عليه بقوله وفعلت فعلتك) قال أحمد ووجه التفضيع عليه من ذلك أن في إتيانه به بحملاهما ليدان بأنه لفظا عنه مما لا ينطق به
إلا مكنيا عنه ونظيره في التفضيم المستفاد من الإيهام قوله تعالى فغشهم من اليم ما غشهم إذ يغشى السدرة ما يغشى فأوحى
إلى عبده ما أوحى ومثله كثير والله أعلم

(قوله صبّ في أذنيه البرم) في الصحاح البرم ثمر العضاض (قوله واستأصله من سنخه) في الصحاح السنخ الأهل
وسنخ في العلم سنوخا رسخ وسنخ الدهر بالكسراغة في زنج إذا فسد وتغيرت ربحه يقال بيت له سنخة وسناخة اه ولعل
السنخة في كلامه أيضا تأنيث السنخ

لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلُهُ

أن يسمى نعمته إلا نعمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وترتيبه فكانه أمّن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذييلهم واتخاذهم عبيداً يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبداً قال : علام يعبدني قومي وقد كثرت ۝ فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

(فإن قلت) إذا جواب وجزاء معاً والكلام وقع جواباً لفرعون فكيف وقع جزء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزء (فإن قلت) لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده وليكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتتان فنه وحده وكذلك التعبيد (فإن قلت) تلك إشارة إلى ما ذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب (قلت) تلك إشارة إلى خصلة شغناء مبهمة لا يدري ما هي إلا بتفسيرها وحس أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة على لأن عبدت بني إسرائيل أي لولم تفعل ذلك لكففتني أهلي ولم يلقوني في اليم ۝ لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (ومارب العالمين) يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إيماناً بربيه أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرف أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثل شيء وإيماناً يريد به أي شيء هو على الإطلاق تفتيشاً عن حقيقة الخاصة ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عمالاً سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون وبدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية فلما جاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فله اثني بقرير قوله جنته إلى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما نكث بقرير آخر احتدوا واحتدم وقال لئن اتخذت إلهاً غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير ۝ (فإن قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجع إليه بجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجهما (فإن قلت) ما معنى قوله (إن كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الإيقان (قلت) معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح فنعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقعون به لظهوره وإنارة دليله ۝ (فإن قلت) ومن كان حوله (قلت) أشراف قومه قبل كانوا خمساً من رجل عليهم الأساور وكانت للبلوك خاصة (فإن قلت) ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلاق كلها فسامعني ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) قد عمم أولاً ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولدته وما شاهد وعان من الدلائل على الصانع والناقل من هيته إلى هيته وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدلل به وظهره وانتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نموذ بن كنعان فهبت الذي كفر ۝ وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة (فإن قلت) كيف قال أولاً إن كنتم موقنين وآخر إن كنتم تعقلون (قلت) لاين

(قوله وطنز به حيث سماه رسولهم) أي سخر به واحتدم أي التهب صدره غيظاً أفاده الصحاح

أَلَا تَسْتَعِينُونَ ۚ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۚ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۚ
 قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۚ قَالَ لَنْ نَأْخُذَ بِهَذَا غَيْرِي لَا جُعَلَنَّا مِنْ
 الْمُسْجُونِينَ ۚ قَالَ أُولُو جِثَّتِكَ بَشَىٰ مُبِينٌ ۚ قَالَ فَاتِّبِعْ بِهِ ۚ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۚ فَاتَّقِ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

أولاً فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم لمجنون بقوله
 إن كنتم تعقلون (فإن قلت) ألم يكن لا يجننك أخصر من لا جعلك من المسجونين ومؤدياً مؤداه (قلت) أما أخصر
 فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لا جعلك واحداً من عرفات حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد
 سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد
 الواو في قوله (أو لوجثتك) وأو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جثتك بشيء مبين أي
 جاثياً بالمعجزة وفي قوله (إن كنت من الصادقين) أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من
 الله لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على ناس من
 أهل القبله حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين

• قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فات به إن كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا يأتي بالمعجزة إلا صادق
 في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن فرعون لم يخف
 عليه هذا وخفى على طائفة من أهل القبله حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى
 كلامه) قال أحمد ليته سلم وجه تصنيفه من تأليل هذه الأباطيل وكلف هذا التكليف في كيد لاهل السنة وإن كيد لى تضليل
 بينا هو يعرض بتفضيل فرعون عليهم إذا هو قد حتم على إخوانه الفدرية أنهم فراعنة وأن كلا منهم إذا قتش نفسه
 وجد فيها نصيباً من فرعته حيث يقول أناربيكم الأعلى لأنهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم وأنهم لها مبدعون خالقون كلا
 لأنهم لهم المبتدعون المخلوقون لأنهم حجروا على الله تعالى أن يفعل إلا ما توطأت أوهاهم على أنه حسن بالنسبة إلى الخلق
 في الشاهد فن ثم أشركوا به وهم لا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة إلى التوحيد الحق اعتقدوا أن كل شيء هو مخلوق لله
 تعالى لا شريك له في ملكه وأن كل ممكن يجوز أن ينظمه سلطان القدرة الأزلية في سلكه فكان من الممكنات أن يبتلى الله عباده
 بخرق العادات على أيدي الكذابين ومراده إظهار الضلالات وقدا ندرج ذلك ليكون ممكناً تحت سطوة القدرة حقاًيناً ثم لم
 يلزم من ذلك لله الحمد خرم في الدين فإن توهم ناظر بعين الهوى والغرض معنون عما في قلبه من مرض أن ذلك يجر إلى عدم الوثوق
 بمعجزات الأنبياء حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الأشقياء قيل معاذ الله أن نأخذ ذلك بنفس مطمئنة بصدق الأنبياء
 أمانة بحصول العلم لها من وقوع ما جوزه العقل ولو قدح الإمكان العقلي في علم حاصل يقيناً للزم الآن الشك في أن جبال
 الأرض قد عادت تبرا أحمر وترابها مسكا أذفر وانقلبت البحار دماغيطا لأن ذلك ممكن في العقل بلا خلاف ولا يشكك
 نفسه في هذا الإمكان إلا ذو خيل وعته وعي وعمه وأبن الزخشرى من الحديث الصحيح في الشاب الذي يكذب الدجال فيقسمه
 بالسيف جزئين فيمشي بينهما ثم يقول له عد فيعد دحياً فيقول له ما زددت فيك إلا بصيرة أنت الدجال الذي وصفه لنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيهم به ثانی مرة فلا يسلط عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو حيث خیر أهل الأرض أو من خیر أهل
 الأرض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخرق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك في نفسه لم يشككه ذلك في

(قوله فلما رأى منه شدة الشكيمة في العناد) في الصحاح فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفاً أي (قوله وخفى
 على ناس من أهل القبله) يريد أهل السنة حيث قالوا إن كلا من الحسن والقبيح بقضاء الله تعالى وقدره ولم يلزمهم

ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ * قَالَ لِلنَّاسِ حَوَلَهُ إِنِّ هَذَا سِحْرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ شَخَرٍ عَلِيمٍ * جُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ

في دعواك أتيت به فخذف الجزء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه (ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لاشئ يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزمرة بالشعوذة والسحر وروى أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبله إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك ألا أخذتها فأخذها فعادت عصا (للتناظرين) دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضاً نورياً روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في أبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق * (فإن قلت) ما العامل في حوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال * ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفه أطول حتى زلّ عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه وانتفخ سحره خوفاً ورفقا وبلغت به الاستكابة لقومه الذين هم يزعمه عبده وهو ألهم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وترفعه وأحسن به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (إن هذا الساحر عليم) قول باهت إذا غلب وتمحل إذا لزم (تأمرؤن) من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد أمراء ورهبهم مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهش والخيرة وماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإلا لأنه مفعول به من قوله أمرتك الخيرة * قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعد الفساق ويقولون هم مرجؤن لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل أحبسه (حاشرين) شرطاً يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا ساحر بقوله بكل سحار فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليظانوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه * وقرأ الأعمش بكل ساحر * اليوم المعلوم: يوم الزينة وميقانه وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشرون الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول

معلومه فلم يتلكن في معاودة تكذيبه ولكن ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه (قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعد الفساق ويقولون هم مرجؤن لأمر الله) قال أحمد ضاقت عليه المسالك في تفسير الإرجاء حتى استدلل عليه بالمرجئة وصرف هذا اللفظ لأهل السنة فإنهم هم الذين لا يقطعون بوعد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عفا عنهم وإن شاء غفر لهم فإن كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهد أنا مرجئة

باطل كما بين في علم التوحيد (قوله ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار) في الصحاح الغشاء الغطاء اه ولعل عبارة المصنف يعشى بالعين المهملة وفي الصحاح الغشاء مقصور مصدر الأعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار (قوله وانتفخ سحره خوفاً ورفقا) في الصحاح السحر الرئة ويقال للجبان قد انتفخ سحره (قوله شرطاً يحشرون السحرة) الشرط محرك الحرس سمعوا بذلك لأنهم جملوا لأنفسهم علامة يعرفون بها أفاده الصحاح

السَّحَرَةُ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ • فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ •
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ • قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَامَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ • فَالْقُوا حَبْلَهُمْ وَعَصِيَهُمْ وَقَالُوا
 بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ • فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ • فَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ •
 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ • رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ • قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي
 عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ • لَاقِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبُكُمْ أَجْمَعِينَ • قَالُوا لَا ضَيْرَ
 إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ • إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ • وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا • أوعبد رب أخاعون بن مخراق
 يريد ابعة إلينا سريعا ولا تبطئ به (لعلنا ندفع السحرة) أي في دينهم إن غلبوا موسى ولا تتبع موسى في دينه وليس غرضهم
 باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فسادوا الكلام مساق السكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين
 لموسى عليه السلام • وقرئ نعم بالكسروهما لغتان ولما كان قوله (إن لنا لأجرا) في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه
 وكان قوله (وإنكم إذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت إذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب
 والجزاء وعدم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القرية عنده والزاني • أفسموا بعزة
 فرعون وهي من إيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته
 كقولك بالله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدره الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس
 في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على
 شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فذلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف خالف
 (ما يافكون) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويؤثرونه فيحيلون في حبالهم وعصيمهم أنها حيات تسعى
 بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سعى تلك الأشياء إفكا مبالغه • روى أنهم قالوا إن بك ما جاء به موسى سحر اقلن يغلب وإن
 كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فلققت ما أتوا به علما أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا
 سحرة وأمسا شهداء • وإنما عبر عن الحرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاء آت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة
 المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتأسكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرعا (فإن قلت)
 فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به (قلت) هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزات الباهرة وذلك
 أن لا تقدر فاعلا لأن القوا بمعنى خزوا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون لعنه الله كان
 يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذى يدعو إليه هذان والذى أجرى على أيديهما
 ما أجرى (فلسوف تعلمون) أي وبال ما فعلتم • الضر والضرير والضرور واحد أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم
 النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعراض الكثيرة أو لا ضرر علينا فيما
 تنوعنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضرر
 علينا في قتلك إنك إن قتلنا انقلبنا إلى ربنا انقلب من يطعم في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان

(قوله وليس غرضهم باتباع السحرة) لعله اتباع كعبارة النسفي (قوله وقرئ نعم بالكسروهما لغتان) أي كسر العين كما في الصحاح

أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ۖ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ ۖ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ ۖ فَأَخْرِجْهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعِيُونَ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ كَذَلِكَ

وخبر لا محذور والمعنى لا ضير في ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يحى به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت علمت لك فوقى حق ومنه قوله تعالى إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر (إنكم متبعون) علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أنى بنيت تدبير أمرهم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائهم على أبوابكم فإني سأمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابهم وسأمرهم بقتل أبكار القبط واخبروا خبز الفطير فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى إلى البحر فأتيتكم أمرى فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبع مائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين (إن هؤلاء) محكى بعد قول مضر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعاً كرم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلامة الذى هو للقلة وقد يجمع القليل على قلة وقل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقهارة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغنيظنا وتضييق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا أخرج علينا خارج سار عنا إلى حسم فساد هذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لتلايظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذى يجتهد حذره وقيل المؤدى في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوى قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه ۖ وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حذارة في أجسامهم ۖ وعن مجاهد سماها كنوز لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المسكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرفى الحجال (كذلك)

قوله تعالى إن هؤلاء لشرذمة قليلون (قال اللهم من أربعة أوجه عبر عنهم بالشرذمة وهى تفيد القلة ثم وصفهم بالقلة وجمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع السلامة ليفيد القلة (قال أحمد ووجه آخر في تليلهم يكون خامساً وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد قديكون مبالغة في لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهي فيه بالنسبة إلى غيره

(قوله المدل بأمره المتحقق لصحته) أى الواثق به فأقاده الصحاح (قوله ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائهم) فى الصحاح الجدى من ولد المعز وثلاثة أجداد إذا كثرت فهى الجداء (قوله واخبروا خبزاً فطيراً) فى الصحاح الفطير خلاف الخبز وكل شئ أعجلته عن إدراكه فهو فطير (قوله وقد يجمع القليل على أقله وقل) فى الصحاح مثل سرير وسرر (قوله وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون) فى الصحاح وقرئ وإنا لجمع حاذرون وحذرون وحذرون أيضاً بضم الذال حكاه الأخفش ومعنى حاذرون متأهبون وفيه أدى الرجل أى قوى من الاداة فهو مؤد بالهمز أى شك فى السلاح وفيه أدت للسفر فإنما مؤدله إذا كنت متبهاً له (قوله وقيل السرفى الحجال) السراجم والحجال جمع حجلة وهى بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستور كذا

وَأَوْثَرْنَاهَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَاتَّبَعُوهُمْ شَرْقِينَ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ۖ قَالَ
 كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۖ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ
 الْعَظِيمِ ۖ وَازْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ ۖ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ
 مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عِكْفِينَ ۖ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ

يحمل ثلاثة أوجه النص على آخر جناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك
 المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك (فاتبعوهم) فلاحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقيين) داخلين في
 وقت الشروق من شرق الشمس شرقا وإذا طلعت (سهيدين) طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان ۖ
 لما لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تابعه ففني ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا
 علم الآخرة وفي معناه بيت الخامسة أبعـد بني أمي الذين تتابعوا ۖ أرجى الحياة أم من الموت أجزع
 والمعنى إنما المتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى من أحد ۖ الفرق الجزء المتفرق منه . وقرئ كل فلق والمعنى واحد الطود الجبل
 العظيم المنطاد في السماء (وازلفناهم) حيث انفلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربانهم من بني إسرائيل أو أدنين بعضهم من
 بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحدا وقد مناهم إلى البحر وقرئ وازلفنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله
 تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ۖ وذيان إذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل ييسا فيزلقهم فيه ۖ عن عظام بن السائب أن
 جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل ليحقق آخركم بأولكم ويستقبل
 القبط فيقول رويدكم ليحقق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت
 فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب
 بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كلم الله أين أمرت فقد غشينا
 فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال
 عند ذلك يامن كان قبل كل شيء والمكثون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر
 من وراء مصر يقال له أساف (إن في ذلك لآية) آية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم ۖ وما تنبه عليها
 أكثرهم ولا آمن بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإنباء قد سأله بكرة يعبدونها واتخذوا
 العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وإن ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه ۖ كان إبراهيم عليه السلام
 يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليربهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر : ما مالك
 وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال (فإن قلت) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود فحسب

من الموصوفين به كقولهم معازيد جياع مبالغة في وصفه بالجوع فكذلك ههنا جمع قليلا وكان الأصل إفراده فيقال

في الصحاح (قوله والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء) في الصحاح طود في الجبال مثل طوف وطوح والمطاود
 مثال المطاوح (قوله وقد ثل عرشها) في الصحاح ثلث البيت هدمته ويقال للقوم إذا ذهب عزهم قد ثل عرشهم

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ

فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويستلونك ماذا ينفقون قل العفو ما ذاقا لربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا أخيراً (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الانتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الاتحى فأجرت ذيله بين جوارى الحى وإنما قالوا نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل . لابد في (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعائكم وقرأ فتادة يسمعونكم أى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو اسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت ۖ لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رفقوا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهى عبادة الأقدمين الأولين من آباءكم فإن التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا يتقلب حقاً بالقدم وما عبادة من عبد هذه الأصنام لإعبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى ۖ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكنون عليهم ضداً ولأن المغرى على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان وإنما قال (عدو لي) تصويراً للمسألة في نفسه على معنى أنى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بهانفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أرادنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للنصوح ما لا يبلغه النصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل إلى القبول ومنه ما يحكى عن الشافعى رضي الله تعالى عنه أن رجلاً واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب وسمع رجلاً ناساً يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيني ولايتكم . والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم على ذوى مثرة ۖ أراهم عدواً وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شهاً بالمصادر للوازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (إلا رب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) يريد أنه حين آتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعنيه وإلا فمن هداه إلى أن يغتنى بالدم في البطن امتصاصاً ومن هداه إلى معرفة الثدى عند الولادة وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وإنما قال (مرضت) دون أمرضنى لأن كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت

لشرذمة قليلة كما أفرد في قوله كم من فئة قليلة ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة لكن يبقى النظر في أن هذا السريق الوجوه المذكورة على ما هي عليه أو يسقط منها شيئاً ويخلقه فتأمله والله الموفق ۖ قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ۖ وإذا مرضت فهو يشفين ۖ (قال إنما أضاف المرض إلى نفسه لأن كثيراً منه بتفريط الإنسان في مطعمه ومشربه) قال أحمد والذي ذكره غير الزمخشري أن السر في إضافة المرض إلى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى ولعل الزمخشري إنما عدل عن هذا لأن إبراهيم عليه السلام قد أضاف

(قوله ألبس البرد الاتحى) في الصحاح الاتحى ضرب من البرود (قوله وقوم على ذوى مثرة أراهم) أى حقد وعداوة أفاده الصحاح

فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا
وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ * وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ *

الحكمة لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم * وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء
معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي إلا معاريض
كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فان قلت) اذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة فماله
أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ما سبق لي أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم
ويدل عليه قوله أطمع ولم يحزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأنهم وليكون لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة
مما يفرط منهم (فان قلت) لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا (قلت) لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي
لا يعلم * الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقبل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله * والإلحاق بالصالحين
أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملة أجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين * والإخزاء
من الخزي وهو الهوان ومن الخزية وهي الحياء وهذا أيضاً من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي (يبعثون) ضمير
العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لآبيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (إلا من
أتى الله) إلا حال من أتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * وما ثوابه إلا السيف وبإياه أن يقال
لكل هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تر بدني المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وإن شئت
حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى
الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً ولا بد لك مع ذلك من تقدير
المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين
لا ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ولولم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعول لا ينفع أي لا ينفع مال
ولا بنون إلا لرجل سلم قلبه مع ماله حيث أنفق في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا
إلا من أتى الله بقلب سليم من فئة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم الله تعالى به

الإمامة إلى الله تعالى وهي أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذي أبداه الزمخشري أيضاً
في المرض ينكسر بالموت فإن المرض كما يكون بسبب تفریط الإنسان في نفسه كذلك الموت الناشئ عن سبب هذا
المرض الذي يكون بتفريط الإنسان وقد أضافه إلى الله تعالى ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض في
مقتضى الأدب بأن الموت قد علم واشتهر أنه قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر وحكم عام لا يخص ولا كذلك المرض
فكم من معافي منه قد بغته الموت فالتأسي بعموم الموت لعله يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ في الأدب نسبته إلى الله تعالى وأما
المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاء محققاً فاقضى العلو في الأدب مع الله تعالى أن ينسبه الإنسان
إلى نفسه باعتبار ذلك السبب الذي لا يخلو منه ويؤيد ذلك أن كل ما ذكره مع المرض أخبر عن وقوعه بتأجزاً لأنه أمر
لا بد منه وأما المرض فلما كان قد يتفق وقد لا أوردته مقروناً بشرط إذا فقال وإذا مرضت وكان يمكن أن يقول والذي يرضى

(قوله وهو الهوان ومن الخزية وهي الحياء) لعله أو من (قوله أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لآبيه) لعله
عطف على المعنى كأنه قال ويحتمل أنه ضمير الضالين الخ

وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ * فَكُفُّوا عَنْهَا * وَأَلْغَاوْنَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَبِئْسَ أَتْلَى ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَشْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص أن حكى استثناء هذا حكاية راض بإصابته فيه ثم جملة صفة له في قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم بالديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب لإبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سأله أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لاستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع على تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وجل وأعظم شأنه وعدت نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات الخالصين وابتهل إليه ابتهاج الاتوايين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا * الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغتمطون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء برأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلأرأوه زلفة سيئت وجره الذين كفروا * يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار برأى منهم فيهلكون غمافي كل لحظة ويوبخون على إشرارهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فكفكبوا فيهاهم) أي الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم * والككبكة تكرير الكب جمل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينسكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجزنا منها يا خير مستجار (وجنود إبليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والإنس * يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح النقول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالجرمين الذين أضلهم رؤساؤهم وكبرائهم كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا وعن السدي الأولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبين (ولا صديق) كما نرى لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فيذهب التصادق والتباغض قال الله تعالى «الآخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» أو فالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقفوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدم * والجحيم من الاحتمال وهو الاهتمام وهو الذي يهيم ما يهيمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فإن قلت) لم جمع الشافع ووجد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن يارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل

فيشفي كما قال في غيره ، فسادل عن المطابقة المجانسة الماثورة إلا لذلك والله أعلم * قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (قال إنما جمع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة إذا نزل بإنسان خطب بمن يعرفه ومن لا يعرفه وأما الصديق قليل) قال أحمد العجب أن الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فالدليل على إرادة الإفراد ثم لو كان

مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ قَالُوا اتُّؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ۚ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ إِنْ حِسَابُهُمْ

بلدة لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في وداك الذي يهيمه ما أمهم فأعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لامعني له . ويجوز أن يربد بالصديق الجمع . السكرة الرجعة إلى الدنيا . ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لناكرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاق في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت . القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة . ونظير قوله (المرسلين) والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة ويرد قيل أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون أخاهم حين يندبهم . في الثابتات على من قال برهانا

• كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة كحمد صلى الله عليه وسلم في قریش (وأطيعون) في نصحي لكم وفي ما أَدْعُوكُم إليه من الحق (عليه) على هذا الأمر وعلى ما أنافيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكد عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعلّة جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طعمه عنهم . وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهدوا شهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والوالوالحال وحقها أن يضمربعدها قد في وأتبعك . وقد جمع الأردل على الصحة وعلى التكثير في قوله الذين هم أراذلنا والرزالة والنذالة الخسة والذنابة وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لانزرى بالديانة وهكذا كانت قریش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الخاكة والأسا كفة وعن مقاتل السفلة (وما على) وأي شيء على والمراد انتفاء عليه باخلاص أعمالهم لله وإطلاعه على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتغابي لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأراذلين بمأمو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم

المراد الأفراد لكان أعم لأنه في سياق النفي فينبغي الواحد فما زاد عليه إلى ما لا نهاية له والله أعلم . قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (قال المراد نوح كما تقول فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة ويرد) قال أحمد لا حاجة إلى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بأن كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل لأنه ما من نبي إلا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة وكذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله لأن التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

(قوله فأعز من بيض الأنوق) في الصحاح الأنوق على فاعول طائرو هو الرخمة (قوله وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة) لعله الدنيئة كعبارة النسفي (قوله هم الغاغة وعن عكرمة الخاكة) لعله الصاغة وفي الخازن قال ابن عباس يعني الغافة

إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۚ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَسُوحُ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۚ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۚ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ
فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۚ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ الْآتِقُوا ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ
رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۚ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۚ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ

يبنى جوابه على ذلك فيقول ماعليّ إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل
سيء قاله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز (لو تشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتتساقفون
مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رداً عقادهم وانكار من يسمى المؤمن رذلاً وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا
فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأنى أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم
بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وماعليّ إلا أن أنذركم إنذاراً بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به
الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم ۚ ليس هذا باخبار بالتكذيب لعله أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد
أنى لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وإنما أدعوك لاجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فاحكم (بنى وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات .
الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد ، كسروا فعلا على
فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك
ونظيره بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كنز والجمع بوزن كرام ۚ والمشحون المملوء
يقال شحها عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

في الآل يرفعها ويخفضها ۚ ريع يملوح كأنه سحلب

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا بمن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاما
طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنيين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام ۚ والمصانع مأخذ

ۚ قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يهتدون في أسفارهم بالنجوم فاتخذوا في طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك
إذ النجوم فيها غنية عنها وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحمد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد
ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكاثنين آخر الزمان بأنهم يتناولون في البنيان وما أحسن قول
مالك رضى الله عنه ولا يصلى الإمام على شيء أرفع مما عليه أصحابه كالدكاك تكون مرتفعة في المحراب ارتفاعا كبيرا
لأنهم يعبثون فعبر عن ترفعهم إلى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأموهين بالعبث كتعبير هود صلوات الله
عليه وسلامه عن ترفع قومه في البنيان بالعبث . وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام في الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية
ففيه بعد من حيث أن الحاجة تدعو إلى ذلك لغيم مطبق وما يجرى مجراه ولو وضع هذا في زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثا والله أعلم

(قوله كأنه سحلب) في الصحاح السحلب الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن وفيه أيضا الكرسف القطن

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِالنَّعِيمِ وَبَنِينَ ۖ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَعَّظِينَ ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۖ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَ نَسْلَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَاتَقُونَ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَتَتَرَكُونَ فِي مَاهُنَا ءَامِنِينَ ۖ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۖ وَتَنجَحُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوْتَا فَرِهِينَ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَلَا تَطِيعُوا

الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففاً ومشدداً (وإذا بطشتم) بسوط أو سيف كان ذلك ظلماً وعلواً، وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهداً بعلهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدكم بما تعلمون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديدها يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد (فإن قلت) كيف قرن البنين بالأنعام (قلت) هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها (فإن قلت) لو قيل (أو عظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشره فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ ۖ من قرأ خلق الأولين بالفتح فعناه أن ماجئت به اختلاق الأولين وتخصرهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيماً كالحياة ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمين وبواحدة فعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت لإعادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب لإعادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه (أتتركون) يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخليقه الله لإياهم وما يتمتعون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة (فيما هننا) في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضاً إجمالاً ثم تفصيل ۖ (فإن قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم لذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير تسقى جنة سمحاً (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيهاً على انفراده عنها بفضلها عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل ۖ الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شاربخ القنو، والقنواسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضم وطلع إنبات النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طالع البرني اللطيف من طلع اللون فذكروهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه

(قوله عن سنة غفلتهم عنها حين قال) لعله حيث قال (قوله وكذلك طلع البرني أطف من طلع اللون) ضرب من التمر واللون الدقل والدقل أردأ التمر كذا في الصحاح

أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ • الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ • قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ • مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ • وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ • فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِمِينَ • فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ • وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ •

ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلبت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثرت الحمل هضم وإذا قل جاء فأخرا وقيل الهضم اللين التضج كأنه قال ونخل قدأرطب ثمرة قرأ الحسن وتحتون بفتح الحاء • وقرئ فرهين وفارهين والفراة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامثال الأمر وارتسامه طاعة الأمر المطاع أو جبل الأمر مطاعا على المجاز الحكيم والمراد الأمر ومنه قولهم لك على إمرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمري (فإن قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مضمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرثة ، وأنه بشر . الشرب النصيب من الماء نحو السقي وألقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روى أنهم قالوا تريد ناقة عشرةا تخرج من هذه الصخرة فلقد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم وتجت سقبا مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (يسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك . عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد وروى أن مسطعا ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروى أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صيانهن (فإن قلت) لم أخذهن العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كما يرى في بعض الأمور أيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسبي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى «وليس التوبة للذين يعملون السيئات الآيات» . وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم ونقاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكر أنهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أتم من بين عداكم من العالمين الذكرا ن يعني أنكم يا قوم لوط وحدهم يختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان (من

(قوله وقيل هو من السحر الرثة) لعله بمعنى الرثة (قوله فلقد سقبا فقعد صالح) في الصحاح السقب الذكر من ولد الناقة (قوله كندامة الكسبي) الكسع حتى من الين والكسعي رجل منهم ربي تبعة حتى أخذ منها قوسا فرمى عنها الوحش ليلا وظن أنه أخطأ فكسر القوس فلما أصبح رأى ما أصابه من الصيد فندم وضرب به المثل من قال :
ندمت ندامة الكسعي لما • رأت عيناه ما صنعت يدها
كذا في الصحاح

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخُرْجِينَ ۖ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ۖ رَبِّ بَخِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۖ

أزواجكم) يصلح أن يكون تبييناً لما خلق وأن يكون للتبويض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنفسائهم ۖ العادي المتعدى في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عاديون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاه بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتسبتم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهينا وتقييح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردهنا من بلدنا ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة ۖ و (من القالين) أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زميرهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلائكم والقليل البغض الشديد كأنه بغض يقبى الفؤاد والكبد ، وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلي من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همه الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالنتيجة

ۖ قوله تعالى ۖ أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عاديون (قال يحتمل أن يكون من أزواجكم بياناً لما خلق وأن يكون للتبويض ويراد به العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنفسائهم) قال أحمد وقد أشار الزخشرى بهذه الإشارة للاستدلال بهذه الآية على حظر إتيان المرأة في غير المسأى وبيانه أن من لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على ذمتهم بترك الأزواج ولا شك أن ترك الأزواج مصموم إلى إتيان الذكران وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الأزواج وإتيان الذكران لأن ترك الأزواج وحده منكر ولو كان الأمر كذلك لكان النصب في الثاني متوجهاً على الجمع وكان إما الأفصح أو المتعين وقد اجتمعت العاقة على القراءة به مرفوعاً ولا يتفقون على ترك الأفصح إلى ما لا مدخل له في الفصاحة أو في الجواز أصلاً فلما وضع ذلك تبين أن هذا المعنى غير مراد فيتعين حمل من على البعضية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالإنكار أحدهما إتيان الذكران والثاني مجانبة إتيان النساء في المسأى رغبة في إتيانته في غيره وحينئذ يتوجه الرفع لفوات الجمع اللازم على الوجه الأول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالنكير والله الموفق ۖ قوله تعالى ۖ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخُرْجِينَ ۖ (قال أي من جملة من أخرجناه ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وأشباه ذلك قال أحمد وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه الصورة العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع كقول فرعون لأجعلنك من المسجونين وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله إني لعملكم من القالين وقوله تعالى في غيرها «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف» وكذلك «ذرنا نكن مع القاعدين» وأمثاله كثيرة والسر في ذلك والله أعلم أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يفهم أمر أزانداً على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت كالنوع الخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يتخلفوا لما كان في ذلك مزيد على الإخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر إلى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كيف ألحقهم لقباً رديئاً وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقباً لا صفاً به وهذا الجواب عام في جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك فأنقله وأقدره قدره والله الموفق للصواب

فَنَجِيْنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۖ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ۖ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَبَ أَصْحَابُ لُؤْيِيسَ

العصمة ۖ (فإن قلت) فامعنى قوله (فنجيناها وأهلها أجمعين إلا عجوزاً) (قلت) معناه أنه عصمه وأهلها من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومخرشة والراضى بالمعصية في حكم العاصي (فإن قلت) كان أهلها مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت) الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان (فإن قلت) (في الغابرين) صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم (قلت) معناه إلا عجوزاً مقدر أغبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الانتفاك بهم وأما الإمطار ، فعن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالانتفاك حتى أتبعه مطر آمن حجارة ، وفاعل (ساء مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم إنما هو للجنس والخصوص بالذم مخدوف وهو مطرهم ۖ قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ كما يكتب أصحاب الحولان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ التخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف . وروى أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم (فإن قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا إن شعيباً لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة ۖ الكيل على ثلاثة أضرب وأف وطيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه . قرئ بالقسطاس مضموماً ومكسوراً وهو الميزان وقيل القسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاص والافهور باعى وقيل وهو بالرومية العدل ۖ يقال يخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مال الك ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً ۖ يقال عثا في الأرض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فتروا عن ذلك ۖ قرئ الجبلية بوزن الأبله والجبلية بوزن الخلفة ومعناها واحد أى ذوى الجبلية وهو كقولك والخلق الأولين (فإن قلت) هل يختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود (قلت) إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسخير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً وإذ اتركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم (فإن قلت) إن الخلفة من الثقبلة ولاهما كيف تفرقنا على فعل الظن وثاني مفعوليه (قلت) أصلهما أن يفرقا على المبتدأ والخبر كقولك

قوله تعالى «إلا عجوزاً في الغابرين» (قال المجزور صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزاً مقدر أغبورها أى في الهلاك والعذاب) قال أحمد وإن تعجلت برفع القاعدة الممهدة آنفاً فاعلم أن السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلاً إلا عجوزاً غابرة إلى ما ذكر في المتلو هو أن المذكور في التلاوة يقتضى الإيجال عليها بأما من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور والله أعلم

(قوله بوزن الأبله والجبلية بوزن الخلفة) في الصحاح الأبله بالضم وتشديد اللام الغدرة من التمر وفيه الغدرة القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة وفيه أيضاً الجبلية الخلفة ومنه قوله تعالى «والجبلية الأولين» وقرأها الحسن بالضم اه

الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَتَتَقُونَ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَوفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۖ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ ۖ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۖ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۖ فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ ۖ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۖ وَإِنَّهُ

إن زيد لمنطلق قلما كان البابان أعني باب كان و باب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقل إن كان زيد لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدرو قيل الكسف والكسفة كالربيع والرابعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك لالتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه بياهم فضلا أن يطلبوه والمعنى إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء (ربني أعلم بما تعملون) يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقابا آخر فالله الحكيم والمشيتة (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا و سلط عليهم الودم فأخذها بنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطرروا إلى أن يخرجوا إلى البرية فأظلمت سحابة وجودها لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا ، وروى أن شعيبا بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلك مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (فإن قلت) كيف كثر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كثر (قلت) كل قصة منها كتبت برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدل بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبها وأن تختتم بما اختتمت به ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في النفس وتثبيتاً لها في الصدور لا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا الترديد ما يراد لحفظه منها وكما زاد ترديده كان أمكركه في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها أذان وقرع الإنصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوشرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتح ذهناً أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا (وإنه) وإن هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل ۖ والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتنبيه ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا (به على قلبك) أي حفظك وفهمك إياه وأثبت في قلبك لإثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (بلسان عربي) إما أن يتعلق بالمنذر فيكون المعنى لتكون من الذين أُنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وإما أن يتعلق بنزل فيكون

عاد كلامه (قال) واعلم أن الآيات الأولى كالمقدمات لهذه الآيات فإن الله تعالى أبان أنه منزل بلغتهم التي لا يعرفون غيرها وعلى لسان عربي لو أشكل عليهم فهم شيء منه لكان البيان عنده عتيداً ناجزاً وما نزل على لسان عجمي قد يعتذرون

(قوله وسلط عليهم الودم) شدة حر الليل كما في الصراح

لَنِي زُرُّ الْأَوَّلِينَ ۖ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمُو بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۖ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۖ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ

المعنى نزل باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزل باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلاً ولقالوا ما نضع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لفنها أولاً ونشأ عليها وطبيع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفظن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (ولأنه) وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتاج لآبي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل «ولأنه لني زُرُّ الأولين» لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح ۖ وقرئ يكن بالندكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وليست كالأولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد ۖ فضي وقدمها وكانت عادة ۖ منه إذا هي عردت أقدامها ۖ وقرئ تعلمه بالناء وعلما بني إسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى «وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين» (فإن قلت) كيف خط في المصحف علماء بواو قبل الألف (قلت) خط على لغة من يميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربا . الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجم والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد ۖ ولا عريباً شاقه صوت أعجماً ۖ سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وسحراً أخرى وقالوا هو من تلقى محمد وافتراه (ولو نزلناه على بعض) الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله (فقرأه عليهم) هكذا فصيحاً معجزاً متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحدوم عذراً وسموه سحراً ثم قال (كذلك سلكناه) أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقرئناه فيها وعلى هذه مثل الحال وهذه الصفة من السكفر به والتكذيب له وضعنا فيها فكيف فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل أن يتغيروا عما هم عليه من جحدوه وإنكاره كما قالوا لو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال

بأنه لا يفهمهم ما استغلق على أفهامهم من معانيه فقد أزاح أعذارهم ودحض حججهم وسلكه في قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكن ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون (قال أحمد) يعني بقوله قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون لأن التقدير عنده العلم والحق أن الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال قلوبهم نائية عن قبول الحق لا باجها بوجه ولا بسبب فكيف يسلك الحق فيها فيجاب عنه بهذا الجواب والله أعلم

الآليم * فيا نبيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرُونَ * أفبعذابنا يستعجلُونَ * أفرأيت إن
متعتهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدُونَ * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون * وما أهلكننا من قرية
إلا لها منذرُونَ * ذكرى وما كنا ظالمين * وما ننزل به الشيطان * وما ينبغى لهم وما يستطيعُونَ *

الذين كفروا وإن هذا إلا سحر مبين (فإن قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبتته فجعله بمنزلة أمر قد جربوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به (فإن قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح والمخلص لأنه مسوق لثبانه مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به * وقرأ الحسن فأتاهم بالثناء يعني الساعة وبغته بالتحريك وفي حرف أبي ورواه بغته (فإن قلت) ما معنى التعقيب في قوله فأتاهم بغته فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسئء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبيكت لهم بإنكار وتهمك ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإيهام طرفه عين فلا يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم يمتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء وانكالا على الأمل الطويل * ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ماضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم ، وعن ميمون بن مهران : أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظمي فلم يرد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت * وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل يندرونهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أندر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي يندرونهم ذوى تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم يندرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطناهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمتهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعقول (فإن قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب

* قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (قال إن قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته قلت المراد الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمنزلة أمر قد جربوا عليه بدليل أنه أسند إليهم ترك الإيمان به على عقبه في قوله لا يؤمنون به) قال أحمد وما ينقم من بقاءه على ظاهره إلا أنه التوحيد المحض والإيمان الصرف وأن الله تعالى خلق قلوبهم نائية عن قبول الحق والقدرية لا يبلغون في التوحيد إلى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

لَهُمْ عَنِ السَّمْعِ مَعزُولُونَ * فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ * وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ *
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئَاسَتِهِمْ تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ

معلوم (قلت) الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلنا كيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم * كانوا يقولون إن محمداً كاهن وما ينزل عليه من جنس ما ينزل به الشياطين على السكينة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتيسر للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجعون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء * وقرأ الحسن الشياطين ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجري الإعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطين كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطونة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطين ظن أنها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميع مع أنا نعلم أنهما لم يقرأ به إلا وقد سمعاه * قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولوته قول علينا بعض الأقارب فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرأفة ولا يحاييهم في الإنذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فغذاً فغذاً وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمه رسول الله إني لأملك لكم من الله شيئاً أسألوني من مالي ماشئتم وروى أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقاً قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروى أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف اقتدوا أنفسكم من النار فإني لأغني عنكم شيئاً ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر يا حفصة بنت عمر يا فاطمة بنت محمد يا صفية عمه محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لأغني عنكن شيئاً * الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم : وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك في رفعه أجدلاً ينهيه عن التكبر بعد التواضع (فإن قلت) المتبعون الرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فساووه (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنن وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب ثم إما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فأخفض لهم جناحك وإن عصوك ولم يتبعوك فبتر أمهم ومن أعمأهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إن دمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف أن يعطف على قتل أو فلا تدع (على العزيز الرحيم) على الذي يقهر أعداءك

(قوله ويشرب العس على رجل) القدح العظيم كما في الصحاح

الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجْدِينَ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مِنَ
تَنْزِلِ الشَّيَاطِينِ ۝ تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ۝ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝

بعزته وينصرك عليهم برحمته ۝ ثم أتبع كونه رحيمًا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المهجدين من أصحابه ليطالع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكي أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كيوت الزنابير لما سمع منها من دبدبتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضر في قتال هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين (إنه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم ۝ وقرئ ويقلبك (كل آفاك أثيم) هم الكهنة والمنشئة كشق وسطيح ومسيلة وطيحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون إلى الملا الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة وقيل الآفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فينقلون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الآفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثر ما يتحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يتخطفها الجن فيقرأها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب (فإن قلت) كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معاً معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن حذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل قال ۝ أهل رأونا بسفح القاع ذي الآكم ۝ فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدت الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فإن قلت) يلقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون في محل نصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل آفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلًا قال لم تنزل على الآفاكين فليل يفتلون كيت وكيت (فإن قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم آفاك (قلت) الآفاكون هم الذين يكثرون الإفاك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفاك فأراد أن هؤلاء الآفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجن وأكثرهم مفتر عليه (فإن قلت) وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معانها ليرجع إلى المجيء هن ونطرية ذكر ما فيهن كثر بعد كثره فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه بعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه (والشعراء) مبتدأ و (يتبعهم الغاؤون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقذح في الأنساب والنسب بالخرم والغزل

(قوله والقذح في الأنساب والنسب بالخرم والغزل) أي التشبيب وخرمت الخرز أي شقته وفتقته وجرحته والخمران بالضم

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۖ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۚ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ

والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاؤون والسفهاء والشاطر
وقيل الغاؤون الراؤون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبيري وهيرة بن أبي وهب
الخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجهمي ومن ثقيف أمية ابن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا
يهجونهم ويجمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار
فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حبّ النصب قرأ حمالة الخطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها
وقرئ يجمعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً لبعه بعضه ذكر الوادي واليوم فيه تمثيل لذهابهم في كل
شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالغتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حدّ القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة
وأشجعهم على حاتم وأن يبهتوا البري ويفسقوا التقى وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله
فتن بجاني مصرعات ۖ وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون ۖ استثنى الشعراء المؤمنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه
والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصاحبا الأمة وما لا بأس به من
المعاني التي لا يبتلخون فيها بذنوب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان مجازهم على سبيل الانتصار ممن يهجونهم قال الله
تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمر بن عبيد أن رجلاً من العلوية قال له إن صدرى ليجيش
بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام تحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا
ينأخون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكأخون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له
أجههم فوالذي نفسى بيده هو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ۖ ختم السورة بآية ناطقة
بما لا شيء أهمب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لا كباد المتدبرين وذلك قوله (وسيعلم) وما فيه من
الوعيد البليغ وقوله (الذين ظلموا) وإطلاقه وقوله (أى منقلب ينقلبون) وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله عنهما
حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواغظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن
خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أى منفلت ينفلتون ومعناها إن الذين ظلموا يطعمون أن ينفلتوا من
عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانقلاط وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم
يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد
من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

الكذب والغزل محادثة النساء ومارودتهن والابتهار ادعاء الشيء كذباً كذا في الصحاح في مواضع (قوله والسارقة
وسورة أنزلناها) لعل هنا سقطاً تقديره بالنصب (قوله وأن يبهتوا البري) أى يتهموا (قوله وتفسير الظلم بالكفر
تعليل) لعله من علله بالشيء أى لهاء به كما يعمل الصبي بشيء من الطعام يجترأ به عن اللبن كما في الصحاح

سورة النمل مكية

وآياتها ٩٣ نزلت بعد الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابُ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتُهُمْ أَعْمَلُهُمْ

﴿سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طس) قرئ بالتفخيم والإمالة (و تلك) إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين أما اللوح وإبائه أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بينه للناظرين فيه إبانة وإما السورة وإما القرآن وإبائتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه (فإن قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليهم بالتسكير فيكون أنخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر (فإن قلت) ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن (قلت) كما يعطف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخى والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قبل تلك الآيات آيات المنزل المبارك أى كتاب مبين وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (فإن قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم (هدى وبشرى) في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أى هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أى جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هدايتهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا (فإن قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) كيف يتصل بمأقوله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلاة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذى هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلهؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

﴿القول في سورة النمل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون (قال فيه كرر الضمير حتى صار معنى الكلام ولا يوقن بالآخرة حتى الإيقان إلهؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق) قال أحمد قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مرله في قوله تعالى هم ينشرون أن معناه لا ينشر إلا هم وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس بين وقدينا لمحجى الضمير في سورة اقترب وجهاسوى الحصر وأما وجه تكراره ههنا والله أعلم فهو أنه لما كان أصل الكلام وهم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلا بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلى المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فطرى ذكره ليله الخبر ولم يفت مقصود العناية بالمجرور

فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ * وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْبَرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ *

• (فإن قلت) كيف أسند تزوين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الإسنادين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكيم فالطريق الأول أنه لما متهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إناعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرحهم وإثارة الروح والترفة ونفارهم عما يلزمهم فيه التكليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى زين لهم ملابس ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز الحكيم يصححه بعض الملابس وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن • والعمة التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والآخر يوم بدر • و (الآخسرون) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم غفروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتوثاه وتلقنه (من) عند أي (حكيم) وأي (عليم) وهذا معنى يجيئها نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الإقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (إذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعلم • وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع

حيث بقى على حاله مقدما ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب النظرية فأقرب منها أن الشاعر قال سقذو عجل ذا وألحقنا بهذا • الشحم إنما قد مللنا بجمل

والأصل وألحقنا بهذا الشحم فوق منتصف الرجز أو منتهاه على القول بأن مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبني الشاعر على أنه لا بد عند المنتصف أو المنتهى من وقفة ما فقدت تلك الوقفة بعد أن بين المعرف وآلة التعريف فطراها ثانية فهذه النظرية لم تتوقف على أن يحول بين الأول وبين المكرر ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير فتأمل هذا الفصل فإنه جدير بالتأمل والله أعلم • قوله تعالى • إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم فهم يعمهون (قال إن قلت كيف أسند التزيين إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت إن بين الإسنادين فرقا فالإسناد إلى الله مجاز وإلى الشيطان حقيقة وقد روى عن الحسن أن المراد زيناهم أعمال البر فعمهوا عنها ولم يهتدوا إلى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبنى على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة فمن ثم جعل إسناد التزيين إلى الله تعالى مجازاً وإلى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفاز بالصواب وتأمل ميله إلى التأويل الآخر من أن المراد أعمال البر على بعده لأنه لا يعرض لقاعدته بالقض وأنى لهم ذلك وقد أتى الله بنيانهم من القواعد على أن التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم على أن غالب وروده في غير البر كقوله زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين ومما يبعد حمله على أعمال البر إضافة الأعمال إليهم في قوله أعمالهم وأعمال البر ليست مضافة إليهم لأنهم لم يعملوها قط فظاهر الإضافة يعطى ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وقوله قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان فأطلق الإيمان في المكانين عن إضافته إليهم لأنه لم يصدر منهم وأضاف الإسلام الظاهر إليهم لأنه صدر منهم والله أعلم

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ۖ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ

ذلك أو ردد الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله أمكشوا ۖ الشهاب الشعلة ۖ والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبساً وغير قبس ومن قرأ بالتثنية جعل القبس بدلاً أو صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله (فإن قلت) سأتيكم منها بخبر ولعل آتيكم منها بخبر كالمندفعين لأن أحدهما ترج والآخر يتقن (قلت) فديقول الراجى إذا قوى رجاءه سأفعل كذا وسيكون كذا مع نحويزه الخيبة (فإن قلت) كيف جاء بسين التسويف (قلت) عدة لأنه أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فإن قلت) فلم جاء بأو دون الواو (قلت) بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هى المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فإن قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لأنه لا بد من قد (فإن قلت) فعلى إضمارها (قلت) لا يصح لأنها علامة لاتخذف ومعنى (بورك من في النار ومن حولها) بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التى حصلت فيها وهى البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبى تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركك النار والذى بوركك له البقعة وبورك من فيها وحواها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصها ويثبت آثاره في ما بعده فكيف يمثل ذلك الأمر العظيم الذى جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادى وحوايهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين وحققت أن تكون كذلك فهى مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فإن قلت) فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هى بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وإيدان بأن ذلك الأمر مرده ومكونه رب العالمين تنبها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون ۖ الهاء فى (أنه) يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن (أنا الله) مبتدأ وخبر و (العزير الحكيم) صفتان للبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوى القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما فعله بحكمة وتدير (فإن قلت) علام عطف قوله (وألقى عصاك) (قلت) على بورك لأن المعنى نودى أن بورك من في النار وأن ألقى عصاك كلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألقى عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألقى عصاك بعد قوله أن ياموسى إلى أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن أحج واعتمر ۖ وقرأ الحسن جان على لغة من يتحدث في الحرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودابة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كثر بعد الفرار قال : فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ۖ ولا نزلوا يوم الكربة منزلاً

ولمّا رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه (إني لا يخاف لدى المرسلون) و (إلا) بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي

مَنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ

الخوف عن الرسل كأن ذلك مظنة لطروا الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلفظ مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب إني ظلمت نفسى فاغفرلى ۝ والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبي عمر وفي رواية عصمة حسنا (وفي تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات (إلى فرعون) ونحوه : فقلت إلى الطعام فقال منهم ۝ فريق يحسد الإنس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألقى عصاك وأدخل يدك في تسع آيات أى في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لما تاملها لأنهم لا بسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل وأن يراد لإبصار فرعون ومثله لقوله واستيقنتها أنفسهم أوجعلت كأنها تبصر فتهدى لأن العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عينا وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى «لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلارب السموات» والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وقرأ على بن الحسين رضى الله عنهم وقادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخله ومجفرة أى مكانا يكثر فيه التبصر ۝ الواو فى (واستيقنتها) واو الحال وقد يعدها مضمرة والعلو الكبير والارتفاع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالىن فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عاليا وعليها بالضم والكسر كما قرئ عتيا ۝ وفائدة ذكر الانفس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمايرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قبل بين المبصرة والمبين وأى ظلم أخش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفاً لشبهة فيه (علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا ۝ (فإن قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيتك فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قاله بعض ما أحدث فيها إتياء العلم وشئ من مواجهه فأخبر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناها علما فعملا به وعلما وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) ۝ والكثير المفضل

۝ قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما (قال معناه طائفة من العلم) قال أحمد التبعيض والتقليل من التكثير وكايرد للتقليل من شأن المنكر فكذلك يراد للتعظيم من شأنه كما مر آنفا فى قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ولم يقل الحكيم العليم والغرض من التكثير التفضيح كأنه قال من لدن حكيم عليم فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما فى سياق الامتنان تعظيم العلم الذى أوتياه كأنه قال علما أى علم وهو كذلك فإن عليهما كان مما يستعظم ويستغرب ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذى خصهما الله تعالى به وكل علم بالإضافة إلى علم الله تعالى قليل ضئيل والله أعلم ۝ قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (قال) بجلا نعمة الله عليهما

(قوله نحو مجبنة ومبخله ومجفرة) فى الصحاح جفر الفحل عن الضراب إذا انقطع عنه ومنه قيل الصوم مجفرة أى قاطع للنسكاح

دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ

عليه من لم يؤت علماً أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلاً على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتي به فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم هذه النعمة الفاضلة لوازيم منها أن يحمدا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أقره من عمر * ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيهِ وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبداً وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله (وقال يا أيها الناس) تشهيراً لنعمة الله وتوحيها بها واعترافاً بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتي به من عظام الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه لإمفردات النكلم وقالت العرب نطق الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي عليه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضهم من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونيبه أعلم قال يقول أكلت نصف تمر ففعل الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا. وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبيين. وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال. وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيراً تجدوه. وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربّي الأعلى ملء سماءه وأرضه. وصاح قرى فأخبر أنه يقول سبحان ربّي الأعلى. وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله. والقطاة تقول من سكت سلم. والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا همه. والدبك يقول اذكروا الله يا غافلين. والنسر يقول يا ابن آدم عشت ماشئت آخرك الموت. والعقاب يقول في البعد من الناس أنس. والضفدع يقول سبحان ربّي القدوس. وأراد بقوله (من كل شيء) كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله وأوتيت من كل شيء (إن هذا هو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكراً ولا أقوله فخراً (فإن قلت) كيف قال علينا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ماسكاً مطاعاً فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار آيئته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجباً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجع في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يحبس أبياسفيان حتى تمر عليه الكتائب * روى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة: خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثائة منسكوحة وسبعائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب ولبريسم فرسخاً في فرسخ وكان يوضع مثبته في وسطه وهو من ذهب فيقعده عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعده الأنبياء على كراسي الذهب من حيث قولها فضلنا وتواضعا بقولها على كثير ولم يقولوا على عباده اعترافاً بأن غيرهما يفضلهما حذراً من الترفع

(قوله هو ما يفهم بعضهم من بعض معانيه) عبارة النسفي والمنطق كل ما يصوت من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض اه (قوله يا ابن آدم عشت ماشئت) لعله عشت وفي الخازن عشت ماشئت آخره الموت (قوله وإظهار آيئته وسياسته) قيل مراتبه وبهائه وفي نسخة أبهته فليحتر

لَسَلِيمَن جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ

والعلماء على كراسي الفضة وحولم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس
وترفع ريح العبا البساط فتسير به مسيرة شهر وروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى
الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أتى قد زدت في ملكك لا يتسكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه
مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألفته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك
لثلاثمى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسيحه واحدة يقبلها الله خير مما أوتى آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم
أى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا يجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ۖ قيل هو
واد بالشام كثير النمل (فإن قلت) لم عدى أتوا بعلی (قلت) يتوجه على معنيين : أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف
الاستعلاء كما قال أبو الطيب ۖ ولشدة ما قربت عليك الأنجم ۖ لما كان قربا من فوق . والثاني أن يراد قطع الوادى وبلوغ
آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن يزلوا عند منقطع الوادى لأنهم ما دامت الريح
تحملمهم في الهواء لا يخاف حطمهم ۖ وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل
والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها
النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاحية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس
فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى
فسألوه فأخبر فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا
لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر
وحمامة أنثى وهو وهى ۖ وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله
يحطمنكم ۖ ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولى العقل أجرى خطابهم بجرى خطابهم (فإن قلت)
لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيًا بدلا من الأمر والذي جوز أن يكون بدلا منه

ۖ قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (قال لما دخل قتادة الكوفة التف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم
فقال أبو حنيفة وكان شابا سلوه عن النملة التى كلمت سليمان أذكرا كانت أم أنثى فسألوه فأخبر فقال أبو حنيفة كانت أنثى
فقيل كيف لك ذلك قال لأن الله عز وجل قال قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة) قال أحمد لا أدري العجب منه
أم من أبى حنيفة أن يثبت ذلك عنه وذلك أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الأنثى لأنه اسم جنس يقال
نملة ذكر ونملة أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن أن
تؤنث لأجل لفظها وإن كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصحح المستعمل الأثرى إلى قوله عليه الصلاة والسلام
لا تضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عيما كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعنى الإناث من الأنعام خاصة
فحينئذ قوله تعالى قالت نملة روعى فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء وإنما أطلت في هذا وإن كان لا يتمشى
عليه حكم لأنه نسبة إلى الإمام أبى حنيفة على بصيرته باللغة ثم جعل هذا الجواب معجبا لنعمان على غزارة علمه وتبصره
بالمقولات ثم قرر الكلام على ما هو عليه مصوناه فيالله العجب العجيب والله الموفق للصواب

(قوله توقف سلاف العسكر) أى متقدموهم أفاده الصحاح (قوله وهى عرجاء تتكاوس) فى الصحاح كوسته على
رأسه تكويسا أى قلبته وكاس هو بكوس إذا فعل ذلك وكاس البعير إذا مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب

رَبِّ أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَا عَذْبَةَ فُجَارٍ وَلَا عَذْبَةَ شَدِيدٍ

أنه في معنى لا تكونوا حيث أتم فيحطكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفافها ۝ ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وأخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام وأما ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدق النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميع ضحكا (فإن قلت) ما أضحكك من قولها (قلت) شيآن إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحسك الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفاه لزيادة العمل الصالح والتقوى ۝ وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأربطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكر الك وإنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الوالدين خصوصاً النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا فنعما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لها كلها دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك وروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعن حتى دخان مساكنهم ثم دعا بالدعوة ۝ ومعنى (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) واجعلني من أهل الجنة ۝ أم هي المنقطعة . نظر إلى مكان الهدهد فلم يصره فقال (مالى لا أرى) على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة الملاح له ونحوه قولهم إنما لإبل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقه وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء أعجبه خضرتها فنزل ليتغذى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قنقه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاج فيجىء الشياطين فيسلخونها كما يسلمخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهداً واقفاً فاتخط إليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلبس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده عليه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى قواك وأقدرك على إلارحمتينى فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتينى بعذر ميين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجزها على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله

(قوله ما همس به بعض الحسك) في الصحاح الحسك ما لا يسمع له صوت (قوله وعلى استيفاه لزيادة العمل) في الصحاح استوفقت الله سألته التوفيق (قوله تجهز للحج بحشره فوافى الحرم) في الصحاح حشرت الناس أحشرهم حشراً جمعهم ومنه يوم الحشر (قوله وكان الهدهد قنقه) القناقن بالضم الدليل الهادى والبصير بالماء في حفر الفنى والقنى جمع قناة أفاده الصحاح في موضعين (قوله فدعا عريف الطير وهو النسر) في نسخة عريف الطير وكذا عبارة النسفي

أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بَسُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيًّا
يَقِينٌ * إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

• تعذبه أن يؤذّب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين ألفه وقيل لألزمه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيّق السجون معايشة الأضداد وقيل لألزمه خدمة أقرانه (فإن قلت) من أين حلّ له تعذيب الهدهد (قلت) يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن يتباح له ما يستصلح به • وقرئ ليأتيني وليأتين • والسultan الحجة والعدر (فإن قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء خلفه على فعله لا بمقال فيه ولكن كيف صحّ حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه أتى بسultan حتى يقول أو ليأتيني بسultan (قلت) لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكون أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسultan لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بأنه سيأتيه بسultan مبين فثلك بقوله أو ليأتيني بسultan مبين عن دراية وإيقان (فمكث) قرئ بفتح الكاف وضمة (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراره خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرأ له وإيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى (أحطت) بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق أهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجليلة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتحقاق إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفأ له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بهاقنة والإحاطة بالشئ علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا ينفى عليه شئ ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه • سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبأ بالالف كقولهم ذهبوا أيدي سبأ وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي أو الأب الأكبر صرف قال : من سبأ الحاضرين مأرب إذ • يبنون من دون سبيلة العرما وقال :

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كاسميت معافر بمعافر بن أذ ويحتمل أن يراد المدينة والقوم • والنبأ الخبر الذي له شأن • وقوله (من سبأ بنيا) من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يحى مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة لحسن وبدع لفظاً ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنيا خبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء أصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال • المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكاً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها يجوساً يعبدون الشمس والضمير في (تملكهم) راجع إلى سبأ فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فعنائه تملك أهلها • وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعاً في ثمانين وسبعمائة ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكلها بأنواع الجواهر وكانت قوائمها من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فإن قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز

لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۖ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ

أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدىء عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس فمن استعظام الهدد عرشها فوقع في عظمة وهي مسخ كتاب الله (فإن قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شيء) مع قول سليمان وأوتينا من كل شيء كأنه سوى بينهما (قلت) بينهما فرق بين لأن سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعلم منطق الطير فرجع أو لا إلى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا للاتقة بحالها في الكلامين بون بعيد (فإن قلت) كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب (فإن قلت) من أين للهدد التهديد إلى معرفة الله وجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كالألمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي يكاد العقلاء الرجاء العقول يهتدون لها ومن أراد استقرار ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي يخرج له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا أو من قرأ بالتخفيف فهو لا يسجدوا ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال ۚ ألياً أسلى يادارمى على البلى ۚ وفي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفي قراءة أبي ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سرهم وما تعلنون وسمى الخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما ما خباؤه عز وعلان غيوبة وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخباء على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن يخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبوء رأيت الخبا ومررت بالخبى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكفاة والحماة لأنها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلمون بالياء والناء وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدد وقيل كلام رب العزة وفي إخراج الخبء أماره على أنه من كلام الهدد لهندسته ومعرفة المساء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلّت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذى الفراسة النظر بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشماله ولهذا ورد ما عمل عبد عملاً إلا أتى الله عليه رداء عمله (فإن قلت) أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً أم في إحداها (قلت) هي واجبة فيهما جميعاً لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها وإحدى القراءتين أمر بالسجود والآخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن يسجدات القرآن أربع عشر وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدة سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه (فإن قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء ألا يسجدوا وإن شاء وقف على ألا يأمم ابتداء أسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم (فإن قلت) كيف سوى الهدد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك

(قوله ومن نوكى القصاص) أى حتى أفاده الصحاح (قوله وقيل من أحطت إلى العظيم) في الباب أن الخلاف في ألا يسجدوا إلى العظيم ومال إليه في التقريب اهـ من هاهنا (قوله في روائه) بالضم أى منظره أفاده الصحاح

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۖ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۖ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءِ إِنَّيَأَلْقَى إِلَيْكِ كِتَابَ كَرِيمٍ ۖ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَى وَآثَرِي مُسْلِمِينَ ۖ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءِ أَفَتُونِي فِيْ أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنَ ۖ

ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض ۖ وقرئ العظم بالرفع (سننظر) من النظر الذي هو التأمل والتصفح ۖ وأراد أصدقت أم كذبت إلا وأن كنت من الكاذبين، أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تول عنهم) تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و(يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة (فإن قلت) لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع (قلت) لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه ومافيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو محتوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى العجم فقليل له أنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقى إليها كأنها لما قالت إني ألقى إلى كتاب كريم قيل لها من هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وقرأ عبدالله وإنه من سليمان وإنه عطفًا على إني وقرئ إنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقى إلى أنه من سليمان ويجوز أن تريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن في (ألا تعلموا) مفسرة أيضا - لا تعلموا: لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلموا على وآثري مسلمين، وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملا لا يطيئون ولا يكثررون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدوا الهدد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فرعة وقيل أتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين) منقادين أو مؤمنين ۖ الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى ههنا الإشارة إليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعظافهم وتطبيب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها (قاطعة أمرا) فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية أي لا بت أمرا إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف أرادوا بالقوة قوة

ۖ قوله تعالى قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت إلا أن عبارة الآية أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالكذب اتهم في جملة إخباره فلم يوثق به) قال أحمد وهذا مما نهت عليه في سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذي هو أم كذبت وعن مجرد صفته في قوله أم كنت كاذبا إلى جملة واحدا من الفئة الموسومة بالكذب فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ ۖ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۖ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا أَتَيْتُمْ بِهِدْيَكُمْ تَفْرَحُونَ ۖ ارْجِعْ

الاجساد وقوة الآلات والعدد ۖ وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب (والأمر إليك) أي هو موكل إليك ونحن مطيعون لك فرينا بأمرك نطعمك ولا نخالفك ۖ كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لاهن أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين تتبع رأيك ۖ لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولاً ما ذكره وأرتهم الخطأ فيه (بأن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة وقهراً (أفسدوها) أي خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة ۖ وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نخوذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراماً فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (مرسلة إليهم هدية) أي مرسلة رسلاً هدية أصانعه بها عن ملكي (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلین الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغطاة بالديباج محلاة للجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فيزى الغلمان وألف لينة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المندرين عمرو وآخر ذارأي وعقل وقال إن كان نبياً ميزين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقباً مستويًا وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمندرين إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشاً لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطف الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بمسمعهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في القواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلان كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمندرين ارجع إليهم فقالت هو نبي ومالنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ۖ وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاؤا (أتمدونني) وقرئ بخذف الباء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله أتمجوني وبنون واحدة أتمدونني ۖ الهدية اسم المهدي كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدي إليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه هنا هو المهدي إليه والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا

(قوله والأطواق والقرطة) واحدها قرط (قوله على رماك فيزى الغلمان) هي إناث الخيل

إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا

مالا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بأن يمدد بمال ويصانع به (بل أنتم) قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فلذلك (تفرحون) بما تزدون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ هممكم وحالى خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية (فإن قلت) ما الفرق بين قولك أتمدنى بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء (قلت) إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه فى الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدنى بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته من خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بما لا يحتاج معه إلى إمداده كأنى أقول له أنكر عليك ما فعلت فإنى غنى عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله (فإن قلت) فإوجه الإضراب (قلت) لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره بأضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدد محملاً كتاباً آخر (لا قبل) لاطاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدر أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لا قبل لهم بهم * الضمير فى منها لسبب * والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك * والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً * يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام لجعل عرشها فى آخر سبعة آيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب وولكت به حرساً يحفظونه ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستيانتها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويربها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قيادة أن يأخذها قبل أن تسلم لعله أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ ما لها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أثبته أم تنكره اختباراً لعقلها * وقرئ عفرية والعفر والعفرية والعفرية والعفرية والعفرية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان (لقوى) على حمله (أمين) آتى به كما هو لا اختزل منه شيئاً ولا أبدله (الذى عنده علم من الكتاب) رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو ياحى يا قيوم وقيل يالهنأ وإله كل شيء إلهاً واحداً لإله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقاً عالماً وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفرية فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغنى أنه الخضر عليه السلام * علم من الكتاب : من الكتاب المنزل وهو علم الوحى والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل عليه السلام * وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل . الطرف تحريك أجفانك إذا نظرت موضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف فى نحو قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً * لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فتد

عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنا كنا

عينية فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبغ عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدره الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة (يشكر لنفسه) لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين أن كفران النعمة بوار وقلبا أفضعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردما بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج الله وقارا (غني) عن الشكر (كريم) بالإلغام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرأ لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر (نكروا) اجعلوه متكرراً متغيراً عن هيئته وشكله كما يتكرر الرجل للناس لثلاث يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ نظراً بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف (أتهتدي) لمعرفة أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنوة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لثلاث يكون تلقينا ف(قالت كأنه هو) ولم نقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقع في المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملئه (فإن قلت) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاماً أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكر الله على فضلهم عليها

قوله تعالى أهكذا عرشك (قال فيه لم يقل أهذا عرشك لثلاث يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم نقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل) قال أحمد وفي قولها كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو نكتة حسنة ولعل قائل يقول كلا العبارتين تشبيه إذ كاف التشبيه فيهما جميعاً وإن كانت في إحداهما داخلة على اسم الإشارة وفي الأخرى داخلة على المضمر وكلاهما أعني اسم الإشارة والمضمر واقع على الذات المشبهة وحيث تستوي العبارتان في المعنى ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال فلا بد في اختيار كأنه هو من حكمة فنقول حكمته والله أعلم أن كأنه هو عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التباين بين الأمرين فكاد يقول هو هو وتلك حال بليقيس وأما هكذا هو فعبارة جازم بتباين الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلهاذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم وقول الزمخشري ولا ليس به وإن كان من قوله هو هو والصواب ولا ليس به والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله ثم نبغ عند مجلس سليمان) في الصحاح نبغ الشيء ظهر (قوله وقلبا أفضعت نافرة) أي أقلعت أفاده الصحاح (قوله وطبقت المفصل وهي عاقلة) لعله وطابقت

من قوم كافرين . قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبتة لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممر من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين . ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون . قال يسقوم لم تستعجلوا بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طئركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون .

وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها (وصدها) عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة التي ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل . وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها . الصرح القصر وقيل صحن الدار . وقرأ ابن كثير ساقها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤفا فأجرى عليه الواحد . والممرد المجلس وروى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها ففضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فضة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كخافرا الحمار فاخبر عقلها بتسكير العرش واتخذ الصرح ليتعزف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدماء لأنها شعراء ثم صرف بصره وناداهما (لأنه صرح ممر من قوارير) وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سلعين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذاتبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان (ظلمت نفسي) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسيت أن سليمان عليه السلام يعرفها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام . وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الياء (فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معي . السيئة العقوبة والحسنة التوبة (إن قلت) ما معنى استعجلهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى (قلت) كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فجنح على مانحن عليه نخطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم . ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبها لهم على الخطأ فيما قانوه وتجيلا فيما اعتقدوه . وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سائحا

(قوله فبنوا لها سلعين وغمدان) في الصحاح سياحون قرية وفيه في فصل نصب أن للعرب في نصيبين ونحوه كبيرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وفسرين مذهبن أحدهما لزوم الياء وإعراب مالا ينصرف والثاني إعراب الجمع بالياء والنون نصبا وجرا وبالواو والنون رفعا وفي فصل غمد غمدان قصر باليمن وفي فصل صنع المصانع الحصون (قوله فإن فر سائحان) السائح ما ولاك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك والبارح ما ولاك

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۖ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

تيمن وإن مر بارحاً تشام فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائر الله لا طائر الله الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائر الله الذي تشام به وتيمن فلما قالوا طائرنا بكم أي تشاء منا وكانوا قد قحطوا (قال طائركم عند الله) أي سيبيكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وقتته ومنه قوله طائركم معكم وكل إنسان أزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه (تفتنون) تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة (المدينة) الحجر ۖ وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخزومة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عناة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشرافهم (ولا يصلحون) يعني أن شأنهم الإفساد البعث الذي لا يطبشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصالح (تقاسموا) يحتمل أن يكون أمراً وخبراً في محل الحال بإضمار قد أي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا ۖ وقرئ لتبيته بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً والتقاسم والتقسم كالنظائر والنظر التحالف والبيات مباغته العدو ليلاً وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر ۖ وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرهما من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان (فإن قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف الخبر عنه (قلت) كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحاً وبيتوا

ۖ قوله تعالى «لنبيته وأهله ثم لنقرن لوليه ما شهدا مهلك أهله وإنا لصادقون» (قال فيه إن قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف الخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحاً وبيتوا أهله وجمعوا بين البياتين جميعاً لأحدهما كانوا صادقين وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيهِ ولا يخطر ببالهم ألا تراهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سواوا للصدق حيلة يتفصون بها عن الكذب) قال أحمد وحيلة الزخشرى لتصحيح قاعدة التحسين والتقييح بالعقل أقرب من حيلتهم التي سماها الله تعالى مكرأ لأن غرضه من تهديد حيلتهم أن يستشهد على صحة القاعدة المذكورة في موافقة قوم لوط عليها إذا استجبوا الكذب بعهدهم ولا بالشرع وأني يتم لذلك أولهم وهم كاذبون صريح الكذب في قولهم ۖ ما شهدنا مهلك أهله ۖ وذلك أنهم فعلوا الأمرين ومن فعل الأمرين فجحد فعل أحدهما لم يكن في فريته مرية وإنما كانت الحيلة تتم لو فعلوا أمراً فادعى عليهم فعل أمرين فجحدوا المجموع ومن ثم لم تختلف العلماء في أن من حلف لا أضرب زيداً أضرب زيداً أو ضرب زيداً وعمراً كان حائثاً بخلاف الحالف لا أضرب زيداً وعمراً ولا آكل رغيفين فأكل أحدهما فإن مثل هذا محل خلاف العلماء في الحنث وعدمه فإذا تمهد أن هؤلاء كاذبون صراحاً في قولهم ما شهدنا مهلك أهله وأنه لا حيلة لهم في الخلاص من الكذب فلا يخلو أمرهم أن يكونوا عقلاء فهم لا يتواطئون على اعتقاد الصدق بهذه الحيلة مع القطع بأنها ليست حيلة ولا شبهة لقرب جحدهم من الصدق فيبطل ما قال الزخشرى لإثبات قاعدة دينه على زعمه إذ قاعدة التحسين والتقييح بالعقل من قواعد عقائد القدرية بموافقة قوم غير عقلاء على صحتها لحسبه ماضى به لدينه والسلام

مياسره بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك كذا في الصحاح (قوله والبيات مباغته ليلاً) في الصحاح بيت العدو أي أوقع بهم ليلاً والاسم البيات (قوله ليس من آيين الملوك) تقدم آنفاً أنه قيل آيين الملك مراتبه وبهاؤه كما وجد بهامش

لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَهَ مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ أَهْلَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَابْتَغَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ۝
أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۝ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۝

أهله فجمعوا بن البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعاً لا أحدهما
وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواحيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل
نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سقوا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ۝ مكرهم ما أخفوه من
تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله إهلاكم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى
أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث ففرغ منه ومن
أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب
حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في
مكانه ونجى صالحاً ومن معه وقيل جاءوا بالليل شامري سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغهم بالحجارة
يروون الحجارة ولا يرون رامياً (أنا دمرناهم) استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلاً من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره
هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأننا أوعى أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار (خاوية) حال عمل فيها ما دل عليه تلك رقرأ
عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف (و) اذكر (لوطاً) أو أرسلنا لوطاً لدلالة ولقد أرسلنا عليه ۝ وإذ بدل
على الأول ظرف على الثاني وأنتم تبصرون من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وأن الله إنما خلق الأنثى
لذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى إلا في مضادة لله في حكمته وحكمه وعلكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبيح
والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضهم من بعض
لأنهم كانوا في ناديتهم يرتكبونها معالين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة وبجاعة وإنهما كما في المعصية وكأن أبانواس
بنى على مذهبه قوله : ويج باسم مأتى وذرى من الكنى ۝ فلا خير في اللذات من دونها ستر

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فإن قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون) فكيف يكونون
علماء جهلاء (قلت) أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجاعة
التي كانوا عليها (فإن قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء
دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من الغيبة
وقرأ الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن (يتظهرون) يتزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل
القدر ويغيظوا إنكارهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو استهزاء (قدرناها) قدرنا كونها (من الغابرين) كقوله قدرنا
إنها من الغابرين فالتقدير واقع على الغور في المعنى ۝ أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين

(قوله حيلة يتفصون بها عن الكذب) في الصحاح فصا الإنسان إذا تخلص من البلية والضيق، وتفصيت من الديون إذا
خرجت منها وتخلصت (قوله صخرة من الهضب حياهم) أي من المطر المتتابع مطرة بعد مطرة وقعد حياهم أي إزاده وأصله
الواو أفاده الصحاح (قوله ويج باسم مأتى) يروى من تهوى

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۝ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرُ
أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۚ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلِّغْهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝ أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا

على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعلم حسن
وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يليق إلى السامعين
وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كبار أعز هذا الأدب
الآداب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح
كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل
بما قبله وأمر بالتحميد على المالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء عليهم السلام وأشياءهم الناجين وقيل هو خطاب
للوط عليه السلام وأن يحمده الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم
معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالِكُه وإنما هو إلزام لهم وتبكيك وتهكم بحالهم
وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثروا على شيء إلا الداع يدعو إلى إثارة من زيادة خير ومنفعة قليل
لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وإنهم لم يؤثروا زيادة الخير ولكن هوى وعيشة لينبو على الخطيئة المفرط والجهل المورط وإضلالهم
التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين
مع عليه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته ۝ ثم عُدَّ سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عُدَّها
في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ۝ وقرئ يشركون بالياء والتاء ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه كان إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (فإن قلت) ما الفرق بين أم وأم في أم ما تشركون وأمن خلق (قلت)
تلك متصلة لأن المعنى أيها خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى الله خير أم الآلهة قال بل آمن خلق السموات
والأرض خير تقرير ألهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش أمن بالتحفيف ووجهه
أن يجعل بدلا من الله كأنه قال آمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون (فإن قلت) أي نكسة في نقل الإخبار عن
الغيب إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبثنا (قلت) تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأن إنبات الحقائق المختلفة
الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسناتها وبهجتها أسماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ألا ترى كيف رشح
معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك
قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئ رأيهم ۝ والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة وقيل ذات لأن
المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به (إله مع الله) أغريه يقرن به
ويجعل شريكا له وقرئ إلهها مع الله بمعنى أندعون أو أشركون ولك أن تحقق الهمزتين ونوسط بينهما مدة وتخرج
الثانية بين يمين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل) وما بعده بدل من أمن خلق فكان

۝ قوله تعالى الله خير أمّا يشركون (قال فيه معلوم أن لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير
ومالِكُه وإنما هو إلزام لهم وتبكيك) قال أحمد كلام مرضى بعد أن تضع خالق كل شيء مكان قوله خالق كل خير فإنه

(قوله فأجروا أوائل كتبهم) لعله فأجروا ذلك أوائل كتبهم (قوله والحدائق البستان عليه حائط) في الصحاح
الحديقة كل بستان عليه حائط

أَمْرًا وَجَعَلَ لَهَا رُوسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَمْ يَعْزِزْهُمُ اللَّهُ بِأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ۖ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۖ أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ قَلَّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ

حكمهما حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله برزخا ۖ الضرورة الحالة المحوجة إلى اللجا والاضطرار اقتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجا والتضرع إلى الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب إذا استغفر (فإن قلت) قد عم المضطرين بقوله يجب المضطر إذا دعاه وكَم من مضطر يدعوه فلا يجاب (قلت) الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بالدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذى أجابته مصلحة فبطل تناول على العموم (خلفاء الأرض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكنهاا والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط ۖ وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام وبالتاء مع الإدغام والخذف وما مزيدة أى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل فى معنى النفي (يهديكم) بالنجوم فى السماء والعلامات فى الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين فى البر والبحر ۖ (فإن قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدو الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للإعادة (قلت) قد أزيحت عنهم بالتمسكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر فى الإنكار (من السماء) الماء (و) من (الأرض) النبات (إن كنتم صادقين) أن مع الله إلهها فأين دليلكم عليه (فإن قلت) لم رفع اسم الله والله تعالى أن يكون ممن فى السموات والأرض (قلت) جاء على لغة بنى تميم حيث يقولون مافى الدار أحد إلا حمار يريدون مافيا إلا حمار وكأن أحدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغنى الرماح مكانها ۖ ولا النبل إلا المشرقى المصمم

وقولهم ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانته إخوانكم إلا إخوانه (فإن قلت) ما الداعى إلى اختيار المذهب التيممى على الحجازى (قلت) دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله إلا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤل المعنى إلى قولك إن كان الله ممن فى السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعنى أن علمهم الغيب فى استحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى مافى البيت إن كانت اليعافير أنيسا فبقها أنيسا بتا للقول بخلوها عن الأنيس (فإن قلت) هلا زعمت أن الله ممن فى السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى أن عليه فى الأماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بنى تميم (قلت) يابى ذلك أن كونه فى السموات والأرض مجاز وكونهم فيه حقيقة وإرادة المتكلم

تخصيص قدرى أو إشراك خفى والتوحيد الأبلج ما قلناه والله سبحانه وتعالى أعلم ۖ قوله تعالى أمن يجب المضطر إذا دعاه (قال إن قلت فكم من مضطر لا يجاب قلت الإجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة) قال أحمد الصواب أن الإجابة مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة وإنما تقف الإجابة على المصلحة عند القدرة لإيجابهم على الله تعالى رعاية المصالح فقول الزمخشري لا يحسن الدعاء من العبد إلا شارطا فيه المصلحة فاسد فإن المشيئة شرط فى إجابة الدعاء اتفاقا ومع ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعى اللهم اغفر لى إن شئت

(قوله دعته إليه نكتة سرية) لعله بزنة فعيلة فيكون بمعنى شريفة (قوله البيت إن كانت اليعافير أنيسا) هو قول الشاعر

وبلدة ليس بها أنيس ۖ إلا اليعافير وإلا العيس

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۖ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ

بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من في السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبده مكره . وقيل نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمي به لكان فعلا لمن أن يثين ولا يصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة وقرئ بل أدرك بل ادراك بل ادراك بل ادراك بل ادراك بل أدرك بهمزتين بل أدرك بألف بينهما بل أدرك بالتخفيف والنقل بل أدرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثلثة عشرة قراءة وادراك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وادرك افعل ومعنى أدرك عليهم انتهى وتكامل وادرك تابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون ۖ يريد المشركين ممن في السموات والأرض لأنهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم (فإن قلت) إن الآية سبقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لام هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمسك من المعرفة (قلت) لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به . والوجه الثاني أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كأنقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته وفي أدرك عليهم وادراك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفي من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تقدم وقد فسر الحسن رضي الله عنه باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تابخوا في الهلاك (فإن قلت) فواجه قراءة من قرأ بل أدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة (فإن قلت) فن قرأ بلى أدرك وبلى أدرك (قلت) لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك عليهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أدرك على الاستفهام فعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (في الآخرة) في شأن الآخرة ومعناها (فإن قلت) هذه الاضطرابات الثلاث ما معناها (قلت) ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكفهم على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ أعمالهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَتْنَا لَمَحْرُجُونَ * لَقَدْ
وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْسُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفُكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ *

ولا يتبصرون * العامل في إذا مادلّ عليه أننا لمخرجون وهو نخرج لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة
الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن والمراد الاخراج من الأرض أو من حال الفناء
إلى الحياة وتسكير حرف الاستفهام بادخاله على إذا وإن جميعا لإنكار على إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد
مبالغ فيه والضمير في إنهم لأن كونهم ترايا قد تناولهم وآباؤهم * (فإن قلت) قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي
آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وإن الكلام إنما سبق لأجله ففي
إحدى الآيتين دلّ على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد * لم تلحق علامة
التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيق ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم * وأراد بالمجرمين الكافرين وإنما عبر عن الكفر بلفظ
الإجرام ليكون لطفاً للسليلين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله فقدمم عليهم ربهم بذنبهم وقوله بما خطيأهم
أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فلعنك باخع نفسك على
آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (في ضيق) في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك
من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضاً تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقاً
حرجاً قرئ مخففاً ومثقلاً ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم * استعجلوا العذاب الموعود فليلهم (عسى أن يكون)
ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام
نحو دننا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدى بمن قال فلما ردنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنى
يعنى دنونا من عمير وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف في وعد
الملوك ووعدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار قارهم وأنهم لا يعجلون
بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرزمة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك
جرى وعد الله ووعدهم * الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير
العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم يحلمهم يستعجلون وقرع العقاب
وهم قريش * قرئ نكن يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيت به معنى أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه * سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت

(قوله اسم الفاعل فيه عقابا) لعله اسم المفعول وعقابا جمع عقبة أفاده الصحاح وعقابة النسق لأن اسم الفاعل
والمفعول بعد همزة الاستفهام أو أن أولام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف إذا اجتمعن
(قوله تولوا سراعا والمنية تعنى) في الصحاح العنق ضرب من سير الدواب

وَأَنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۖ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۖ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۖ وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعَمَى عَنْ صُلَّاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِثَابِتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۖ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ

النَّاءِ فِيهِمَا يَمْزِلُهَا فِي الْعَاقِبَةِ وَالْعَاقِبَةُ وَنَظَارُهُمَا النُّطِيجَةُ وَالرِّمِيَّةُ وَالدَّيْبِجَةُ فِي أَهْلِ الْأَسْمَاءِ غَيْرُ صِفَاتٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَفَتَيْنِ وَتَأْوُهُمَا لِلْبَالِغَةِ كَالرَّأْيَةِ فِي قَوْلِهِمْ وَيَلُوحُّ لِلشَّاعِرِ مِنْ رَأْيَةِ السُّوءِ كَأَنَّهُ قَالَ وَمَا مِنْ شَيْءٍ شَدِيدٍ الْغَيْبَةِ وَالْخَفَاءِ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ وَأَحَاطَ بِهِ وَأَثْبَتَهُ فِي اللَّوْحِ الْمُبِينِ الظَّاهِرِ الْبَيِّنِ لِمَنْ يَنْظُرُ فِيهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ۖ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي الْمَسِيحِ فَتَحْزَبُوا فِيهِ أَحْزَابًا وَوَقَعَ بَيْنَهُمُ التَّنَازُعُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ حَتَّى لَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بَيَانًا مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ لَوْ أَنْصَفُوا وَأَخَذُوا بِهِ وَأَسْلَمُوا بِرَيْدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (لِلْمُؤْمِنِينَ) لِمَنْ أَنْصَفَ مِنْهُمْ وَأَمَّنْ أَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ مِنْهُمْ وَمَنْ غَيْرِهِمْ (بَيْنَهُمْ) بَيْنَ مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَمَنْ كَفَرَ بِهِ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا مَعْنَى يَقْضِي بِحُكْمِهِ وَلَا يُقَالُ زَيْدٌ يُضْرَبُ بِضَرْبِهِ وَيَمْنَعُ بِمَنْعِهِ (قُلْتَ) مَعْنَاهُ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ وَهُوَ عَدْلُهُ لِأَنَّهُ لَا يَقْضِي إِلَّا بِالْعَدْلِ فَسُمِّيَ الْمُحْكَمُ بِهِ حُكْمًا أَوْ أَرَادَ بِحُكْمِهِ وَتَدَلَّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِحُكْمِهِ جَمْعُ حِكْمَةٍ (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فَلَا يَرُدُّ قِضَاؤُهُ (الْعَلِيمُ) بِمَنْ يَقْضِي لَهُ وَبِمَنْ يَقْضِي عَلَيْهِ أَوْ الْعَزِيزُ فِي أَنْتِقَامِهِ مِنَ الْمُبْطِلِينَ الْعَلِيمُ بِالْفَصْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُحَقِّقِينَ ۖ أَمْرُهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَقِلَّةُ الْمُبَالَغَةِ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ وَعِلَلُ التَّوَكُّلِ بِأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ الْأَبَاحِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الشُّكُّ وَالظَّنُّ وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ حَقِيقٌ بِالْوَثُوقِ بِصَنْعِ اللَّهِ وَبِنَصْرَتِهِ وَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَخْذَلُ (فَإِنْ قُلْتَ) (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى) يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا آخَرَ لِلتَّوَكُّلِ فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ (قُلْتَ) وَجْهُهُ أَنَّ الْأَمْرَ بِالتَّوَكُّلِ جَعَلَ مَسْئِلَةً عَمَّا كَانَ يَغِیظُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِهَةِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ تَرَكَ اتِّبَاعَهُ وَتَشْيِيعَ ذَلِكَ بِالْأَذَى وَالْعِدَاوَةِ فَلَا مَذَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَلَ تَوَكُّلَ مِثْلِهِ بِأَنَّهُ اتَّبَاعَهُمْ أَمْرٌ قَدْ يُمْسُ مِنْهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِسْتِنْسَارُ عَلَيْهِمْ لِعِدَاوَتِهِمْ وَاسْتِكْفَاءُ شُرُورِهِمْ وَأَذَاهُمْ وَشَبَّهُوا بِالْمَوْتِ وَهُمْ أَحْيَاءُ صَحَّاحُ الْحَوَاسِ لَا تُنْهَمُ إِذَا سَمِعُوا مَا يَتَلَى عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَكَانُوا أَصْفَاعَ الْقَوْلِ لَا تَعْبَهُ أَذَانُهُمْ وَكَانَ سَمَاعُهُمْ كَلَّا سَمَاعٍ كَانَتْ حَالُهُمْ لَا تَنْفَاءُ جَدْوَى السَّمَاعِ كَحَالِ الْمَوْتَى الَّذِينَ قَعَدُوا مَصْحَحَ السَّمَاعِ وَكَذَلِكَ تَشْبِيهِهُمْ بِالصَّمِّ الَّذِينَ يَنْعَقُ بِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ وَشَبَّهُوا بِالْعَمَى حَيْثُ يَضِلُّونَ الطَّرِيقَ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْزِعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ هِدَاةً بِصَرَامٍ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) (قُلْتَ) هُوَ تَأْكِيدٌ لِحَالِ الْأَصَمِّ لِأَنَّهُ إِذَا تَبَاعَدَ عَنِ الدَّاعِي بَانَ يُولَى عَنْهُ مُدْبِرًا كَأَنَّهُ أَبْعَدَ عَنْ إِدْرَاكِ صَوْتِهِ وَقُرِئَ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمِّ وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعَمَى عَلَى الْأَصْلِ وَتَهْدِي الْعَمَى وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمَا أَنْ تَهْدِيَ الْعَمَى وَهَدَاهُ عَنْ الضَّلَالِ كَقَوْلِكَ سَقَاهُ عَنِ الْعِيْمَةِ أَى أَبْعَدَهُ عَنْهَا بِالسَّقْيِ وَأَبْعَدَهُ عَنِ الضَّلَالِ بِالْهَدْيِ (إِنْ تَسْمَعُ) أَى مَا يَجْدَى لِإِسْمَاعِكَ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ أَى يَصْدُقُونَ بِهَا (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) أَى مُخْلِصُونَ مِنْ قَوْلِهِ بَلَى مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ يَعْنِي جَعَلَهُ سَالِمًا لِلَّهِ خَالِصًا لِسَمِيِّ الْقَوْلِ وَمُؤَدَّاهُ بِالْقَوْلِ وَهُوَ مَا وَعَدُوا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَالْعَذَابِ وَوُقُوعِهِ حَصُولَهُ وَالْمَرَادُ مَشَارَفَةُ السَّاعَةِ وَظُهُورُ أَشْرَاطِهَا وَحِينَ لَا تَنْفَعُ التَّوْبَةُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ الْجَسَاسَةُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ طَوْلَهَا سِتُونَ ذِرَاعًا لَا يَدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلَا يَفُوتُهَا هَارِبٌ وَرَوَى لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمٍ وَزَغَبٌ وَرِيشٌ وَجَنَاحَانِ وَعَنْ ابْنِ جَرِيرٍ فِي وَصْفِهَا رَأْسٌ ثَوْرٌ وَعَيْنٌ خَنْزِيرٌ وَأُذُنٌ فِيلٌ وَقَرْنٌ إِبِلٌ وَعَنْقُ نَعَامَةٍ وَصَدْرٌ أَسَدُولُونِ نَمْرٌ وَخَاصِرَةٌ هَرٌ وَذَنْبٌ كَبِشٌ وَخَفٌ بَعِيرٌ وَمَا يَنْتِجُ الْمَفْصِلَيْنِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَوَى لَا تَخْرُجُ إِلَّا رَأْسُهَا وَرَأْسُهَا يَبْلُغُ عَنَانَ السَّمَاءِ أَوْ يَبْلُغُ السَّحَابَ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَمَا يَنْتِجُ قَرْنِيهَا فَرَسَخٌ الرَّكَابِ وَعَنْ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَمُوتُ خُرُوجُهَا إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ

(قَوْلُهُ سَقَاهُ عَنِ الْعِيْمَةِ) هِيَ شَهْوَةُ اللَّبَنِ كَمَا فِي الصَّحَاحِ (قَوْلُهُ رَأْسُهَا يَبْلُغُ عَنَانَ السَّمَاءِ) فِي الصَّحَاحِ : أَعْنَانُ السَّمَاءِ صَفَائِحُهَا وَمَا عَرَضَ مِنْ أَقْطَارِهَا كَأَنَّهُ جَمَعَ عَيْنَ وَالْعَامَّةُ تَقُولُ عَنَانَ السَّمَاءِ

الْأَرْضِ تَكْلَمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ۖ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُحِطُوا بِهَا عَلِيمًا ۖ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ وَوَقَعَ

أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا نلتها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تسكن ثم تخرج بالبادية ثم تسكن دهرًا طويلًا فينبأ الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دارني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون فظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول (أنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجه لأنَّ خروجها من الآيات وتقول ألعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم بيطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب فنصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من أجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ اضطرب الأرض تحتمل تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتسكت نكتة بيضاء تنفثو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتسكت الكافر بالخاتم في أنفه تنفثو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة يا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التسكير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التخرج كما فسر لنحرقه بقراءة على رضي الله عنه لنحرقه وأن يستدل بقراءة أبي تائبهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأنَّ الناس على أنه من الكلام والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأنَّ الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فإن قلت) إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيل مولاه وبلاداه ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكسبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة الأمم بين أيديهم إلى النار (فإن قلت) أي فرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للتبعض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان الوال للحال كأنه قال أكنذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للاءطف أي أجددتموها ومع جحدكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أم ماذا كنتم تعملون) بها للتبكي لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدر أن يكذبوا ويقولوا قد صدقناها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويي سوء أنا كل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبدئ به وتجعله

(قوله بلسان ذلق) أى طاق كما فى الصحاح (فوله تخرج من أجياد) جبل بمكة سمى بذلك لموضع خيل تبع وسمى قيعقان لموضع سلاحه

الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

أصل كلامك وأساسه هو الذي صحَّ عندك من أكله وفساده وترى بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لتهته وتعلمه عليك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعى الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد ما كان لكم عمل في الدنيا إلا للكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا الإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كههم في النار ثم يذكرون فيها وذلك قوله (وقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون * جعل الإبصار للنهار وهو لآله (فإن قلت) ما للتعاقب لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرأ حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرأ ليصروا فيه طرق القلب في المكاسب (فإن قلت) لم قيل (ففزع) دون فيفزع (قلت) لنكتة وهي الإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لأحواله واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (إلا من شاء الله) لإيمان ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحمة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله * وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جماد في مكانه إذا لم يبرح * تجمع الجبال فتسير كما تسير الرياح فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد (وهي تمت) مرأ حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحزكت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله (الذي أتقن كل شيء) يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة أحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) إلى آخر الآيتين فالنظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورصانة تفسيره

(قوله لتهته وتعلمه عليك) تدهشه وتحيره (قوله والركاب تهملج) في الصحاح الهملاج من البراذين واحد الهمليج ومشى الهملجة فارسي معرب (قوله ومكانة إضماره ورصانة تفسيره) الذي في الصحاح ضد الجرح يضمده ضمدا شدة بعصاة وفيه الرصين المحكم الثابت وقدر صر بالضم رصانة

فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۖ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ

وأخذ بعضه بحجرة بعض كأنما أفرغ إفرافاً واحداً ولا مر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا
جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداذه وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ألا ترى
إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسماها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن
كل شيء ومن أحسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله ۖ وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد
الإضعاف وأن العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي له خير حاصل
من جهتها وهو الجنة ، وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة ۖ وقرئ يومئذ مفتوحاً مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن
(قوله وأخرس الشقاشق) في الصحاح شقق الفحل شقشة هذر وإذا قالوا للخطيب ذو شقشة فإني أشبهه بالفعل
ومصوباً مع تنوين فزع (فإن قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة
تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هيب وقلب وجاب
وإن كانت ساعة إعزاز وتسكرة وإحسان وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب (فإن قلت) فمن قرأ من فزع بالتونين
ما معناه (قلت) يحتمل معنيين من فزع واحد هو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من النهيب والرعب لما يرى من الأحوال
والعظائم فلا يخلو منه لأن البشرية تقتضى ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتننه
الوصف وهو خوف النار أتم يعدى بالجاز وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله ۖ وقيل السبئية الإشراف ۖ يعبر عن الجملة
بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل فكبو في النار كقوله تعالى فكبكبو فيها ويحوز أن يكون ذكر الوجه إيذاناً بأنهم يكون
على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يحوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند السكب بإضمار القول ۖ أمر رسوله بأن
يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذله شريكاً كما فعلت قريش وأن أكون من الخفاء الثابتين على ملة الإسلام
(وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك ۖ والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصاصاً من بين سائر البلاد
بإضافة اسمها إليها لأنها أحب بلادها إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجرة
فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت
وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دال على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها
فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بأنها محترمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم
نذقه من عذاب أليم لا يختل خلاها ولا يعصده شجرها ولا ينفر صيدها ولا لاجئ إليها آمن ۖ وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته
وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وفي ذلك إشارة إلى أن ملكاً ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء

ۖ قوله تعالى إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ (قال فيه المراد بالبلدة مكة وإضافة اسم الله
تعالى إليها لتشريفها وذكر تحريمها لأنه أخص أوصافها وأسند إلى ذاته تأكيداً لشرفها ثم قال وله كل شيء فجعل دخول
كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة وفي ذلك إشارة إلى أن ملكاً قدامك هذه البلدة المسكرة
وملك إليها كل شيء إنه لعظيم الشأن) قال أحمد وتحت قوله وله كل شيء فائدة أخرى سوى ذلك وهي أنه لما أضاف اسمه
إلى البلدة المخصوصة تشريفاً لها أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها

(قوله وأخرس الشقاشق) في الصحاح شقق الفحل شقشة : هذر . وإذا قالوا للخطيب ذو شقشة فإني أشبهه بالفعل
(قوله بصدر هيب وقلب وجاب) في الصحاح وجب القلب وجيباً اضطرب (قوله فلما بلغ الحزورة استقبلها) تل صغير
كما في الصحاح (قوله لا يختل خلاها) أي لا يجز حشيشها ولا يقطع شجرها

وَمَنْ ضَلَّ قُلٌّ إِمَّا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ *

سورة القصص مكية

إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فهدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * طَسَمَ * تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ
بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذْبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ

اللهم بارك لنا في سكنها وآمنها فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حرّمها وأتل عليهم
هذا القرآن عن أبي وأن اتل عن ابن مسعود (فمن اهتدى) باتباعه إياي فيما أنا بصده من توحيد الله ونفي الانداده والدخول
في الملة الخفيفة واتباع ما أنزل على من الوحي فنفعه اهتدائه راجعة إليه لا إلى (ومن ضل) ولم يتبعني فلا على وما أنا إلا رسول
منذر وما على الرسول إلا البلاغ * ثم أمره أن يحمده الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدأ أعداءه بما
سيرهم الله من آياته التي تلجهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة . عن الحسن
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
الآية * وكل عمل يعملونه فأنه عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين
قرئ تعملون بالتاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من
صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

﴿ سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (من نبأ موسى وفرعون) مفعول تلوأى تلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محقين كقوله
تنبت بالدهن (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم (إن فرعون) جملة
مستأنفة كالتفسير المجمل كأن قائلًا قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون (علا في الأرض) يعني أرض مملكته قد طغى
فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريدو يطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه قال الأعشى
وبلدة يرهب الجواب دلجتها * حتى تراه عليها يتبغى الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافا في استخدامه يتسخر صنفاً في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم
يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقطب * والطائفة المستضعفة بنو
إسرائيل * وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على

وتنبه على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف لآلها ملك الله تعالى خاصة والله أعلم * قوله تعالى « وما ربك بغافل
 عما تعملون » (قال فيه لأن العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له جمود صفة العلم وإيهام أن سلها داخل
في تنزيهه الله تعالى لأنه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا يعلم والحق أن استحالة الغفلة عليه تعالى لأن عليه
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض بل هو علم قديم أزلي عام العلق بجميع الواجبات والممكنات والمتنوعات
ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكاله وجلاله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وَيَسْتَحْيِي نَسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۖ وَنَزِيدُكَ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۖ وَنُتِمِّكَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۖ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ
وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا

ثخانة حق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فساوجه القتل (ويستضعف) حال من الضمير
في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف (يذبح) بدل من يستضعف وقوله (إنه كان من المفسدين) بيان أن القتل
ما كان إلا فعل المفسدين بحسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (فإن قلت) علام عطف قوله (ونريد
أن نمن) وعطفه على تلو ويستضعف غير سديد (قلت) هي جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة
تلك في وقوعها تفسيراً لنبا موسى وفرعون واقتصاصاً له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالاً من يستضعف
أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم (فإن قلت) كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد
الله شيئاً كان ولم يتوقف إلى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة
وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم (أئمة) مقدمين في الدين والدنيا يظاً الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما
قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد رضى الله عنه دعاة إلى الخير وعن قتادة رضى الله عنه ولاة كقوله تعالى وجعلكم
ملوكاً (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ۖ مكن له إذا جعل له مكاناً يقعد عليه أو يرقد فوطأه
ومهدته ونظيره أرض له ومعنى التمكن لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبؤهم ولا تغث
عليهم كما كانت في أيام الجبارة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم ۖ وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أى يرون
(منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يدمولود منهم ۖ اليم البحر قيل هو نيل مصر (فإن قلت) ما المراد
بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الأول فالخوف عليه من القتل لأنه كان إذا صاح خافت أن
يسمع الجيران صوته فيمنوا عليه وأما الثاني فالخوف عليه من الفرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبتوثة من قبل
فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف (فإن قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق
الإنسان لموقع الحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهت عنهما جميعاً وأومنت بالوحى إليها ووعدت
ما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤها غبطة وسروراً وهو رده إليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح في طلب موسى عليه
السلام تسعون ألف وليد وروى أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوايل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل
مضافية لها فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل
منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ماجئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله
فاحفظه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقه ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها
فطلبوا فلم يلقوا شيئاً فخرجوا وهى لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً
وسلاماً فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله إليها فألقته في اليم وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردى
مطلى بالقار من داخله ۖ اللام (ليكون) هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتكم لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل

(قوله لا تنبؤهم ولا تغث عليهم) أى ولا تفسدو تردؤ أفاده الصحاح (قوله ووضعته في تنور مسجور) في الصحاح التنور الذى يخبز
فيه وفيه أيضاً يجرت التنور سيجراً إذا حمته (قوله تابوت من بردى مطلى بالقار) في الصحاح البردى بالفتح نبات معروف فليُنظر

كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ مَوْسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والنبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المحبة. والتأديب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأديب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد * وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم (كانوا خاطئين) في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم بيدع منهم أو كانوا مذنبين يجرمين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ * روى أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحة فلم يقدرُوا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فأحبهه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لانبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دراؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لي ولك) فقال فرعون لك لالي وروى في حديث لوقال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداهها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولا سلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروى أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن يجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبراً ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فإن فيه مخايل اليمين ودلائل النفع لأهل ذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبره البرصاء ولعلها توسمت في سيماء النجاة المؤذنة بكرنه نفاعاً * أو تتبناه فإنه أهل للنبي ولأن يكون ولدا لبعض الملوك (فإن قلت) (وهم لا يشعرون) حال فساد وحالها (قلت) (ذو حالها) آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم (فارغا) صفرأ من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفندتهم هواء أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان ألا أبلغ أباسفیان غنى * فأنت مجوف نخب هواء وذلك أن القلوب مرا كز العقول ألا ترى إلى قوله فتسكرون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها وذهب وذهب وبقيت لأقلب لها من شدة ماورد عليها (لتبدي به) لتصح به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها (لولا أن ربطنا على قلبها) بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقز ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين

(قوله برصها بريقه فبرأت) في الصحاح برئت من المرض برأ بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وأصبح فلان بارثا من مرضه (قوله من صفر الإناء وقرع الفناء) صفر الإناء خلوه مصدر صفر الشيء بالكسر أي خلا وقرع الفناء خلوه من الغاشية مصدر قرع بالكسر أي خلا (قوله لتصح به والضمير لموسى) في الصحاح أصح الرجل أي خرج إلى الصحراء والمراد هنا تجهر به ولا تكتم أمره

المؤمنين * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

بوعد الله وهو قوله إن أرادوه اليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكننا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتسكون من المؤمنين الواقفين بوعد الله لاتبني فرعون وتعطفه * وقرئ مؤس بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت كاتهمز واو وجوه (قصيه) اتبع أثره وتتبع خبره * وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد * وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد إلى جنبه وإلى جانبه أى نظرت إليه مزورة متجاففة مخالفة * وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه ألا ترى إلى قولهم محذور وحجر وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط حتى أهمهم ذلك * والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصصها أثره * روى أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال همام إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح إخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلمه شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع لحنين وجد ريجها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدى إلا ثديك قالت إني امرأة طيبة الربح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في قلبها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت عليها ويشمك (فإن قلت) كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حري كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا يروى أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجى ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو عليها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ماسواه تبع له من قوة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزداد عليه كما قال لقيط واستحملوا أمركم الله دركمو * شزر الميرة لافحما ولاضرا

﴿ القول في سورة القصص ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (قال فيه روى أنهم انهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت إنما أردت وهم للملك فرعون ناصحون تخلصت من التهمة) قال أحمد أوردت هذه التورية استحسانا لفظتها ولكونها من بيت النبوة وأخت النبي تحقيق لها ذلك

(قوله مزورة متجاففة مخالفة) أى مائلة ومخالفة أى مخادعة أفاده الصحاح (قوله شزر الميرة لافحما ولاضرا) الشرز من القتل ما كان إلى فوق خلاف دور المغزل والميرة الغريمة والقعم الذي يرمى بنفسه في الأمر من غير روية والضرع

وَكَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنْصَحَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۖ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ۖ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ ۖ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لهُمَا قَالَ يَمْوَسَى

وذلك أربعون سنة و يروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة ۖ العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ۖ وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ۖ المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر ۖ وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشغولون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل ۖ وقرأ سيديوه فاستعانه (من شيعته) بمن شايعه على دينه من بني إسرائيل وقيل هو السامري (من عَدُوِّهِ) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون ۖ والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام (فقضى عليه) فقتله (فإن قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه (قلت) لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنباً يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لني أن يقتل مالم يؤمر (بما أنعمت علي) يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأن توبن (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وأن يكون استعطافاً كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتي ظهيراً للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما محبة فرعون وانتظامه في جملة وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلاً قال له إن أخى يضرب بقلبه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلاهذه الآية وفي الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلة وأشباه الظلة وأعوان الظلة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلباً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطياً يغلب أحداً من بني إسرائيل (يترب) المكروه وهو الاستقادة منه أو الإخبار وما يقال فيه ۖ ووصف الإسرائيلي بالغى لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر ۖ وقرئ يبطش بالضم ۖ والذي هو عدو لها القبطي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل ۖ والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتى هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى

قوله تعالى قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين (قال أحمد) لقد تبرأ من عظيم لأن ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده و يروى أنه يقال يوم القيامة أين الظلة وأعوان الظلة فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليقة أو برى لهم قلباً فيجعلون في تابوت من حديد ويلقى بهم في النار

أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يُسْمَوِي الْإِنَّمَالَا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ
مَدِينٌ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۝ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى
هُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءَهُتَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ۝

على موسى فانتشر الحديث في المدينة وورق إلى فرعون ومهرًا بقتله ۝ قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون
و (يسعى) يجوز ارتفاعه وصفًا لرجل واتصابه حالًا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا
جعل صلة لجاء لم يحز في يسعى إلا الوصف ۝ والانتشار التشاور يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لأن كل واحد منهما
يأمر صاحبه بشيء أو بشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسبك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب) التعرض له في
الطريق أو أن يلحق (تلقاه مدين) قصدها ونحوها ومدين قرية شبيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن
في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف إليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم
بالطريق إلا حسن ظنه بربه و (سواء السبيل) وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيًا لا يعيش إلا بورق الشجر فما
وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عزا فانطلق به إلى مدين (ماء مدين) ماءهم الذي يستقون
منه وكان بئرًا فيما روى ۝ ووروده بجيئه والوصول إليه (وجد عليه) وجد فوق شفيره ومستقاه أمة جماعة كشيقة
العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم ۝ والنود الطرد والدفع وإنما كانتا
تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاومة على الماء وقيل لثلا تخناط
أغنامهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما (ماخطبكما) ما شأنكما وحقيقته ماخطوبكما أي مطلوبكما
من الزيادة فسمى المخطوب خطبا كما سمي المشؤن شأنًا في قولك ما شأنك يقال شأنه شأنه أي قصدت قصده وقرئ
لانسق ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام
وقيام (كبير) كبير السن (فسقى لهما) فسقى غنمهما لأجلهما وروى أن الرعاة كان يضعون على رأس البئر حجرًا لا يقله
إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده وروى أنه سألهم دلوًا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا
استقى بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبا في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروى أنه
دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرًا أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للبهوف
والمعنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثرة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم
مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم
والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آناه الله من الفضل
في مائة الفطرة ورصانة الجبلية وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان

(قوله لانسق ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء) يفيد أن القراءة المشهورة بفتح النون والياء وكسر الراء ،
والرخال واحده رخل وهي الآثي من ولد الضأن والباء عقال البعير ونحوه من جبل مثني كذا في الصحاح

قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ

به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصة وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاختذ بسيرهم ومذاهمهم (فإن قلت) لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسق (قلت) لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما راحهما لهما كما تناعلى الذبادوم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً وكذلك قولها لا نسق حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي (فإن قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألهما عن سبب الذود فقالنا السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا تقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلىنا إليه عذرهما في توليها السقي بأنفسهما (فإن قلت) كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية (قلت) الأمر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا ياباه وأما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة (لأن) لاى شيء (أنزلت إلى) قليل أو كثير غث أو سمين (لفقير) وإنما عدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تتراعى في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة ويحتمل أن يريد إلى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنن وفرحاً به وشكراً له وكان الظل ظل سمرة (على استحياه) في موضع الحال أى مستحية متخففة وقيل قد استترت بكم درعها روى أنها لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطن قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقى لنا فقال لإحدهما اذهبي فادعيه لي فقبعتها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعنى الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فإن قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشی معها وهى أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرّاً كان أو عبداً ذكرّاً كان أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه وأما مما شانه امرأه أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والنورع (فإن قلت) كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر ولكن على سبيل التقبل المعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصاً في دارني من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلباً للأجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنما أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف ثمناً حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء ابن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أى جزاء سقيك هـ والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص هـ كبراهما كانت تسمى صفراء

(قوله وتذودان ولا نسق) لعل هنا سقطاً تقديره فسقى لهما وعبارة النسق لا نسق وفسقى (قوله لا تقدر على مساجلة الرجال) في الصحاح السجل الدلو إذا كان فيه ماء والمساجلة المفاخرة بأن تصنع مثل صنعه في جرى أو سقى وأصله من الدلو اهـ (قوله أبلىنا إليه عذرهما) لعله تحريف وأصله أبدتا كعبارة النسق (قوله غث أو سمين لفقير) أى مهزول كما في الصحاح والمراد ردى أو جيد (قوله أى مستحية متخففة) الخفر شدة الحياء ومنه جارية خفرة ومتخففة كذا في الصحاح (قوله وأغنامهما حفل بطن) في الصحاح ضرع حافل أى ممتلئ بنا وفيه بطن بالكسر يبطن بطناً عظم بطنه من الشبع (قوله لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً) في الصحاح طلاع الشيء ملؤه

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينَ ۖ قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ
أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أَرِيدُ أَنْ

والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهى التى تزوجها ۖ وعن ابن عباس أن
شعبيا أحفظه الغيرة فقال وما عليك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حين بلغته
رسالته وأمرها بالمشى خلفه وقولها (إن خير من استأجرت القوى الامين) كلام حكيم جامع لايزاد عليه لأنه إذا
اجتمعت هاتان الخصالتان أعنى الكفاية والأمانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك ونعم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا
الكلام الذى سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته (فإن قلت) كيف جعل خير من استأجرت
اسما لأن القوى الامين خبراً (قلت) هو مثل قوله ألا إن خير الناس حياؤها الكا ۖ أسير ثقيف عندهم فى السلاسل
فى أن العناية هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على أنه
أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما عملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعبب وصاحب
يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا أو بكر فى عمر روى أنه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على أنه كانت له غيرهما (تأجرنى) من
أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أنوته إذا كنت له أباً (ثماني حبيج) ظرفه أو من أجرته كذا إذا أثبتة إياه ومنه تعزية
رسول الله صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم وثمانى حبيج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حبيج (فإن قلت) كيف صح
أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز (قلت) لم يكن ذلك عقداً للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان
عقداً لقال قد أنكحتك ولم يقل إلى أبى حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها
عبد سنة أو يسكنها داره سنة لأنه فى الأول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت)
الامر على مذهب أبى حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعى فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال الخدمة إذا كان المستأجر له

ۖ قوله تعالى قالت إحداهما يآبأت استأجره إن خير من استأجرت القوى الامين (قال فيه هذا الكلام حكيم جامع
لايزاد عليه لأنه إذا اجتمعت القوة والأمانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذى
ساقته سياق المثل والحكم عن أن تقول فإنه قوى أمين) قال أحمد وهو أيضا أجمل فى مدح النساء للرجال من المدح
الخاص وأبقى للحشمة وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها عليه السلام أن يتزوجها منه وما أحسن ما أخذ الفاروق
رضى الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكو إلى الله ضعف الامين وخيانة القوى فى مضمون هذه الشكاية سؤال الله
تعالى أن يتخفف بمن جمع الوصفين فكان قويا آمينا يستعين به على ما كان يصده رضى الله عنه وهذا الإيهام من ابنة شعبب
صلوات الله عليه وسلامه قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام ولكن شتان ما بين الحياء المجبول والمستعمل ليس
التكحل فى العينين كاللحل حيث قالت لسيدها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم وهى تعنى ما جزاء
يوسف بما أراذنى من سوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذاباً أليماً ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر أن تنطق بالعصمة منسوباً
إليها الخنا إيذاناً بأن هذا الحياء منها الذى يمنعها أن تنطق بهذا الأمر بمنعها من مرادة يوسف بطريق الأخرى والأولى والله أعلم
ۖ قوله تعالى على أن تأجرنى ثمانى حبيج (نقل من مذهب أبى حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه وجوازه على
مثل خدمة عبده سنة وفرق بأنه فى الأولى سلم نفسه وليس بمال وفى الثانية سلم عبده وهو مال ونقل عن الشافعى جواز

(قوله إن شعبيا أحفظه الغيرة) أى أغضبته كافى الصحاح (قوله أهون ما عملت لسان ممخ) فى الصحاح تمخيت من الشيء
وأخيت منه إذا تبرأت منه اه فلعل ممخ اسم فاعل من أخيت (قوله ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه) ومواصفة

أَشَقُّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدُونَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ

أوالخدم فيه أمر معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئا آخر وإنما أراد أن يكون راعى غنمه هذه المدة وأراد أن ينسكه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنساح بالرية على معنى إني أفعل هذا إذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه ثم ينسكه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما (فإن أتممت) عمل عشر حجج (فمن عندك) فإتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندى يعنى لا الزمكة ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الأجلين وإيجابه (فإن قلت) ماحقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر (قلت) حقيقة أن الأمر إذا تعاطمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطبقه وتارة لأطبقه أو وعده المساملة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما أسأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة فى مراعاة الأوقات والمدافاة فى استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح فى معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله (ستجدنى إن شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد بالصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعوته لأنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ و(بنى وبينك) خبره وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شبيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لأننا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك ۖ ثم قال أى أجل من الأجلين قضيت أطولها الذى هو العشر أو أقصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه (فإن قلت) تصور العدوان إنما هو فى أحد الأجلين الذى هو الأقصر وهو المطالبة بتمة العشر فامعنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت) معناه كما أنى إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لاشك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما فى القضاء وأما التمة فوكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو فى نفي العدوان عن نفسه كقولك لا أئثم على ولا تبعة على وفى قراءة ابن مسعود أى الأجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما ۖ على من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فإن قلت) ما الموقين موقى ما المزيده والقراءتين (قلت) وقعت فى المستفيضة ۖ وكدة لإبهام أى زائدة فى شياعها وفى الشاذة تأكيد للقضاء كأنه قال أى الأجلين صممت على قضائه وجردت عن بمتى له ۖ الوكيل الذى وكل إليه الأمر ولما استعمل فى موضع الشاهد والمهمين والمقيت عدى يعلى لذلك روى أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا مضطربا آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب

النسكاح على المنافع المعلومة مطلقا قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثة أقوال المنع والكراهة والجواز والعجب من إجازة أبى حنيفة النسكاح على منافع العبد بخلاف منافع الزوج مع أن الآية أجازت النسكاح على منافع الزوج ولم تتعرض لغيره وما ذاك إلا لترجيح المعنى الذى أشار إليه الزخشرى أو تفريعا على أن لا دليل فى شرع من قبلنا أو غير ذلك والله أعلم

(قوله ووطاة الخلق ولين الجانب) فى الصالح شىء وطى بين الوطاة (قوله والمهمين والمقيت عدى يعلى) أى المقتدر أو الحافظ

أَمْ كُنتُمْ تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَفَأَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ فَلَمَّا آتَاهَا نُودَىٰ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسْ إِلَىٰ آتَاهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَإِنَّ الْقِيَاسَ كَانَهَا تَهْتِكُهَا جَانٌّ وَلِيٌّ مُدْبِرٌ وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوِسْ أَقِيلٌ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۝ أَسَلَّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنُكَ بِرُهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

فسها وكان. كفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده إلهي سبع مرات فعلم أن له شأنًا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى أتى بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتبه بعضاً فأتته بها فردتها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعتها إليه ثم ندم لأنها ودعة فتبعه فاغتصم فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطفها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر استرضها اعتراضاً وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلا وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تيداً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ففشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالثنين قد أقبل فخاربه العصا حتى قتله وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والثنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملائى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنًا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاً فأوحى إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاً فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الآجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت ۝ الجدوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعاً العود القليظ كانت في رأسه نار أولم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلي يلتمسن لها ۝ جزل الجذى غير خوار ولا ذعر

ألقى على قبس من النار جذوة ۝ شديداً عليه حرها والتهابها

وقال

۝ من الأولى والثانية لا ابتداء الغاية أى أنه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ۝ و (من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوهمهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحين وضمين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف (فإن قلت) ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب (قلت) فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فليل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجهما بيضاء ليحصل الأمر أن اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب

(قوله إلا أن فيها تيناً أخشاه عليك) أى ثعباناً (قوله كل أدرع ودرعاً) فى الصحاح به ردع من زعفران أو دم أى لطح وأثر وردعه بالشيء فارتدع أى لطخته به فلطخه أى فالأردع شبيه الملطخ بلون آخر ولفظ الخازن أبقى وبلقاء (قوله غير خوار ولا ذعر) الخور الضعف والذعر الفزع أفاده الصحاح (قوله فيه غضاضة عند الأعداء) أى ذلة ومنقصة كما فى الصحاح (قوله فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية) أى فعند ما تنقلب

وَمَلَّكَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۖ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۖ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۖ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا

العصا حية حتى لا يضطرب ولا يهرب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرغاهما وإلا فإخاها مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتباً له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فجعل وانكسر فقام وضرب بقلبه الأرض فقال له عمر خذ قلبك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإنى ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيده سبياً وعلّة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كثر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى إخفاء الرهب (فإن قلت) قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضوعين مضموماً وفى الآخر مضموماً إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحد من يميني اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطنى مما فى رهيك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات الذين يرتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كى لها (فذا لك) قرئ مخففاً ومشدداً فالتخفيف مثنى ذاك والمشدّد مثنى ذلك (برهاتان) حجتان بينتان نيرتان (فإن قلت) لم سميت الحجة برهانا (قلت) ليياضها وإنارتها من قولهم للرأ البيضاء برهرة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها ۖ يقال ردأته أعتته والرد اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل :

وردنى كل أبيض مشرقى ۖ شخيد الحدّ غضب ذى فلول

وقرئ ردأ على التخفيف كما قرئ الخب (ردأ يصدّقنى) بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليأمرنى سواء (فإن قلت) تصديق أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للباس صدق موسى وإنما هو يخلص بلسانه الجلق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان لأنى إلى قوله وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ، وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سبحان وبقلاً يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذى يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه إسناداً مجازياً ومعنى الإسناد المجازى أن التصديق حقيقة فى المصدق فإسناده حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لا بس التصديق بالتسبب كما لا بسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وقراءة من قرأ ردأ يصدقونى وفيها تورية للقراءة بحزم يصدقنى ۖ العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبني لستمو يبد ۖ إلا يبدأ ليست لها عضد

(قوله وليفرخ روعك) أى ليذهب فزعك أفاده الصحاح (قوله وكيف تطبيقه المفصل) لعله تطبيقه على المفصل (قوله زرمانقة من صوف) فى الحديث أن موسى عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زرمانقة يعنى جبة صوف قال أبو عبيد أراها عبرانية كذا فى الصحاح (قوله شخيد الحدّ غضب ذى فلول) أى محدّد والغضب القاطع والفلول كسور فى حدّه كذا فى الصحاح (قوله فإن سبحان وبقلاً يستويان فيه) مثل فى الفصاحة وبقلاً مثل فى الفهامة والعلى

سُلْطَانًا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكَ بَيِّنَاتٍ أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكَ الْغَالِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِبَيِّنَاتٍ يَدَّتْ قُلُوبُهُمْ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي

ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقربك به ونعينك فيما أن يكون ذلك لأن البد تشد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاوله الأمور وإمالة الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يده مشددة بعضد شديد (سلطاناً) غلبة وتسلطاً أو حجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهب بآياتنا أو نبجعل لك سلطاناً أي نسلط عليك بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبين لاصلة لا تمتنع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسماً جوابه لا يصلون مقدماً عليه أو من لغو القسم (سحر مفترى) سحر تعلمه أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (في آياتنا) حال منصوبة عن هذا أي كانت في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلوا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى وبجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وهدوا وما وجدوا ما يدفون به ما جاءهم من الآيات إلا قلوبهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول (ربى أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون كاذباً ساحراً مفترياً لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون و(عاقبة الدار) هي العاقبة المحموده والدليل عليه قوله تعالى «أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن» وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعقبها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فإن قلت) العاقبة المحموده والمذمومة كلناهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم تختص خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت) قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتفوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف فإدأ عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال

• قوله تعالى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار (قال العاقبة هي العاقبة المحموده والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها أن يختم للإنسان فيها بالرحمة والرضوان وتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت قال فإن قلت العاقبة المحموده والمذمومة كلاهما يصح أن يسمى عاقبة لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها خيراً أو شراً فلم تختص خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت لأن الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازاً الآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فمن عمل في الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف لأن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من تحريف الفجار) قال أحمد وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستضاء به في هذا المقام والقدر الذى يحتاج إلى تجديده هنا أن استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هي المرادة له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون معارضاً بمثاله في أدلة أهل السنة على عقائدهم مثل قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس الآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا لعذاب جهنم خلقاً كثيراً من الثقلين ومن ذلك ما يروى عن الفاروق رضى الله عنه أنه قال وإنكم آل المغيرة ذرأ النار أى خلقها فلن دلت آية الذاريات ظاهراً

وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوافق الناظر بين القول والمقول ويتصرف فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تبين الأشياء . وقرئ تكون بالتاء والياء روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيده حتى بلغ ما يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويرى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة من السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته . قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجود معناه مالكم من إله غيره كما قال الله تعالى قل أنذون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجود فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لا انتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وإن إلهها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظهر بديل قوله وإني لأظنه من

على أن الله تعالى إنما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلت آية الأعراف على أنه خالق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحينئذ يتعين الجمع بين الآيتين وحمل عموم آية الذاريات على خصوص الآية الأخرى وإن المراد ما خلقت السعداء من الثقلين لإلزامهم بها بين الأدلة فقد ثبت أن العاقبتين كليهما مرادة لله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجه مجيء العاقبة المطلقة كثيرا وإرادة الخير بها أن الله تعالى هدى الناس إليها ووعدهم ما ورد في سلوك طريقها من النجاة والنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الآليم وركب فيهم عقولا ترشدهم إلى عاقبة الخير ومكنتهم منها وأزاح عنهم ووفر دعاوهم فكان من حقهم أن لا يعدلوا عن عاقبة الخير ولا يسلكوا غير طريقها وأن يتخذوها نصب أعينهم فأطلقت العاقبة والمراد بها الخير تفرعاً على ذلك والله أعلم والحاصل أنها لما كانت هي المأمور بها والمحضوض عليها عومت معاملة ما هو مراد وإن لم تكن مرادة من كثير من الخلق وقال بعضهم ما يمنعك أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هي عاقبة الخير من إطلاقها ولكن من إضافتها إلى ذوبها باللام في الآي المذكورة كقوله من تكون له عاقبة الدار وسيعلم الكافر لمن عقي الدار والعاقبة للتقين فأفهمت اللام أنها عاقبة الخير إذ هي لهم وعاقبة السوء عليهم لاهم كما يقولون الدائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والنصر والدائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء فقلت لقد كان لي في ذلك مقال لولا ورود أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ولم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على إبقاء الاستدلال باللام على إرادة عاقبة الخير والله أعلم . قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري الآية (قال عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم وإنما كان كذلك لأن العلم لا يتعلق بالمعلوم إلا على ما هو عليه إن موجوداً فوجود وإن معدوما فعدم فمن ثم عبر عن نفي كونه موجوداً بنفي كونه معلوماً) قال أحمد لشدة ما بلغ منه الوهم لم يتأمل كيف سقوط السهم وإنما أتى من حيث أن الله تعالى عبر كثيرا عن نفي المعلوم بنفي العلم في مثل قوله قل أنذون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أم تنذونه بما لا يعلم في الأرض فلما اطرده ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم يشمل كل علم ولولم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه وليس هو كذلك بل هذا التعبير لا يسوغ إلا في علم الله تعالى لا في علم غيره القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يعزب عنه أمر فما لم يتعلق العلم بوجوده يلزم أن لا يكون موجوداً إذ لو كان موجوداً لتعلق به بخلاف علم الخلق فلا تلازم بين نفي الشيء ونفي العلم بالحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فإن نفي معلومه ونفي تعلقه بوجوده تلازما سوغ التعبير المذكور ولكن المعلوم أن فرعون كان يدعي الإلهية ويعامل عليه معاملة علم الله تعالى في أنه لا يعزب عنه

فَأَوْقَدْ لِي بِهَمِّنَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَطْلُعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَاسْتَكْبَرَ

الكاذبين وإذا ظن موسى عليه السلام كاذباً في إثباته إلهها غيره ولم يعلمه كاذباً فقد ظن أن في الوجود إلهها غيره ولو لم يكن المخذول ظاناً ظناً كاليقين بل عالماً بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بناءه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام وإن كان جاهلاً مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملته وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبي الناس وأخلام من الفطن وأشبههم بالهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكى من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهم به بالفعل كما جاء التهمك بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله ۝ فقلت لهم ظنوا بالنبي مدجج ۝ ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلمهم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال (أو قد لي ياها مان على الطين) ولم يقل اطمح لي الآجر واتخذ لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طبقة وأشبه بكلام الجابرة وأمرها مان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه يباقي وسط الكلام دليل التعظيم والتعجب وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحداً بنى بالآجر غير فرعون ۝ والطلوع والإطلاع الصعود يقال طلع الجبل وأطلع بمعنى ۝ الاستكبار بالحق وإنما هو الله تعالى وهو المستكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواء فاستكباره بغير الحق (يرجمون) بالضم والفتح (فأخذناه وحنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقاقاً لهم واستقلالاً لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن أخذ في كفه فطرهن في البحر ونحو ذلك قوله ۝ وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتنا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ۝ وما هي إلا تصورات وتمثيلات لا قدره وأن كل

شيء فن ثم طغى وتكبر وعبر بنى عليه عن نفي المعلوم تدليساً على ملته وتليساً على عقولهم السخيفة والله أعلم ويناسب تعاضده هذا قوله فأوقد لي ياها مان على الطين ولم يقل فاطمخ لي آجرأ وذلك من التعاضد كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى بردياتهما قصمه وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية فذكر هذه العبارة الجامعة لأنواع الكفر على وجه الكبرياء تهاونا بها وذلك من تعجب الملوك جلّ الله وعز ومن تعاضد فرعون أيضاً نداؤه لوزيره باسمه وبحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الأمر وبنائه الصرح ورجاؤه الإطلاع دليل على أنه لم يكن مصمماً على الجحود قال الزمخشري وذلك مناقض لما أظهر من الجحد الجازم في قوله ما علمت لكم من إله غيري فيما أن يخفى هذا التناقض على قوله لغباوتهم وكآبة أذهانهم وإما أن يتفطنوا لها ويخافوا نقمته فيصروا قال أحمد ولقائل والله أعلم أن يحمل قوله ما علمت لكم من إله غيري على الشك ونفي علمه خاصة وإجرائه مجرى سائر علوم الخلق في أنه لا يلزم من نفي تعلقه بوجود أمر نفي ذلك الأمر لجواز أن يكون موجوداً عاجزاً عن علمه وحينئذ لا يكون تناقضاً ولولم يكن حمله هذا الأصل لما سوغنا أن نرفع التناقض من كلامه لأنه أحقر من ذلك ۝ عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وحنوده فنبذناهم في اليم مقابلة لاستكباره بعمله عبرته بما صورته

(قوله دليل التعظيم والتعجب) لعله التعظيم (قوله وألقينا فيهما رواسي) في نسخة وجعلنا فيهما رواسي شامخات لكن الأولى أوفق

هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ ۝ فَآخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى

مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته (فإن قلت) مامعنى قوله (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)
(قلت) معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقتلنا لهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من
قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا
ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر
والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى
الخذلان منع اللطاف وإنما يمنعها من علم أنها لاتنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لانفعى عنه الآيات والنذر
ومجره مجرى الكناية لأن منع اللطاف يردف التصميم والغرض بذكره التميمم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر
حتى كانوا أئمة فيه دعاة اليه وإلى سوء عاقبه (فإن قلت) فأى فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة (قلت) ذكر الرادفة
يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره الأثرى
أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبت حكمه لما منعت منه اللطاف فذكر منع اللطاف يحصل
العلم بوجوده التميمم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون
كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أى طرداً وإبعاداً عن الرحمة
(ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين (بصائر) نصب على الحال والبصرة نور القلب الذى
يستبصر به كما أن البصر نور العين الذى تبصر به يريد آتينا التوراة أنواراً للقلوب لأنها كانت عمياء لاتستبصر
ولا تعرف حقاً من باطل وإرشاداً لأنهم كانوا يخطون في ضلال (ورحة) لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة (لعلمهم
يتذكرون) إرادة أن يتذكروا شبهة الإرادة بالترجى فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجى موسى عليه السلام لتذكرهم

أخذ حصيات ممتنات ثم نبذها أى طرحها في اليم بهوان فذلك تمثيل لاستهانتها به وإهلا كبهذا النوع من الهلاك والله أعلم ۝ قوله
تعالى وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار (قال فيه معناه دعوناهم أئمة دعاة إلى النار كما تقول جعلته بخيلا فاسقا إذا دعوته بذلك) قال أحمد
لا فرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية فمن حمل الجعل على
التسمية فيما نحن فيه فرأى من اعتقاد أن دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى فهو بمثابة من حمله على التسمية في قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار
آيتين فرأى من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى فلا فرق بين نفي مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفي كل مخلوق نعوذ بالله من ذلك
۝ قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحة لعلمهم يتذكرون (قال معناه إرادة تذكرهم لأن الإرادة تشبه الترجى فاستعير
لها أو يراد به ترجى موسى عليه السلام) قال أحمد الوجه الثانى هو الصواب واحذر الأول فإنه قدرى ۝ قوله تعالى

(قوله ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار) هذا التأويل وما يأتى بعده في قوله ويجوز خذلناهم إلى آخره مبينان على أنه تعالى يجب
عليه الصلاح ولا يجوز عليه خلق الشر وهذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فهو أنه لا يجب عليه تعالى شيء ويجوز
عليه خالق الشر كالخير وقد حقق في التوحيد فلا داعى إلى تأويل الآية بمثل هذا التكلف

الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَيْهِمْ مِنْ نَذِيرٍ مَنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا

كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربي) المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الألواح ۝ والأمر المفضى إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحى إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للبيقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ماجرى من أمر موسى عليه السلام في ميقاته وكتبه التوراة له في الألواح وغير ذلك ۝ (فإن قلت) كيف يتصل قوله (ولكننا أنشأنا قرونا) بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكه (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث أن معناه ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيه (العمر) أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكننا أوحينا إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويا) أي مقبلا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرأها عليهم لتعلمهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكننا أرسلناك وأخبرناك بها وأعلمناكم (إذ نادينا) يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه (ولكن) عليناك (رحمة) وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة (ما أتاهم) من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أنذر آبائهم ۝ (لولا) الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والآخرى جواب لولا لكن نهاي في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من وادوا أحدا والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك (فإن قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بأن يكون سببا لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا

ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين قال لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية والفاء الأولى عاطفة الثانية جواب لولا والمعنى لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا لولا أرسلت إلينا رسولا محتجين بذلك لما أرسلت إليهم أحداً فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة سببا في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت العقوبة سبب القول وهي سبب السبب فجعلت سببا وعطف السبب الأصلي عليها بالفاء السببية) قال أحمد وذلك مثل قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى

(قوله فأرسلناك وكسبناك العلم) كسب يتعدى إلى مفعولين فيقال كسبت أهلي خيرا وكسبت الرجل مالا كافيا الصحاح

قَالُوا لَوْلَا أَوْتَىٰ مِثْلَ مَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ۖ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ

قولهم هذا إذا أصابهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنسكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عابوا ما ألجأه إلى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالفهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ۖ ولما كانت أكثر الأعمال تراول بالأيدي جعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الأيدي وتقديم الأيدي وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتفسير الأقل تابعاً للأكثر وتغليب الأقل على الأقل (فلما جاءهم الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفاق البحر وغيرهما من الآيات بجاؤها بالافتراضات المبنية على التبعث والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنزاً رجاء معه ملك وما أشبه ذلك (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم وعنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام فعنائه على هذا أو لم يكفر آبائهم (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أى تعاونا وقرئ إظهاراً على الإدغام وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر (بكل) بكل واحد منهما (فإن قلت) بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير (قلت) بأولم يكفروا ولما أن أعلقه بأوتى فينقلب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد

والسر في جعل سبب السبب سبباً وعطف السبب الأصلي عليه أمران أحدهما أن مزيد العناية يوجب التقديم وهذا هو السر الذي أبداه سيديوه . الثاني أن في هذا النظم تنبيهاً على سببية كل واحد منهما أما الأول فلاقتراحه بحرف التعليل وهو أن وأما الثاني فلاقتراحه بقاء السبب ولا يتعاطى هذا المعنى إلا من قولك أن تضل إحداها فتذكر لامن قول الغائل أن تذكر إحداها الأخرى إذا ضلت وكان بعض النجاة يورد هذه الآية إشكالا على النجاة وعلى أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها وحينئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجوداً وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجراها المحذوف غير واقع وهو عدم الإرسال لأنه متمنع بالاولى ومتى لم يقع عدم الإرسال كان الإرسال واقعاً ضرورة فيشكل الواقع بعدها على أهل السنة لأنهم يقولون لا ظلم قبل بعثة الرسل فلا تصور العقوبة بتقدير عدم البعثة وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة ويشكل الجواب على النجاة لأنه يلزم أن لا يكون واقعاً وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضى وقوعه ثم كان مورد هذا الإشكال يجيب عنه بتقدير محذوف والأصل ولولا كراهة أن تصيهم مصيبة وحينئذ يزول الإشكال عن الطائفتين والتحقيق عندى في الجواب خلاف ذلك وإنما جاء الإشكال من حيث عدم تجويز النجاة لمعنى لولا أن يقولون أنها تدل على أن ما بعدها موجود وأن جرابها متمتع به والتحرير في معناها أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس لو فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم في لو قد يكون الشيء الواحد لازماً لشيئين فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الإشكال الوارد على لو في قوله نعم العبد صهيبي لو لم يخف الله لم يعصه فتأمل هذا الفصل فتحته فوائد للتأمل والله الموفق

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝
وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَإِنَّمَا بِهِ إِثْقَانٌ مِنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا
وَيُدْرَكُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل على هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته لأن امتناع الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهمك بهم (فإن قلت) ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله ۝ فلم يستجبه عند ذلك بحجب ۝ حيث عدى بغير اللام (قلت) هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدى إلى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف (فإن قلت) فالاستجابة تقتضى دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالإتيان والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه فكأنه قال فإن لم يستجيبوا دعاءك إلا الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال (ومن أضل ممن) لا يتبع في دينه إلا (هواه بغير هدى من الله) أى مطبوعا على قلبه بمنوع اللطاف (إن الله لا يهدي) أى لا يلفظ بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعنى مخذولا مخلى بينه وبين هواه ۝ قرئ (وصلنا) بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متابعا متواصلا وعدا ووعدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في أثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ۝ نزلت في مؤمنى أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة أنا أحدهم وقبل في أربعين من مسلمى أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام ۝ والضمير في من قبله للقرآن ۝ (فإن قلت) أى فرق بين الاستثنايين أنه وأنا (قلت) الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرؤا في الكتب الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الإسلام لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحي (بما صبروا) بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتمك كفلين من رحمته (بالحسنة السيئة) بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى (سلام عليكم) توديع ومتاركة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة حلم من المؤمنين (لا نبتغي الجاهلين) لا نريد مخالطتهم وصحبته (فإن قلت) من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم (قلت) اللاعن الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو (لا تهدي من أحببت)

بِالْمُتَّحِدِينَ ۖ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِظُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَإِنَّكَ مَسْكُونُهُمْ

لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل في الإسلام (من يشاء) وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن اللطاف تنفع فيه فيقرن به أطفافه حتى تدعره إلى القبول (وهو أعلم بالمتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه ففعلوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر بني هاشم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال خرج عند الموت ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبدالمطلب وهاشم وعبد مناف ۝ قالت قريش وقيل إن القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمه البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمه البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثراث والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمه البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلمهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز (تجبي إليه) تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجبى بالنون من الجنى وتعديته بإلى كقوله تجبى إلى فيه ويجبى إلى الخافة ۝ وثمرات بضم تين وبضمة وسكون ۝ ومعنى السكينة الكثيرة كقوله ۝ وأوتيت من كل شيء ۝ ولكن أكثرهم لا يعلمون (متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقولون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده ۝ (فإن قلت) هم انتصب رزقا قلت) إن جعلته مصدراً جازاً أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولاً له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالاً من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة ۝ هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالآشر والبطر فدمرهم الله وخرّب ديارهم ۝ وانتصبت (معيشتها) إما بحذف الجار وإصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كحقوق النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه

(قوله أكره أن يقال خرج عند الموت) في الصحاح - نزع الرجل بالسكسر ضعف فهو خرج (قوله وعلى بني أبيك غضاضة)

مذلة ومنقصة (قوله ويجبى إلى الخافة) في الصحاح الخافة خريطة من آدم يشتر فيها بعسل وفيه يشتر يتجنى

(قوله فغمطوا النعمة وقابلوها بالآشر والبطر) أي بطروها وحقروها والآشر والبطر شدة المرح والمرح شدة

الفرح كذا في الصحاح (قوله كقولك زيد ظني مقيم) أي في ظني

لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبِيعَتْ فِي أَمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝ وَمِمَّا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَسْمِعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَاعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ

(إلا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يسكنها إلا المسافر وماز الطريق يوماً أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقى أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أى تركناها على حال لا يسكنها أحد وخزناها وسويناها بالأرض

تتخلف الآثار عن أصحابها ۝ حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت (حتى يبعث في) القرية التي هي أمها أى أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها (رسولاً) لإلزام الحجة وقطع المexcuse مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعنى مكة رسولاً وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ۝ وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرهما لاتباع الجز وهذا بيان لعدله وتقديسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلككم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولا يهلككم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيدها الحجة والإلزام ببعثه الرسل ولا يجعل عليه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلككم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلككم وهم مصلحون لكان ذلك ظلماً منه وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لانه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم ۝ وأى شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة المتقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لأن بقاءه دائم سرمد ۝ وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمنين والمنافق والكافر فالؤمن ينزود والمنافق يزين والكافر يتمتع هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأى شيء أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ۝ و (لاقيه) كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسروراً وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه لكنك من المحضرين فكأنه بوجه فإنهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل في على وحمة وأبى جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فإن قلت) فسر لى الفاءين ثم وأخبرنى عن مواقعها (قلت) قد ذكر في الآية التي قبلها منافع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتها ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبب لأن لقاء الموعد مسبب عن الوعد الذى هو الضمان في الخير وأما ثم فلترأخى حال الإحضار عن حال التمتع لالتراخى وقته عن وقته ۝ وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيهاً للنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو وهو

۝ قوله تعالى ۝ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا ۝ (قال هذا بيان لعدله وتقديسه عن الظلم حتى أخبر بأنه لا يهلككم إلا إذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تتأكد عليهم الحجة ببعثه الرسل) قال أحمد هذا إسلاف من الزمخشري لجواب ساقط عن سؤال وارد على القدرية لأجواب لم عنه ينشأ السؤال في هذه الآية فيقال لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف لقامت الحجة على الناس وإن لم يكن بعث رسل إذ العقل حاكم فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سبيلاً

الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين * ويوم يناديهم فيقول أين شركاء الذين كنتم تزعمون * قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويناهم كما غوينا تبارنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون * وقيل ادعوا شركاءكم فدعواهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون * ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين * فعصيت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون * فإما من تاب وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفليحين * وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى

أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتمصل (شركائي) مبنى على زعمهم وفيه تهكم (فإن قلت) زعم يطلب مفعولين كقوله * ولم أزعك عن ذاك معزلا * فأين هما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاختصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة الكفر ورؤسهم ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين و (هؤلاء) مبتدأ و (والذين أغويانا) صفة والراجع إلى الموصول محذوف و (أغويناهم) الخبر * والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغوا غيا مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغوا إلا باختيارنا لأن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم وإلجاء أو دعونا إلى الغي وسقوله لنا هؤلاء كذلك غوا باختيارهم لأن إغواءنا لم يكن إلا وسوسة وتسويلا لا قسرا وإلجاء فلا فرق إذا بين غيونا وغيهم وإن كان تسويلا داعياهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعود والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صار فاعل الكفر وداعيا إلى الإيمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شيء حيث قال لا يلبس إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (تبارنا إليك) منهم وبما اختاروه من الكفر بأنفسهم هو منهم للباطل ومقتضى للحق لا بقوة مناعلى استكراههم ولا سلطان (ما كانوا إيانا يعبدون) إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الخيل يدفعون به العذاب أولوأنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حتى أولا ما يوجبهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا بنحوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغفروهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشبهة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل (فعصيت عليهم الأنبياء) فصارت الأنبياء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى إليهم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كالتسائل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنبياء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعصيت والمراد بالنبي الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يقتنعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فإظنك بالضلال من أئمتهم (فأما من تاب) من المشركين من الشرك * وجمع بين الإيمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجى النائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح . الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لأن معناه ويختار ما يشاء

عَمَّا يُشْرُكُونَ ۖ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيصًا أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ لَيْلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۚ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۚ إِنَّ قُرْآنَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى

ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أَنَّ الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه
قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار
المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من انفسهم من
قولهم في الامر بن ليس فيهما خيرة لاختار (فإن قلت) فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما هو موصولة
(قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله إن ذلك لمن عزم الأمور لانه مفهوم (سبحان الله)
أي الله برىء من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكتن صدورهم) من
عداوة رسول الله وحسده (وما يعلنون) من مطاعهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في البقرة (وهو الله) وهو
المستأثر بالإلهية المختص بها و (لإله إلا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لاقبلة إلا هي (فإن قلت) الحمد في الدنيا
ظاهر فما الحمد في الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله
رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتعديس (وله الحكم) القضاء بين عباد
(أرايتم) وقرئ أرايتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هداية والسرمدة الدائم المتصل
من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سردو واحد فرد والميم من زيادة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص
(فإن قلت) هلا قيل بنهار تصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع
التي تتعلق به متسكثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون)
لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يبصر من
منفعة الظلام ما تبصره وأنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في
أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف
في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيدان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كالأشياء أدخل في مرضاته من
توحيده اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيداً) وهو
نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك
ومخالفة الرسول (فعلوا) حينئذ (أن الحق لله) ولرسوله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع
(ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولاً

(قوله ونظيره دلامص من الدلاص) في الصحاح الدلاص اللين البراق والدلامص البراق يقال دلصت الدرع بالفتح

فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۖ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ

من قرن لانصرف ۖ وقيل معنى كونه من قومه أنه آمن به وقيل كان إسرائيليا ابن عم موسى هوقارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى بن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى إسرائيل للنوراة ولكنته نافق كما نافق السامرى وقال إذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان إلى هرون فسالى وروى أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والجبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتى بأية فأمر رؤساء بنى إسرائيل أن يجيئ كل واحد بعصاه فخرمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ماهو بأعجب مما صنع من السحر (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى إسرائيل فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا ۖ المفاتيح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتاح بالفتح ويقال ناه به الحمل إذا أنقله حتى أماله ۖ والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها وأعصوبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكنى الكرفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتيح والنوء والعصبة وأولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتيح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت اليه للدلالة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة ۖ ومحل إذ منصوب بتنوء (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ۖ ولست بمفراح إذا الدهر سرفى ۖ وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن وأقامن قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن مقال القائل

أشد الغم عندى فى سرور ۖ يتقن عنه صاحبه اتقلا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك إلى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) إلى عباد الله (كما أحسن الله إليك) أو أحسن بشكر وطاعتك الله كما أحسن إليك ۖ والفساد فى الأرض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل إن القائل موسى عليه السلام رقى واتباع (على علم) أى على استحقاق واستيجاب لما فى العلم الذى فضل به الناس وذلك أنه كان أعلم بنى إسرائيل بالنوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فغدهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلها مذبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه فى ظنى كما تقول الأمر عندى كذا كنهه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ثم زاد عندى أى هو فى ظنى ورأى هكذا ۖ ويجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه فى التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام

(قوله بأنواع التجارة والدهقة) أى الزراعة كما عبر غيره

اللَّهُ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۝ نَخْرَجُ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۝ نَخْشَفْنَا بِهٖ وَيَدَارِهِ

كأنه قيل (أو لم يعلم) في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيًا لعله بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتفتج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي أدعاه ورأى نفسه به مستوجة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى مقي به نفسه مصارع المالكين (وأكثر جمعا) للبال أو أكثر جماعة وعددا ۝ (فإن قلت) ما وجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك (في زينته) قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهم الحلى والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر ۝ كان المتمدنون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا ۝ الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا إلا كما يضر العضاء الخبط ۝ والحظ الجذ وهو البعث والدولة وصفوه بأنه رجل مجذود مبخوث يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود ۝ ويحك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لأبالك وأصله الدعاء على الرجل بالأفراف في الحث على الفعل ۝ والراجع في (ولا يلقاها) للكلمة التي تسلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير ۝ كان قارون يؤذى نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشجرت به نفسه فجمع نبي إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل النوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جملا على أن أقذفك لنفسى فخز موسى ساجدا يبكي وقال

(قوله فتفتج بالعلم) أي ترفع وتفاخر وتسكبر أفاده الصحاح (قوله بغلة شهباء عليها الأرجوان) في الصحاح قطيفة حمراء أرجوان وفيه أيضا الأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة ويقال هو بالفارسية أرغوان وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون (قوله إلا كما يضر العضاء الخبط) في الصحاح العضاء كل شجر يعظم وله شوك وفيه الخبط ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها (قوله الدعاء على الرجل بالأفراف) أي بفساد الأب أفاده الصحاح

الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۝ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكَانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ۝ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

يارب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله إلى موسى ما أفظك استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنمادعاً موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع (من يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وى) مفصولة عن كان وهى كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أى ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال وى كأن من يكن له نشب يحسب ومن يفقر يعيش عيش ضر

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وى كأنه وراء البيت وعند الكافرين أن أوتيك بمعنى وى لك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وى كقوله وى لك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أولاً لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وى ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على وى لك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا ۝ وقرئ (الخسف بنا) وفيه ضمير الله ولا تخسف بنا كقوله انقطع بنا كقوله انقطع به وتخسف بنا (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها بمعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها ۝ لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضى الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددّها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقاً بقوله إن فرعون علا فى الأرض ولا تبغ

۝ قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين (قال لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما كما قال تعالى ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون إلى الظلمة وعن على أن الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله خيراً من شراك نعل أخيه فدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددّها حتى قبض وعن الفضيل أنه قرأها وقال ذهبت الأمانى ههنا ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون لقوله إن فرعون علا فى الأرض وقوله ولا تبغ الفساد فى الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبرها على وعمر والفضيل) قال أحمد وهو تعرض لغمص أهل السنة فإن كل موحد من أهل الجنة وإنما طمعوا حيث أطمعهم الله

(قوله كقوله وى لك عنتر أقدم) أى قول عنتر ۝ ولقد شفى نفسه وأذهب سقمها ۝ قول الفوارس وى لك عنتر أقدم (قوله وقرئ الخسف بنا) يفيد أن القراءة المشهورة لخسف مبنياً للمجهول (قوله لم يوافق الموعد) لعلة الوعد

لِلْمُتَّقِينَ ۖ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ۚ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كما تدبره عليّ والفضيل وعمر ۚ معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيئات) موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرر أفضل تهجين لحالهم وزيادة تبغض للسيئة إلا يجزى السيئة إلا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبب عاقبة وهو معنى قوله فله وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة إلا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبب عاقبة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و(لرأذك) بعد الموت (إلى معاد) أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتسكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده يوم الفتح ووجه تسكيره أنها كانت في ذلك اليوم معاداله شأن ومرجعاله اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها وظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فمكان الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أنشاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه (فإن قلت) كيف اتصل قوله تعالى (قل رب أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين رب أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم (فإن قلت) قوله (إلا رحمة من ربك) ما جبه الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما أتى عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك أتى إليك ۚ وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي لغة كلب وقال

أنا من أصدوا الناس بالسيف عنهم ۚ صدود السواقى عن أنوف الحوائم

(بعد إذ أنزلت إليك) بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليتذنب يومئذ وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهر الكافرين ونحو ذلك من باب النهي الذي سبق ذكره (إلا وجهه) إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

تعالى بل حقق طمعهم في رحمته حيث يقول رسوله عليه الصلاة والسلام من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق ثلاثا وفي الثالثة وإن رغب أنف أبي ذر اللهم أقسم لنا من رجاء رحمتك ما تعصمنا به من القنوط ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

(قوله صدود السواقى) لعله السواقى بالقاء كعبارة الصحاح

(قوله بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه) لعله إنزالها

سورة العنكبوت مكية

إلا من آية ١ إلى غاية آية ١١ فهدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَيْسَ النَّاسُ نَبْرًا ۝ أَلَيْسَ النَّاسُ نَبْرًا ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ۚ

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك (فإن قلت) فإن الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية (قلت) هو في قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتحة الترك لأنه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله ۝ فتركته جزر السباع ينشئه ۝ ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فإن قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ (قلت) كما تقول خروجه لخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربه تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لخافة الشر وضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا ۝ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذو بالفقر والقهط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال وبمصابة الكفار على أذاهم وكيدهم وضراهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير متمنعين بل يمحضهم الله بضروب المحن حتى يبلوا صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونضوج نياتهم لتمييز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروى أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكاتب إليهم المهاجرون ولا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فاتبعتهم المشركون فردهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعتهم المشركون فقاتلهم ففهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أول قتل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من بدى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامراته (ولقد فتنا) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يتمتن فلان وقد امتنع من هو خير منه يعنى أن أتباع الأنبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فها هوذا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الإيمان

(قوله فتركته جزر السباع ينشئه) في الصحاح جزر السباع اللحم الذي تأكله اها وناشه ينوشه إذا تناوله باطشابه كما يفيد الصراح

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

(وليعلمن الكاذبين) فيه (فإن قلت) كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعداً ووعداً كأنه قال وليثبتن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ على رضى الله عنه والزهرى وليعلمن من الإعلام أى وليعرفهم الله الناس من هم أو ليس منهم بعلامة يعرفون بها من يياض الوجوه وسوادها وكل العيون وزرقها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعنى أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطعموا فى الفوت ولم يتحدثوا به نفوسهم ولسكنهم لغفلتهم وقلة فمكرهم فى العاقبة وإصرارهم على المعاصى فى صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا لأنهم لا يعجزون (فإن قلت) أين مفعولاً حسب (قلت) اشتغال صلة أن على مسند ومسند إليه ستمسدت المفعولين كقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحساب أبطل من الحساب الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (ساء ما يحكمون) بئس الذى يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكماً يحكمونه حكمهم هذا لحذف المخصوص بالذم ۚ لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت والبحث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتى ويذكر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضى من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فعنى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشر (فإن أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذى يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القرية عند الله والرفق (وهو السميع العليم) الذى لا يخفى عليه شئ مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلى فى صفة عسال ۚ إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها ۚ (فإن قلت) فإن أجل الله لآت كيف وقع جواباً للشرط (قلت) إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذى تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه فى منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه (فإنما يجاهد) لها لأن منفعة ذلك راجعة

﴿القول فى سورة العنكبوت﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» (قال إن قلت هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان فما وجه هذا الكلام قلت لم يزل يعلمه معدوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد) قال أحمد فيما ذكر إيهام بمذهب فاسد وهو اعتقاد أن العلم بالكائن غير العلم بأن سيكون والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ههنا وإن كان سابقاً على وجود المعلوم التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال تعالى لنعلمنهم فلنجازيهم بحسب علمه فيهم والله أعلم ۚ قوله تعالى «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون» (قال محمود المراد بهؤلاء أحد فريقين إما قوم مسلمون سيئاتهم صغائر مغمورة بالحسنات وإما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر فالإسلام يجب ما قبله) قال أحمد حجر واسعا من رحمة الله تعالى بناء على أصله الفاسد فى وجوب الوعيد على مرتكب السيئات السكابر إلا بالتوبة وأطلق تكفير الصغائر وإن لم تكن توبة إذا غمرتها الحسنات وكلما الأصلين قدرى يجذب والله الموفق

أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إليها وإنما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغنى عنهم وعن طاعتهم ۝ إنا أن يريد قوماً مسلمين صالحين قد أساؤا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أى يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذى كانوا يعملون أى أحسن جزاء أعمالهم وإنا قوماً مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فله عز وجل يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام ۝ وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيداً بأن يفعل خيراً كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح وذيانية وصت بذنبا ۝ بأن كذب القراطيف والقروف

كما لو قال أمرتهم بأن ينتهبوها ومنه قوله تعالى « ووصى بها إبراهيم بنبيه » أى وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيداً بعمره ومعناه وصيته بتعهده وعمره ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) وصيناه بإيتاء والديه حسناً أو بإيلاء والديه حسناً أى فعلاً حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسناً وقرئ حسناً وإحساناً ويجوز أن تجعل حسناً من باب قولك زيداً يا ضمار ضرب إذا رآته متبهاً للضرب فتصبه يا ضمار أو لها أو أفل بهما لأن النوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفو (لا تطعهما) في الشرك إذا حملك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدأ أحسن أحسن الوقف وعلى التفسير الأول لا بد من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهدك أيها الإنسان (ما ليس لك به علم) أى لا علم لك بإلهيته والمراد بنفى العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بى شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نهى بهن عن طاعتها إذا أراداه على ما ذكر على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال إلى مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيان أحدهما أن الجزاء إلى فلا تحدث نفسك بحفوة والديك وعقوقهما الشر كهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما أنى لأمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتها على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد . روى أن سعد بن أبي وقاص الزهري رضى الله عنه حين أسلم قالت أمه وهى حنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس : يا سعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا بظلى سقفت بيت من الضح والريح وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها إليها فابى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالإحسان وروى أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخزومة امرأة من بنى تميم من بنى حنظلة فنزلا بعياش وقالاه إن من دين محمد صلة الأرحام وبزوال الدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى يتناحى تراك وهى أشد حبا لك منا فاخرج معنا وقتلنا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يتخذانك ولك على أن أقسم مالى بيني وبينك فإزالا به حتى أطاعهما وهى عمر فقال له عمر أما إذ عصيتى فخذناقتى فليس في الدنيا بعير يلحقهما فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطى لنفسه وله فأخذاه وشدها وثاقاً وجلده

(قوله بأن كذب القراطيف والقروف) في الصحاح كذب قد يكون بمعنى وجب والقرطف القطيفة والقرف بالفتح وعاء من جلد يدبغ بالقرفة وهى قشور الرمان ويجعل فيه الخلع وهو لحم يطبخ يتوابع فيفترغ فيه أى عليكم بالقراطيف والقروف فاغتموها اه (قوله فوالله لا يظلى سقفت بيت من الضح) في الصحاح الضح الشمس وفي الحديث لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان اه (وقتلانه في الذروة والغارب) في الصحاح مازال فلان يقتل من فلان في الذروة والغارب أى يدور من وراء خديعته

تَطْعُمَاهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمُ فِي الصَّالِحِينَ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۝
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَمِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

كل واحد منهما مائة جلدة وذهب به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت (في الصالحين) في جملتهم
والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام «وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين» وقال في إبراهيم عليه السلام «وإنه في الآخرة لمن الصالحين» أو في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله تعالى
«ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» الآية هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا مسهم أذى من الكفار
وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون
عذاب الله صارفا ۝ وإذا نصر الله المؤمنين وغنهم اعترضوهم وقالوا (إننا كنا معكم) أى مشاييعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثابتكم
ما قدر أحد أن يقتلنا فأعطونا نصيبنا من المغنم ۝ ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بما في صدور العالمين) من العالمين بما في صدورهم
ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من التفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما يظنونه ثم وعد المؤمنين وأوعده المنافقين وقرئ
ليقولن بفتح اللام ۝ أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على
الأمرو وأرادوا ليجمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالإتباع وهذا قول
صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإننا نتحمل عنكم الإنهم ونرى في المتسمين
بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم أفعله هذا وإثمه في عنق وكم من مغرور
بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع إليه بعض أهل الخشوع حوائجها فلما قضاه
قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله إياك وهؤلاء
فإنهم قطاع الطريق في المأمن ۝ (فإن قلت) كيف سماهم كاذبين وإنما ضمنوا شيئا علم الله أنهم لا يقدر على الوفاء به
وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاجن ضمن ولا حين يحجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو
الخبر عن الشيء لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ماضئوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على
ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه الخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على
خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أى أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعنى أثقالا

۝ قوله تعالى «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء» إنهم
لكاذبون» (قال وبعض المتسمين بالإسلام إذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له أفعله هذا وإثمه في عنق ومنه ما يحكى
أن رجلا رفع إلى المنصور حوائجها ففضاها وماهى فقال يا أمير المؤمنين بقيت لي إليك حاجة هي العظمى قال وماهى قال
شفاعتك في المحشر فقال عمرو يا أمير المؤمنين إياك وهؤلاء فهم قطاع الطريق في المأمن) قال أحمد: عمرو بن عبيد
أول القدرية المنكرين للشفاعة فاحذره وليست إلا آية مطابقة للحكاية ولكن الزمخشري يبني على أنه لا فرق بين اعتقاد
الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم فلذلك ساقهما مساقا واحدا نعوذ بالله من ذلك ۝ وفي قوله تعالى

نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۖ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ إِنَّمَا

آخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أفعال الذين كانوا سييئاً في ضلالهم (وليسئلن) سؤال تقرير (عما كانوا يفترون) أي يختلفون من الأكاذيب والأباطيل ۖ وقرئ من خطيأتهم ۖ كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبت في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة ۖ (فإن قلت) هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لأنه لو قيل كآلة لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع بحيثه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كبده من طول المصابرة تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونثباته فكان ذكر رأس العدد الذي لارأساً كثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره (فإن قلت) فلم جاء المميز أولاً بالسنة وثانياً بالعام (قلت) لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد تحقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض يتمحبه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك (والتوفان) ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج ۖ وغم طوفان الظلام الاثاباً (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية وسبعين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونسأؤهم وعن محمد بن إسحق كانوا عشرة وخمسة رجال وخمس نسوة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة والضمير في (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة ۖ نصب (إبراهيم) بإضمار أذكر وأبدل عنه (إذ) بدل الاشتغال لأن الأحيان تشمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحاً وإذ ظرف لآرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغاً صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم (إن كنتم تعلمون) يعني إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم وقرئ تختلفون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتختلفون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ إفكاً فيه وجهان أن يكون مصدراً نحو كذب ولعب والإفك مخفف منه كالسكذب واللعب وأن يكون صفة على فعل أي خلقاً إفكاً أي ذا إفك وباطل واختلافهم الإفك تسميتهم الآوثان آلهة وشركاء الله أو شفعاء إليه أو سمي الأصنام إفكاً وعملهم لها ونحتهم خلقاً للإفك (فإن قلت) لم نكر الرزق ثم عرفه (قلت) لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوا شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق وحده

إنهم لكاذبون نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر فإن من الناس من أنكره والتزم تخريج جميع ما ورد في ذلك على أصل الأمر ولم يتم له ذلك في هذه الآية لأن الله تعالى أردف قولهم ولنحمل خطاياكم على صيغة الأمر بقوله إنهم لكاذبون والتكذيب إنما يتطرق إلى الإخبار ۖ قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً (قال عدل عن تسعمائة وخمسين لأنه يحتمل فيه إطلاق العدد على أكثره بخلاف بحيثه مع الاستثناء) قال أحمد لأن الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص تحريراً للعدد فلا يحتمل المبالغة لأنها لا يجوز معها العدد عاد كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح وكابده من طول المصابرة تسلياً له عليه السلام فكان ذكر رأس العدد الذي لارأساً أكثر منه أوقع على الغرض قال وإنما خالف بين اللفظين فذكر في الأول السنة وفي الثاني العام تجنباً للتكرار الذي لا يحمد إلا لقصد تفخيم أو تعظيم) قال أحمد ولو نغم المستثنى

(قوله وغم طوفان الظلام الاثاباً) في الصحاح الاثاب شجر

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

لا يرزق غيره (إليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقاءه بعبادته والشكر له على أنعمه وإن تكذبوني فلا تضروني بتكذيبهم فإن الرسل قبل قد كذبهم أمهم وما ضرهم وإنما ضرروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قریش بين أول قصة إبراهيم وآخرها (فإن قلت) إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأم قبله (قلت) قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أم حجة مكذبة ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنه وأعتابهم على التكذيب ۝ (فإن قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا في الأرض (قلت) هي حكاية كلام حكاة إبراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهج في أكثر القرآن (فإن قلت) فإذا كانت خطبا لقریش فما وجه توسطهما بين طرفي قصة إبراهيم والجملة . أو الجملة الاعتراضية لابتدائها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكه وزيد أبوه قائم خير بلاد الله (قلت) إيراد قصة إبراهيم ليس لإلزامه للإرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى أنكم يا معشر قریش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيا لها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه ۝ قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الروية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك مازلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فإن قلت) هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله مازلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد دل بقوله

لعاد ذلك ببعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع والله أعلم ۝ قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وإنما هو إخبار على حياله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة كقولك مازلت أوثر فلانا وأستخلفه (بعدي) قال أحمد وقد تقدم له عند قوله تعالى آمن يبدئ الخلق ثم يعيده أنه معطوف وصحح العطف وإن كانوا ينكرون الإعادة لأن الاعتراف بها لازم لهم وقد أبى ههنا جملة معطوفا فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الإعادة على البداءة لدخلت في الرؤية الماضية وهي لم تقع بعد ولا كذلك في آية النمل ولقائل أن يقول هي وإن لم تقع إلا أنها بإخبار الله تعالى بوقوعها كالواقعة المرئية فعملت معاملة ما روى وشوهد (قوله كان ممنوا بنحو ما منى به) أي مبتلى في الصحاح منوته ومنيته إذا ابتليته (قوله وهو كما ترى اعتراض واقع) لعله واقع موقعه

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتِ اللَّهُ وَلَقَاتَهُ أَولَئِكَ يَتَّخِذُونَ رَحْمَتِي وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

(النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وإن كل واحد منهما إنشاء أى ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لا تفاوت بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاء كالرأفة والرأفة (فإن قلت) مامعنى الإفصاح باسمه مع إبقائه مبتداً فى قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد إضماره فى قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقعاً فى الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قرره فى الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا كان الله الذى لا يعجزه شيء هو الذى لم يعجزه الإبداء فهو الذى وجب أن لا تعجزه الإعادة فكانه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتداً (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئين مفسر مبين فى مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق إذالم يتوبا ومن المعصوم والثائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (فى الأرض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان رضى الله عنه :

أمن يهجو رسول الله منكم ۝ ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطم فى مهاوى الأرض وأعماقها أو علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة أولاتعجزون أمره الجارى فى السماء والأرض أن يجرى عليكم فيصيدكم بيلا يظهر من الأرض أو ينزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يتسوا من رحمته) وعيد أى يأسون يوم القيامة كقوله : ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون . أو هو وصف لحالهم لأن المؤمن إنما يكون راجياً خاشياً فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يتس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه أن الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يتسوا من رحمته وقال إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن أن لا يأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجياً لله عز وجل خائفاً ۝ قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقيون

إلا أن جعله خبراً ثانياً أوضح والله أعلم . قوله تعالى قل سيرا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال إن قلت) ما وجه الإفصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد إضماره فى البداءة أو لا قلت لأن النشأة الآخرة هى المقصودة وفيها كانت تصطك الركب فكانت خليفة بإبراز اسمه تعالى تحقيقاً لنسبة الإعادة إلى من نسبت إليه الأولى (قال أحمدو الأصل الإظهار ثم الإضمار ويلىه لقصد التخييم الإظهار بعد الإظهار ويلىه وهو أنخم الثلاثة لإظهار بعد الإضمار كفى الآية والله أعلم

(قوله ومتعلق المشيئين مفسر مبين فى مواضع من القرآن) تفسيره بما يأتى مبنى على أنه تعالى يجب عليه تعذيب الكافر والفاسق إذالم يتوبا وإثابة المعصوم والثائب وهو مذهب المعتزلة ولا يجب عليه تعالى شيء عند أهل السنة فالمشيئة فى الآية على إطلاقها (قوله وقيل ولا من فى السماء) عبارة الخازن ولا من فى السماء بمعجز (قوله وعقابه صفة المؤمن) لعله لأن صفة المؤمن الخ

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ۝ فَثَمَّانَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّمَا لَتَأْتُونَكَمُ الْفَحْشَاءَ مَاسْبِقَكُمْ يَهَىٰ مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝
أَنسِكُمْ لَأَتَاوُنَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّخِذْنَا

راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين ۝ وروى أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار نعى يوم ألقى إبراهيم في النار وذلك
لذهاب حرها ۝ قرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أى لتوادوا
بينكم وتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم
وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ إلهه هو أى اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف
المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم
كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبرا لأن على أن ماموصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان
مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح
وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أوثانا إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا أى إنما تتوادون عليها أو تودونها
في الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبد ويتلاعن العبد والاصنام كقوله
تعالى ويكونون عليهم ضدا ۝ كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه
(وقال) يعنى إبراهيم (إنى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل
نبي هجرة ولا إبراهيم هجرتان وكانت معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (إلى ربى)
إلى حيث أمرنى بالهجرة اليه (إنه هو العزيز) الذى يمننى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى إلا بما هو مصلحتى
(أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه ۝ (فإن قلت) ما بال
إسماعيل عليه السلام لم يذكر وذكر إسحق وعقبه (قلت) قد دلّ عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى
الدليل لشهرة أمره وعلو قدره ۝ (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته منازل
على ذريته من الكتب الأربعة التى هى التوراة والزيور والإنجيل والقرآن (ولو ط) معطوف على إبراهيم أو على
ما عطف عليه و(الفاحشة) الفعللة البالغة فى القبح و(ماسبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة
تلك الفعللة كأن قائلها قال لم كانت فاحشة فقيل له لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزأ منها فى طباعهم لإفراط قبحها
حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طبيعتهم وقدر طباعهم قالوا لم ينزل ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط ۝ وقرئ إنكم بغير
استفهام فى الأول دون الثانى قال أبو عبيد وجدته فى الإمام بحرف واحد بغير ياء رأيت الثانى بحرفين الياء والنون ۝ وقطع
السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال وقيل اعتراضهم السابلية بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل
بإتيان ما ليس بحرث و(المنكر) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقة ومضغ
العلك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة رضى الله عنها كانوا
يتعاقبون وقيل السخرية بمن مربهم وقيل المجاهرة فى ناديتهم بذلك العمل وكل معصية فأظهارها أقبح من سترها ولذلك

(قوله كانوا يتعاقبون وقيل السخرية) فى الصحاح الحبق بالكسر الردام وفيه أيضا الردام بالضم الحبق اه وهو دور

يَعَذَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالبَشَرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُونَ ۝ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَىٰ
مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثَمِينَ ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزِينَتِهِمُ الشَّيْطَانُ

جاء من خرق جلباب الحياء فلاغية له ولا يقال للجلس ناد إلا مادام فيه أهله فإذا قاموا عنهم يبق ناديا (إن كنت من
الصادقين) فيما تعداه من نزول العذاب ۝ كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا
وكرها ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصتوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه
(بالبشرى) هي البشارة بالولد والنافلة وهما إسحق ويعقوب ۝ وإضافة مهلكو إضافة تخفيف لا تعريف والمعنى لاستقبال
والقرية سدوم التي قبل فيها أجور من قاضى سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قد استمر منهم إيجاده في الأيام السالفة
وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (إن فيها لوطا) ليس إخبار أنهم بكونه فيها وإنما هو جدال في شأنه
لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فهم من هو برىء من الظلم وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليهم وما يجب
للدؤم من التحزن لأخيه والنشر في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن
ألا يحوط المؤمن ألا ترى إلى جوابهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه
وامتيازهم منهم الامتياز البين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون تخفض على نفسك وهون عليك الخطب ۝ وقرئ لتنجينه بالتشديد
والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين متربئا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل
بينهما كأنهما وجد في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه
(وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة
كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقا له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع
فضر بذلك مثلا في العجز والقدرة ۝ الرجز والرجز العذاب من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق
والاضطراب ۝ وقرئ منزلون مخفقا ومشددا (منها) من القرية (آية بيينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة
وقيل الماء الأسود على وجه الأرض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا أو بيينة (وارجوا) وافعلوا ما ترجون به
العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يستوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة
الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف ۝ والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب رجفت
لها (في دارهم) في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا)

فلينظر حله ثم رأيت فيه في مادة ضرط الضراط الردام وقد ضرط يضطربا بكسر الراء مثال حبق بحبق حبقا اه
فالتحابق المضارطة كما عبر النسفي (قوله فاجأته المساءة من غير ريث) أى بطة

اعملهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين * وقرون وفرعون وهمن ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين * فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العلون * خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين *

منصوب يا ضمار أهلكنا لأن قوله فأخذتهم الرجة يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه من إهلاكهم (من) جهة (مساكنهم) إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يرون عليها فيسافرونها (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجأوا حتى هلكوا (سابقين) فائقين أدر كهم أمر الله ففوتوه * الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم . والصيحة لمدين وثمود ، والخسف لقارون ، والغرق لقوم نوح وفرعون * الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (فإن قلت) ما معنى قوله (لو كانوا يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت) معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر هو أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتاً بالإضافة إلى رجل يبنى بيتاً بأجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت إذا استقرتها بيتاً بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقرتها ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون * قرئ تدعون بالناء والياء وهذا تأكيد للبطل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئاً (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلاً وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وتدبير * كان الجهملة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها إلا العالمون) أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلاهم لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتججة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحّد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب منكره (بالحق) أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكونوا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) ونحوه قوله تعالى « وما خلقنا السماء

قوله تعالى « خلق الله السموات والأرض بالحق » (قال فيه أي بالغرض الصحيح) قال أحمد لفظة قدرية ومعتقد رديء

(قوله قديين لهم على السنة الرسل) لعله قديين وقديعير بالمضارع لأن الكلام على سبيل التجويز

أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِي أَعْيُنِكُمْ قِيلَ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُ أَهْلَ آمَنًا
بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَحْدَهُ وَمَنْ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ۝ وَمَا

والأرض وما بينهما باطلا ، ثم قال ذلك ظن الذين كفروا ۝ الصلاة تكون لطفاً في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها
(فإن قلت) كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته (قلت) الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن
يدخل فيها مقدماً للتوبة النصوح متقياً لقوله تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين » ويصلها خاشعاً بالقلب والجوارح
فقد روى عن حاتم كَأَنَّ رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوق وأصلي بين
الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصلها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً وعن الحسن رحمه الله من لم
تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيّاً للصلاة جزه ذلك إلى أنه
ينتهي عن السيئات يوماً ما فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل
فقال إن صلاته لتزدعه وروى أن قتي من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه
فوصف له فقال إن صلاته ستناه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال إن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء
والمنكر من لا يراعيها وأيضاً فكم من مصلين تنههم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد
من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيداً ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المنكر وإنما تريد أن
هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم (ولذكر الله أكبر) يريد وللصلاة أكبر من غيرها
من الطاعات وسمّاها بذكر الله كما قال « فاسعوا إلى ذكر الله » وإنما قال ولذكر الله ليستقلّ بالتعليل كأنه قال وللصلاة
أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيها عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى
من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته
(والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (بالتي هي أحسن) بالخلصة التي هي أحسن وهي
مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالآناة كما قال : ادفع بالتي هي أحسن (إلا الذين ظلموا) فأفراطوا في
الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يدا الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤذنين
للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلهم بالسيف وعن قتادة الآية
منسوخة بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ولا مجادلة أشد من السيف ۝ وقوله (قولوا آمنا بالذي أنزل
إلينا) من جنس المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا
بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم ۝ ومثل ذلك الإنزال (أنزلنا إليك الكتاب) أي
أي أنزلناه مصداقاً لسائر الكتب السماوية تحقيقاً لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليك وقيل وكما أنزلنا الكتاب إلى من كان
قبلك أنزلنا إليك الكتاب (فالذين آتيناكم الكتاب) هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل مكة وقيل أراد

قد تقدم إنكاره على القدرة ولو كان ما قالوه حقاً من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التي لا تليق بالأدب
والله سبحانه وتعالى أعلم

كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيْنَتْ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ

بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء من في عهده منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه * وأنت أُمِّي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (إذا) لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أول ارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلبه أو كتبه بيده (فإن قلت) لم يساهم مبطلين ولولم يكن أميأ قالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكن أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلبه أو سبه فإنه رجل قارئ كاتب (قلت) ساهم مبطلين لا هم كفروا به وهو أُمِّي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لولم يكن أميأ لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتابهم وشيء آخر وهو أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فالفهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا به بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليس بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أُمِّي ومبطلون لولم يؤمنوا به وهو غير أُمِّي (فإن قلت) ما فائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاو بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتباً ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبه فكذلك النفي (بل) القرآن (آيات بينات في صدور) العلماء به وحفاظه وهم من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظاً في الصدور يتلوه أكثر الأئمة ظاهر بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الأئمة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد) بآيات الله الواضحة إلا المتوغلون في الظلم المكابرون * قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك (إنما الآيات عند الله) ينزل أيها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقرحونه لفعل (وإنما أنا نذير) كلفت الإنذار وإبانه بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أخير على آياته فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع على أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما نزول كل آية بعد كونها وتكون في كل مكان دون مكان * إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (رحمة) لنعمة عظيمة لا تشكره وتذكره (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فقلنا أن نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حاقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاءهم به غير نبيهم فزلت والوجه ما ذكرناه (كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) أي قد بلغنكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم قابضتموني بالجحد والكذب (يعلم ما في السموات والأرض) فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون)

(قوله فحين ليس) لعله فحين كان ليس (قوله على أن المنزلين ليسا بمعجزين) لعله المنزلين عليهما

بَغْتَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَعْبَادُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ أَرْضَى وَسِعَةً فَيَأْبَى فَاعْبُدُون *
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَكَانَ مِنْ دَآبَّةِ

المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم على
هدى أو في ضلال مبين وكقول حسان * فشر كما لخير كما الفداء * وروى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من
يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيباً والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم
أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفاً من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله وبينه في اللوح
لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيرها إلى ذلك الأجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلاً والمراد بالأجل الآخرة لما روى
أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يسأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة
وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم (آجالهم) (لمحيطه) أي ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) أو هي محيطه بهم في الدنيا لأن
المعاصي التي توجبها محيطه بهم أو لأنهم آلمهم ورجعهم لأحالة فكأها الساعة محيطه بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب
بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و(من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ما كنتم تعملون) أي جزاءه * معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل
له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر
عبادة وأحسن خشوعاً ولعمري أن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير وقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما
دربنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضمر اللهم المنتشر وأحسن على القناعة وأطرد
للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فله الحمد على
ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى
أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بنكة الذين نزل
فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة
(فأياي فاعبدون) في المتكلم نحو إياه ضربته في الغائب وإياك عضت في المخاطب والتقدير فأياي فاعبدوا فاعبدون (فإن
قلت) ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أَرْضَى واسعة فإن لم
تخلصوا العبادة في أرض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذف تقديم المفعول مع إفادة تقديمه
معنى الاختصاص والإخلاص * لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق
البلاد وإن شسعت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته وكرهه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه
إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده (لنبوئهم) لنزولهم
(من الجنة) علالي وقرئ لنزولهم من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وثوى غير
متعد فإذا تعدى زيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحداً نحو ذهب وأذهته والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى
الغرف إما لجرأه مجرى لنزولهم ونبوئهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمهم * وقرأ يحيى
ابن رثاب فنعم بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن

(قوله أوفق البلاد وإن شسعت) أي بعدت (قوله أو تشبيه الظرف المؤقت بالمهم) أي المحدد وهو العرف

لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوْنُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *

والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله * لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت * والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تنطق أن تحمل لضعفها عن حمل (الله يرزقها وإياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لسكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عينة ليس شيء يحيا إلا الإنسان والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقق مخايب إلا أنه ينساها (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما في ضمائرهم * الضمير في (سألتهم) لأهل مكة (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض * قدر الرزق وقدره بمعنى إذا ضيقه (فإن قلت) الذي رجع إليه الضمير في قوله (ويقدره) هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جملا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة (إن الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم * استشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفى الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للضمير ثم قال (بل أكثرهم لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد ولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفتنون لم حمدت الله عند مقالهم (هذه) فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة * يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون (وإن الدار الآخرة هي الحيوان) أى ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حيوان فقلبت الياء الثانية وأوأ كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتري من الموتان ولا تشتري من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والغصان واللهايان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فجيشه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة (لو كانوا يعلمون) فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها * (فإن قلت) بم اتصل قوله فإذا ركبوا (قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على

* قوله تعالى وإن الدار الآخرة هي الحيوان (قال إنما عدل عن الحياة إلى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة ودوامها) قال أحمد والذي يخص هذا البناء به إفادة ما لا يخلو من الحركة كالنزوان والجولان والحيوان من ذلك والله أعلم (قوله قالوا اشتري من الموتان) الذي في الصحاح اشتري الموتان ولا تشتري الحيوان أى اشتري الأرض والدار ولا تشتري الرقيق والدواب اه (قوله كالنزوان والغصان واللهايان) في الصحاح اللهايان بالتحريك انتقاد الدار

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَتَخْطُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

ما وصفوا به من الشرك والعناد (فإذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين الله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهمك (فلما نجاهم إلى البر) وآمنوا عادوا إلى حال الشرك ۝ واللام في (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كي وكذلك في (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شأوا وهوانه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخيلة وإن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والأمر بالشئ مرید له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذا قد أيدت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك * كانت العرب حول مكة يغزوا بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قتلهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم ۝ افتراؤهم على الله كذبا زعمهم إن الله شريكا ۝ وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله (لما جاءهم) تسفيه لهم بمعنى لم يتلعموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجع العقول المثبتون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يوضح لهم صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوابهم في جهنم كقوله ۝ أستم خير من ركب المطايا ۝ قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل وحقيقته أن الحمزة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوبون في جهنم وألا يستوجبون الثواب فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثنى للكافرين حتى اجتروا مثل هذه الجرأة ۝ أطلق المجاهدة ولم يقيد بها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولو جهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) لنزيدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية

إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ اللَّهُمَّ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ
سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرْحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝

(سورة الروم ستون آية مكية إلا قوله فسبحان الله)

(بسم الله الرحمن الرحيم) القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض أرض العرب لأن الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنبابة اللام مناب المضاف إليه أى في أدنى أرضهم إلى عدوهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأردن وفلسطين وقرئ في أدنى الأرض والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشوق على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشتتوا وقالوا أتم النصرارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه لا يقر الله أعينكم فوالله لنظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت يا أبافصيل اجعل بيننا أجلا أماحك عليه والمناجبة المرهنة فناجبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلنا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلناها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والجلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في إحداها إضافة المصدر إلى المفعول وفي الثانية إضافة إلى الفاعل ومثالها محترم عليكم إخراجهم ولن يخلف الله وعده (فإن قلت) كيف صحت المناجبة وإنما هي قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجوا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبى بن خلف (من قبل ومن بعد) أى في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم مغالبين وهو وقت كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم مغالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولا ومغالبين آخر ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداؤها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجز من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبل وبعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنهولى

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ه يَعْلَمُونَ ظَهَرَ مِنَ الْحَيَاةِ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ه أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى

بعض الظالمين بعضا و فرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا و قل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة الإسلام وعن أبي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنين (وهو العزيز الرحيم) بنصر عليكم نارة وينصركم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لأن معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لأن ما سبقه في معنى وعد ه ذهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فيقره بأصبعه فيعلم أردى هو أم جيد وقوله (يعلمون) بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعيم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تكثير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر ه وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ (و غافلون) خبره والجملة خبرهم الأولى وأن يكون تكريراً للأولى وغافلون خبر الأولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع (في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفاً كأنه قيل أولم يحدثوا التفكير في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكير لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكير كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكره و (ما خلق) متعلق بالقول المخدوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فعملوا لأن في الكلام دليلاً عليه (إلا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقهما باطلاً وعبثاً بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا تنق خالدة وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله تعالى أخسيتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثاً ه والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بتياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به (فإن قلت) إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكير فما معناه (قلت) معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحساناً وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على

﴿القول في سورة الروم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا (قال) فيه يعلمون بدل من الأول وفي البدل نكتة وهي الإشعار بأنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا حتى كأنهما شيء واحد فأبدل أحدهما من الآخر وفائدة تكثير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها (قال) أحد وفي التكثير تقليل لمعلومهم وتقليل يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه وروى عن الحسن أنه قال في تلاوته هذه الآية بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه فيعلم أجيد هو أم ردى.

(قوله و قل هؤلاء شوكة هؤلاء) أي كسر أفاده الصحاح

وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بَلَغَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْوَأُ السَّوَاءِ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَبْدُوهُمُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ

الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت ۝ والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) وحرثوها قال الله تعالى ولا ذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحراث المثيرة وقالوا سمى ثوراً لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أى تشقها (وعمروها) بنى أولئك المدمرون (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة وأهل مكة وأدى غير ذى زرع ما لهم إثارة الأرض أصلاً ولا عمارة لها رأساً فما هو إلا أنهم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضاً ضعاف القوى فقله كانوا أشد منهم قوة أى عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقله ۝ أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر ۝ فما كان تدميره إياهم ظلاً لهم لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ۝ قرئ عاقبة بالنصب والرفع و (السوأة) تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأة إلا أنه وضع المظهر موضع المضمراى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و (أن كذبوا) بمعنى لأن كذبوا ويجوز أن يكون بمعنى أى لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أسوأ أساؤا السوأة بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة الإبهام (ثم إليه ترجعون) أى إلى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء الإبلات أى سقى بائساً ساكناً متحيراً يقال ناظرته فأبلس إذا لم يفس ويئس من أن يحتج ومنه الناقه الملباس التى لا ترغو ۝ وقرئ يلبس بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بإلهيتهم ويحسدونها أو كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم ۝ وكتبوا شفعاوا فى المصحف بو أو قبل الألف كما كتب علوا بنى إسرائيل وكذلك كتبت السوأة بألف قبل الياء لإثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ۝ الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين هؤلاء فى أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (فى روضة) فى بستان وهى الجنة والتكثير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبسون) يسرون يقال حبسه إذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره

الْآخِرَةَ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ۖ فَسُبْحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۖ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ

ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد رضى الله عنه يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن
كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي
إن في الجنة نهراً حافاه الأبقار من كل بيضاء خوصانية يتغني بأصوات لم تسمع الخلائق بمثله قط فذلك أفضل
نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بهم يتغني قال بالتيسيح وروى إن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من
فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات
لو سمعها أهل الدنيا لما أتوا طرباً (محضرون) لا يغنيون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم
لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتيسيح ظاهره الذي هو
تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل
لابن عباس رضى الله عنهما هل تجمد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون) صلاتنا المغرب
والعشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشياً) صلاة العصر و (تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشياً متصل
بقوله حين تمسون وقوله «وله الحمد في السموات والأرض» اعتراض بينهما ومعناه إن على المميزين كلهم من أهل
السموات والأرض أن يحمده (فإن قلت) لمذهب الحسن رحمه الله إلى أن هذه الآية مدنية (قلت) لأنه كان يقول فرضت
الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الأكثر أن الخمس إنما فرضت بمكة وعن
عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد
في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك
تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حيناً تمسون وحيناً تصبحون
والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً معنى فيه (الحى من الميت) الطائر من البيضة و (الميت
من الحى) البيضة من الطائر وإحياء الأرض لإخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الإخراج تخرجون
من القبور وتبعثون والمعنى أن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من
الحى وإخراج الحى من الميت وإحياء الميت وإماتة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب)
لأنه خلق أصلهم منه و (إذا) لل مفاجأة وتقديره ثم فجأتهم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض كقوله وبث منهما
رجلاً كثيراً ونساء (من أنفسكم أزواجا) لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال
أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والسكرن وما بين الجنسين
المختلفين من النافر (وجعل بينكم) التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنِّكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ تَقْوَمَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۝ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ

يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضى الله عنه المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ۝ ويقال سكن إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه واطمان إليه ومنه السكن وهو الألف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول وقيل إن المودة والرحمة من قبل الله وإن fark من قبل الشيطان ۝ الألسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عز وجلين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهرية ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكمة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور ونخطيطها والألوان وتوزيعها واختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلا تفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لو وقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتهيان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذروهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله يختلفون متفاوتون ۝ وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسر هاء ويشهد لكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون ۝ هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرنين الأولين بالقرنين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه شئ واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغائكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأسند المعاني ما دل عليه القرآن يسمعون بالآذان الواعية ۝ (يربكم) وجهان إضماراً وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعدي خير من أن تراه وقول القائل : وقالوا ما نشاء فقلت الهو ۝ إلى الإصباح أثر ذى أثر (خوفاً) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) في الغيث وقيل خوفاً للساافر وطمعاً للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فإن قلت) من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون في المعنى لأنهم راؤون فكانه قيل يجعلكم راثنين البرق خوفاً وطمعاً والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف) أى إرادة خوف وإرادة طمع حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أى خائفين وطماعين ۝ وقرئ ينزل بالتشديد (ومن آياته قيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد) (بأمره) أى بقوله كونا قائمتين والمراد بإقامته لهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (إذا دعاكم) بمنزلة قوله

قوله تعالى ۝ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ۝ (قال فإن قلت أين نصب خوفاً وطمعاً مفعولاً لهما وليس فاعل الفعل المعلل فواجه ذلك قلت المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤون فتقديره يجعلكم راثنين البرق خوفاً وطمعاً أو على حذف مضاف تقديره إرادة خوفكم وطمعكم قال أحمد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته وحيث يُلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهى كونهما مصدرين ومقارنين في الوجود والفاعل الخالق واحد فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه فتقول معنى قول الجاهل في المفعول له لا بد أن يكون فعل الفاعل أى ولا بد أن يكون الفاعل متصفاً به مثاله إذا قلت جئتكم إكراماً لك فقد وصفت نفسك بالإكرام فقلت في المعنى جئتكم مكرماً لك والله تعالى وإن خلق الخوف والطمع لعباده إلا أنه مقدس عن الاتصاف بهما فمن ثم احتسج إلى تأويل النصب على المدهين جميعاً والله أعلم

(قوله وإن fark من قبل الشيطان) في الصحاح fark بالكسر البغض (قوله وقرئ ينزل بالتشديد) بعيد أن المشهور بالتخفيف

لَهُ قَتْنُونَ ۖ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

يربكم في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليباً دعوة فكأنما ۖ دعوت به ابن الطود أو هو أسرع يريد بان الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض ثم يانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقترانه على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبق نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ۖ قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيداً من أعلى الجبل فنزل على ودعوته من أسفل الوادي فطالع إلى (فإن قلت) بم تعلق (من الأرض) بألف الفعل أم بالمصدر (قلت) هيأت لإذاجاء نهر الله بطل نهر معقل ۖ (فإن قلت) ما الفرق بين إذا وإذا (قلت) الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ۖ وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها (قاتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فيما يجب عندهم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرج وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرتة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فإن قلت) لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون عليه والمراد به الإعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فإن قلت) لم أخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو على هين (قلت) هناك قصد الاختصاص وهو محزه قليل هو على هين وإن كان مستصعباً عندهم أن يولد بين هم وعاقروأماهنا فلامعنى للاختصاص كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فإن قلت) ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء

ۖ قوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أتمت تخرجون الآية (قال) إن قلت ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء) قال أحمد: إنما يلقي في السؤال تعظيم الإعادة من عطفها بتم إذاً بتغير مرتبتها وعلو شأنها وقوله في الجواب إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا يخلص فإن الإعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره وقيامهما ابتداء وإنشاء أعظم من الإعادة فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن الإنشاء ويعود الإشكال والمخلص والله أعلم جعل ثم على بابها لتراخي الزمان لا لتراخي المراتب وإن سلم أنها لتراخي المراتب فعلى أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هي الدنيا وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب فإن المعطوف حينئذ في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه والله أعلم ۖ قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) إن قلت لم أخرت الصلة ههنا وقد قدمت في قوله تعالى هو على هين قلت لأن المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هناك فإنه اختصاص الله تعالى بالقدرة على إيلادهم والعاقروأما المقصد هنا فلامعنى للاختصاص فيه كيف والأمر مبني على ما يعتقده في الشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء فالاختصاص بغير المعنى

(قوله أن يولد بين هم وعاقرو) في الصحاح الهم بالكسر الشيخ الفاني

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتِكُمْ فَإِن مَّن فِيهِ سَوَاءٌ يَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ

لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعباً وكبداً من أن ينتقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها الجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلاً خارج عن المقدور وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبح وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجوه الفعل كما يمنع الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وإما واجب لا بد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الامتناع وإذا كانت أبعدا من الامتناع كانت أدخلها في التأتى والتسهيل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء (وله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى الذى ليس لغيره مثله قد عرف به ۝ ووصف في السموات والأرض على السنة الخلاق وأسنة الدلائل وهو أنه القادر الذى لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أى القاهر لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضاي حاكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلاً من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أى قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول ۝ (فإن قلت) أى فرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) الأولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهى أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعض والثالثة لمزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى بجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشاركم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد ۝ تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تقتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) أى مثل هذا التفصيل (نفسل الآيات)

(قال أحمد) كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب النهر لا بالحبر وإنما يلقى الاختصاص من تقديم ماحقه أن يؤخر وقد علمت مذهبه في مثل ذلك ۝ عاد كلامه (قال) في تقرير معنى قوله وهو أهون عليه الأفعال إما ممتنع عقلاً لذاته وإما ممتنع لصارف بصرف الحكيم عن فعله وإما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا . وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأول من قبيل التفضل . وأما الإعادة فواجبة على الله تعالى لا لجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الإنشاء (قال أحمد) لقد ضل وصد عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق أن لا واجب على الله تعالى وكل ما ذكره في هذا الفصل نزغات قدرية على أنها أيضا غير مستقيمة على أصولهم المجتثة فإن مقتضاها وجوب الإنشاء في الحكمة إذ لا مصلحة اقتضت الإنشاء لما وقع وتلك المصلحة توجب متعلقها فقد وضع أن المصنف لا إلى معالى السنة رقى ولا في حضيض الاعترال بقى فله العصمة

(قوله وجزاؤها واجب والأفعال) هذا عند المعتزلة ولا يجب على الله شيء عند أهل السنة كما تقدم في محله

(قوله فكانت أهون منها) أى من بقية الأفعال

بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من نصيرين ۝ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين ۝ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ۝ وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم برهم يُشركون ۝ ليكفروا بما آتاهم من آياتهم فتمتعوا فسوف تعلمون ۝ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ۝ وإذا أذقنا الناس

أى نبيها لأن التمثيل بما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أى أشركوا كقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أى اتبعوا أهواءهم جاهلين لأن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه عليه وكفه وأما الجاهل فهم على وجهه كالهبمة لا يكفه شيء (من أضل الله) من خذله ولم يلفظ به لعله أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله (وما لهم من نصيرين) دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان (فاقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالاً وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسد دأله نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه (حنيفاً) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين إليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمهر والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاباً للعقل مساوفاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر ومن غوى منهم فإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام ۝ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه (لا تبديل لخلق الله) أى ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فإن قلت) لم وحد الخطاب أولاً ثم جمع (قلت) خطوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فاروادينهم) تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أى جعلوه أدياناً مختلفة لا اختلاف أهوائهم (وكانوا شيعاً) فرقاً كل واحدة تشايح إمامها الذى أضلها (كل حزب) منهم فرح مذهبهم مسرور بحسب باطله حقاً ويجوز أن يكون من الذين منقطعاً عما قبله ومعناه من المقارفين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله ۝ وكل خليل غير هاضم نفسه ۝ الضر الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك ۝ والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى (ليكفروا) مجاز مثلها فى ليكون لهم عدواً (فتمتعوا) نظير اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا ۝ السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته ۝ وما فى (بما كانوا) مصدرية أى بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها ومعناه فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون ويحتمل أن

(قوله من أضل الله من خذله) تأويل الإضلال بذلك مبنى على أنه تعالى لا يخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلق الشر كالخير فالآية على ظاهرها (قوله فاجتالهم الشياطين) أدارتهم أفاده الصحاح

رَحْمَةً فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَاقُهَا يَقْنَطُونَ ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ فَآتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ۖ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۖ ظَهَرَ الْفَسَادُ

يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه بشر كون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أوسع أو صحة (فرحوا بها وإن تصيبهم سيئة) أى بلاء من جذب أو ضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ۖ ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فسالهم يقنطون من رحمة ومالهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصى التى عوقوا بالشدة من أجلها حتى يعبدوا لهم رحمة ۖ حق ذى القربى صلة الرحم ۖ وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لها وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فى وجوب النفقة للحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لانهقة بالقرابة لإعلاى الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم (فإن قلت) كيف تعلق قوله (فآت ذى القربى) بمأقوله حتى جىء بالفاء (قلت) لما ذكر أن السيئة أصابهم بما قدمت أيدىهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك (يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو وجهته وجانبه أى يقصدون بمعرفهم إياه خالصا وحقه كقوله تعالى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى أو يقصدون جهة التقرب إلى الله لاجهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة ۖ هذه الآية فى معنى قوله تعالى يحق الله الربا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربوا فى) أموالهم ليزيد ويزكو فى أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتم من زكاة) أى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الإضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدى له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجز منفعة والذى ليس بحرام أن يستدعى بهته أو بهديته أكثر منها وفى الحديث المستعزير يثاب من هبته وقرئ وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه أو رهقتموه من إعطائه ربا وقرئ لتربوا أى لتزيدوا فى أموالهم كقوله تعالى « ويربى الصدقات » أى يزيدها وقوله تعالى « فأولئك هم المضعفون » التفات حسن كأنه قال للملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأتيتهم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع إلى ما . ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فتوتوه أولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذاً والأول أملا بالفائدة (الله) مبتدأ وخبره (الذى خلقكم) أى الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التى لا يقدر على شىء منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتموهم أنداداً له من الأصنام وغيرها (من يفعل) شياً قط من تلك الأفعال حتى يصح ما ذهبت إليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للبنداء والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذى ربط الجملة بالمبتدأ لأن معناه من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بنا كيدلتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (الفساد فى البر والبحر) نحو الجذب والقحط وقلة الربيع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والنواب وكثرة الحرق والغرق

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ * فَاقْمْ وُجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ * مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَةً

وإخفاق الصيادين والغاصاة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجذبت الأرض وانقطعت مادة البحر وقالوا إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الأمصار البحار وقرئ في البر والبحور (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصباً وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك * (فإن قلت) ما معنى قوله (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) قلت أما على التفسير الأول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقة ليعاقبهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم لإرادة الرجوع فكأنهم إنما أفسدوا وتسببوا لغشوا المعاصي في الأرض لأجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون * ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن مادونه من المعاصي يكون سبباً لذلك * القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من الله) إما أن يتعلق بآتي فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردّها أو يمرّد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا ردّ له من جهته * والمرّد مصدر بمعنى الرد (يصدّعون) يتصدّعون أى يتفرّقون كقوله تعالى : ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون (فعليه كفره) كلمة جامعة لما لا غاية وراه من المضار لأن من كان ضارّه كفره فقد أحاطت به كلّ مضرة * (فلا نفسمهمهون) أى يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهّد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبئ به وينقص عليه مرقده من تنوء أو قفض أو بعض ما يؤذى الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يعتدّه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزّه (ليجزى) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله) مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وتكرير الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله (إنه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (الرياح) هي الجنوب والشمال والصبأ وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحاً * وقد عتد الأغراض في إرسالها للبشارة بالغيث ولإذابة الرحمة وهي

(قوله وإخفاق الصيادين) في الصحاح أخفق الصائد إذا رجع ولم يصطد (قوله ما ينبئ به وينقص عليه مرقده) أى يرفعه والتنوء الارتفاع والقفض صغار الحصى أفاده الصحاح

وَلِيُذَيِّقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِآيَاتِهِ بِالْبَيِّنَاتِ فَاتَّقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ * اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَنَرَى الْوُدُقَ يُخْرَجُ مِنْ خَلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لِمُبْلِسِينَ * فَأَنْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ * فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ

نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الرياح وزكاه الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الجبوب وغير ذلك (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها * وإتماما زاد (بأمره) لأن الرياح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من إرساء السفن والاحتياط لحبسها وربما عصفت فأغرقها (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر * ولتشكروا نعمة الله فيها (فإن قلت) هم يتعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل لبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما وقوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظهرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم مامن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نارجهم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى : وكان حقا علينا نصر المؤمنين (فبسطه) متصلا تارة (ويجعله كسفا) أي قطعاً تارة (فترى الودق يخرج من خلاه) في التارتين جميعاً والمراد بالسماء سمت السماء وشقتها كقوله تعالى وفرعها في السماء * وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى : فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها . ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاهم فكان الاستبشار على قدر اغتنامهم بذلك * قرئ أثر وأثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوه وغيره كيف يحي أي الرحمة (إن ذلك) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها والذي يحيي الناس بعد موتهم (وهو على كل شيء) من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء (فأروه) فأروا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت * ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط (وظلوا) جواب القسم مدمسدا الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظن ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر قطوا من رحمة وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا فضر بزروعهم بالصغار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله ففطنوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم

(قوله ولا تكون مؤاتية) في الصحاح آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته والعامة تقول وآتيته (قوله إبلاهم) الإبلان اليأس من الخير والسكرات والانكسار غما وحزنا أفاده الصحاح

إِذَا وَلَّوْا مُدِيرِينَ ۖ وَمَا أَنْتَ بِهَدِ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۚ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفرت لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحر جفا فكلتاها مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرا أو السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يطر ۚ قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقراني من ضعف وقوله (خلقكم من ضعف) كقوله خلق الإنسان من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغت وقت الاحتلام والشبية وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا التردد في الأحوال المختلفة والتغير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبدية كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة ۚ وأرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لأنعلم أي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاعتراض بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة ۚ القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون (في كتاب الله) في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردتوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوه على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على إنكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه (فإن قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هي التي في قوله ۚ فقد جئنا خراسانا ۚ وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعقبون) من قولك استعقبني فلان فأعقبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانبا عليه وحقيقة أعقبته أذلت عتبه ألا ترى إلى قوله : غضبت تميم أن تقتل عامر ۚ يوم النار فأعقبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعقبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة

(قوله يجوز أن تكون حرورا وحر جفا) في الصحاح الحرجف الريح الباردة وفيه أيضا صوحته الريح أي يسته (قوله فقد جئنا خراسانا) هو من قوله قالوا : خراسان أقصى ما يراد بنا ۚ ثم القبول فقد جئنا خراسانا (قوله يوم النار فأعقبوا بالصيلم) ماء لبني عامر والصيلم الداهية والسيوف كذا في الصحاح

وَأَن جِئْتَهُمْ بَيِّنَاتٌ لِّقَوْلِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۖ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۚ

سورة لقمان مكية

إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

وطاعة ومثله قوله تعالى ولا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (فإن قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فها هم من المعتبين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه فإن يستعتبوا الله أى يسألوه إزالة ما هم فيه فها هم من المجابين إلى إزالته (ولقد) وصفناهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجبية الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم وبج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا اجئتنا بزور وباطل ۝ ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الإلطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من علم أنها لا تجدى عليه ولا تغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنفع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين إياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحققين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (إن) وعد الله بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من إنجازها والوفاء به ۝ ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي إسحق ويعقوب ولا يستحقنك أى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية﴾

وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازى ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله كحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة بعد (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (للحسنين) للذين يعملون الحسنة وهي التي ذكرها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس الأملى الذى يظن بك الظن ۝ كان قد رأى وقد سمعا حكى عن الأصمعى أنه سئل عن الأملى فأثبده ولم يزد أول الذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين

(قوله ومعنى طبع الله منع الإلطاف) أوله بذلك بناء على أنه تعالى لا يخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلقها كالخير فالآية على ظاهرها (قوله وهم أعرق خلق الله) فى الصحاح أعرق الرجل أى صار عريقا وهو الذى له عرق فى الكرم (قوله قول أوس الأملى الذى يظن بك) فى الصحاح الأملى الذكى المتوقد قال أوس بن حجر الأملى الخ

الصَّلَاةُ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاءَةً وَقَرَأَ بِفُتْرَةٍ بَعْدَ الْيَمِّ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا

بهذه الثلاث بفضل اعتداد بها ۝ اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعنى و (لهو الحديث) نحو السمر بالأساطير والاحاديث
التي لأصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقى
وما أشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول
إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والآكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه
ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قيته فيقول أطعميه
واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى
الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أئمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل
يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه
بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وقيل الغناء منفذة للبال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فإن قلت) ما معنى إضافة
اللهو إلى الحديث (قلت) معناه التبيين وهى الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة
خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد
بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل الهيمة الحشيش ويجوز أن
تكون الإضافة بمعنى من التبعية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذى هو اللهو منه ۝ وقوله يشتري
لما من الشراء على ما روى عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وأما من قوله اشتروا الكفر
بالإيمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استجابته يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ
(ليضل) بضم الياء وفتحها و (سبيل الله) دين الإسلام أو القرآن (فإن قلت) القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه
باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح (قلت)
فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولا يصدق عنه ويريد فيه ويمدحه فإن المخذول كان شديد الشكيمة
في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل
بالرديف على المردوف ۝ (فإن قلت) ما معنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري
بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين أى وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها ۝ وقرئ (ويتخذها) بالنصب والرفع عطفاً على يشتري أو
ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا)
زائما لا يعابها ولا يرفع بها رأساً ۝ تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن في أذنيه وقرا) أى تقلا
ولا وفر فيهما وقرئ بسكون الذال (فإن قلت) ما محل الجملتين المصدرتين بكأن (قلت) الأولى حال من مستكبرا والثانية

(قوله وتعلم الموسيقى) وما أشبه ذلك) يونانية ومعناه علم الغناء وبغير راء ذات الغناء كذا قيل (قوله وقيل الغناء منفذة للبال) لعله
منفذة بالدال المهملة (قوله كقولك صفة خز وباب ساج) لعله محرف وأصله جبة خز ثم رأيت في رصحاء صفة الدار والسرير
واحدة الصف اه فلعل صفة السراج تكون من خز (قوله مستكبرا زائما لا يعابها) في الصراح زم بأنه أى تكبر فهو زام

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بَغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَواسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَأَّيَةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ۝ وَإِذْقَالَ

من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن (وعد الله حقاً) مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدمهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقاً فندال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعاً قوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبيه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطى النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لا يشاء إلا ما توجه به الحكمة والعدل (ترونها) الضمير فيه للسماوات وهو استشهد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني (فإن قلت) ما محلها من الإعراب (قلت) لا محل لها لأنها مستأنفة أو هي في محل الجز صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته (هذا) إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته ۝ والخلق بمعنى المخلوق (الذين من دونه) آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأروني ماذا خلقته آلهتهم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم أضرب عن تبيكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ۝ هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقبل له فقال ألا أكتفي إذا كفيت وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبياً وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطاً وعن مجاهد كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشفق القدمين وقيل كان نجاراً أو قيل كان راعياً وقيل كان يخطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال للرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروى أن رجلاً وقف عليه في مجلسه فقال ألسنت الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعني وروى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقيل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيماً وروى أن مولاه أمره بذيخ شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لا سود لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (إن) هي المفسرة لأن إتياء الحكمة في معنى القول وقد نبه

﴿القول في سورة لقمان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ الْآيَةَ﴾ (ذكر في ذلك اختلاف العلماء في نبوته وذكر أنما ذلك أنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة) قال أحمد وفي هذا بعدين وذلك أن الحكمة داخلية في النبوة وقطرة

(قوله غليظ الشفتين متشفق) في الصحاح الشفق الردى من الأشياء يقال غطاء مشفق أى مقلل اه والظاهر أنه متشفق بقاين

لَقَمْنُ لَابْنَهُ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لِاتِّشْرِكِ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ وَهَنَا
عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي شَامِئِينَ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تِلْكَ الْأُمَّةِ قَدْ جِئْتُمْ فِيهَا كُفْرًا ۝

الله سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث
على الشكر (غنى) غير محتاج إلى الشكر (حميد) تحقيق بأن يحمده وإن لم يحمده أحد ۝ قيل كان اسم ابنه أنعم وقال
الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فزال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لأن التسوية بين من لانهمة لإلهي منه
ومن لانهمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ۝ أى (حملته) نهن (وهنا على وهن) كقولك رجع
عودا على يده بمعنى يعود عودا على يده وهن في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف أى يتزايد ضعفها
ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفاً وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبى عمر ويقال وهن
يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله (أن أشكر) تفسير لوصينا (ماليس لك به علم) أراد بنى العلم به فنيه أى لا تشرك بى
ماليس بشئ يريد الأصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شئ (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا حسنا بخلق
جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب إلى) يريد واتبع سبيل المؤمنين فى
دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا ثم إلى مرجعك و مرجعهما فأجازيك على
إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان فى صحبتها ومعاشرتها من مراعاة حق
الأبوة وتعظيمه ومالهما من المواجهات التى لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما فى الآخرة وروى أنها نزلت
فى سعد بن أبى وقاص وأمه وفى القصة أنها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فلها يعود وروى أنه قال لو كانت
لها سبعون نفسا غرجت لما ارتدت إلى الكفر (فإن قلت) هذا الكلام كيف وقع فى أثناء وصية لقمان (قلت) هو
كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيداً لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك (فإن قلت) فقوله حملته أمه وهنا
على وهن وفصله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ما تنكبه الأم وتعالنه
من المشاق والمتاعب فى حملها وفصله هذه المدة المنطوية لإيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بحفظها العظيم مفرداً
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض
العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول فى حديثه بنفسه

أحمل أُمى وهى الحماله ۝ ترضعنى الدرة والعلاله ۝ ولا يجازى والدفعاله

(فإن قلت) مامعنى توقيت الفصل بالعامين (قلت) المعنى فى توقيته بهذه المدة أنها الغاية التى لا تتجاوز والامر فيما دون
العامين موكل إلى اجتهد الأم إن علمت أنه يقوى على الطعام فلها أن تقطعه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن

من بخرها وأعلى درجات الحكماء تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من
النبوّة ۝ قوله تعالى وإن جاهدك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما (قال معناه ماليس بشئ وعبر بنى العلم عن
نقى المعلوم) قال أحمد هو من باب قوله ۝ على لاجب لا يهتدى بمناره ۝ أى ماليس ياله فيكون لك علم بالألوهية وليس
كأذكره فى قول فرعون ما علمت لكم من إله غيرى وقد مر معناه فيما تقدم ۝ قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن الآية
(قال فيه تخصيص حق الأم وهو مطابق لبدايته فذكرها فى وجوب البر فى الحديث المأثور) قال أحمد وهذا من قبيل

(قوله حتى شجروا فلها يعود) فى الصحاح شجره بالرح أى طعنه

تَعْمَلُونَ • يَبْنِيْ اِيَّاهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ اِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ • يَبْنِيْ اَقِمِ الصَّلَاةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلَى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ • وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا اِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ •

أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائها وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهراً وعن أبي حنيفة إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعاً وإن أكل أكلاً ضعيفاً لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم • قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فنصب كان الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان أي إن كانت مثلاً في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (إن الله لطيف) يتوصل عليه إلى كل خفي (خبير) عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمسئقتها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وإنما أنت المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال • كما شرقت صدر القناة من الدم • وروى أن ابن لقمان قال له رأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأماكن لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار • وقرئ فتسكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنته وهي مقره ليلاً (واصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عامياً في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم إلى الخير وينكر عليهم الشر (إن ذلك) بما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية ألا ترى إلى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يجب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك إلا فعلت كذا إذا قال ذلك لم يكن للعزم عليه بدمن فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدراً في معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور من قوله تعالى فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدوم هذه الطاعات وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأيام وأن الصلاة تزل عظمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الأديان كلها • تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعلاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون • أراد (ولا تمش) ترح (مرحاً) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً ويجوز أن يريد ولا تمش لا لجل المرح والاشتر أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشتر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس • والمختال مقابل للبائس مرحاً وكذلك ما يقوله الفقهاء أن اللأم من عمل الولد قبل الحلم جله وهو مما يفيدنا كيد حقها والله أعلم • قوله تعالى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتسكن في صخرة (قال فيه هذا من البديع الذي يسمى التميم) قال أحمد يعني أنه تمم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة وهو من واد قولها كأنه علم في رأسه نار

(قوله للهنة من الإساءة) هن على وزن أخ كلمة كفاية ومعناه شيء ومؤثته هنة والقماءة الصغر والحقارة كذا في الصحاح

وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ * أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَخَّرَ لَكُمْ
مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

الفخور للبصر خذه كبراً (واقصد في مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين لاتذب ديب المتأوتين ولا تثب
وثيب الشطار قال رسول الله ﷺ سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضى الله عنهما كان إذا
مشى أسرع فإني أراة السرعة المرتفعة عن ديب المتأوتين وقرئ واقصد بقطع الهمزة أى سد في مشيك من أقصد الراعى
إذا سدده سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع
منه (أنكر الأصوات) أوحشها من قولك شئ نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحرار مثل في
الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتقادهم من اسمه أنهم يكونون عنه ويرغبون عن
التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستقدرة وقد عد في مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحرار
في مجلس قوم من أولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحرار استنكافاً وإن بلغت منه الرحلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير
وتمثيل أصواتهم بالهناق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميراً أو صوتهم نهاقاً بآلة شديدة
في الذم والتجني وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبه على أنه من كراهة الله بمكان (فإن قلت) لم وحد صوت
الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان
الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (مافي السموات) الشمس والقمر
والنجوم والسحاب وغير ذلك (ومافي الأرض) البحار والأنهار والمعادن والدواب وما لا يحصى (وأسبغ) وقرئ بالسين
والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صاخ وفي سقر صقر وفي سالخ صالغ وقرئ نعمه ونعمة
ونعمته (فإن قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الإحسان والله تعالى خالق العالم كله نعمة لأنه إمام حيوان وإما غير
حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان من حيث أن إيجاده حياً نعمة عليه لأنه لو لا إيجاده حياً لما صح منه الانتفاع وكل
ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة (فإن قلت) لم كان خلق العالم مقصوداً به الإحسان (قلت) لأنه لا يتخلقه إلا لغرض
وإلا كان عبثاً والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غنى غير محتاج إلى المنافع فلم
يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه ۝ (فإن قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل
ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلاً فكيف في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى إلى العلم
بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن
الحسن رضى الله عنه الظاهرة الإسلام والباطنة السر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية
الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم
وما أشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي عليهم النفس
ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس ۝ معناه (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى في حال

(قوله منه الرحلة فتشبيه الرافعين) أى المشي برجله يعنى وإن أتبعه المشي وعدم الركوب وفي الصحاح الرجل بالتحريك
مصدر قولك رجل بالكسر أى بقى راجلاً (قوله وفي سالخ صالغ) في الصحاح سلغت البقرة والشاة إذا أسقطت السن
التي خلقت السديس والسلوخ في ذوات الأظلاف بمنزلة البزول في ذوات الأظفان

وَالِىَ اللّٰهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَلَكِنْ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولَنَّ اللّٰهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ لَلّٰهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ۖ وَلَوْ أَنَّ
فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ مَا خَلَقَكُمْ

دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب ۖ قرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك
إلى الله (فإن قلت) ماله عدى يالى وقد عدى باللام فى قوله بلى من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه
وهو ذاته ونفسه سالماً لله أى خالصاً له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد
التوكل عليه والتفويض إليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى
من شاقق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (وإلى الله عاقبة الأمور) أى هى
صائرة إليه ۖ قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهملك
كفر من كفر وكيد للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيدك فى نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله (إن الله) يعلم ما فى
صدور عباده فيفعل بهم على حسب (نمتعهم) زماناً (قليلاً) بدنيهم (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) شبه إلزامهم التعذيب
وإرهاقهم إياه باضطراب المضطر إلى الشيء الذى لا يقدر على الانفكاك منه والغاظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد
الشدة والثقل على المعضب (قل الحمد لله) ألزمهم على إقرارهم بأن الذى خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون
له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) إن ذلك يلزمهم وإذا نهوا عليه لم ينتهوا (إن الله هو الغنى)
عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن لم يحمده ۖ قرئ والبحر بالنصب عطفاً على اسم إن وبالرفع عطفاً على محل إن ومعمولها
على ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار
أقلام فى حال كون البحر ممدوداً وفى قراءة ابن مسعود وبحر يمدّه على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول ۖ وقرئ
يمدّه ويمدّه بالتام والياء (فإن قلت) كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر ممداد (قلت) أغنى عن ذكر الممداد
قوله يمدّه لأنه من قولك مده الدواة وأمدّها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة ممداداً فهى تصب فيه
ممدادها أبداً صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك
المداد كلمات الله لما نفذت كلماته ونفذت الأقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر ممداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن
تنفذ كلمات ربى (فإن قلت) زعمت أن قوله والبحر يمدّه حال فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال
(قلت) هو كقوله ۖ وقد اعتدى والطير فى وكناتها ۖ وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التى
حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض (فإن قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد
دون اسم الجنس الذى هو شجر (قلت) أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبق من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد

ۖ قوله تعالى «ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ» (قال شبه إلزامهم التعذيب باضطراب المضطر إلى الشيء الذى لا يقدر
على الانفكاك منه) قال أحمد وتفسير هذا الاضطراب فى الحديث فى أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل
الله عليهم الزمهرير فيكون عليهم كشدة الهمب فيتمنون عود الهمب اضطراباً فهو إخبار عن اضطراب وبأذبال هذه البلاغة
تعلق الكندى حيث يقول: يرون الموت قدما وخلفا ۖ فيختارون والموت اضطراب

(قوله ومعمولها على ولو ثبت) لعله على معنى ولو الخ

وَلَا يَعْشُرُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّمَا يُدْعَوْنَ مِنْ دُونِهِ بِالْبُطْلِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْ مَقْتَصِدٌ وَمَا يَحْدِثُ بَأَيْدِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٌ ۝ يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَتَقُورُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْنَ يَوْمًا لَا يُجْزَى

بريت أفلاما (فإن قلت) الكلمات جمع فلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه إن كلماته لا تنفي بكتبها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا أفادونا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعنون الوحي كلام سينفذ فأعلم الله أن كلامه لا ينفر وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وقد قرئ أن يقولوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ألسنت تتلوا فيما أنزل عليك إن أفادونا التوراة وفيها علم كل شيء (إن الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفذ كلماته وحكمه (إلا كنفس واحدة) إلا كلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (إن الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضه عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث ۝ كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقيهما وزياتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته (فإن قلت) يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا باليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأن من دونه باطل الإلهية (وأن الله هو العلي) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك الذي أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن إله غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به ۝ قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض ۝ ونبعات الله يسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكرن (بنعمة الله) بإحسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن ۝ يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحب أو غيرهما ۝ وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبق لا حد فقط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا شرا من غدر لا مددنا لك بأعما من ختر قال : وإنك لو رأيت أبا عمير ۝ ملائت يدك من غدر وختر

(قوله إلا باليد الطبع ضيق العطن) في الصحاح أنه مبرك الإبل عند الماء لتشرب عللا بعد نهل

وَالِدَ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودَ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝

(لا يجزى) لا يقضى عنه شيئا ومنه قيل للمتناقض المتجازى وفي الحديث في جذاعة بن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك وقرئ لا يجزى لا يغنى يقال أجزأت عنك جزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه لحذف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه الغرة بالله أن يتأدى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غره وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غاراً كما قيل جد جدته أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور (فإن قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الأمر كذلك لأن الجملة الإسمية أكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغفروا عنهم من الله شيئا فلذلك جرى به على الطريق الأكيد ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك ۝ روى أن رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد أقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فتي تمطر وأخبرني عن امرأتى فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني علمت ما علمت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فإين أموت فتزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفايح الغيب خمس وتلاهذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنه أهدم معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمس أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفايح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه (عنده علم الساعة) أي أن مرساها (وينزل الغيث) في إبانة من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوز به (ويعلم ما في الأرحام) أذكر أم أنثى أم ناقص وكذلك ماسوى ذلك من الأحوال (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شراً وعازمة على شر فعملت خيراً (وما تدرى نفس) أين تموت وربما أقامت

قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إلى قوله شيئا (قال إن قلت لم أكد الجملة الثانية دون الأولى قلت لأن أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلما كان إغناء الكافر عن المسلم بعيداً لم يحتج تأكيدها ولما كان إغناء المسلم عن الكافر قد يقع في الأوهام أكد نفية) قال أحمد وهذا الجواب تتوقف صحته على أن هذا الخطاب كان خاصاً بالوجودين حينئذ والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر والله أعلم أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكتفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه قطع ههنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مجزيه بحقه عليه ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع لأن الله حصه عليه في الدنيا كان جديراً بتأكيد

(قوله وقرئ لا يجزى لا يغنى) لعله أي لا يغنى (قوله للمؤمنين وعليهم قبض آباؤهم) أي أشرافهم وعظماؤهم وقوله قبض آباؤهم لعله قبض آباؤهم على أنه فعل ونائب فاعل والجملة خبر عن عليهم

سورة السجدة مكية

إلا من آية ١٦ إلى غاية آية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ السَّم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَنَّهُمْ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مَنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يَدْبُرُ

بأرض وضربت أوتادها وقالت لأبرحها وأقبر فيها فترى بهامراى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى إليه تعجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف إن أعملت حيلها ما يلبصق بها ويخص ولا يتخطاها ولا شىء يخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيديوه تأنيث أى بتأنيث كل فى قولهم كلتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عشرة بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿ سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وإن جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لاريب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولاريب فيه اعتراض لاجل له والضمير فى فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لاريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لأن قولهم هذا مفترى إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) وما فيه من تقدير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيهه من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكار لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم فى المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احتزرت فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التى لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احتزرت من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته (فإن قلت) كيف نفى أن يرتاب فى أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لاريب فيه أن لا مدخل للريب فى أنه تنزيل الله لأن نافي الريب ومبطله معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شىء من الريب وأما قولهم افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل بقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقوله ما أُنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله إليهم رسولا قبل محمد صلى الله

النبى لإزالة هذا الوهم ولا كذلك العكس فهذا جواب كاف شاف للعليل إن شاء الله تعالى

﴿ القول فى سورة السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وقوله تعالى لتُنذِرَنَّهُمْ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ، (قال يعنى قريشا لأنها لم يبعث لها نبى قط فإن قلت

الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۚ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۚ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۚ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۚ

عليه وسلم (فإن قلت) فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك عليها إلا بالرسول فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان (لعلهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة (فإن قلت) مامعنى قوله (مالك من دونه من ولى ولا شفيع) (قلت) هو على معنيين أحدهما أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً أى ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم والثاني أن الله وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم أى ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير (الامر) المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً (من السماء إلى الأرض) ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريد به ويرتضيه إلا فى مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلاً ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج إليه) أى يصير إليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضاً ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك فى وقت هو فى الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة فى الهبوط والصعود لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لأنه يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبى عتبة يعرج على البناء للبعول ۚ وقرئ يعدون بالبناء والياء (أحسن كل شيء) حسنة لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبه المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان ۚ وقرئ خلقه على البدل أى أحسن فقد خلق كل شيء وخلقته على الوصف أى كل شيء خلقه فقد أحسنه ۚ سميت الذرية نسلًا لأنها تنسل منه أى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل و (سواء) قومه كقوله تعالى فى أحسن تقويم ۚ ودل بأضافة

إن لم يتقدم بعث نبي إليهم فيها قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك عليها إلا بالرسول لاسيما إليه وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل معهم فى كل زمان قال أحمد مذهب أهل السنة أنه لا يدرك علم شيء من أحكام الله تعالى التكليفية إلا بالشرع وما ذكره الرنخشرى فربيع على قاعدة التحسين والتجبيح بالعقل وقد يجها السمع فلم يبع بها القلم فأعرض

(قوله أى أحسن فقد خلق كل شيء) لعل لفظ فقد مزيد من قلم الناسخ وعبارة النسب على البدل أى أحسن خلق كل شيء ويمكن أنه ليس مزيداً بل هذا حاصل المعنى على البدل كما أن عكسه الآتى هو حاصل المعنى على الوصف (قوله وتخرج من صلبه ونحوه) لعل قبله سقطاً تقديره كما سميت النطفة سلالة لأنها تسلسل منه ، وفى الصحاح النجل النسل ونجله أبوه أى ولده

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْجُومُونَ نَارِ كُورًا رُؤْسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ

الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء
الذي اختص هو به وبمعرفته (وقالوا) قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم جميعاً ۝ وقرئ أننا وأناعلى
الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لانتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا (في الأرض)
بالدفن فيها من قوله ۝ وآب مضلوه بعين جلية ۝ وقرأ على وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل
يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضي الله عنه ضللنا من صل اللحم وأصل إذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي
الأرض (فإن قلت) بم انتصب الظرف في أنذا أضللنا (قلت) بما يدل عليه إننا في خلق جديد وهو نبعت أو يحدد
خلقنا ۝ لقاء ربهم هو الوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى
ما هو أبالغ في الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالإنشاء وحده ألا ترى كيف خوطبوا بتوفى ملك
الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا ۝ والتوفى استيفاء
النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شيء من
قولك توفيت حق من فلان واستوفيته إذا أخذته وأيا كاملاً من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع
منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رضي الله عنه حويت ملك الموت الأرض وجعلت له مثل
الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيئه
ثم يأمر أعوانه بقبضها (ولو ترى) يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التنى
كأنه قال ولتلك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للغيرة لو نظرت إليها والتنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي
له في لعابهم يبتدون لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى أن يراهم على تلك الصفة
الفضيلة من الحياة والخزي والغم ليشمت بهم وأن تكون لوالا امتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت أمراً فظيحاً أولرايت
أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما يقول فلان لئيم إن أكرمه أهانك وإن أحسنك إليه أساء إليك
فلا تريد به مخاطباً بعينه فكأنك قلت إن أكرم وإن أحسن إليه ولو وإذ كلاهما للمضى وإنما جاز ذلك لأن المترقب
من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لئيم ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذا ظفر له ۝ يستغيثون
بقولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا) فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عمياً
وصماً فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) هي الرجعة إلى الدنيا (لآتيننا كل نفس هداها) على طريق الإلجاء والقسر ولكننا بنينا
الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستجوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء ألا ترى

عنه حتى يخوض في حديث غيره وإنما قامت الحجة على العرب بمن تقدم من الرسل إليهم كإبراهيم وإسماعيل وغيره والمراد بقوله تعالى ما
أنهم من نذير يعني ذرية العرب في زمانه عليه الصلاة والسلام إذ لم يعش إليهم نذير معاصر فلطف الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم

(قوله ولكننا بنينا الأمر على الاختيار) لما أوجب المعتزلة على الله الصلاح قالوا إنه قد شاء الهدى للكل ولكن
مشيئة تخيير لأمشيئة إجبار فلذا لم يهد الكل بل البعض ولو شاء مشيئة قسر لاهتدى الكل وأهل السنة لم يوجبوا على الله
شيئاً وقالوا كل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن خيراً كان أو شراً واستلزام الإرادة لوقوع المارد لا يستلزم القسر والإجبار
للعباد لما لهم من الكسب في أفعالهم وإن كانت في الحقيقة مخلوقة لله تعالى كما تقرر في علم التوحيد

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۖ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۚ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۚ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۚ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

إلى ما عقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (إننا نسيناكم) على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استشفاف قوله (إننا نسيناكم) وبناء الفعل على أن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرأس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء ۚ وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما علمتم من المعاصي والكبائر الموبقة (إذا ذكروا بها) أي وعظوا بحجودوا واضعاع الله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبايح إليه وأنوا عليه حامدين له (وهو لا يستكبرون) كما يفعل من يصبر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى إن الذين أتوا العلم من قبله إذا تبلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتنعى (عن المضاجع) عن الفرش ومواقع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله ﷺ في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضى الله عنه أنه النهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضى الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ما أخفى لهم) على البناء للفعول ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفى لهم وما أخفى لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذى أو بمعنى أى ۚ وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لملك مقرب ولأنبي مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلأقه لا يعلمه إلا هو بما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمع وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) فحسم أطاع الممتنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين

ۚ (قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة) قال أحمد قد تمهد عن مذاهب أهل السنة أن المقتضى لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة وأما مادونه من الكبائر فلا يوجب خلودا والمسئلة سمعية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدرية ۚ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال هذا حسم لأطاع الممتنين) قال أحمد يشير إلى أهل السنة لا عقادهم أن المؤمن العاصى موعود بالجنة ولا بد من دخوله إياها وفاء بالوعد الصادق وأن أحدا لا يستحق على الله بعمله شيئا فلما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتم الفرصة في الاستشهاد على معتقد القدرية في أن الأعمال أسباب موجبة للجزاء ولادليل في ذلك لمعتقدم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولأنت يا رسول الله قال ولأنا إلا أن

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا

ملاعين رأت ولاذن سمعت ولاخطر على قلب بشر به ما أطلعهم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ملاعين رأت ولاذن سمعت (كان مؤمنا) و(كان فاسقا) محمولان على لفظ من و(لايستون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا ۝ وأما الذين فسقوا) ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك و(جنت المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فماوهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد الجنة مأواهم النار أى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم (العذاب الأدنى) عذاب الدنيا من القتل والأسر وما نحوها من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضى الله عنهما عذاب القبر و(العذاب الأكبر) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة (لعلهم يرجعون) أى يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا لعمل صالحنا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة القيام قياما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة وبذل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للفعول (فإن قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم بما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر (قلت) إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيئا من

يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك إما أن تحمل الآية على أن المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة فإنه على حسب الأعمال وليس بذلك فإن المذكور في الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام درجاتها وإما أن تحمل وهو الظاهر والله أعلم على أن الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ووعده يجب أن يكون حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الأعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات فعملت في هذه العبارة معاملتها والمقصود من ذلك تأكيد صدق الوعد في النفوس وتصوره بصورة المستحق بالعمل كالآجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الزحمرى الحديث المشهور وهو أعددت لعبادى الصالحين ملاعين رأت ولاذن سمعت ولاخطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وكان جدى رحمه الله يستحسن أن تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الباء من أخفى ورده إلى المتكلم وهى من القراءات المستفيضة والسبب في اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو أعددت لعبادى ملاعين رأت ولاذن سمعت ليكون الكل راجعا إلى الله تعالى مسندا إلى ضمير اسمه عز وجل صريحا والله الموفق ۝ قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (قال) معناه لعلهم يتوبون فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان وتوبتهم مما لا يكون لأنهم لو تابوا لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت إرادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده

(قوله ولا خطر على قلب بشر به ما) في الصحاح به كلمة مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع كما أجازته الأخفش في قول كعب بن مالك تذر الجاهم ضاحيا هاماتها ۝ به الأكف كأنها لم تخلق ويقال معناها سوى وفي الحديث أعددت لعبادى الخ (قوله وما نحوابه من السنة) أى المجدبة أو المراد بها الجذب كما يؤخذ من الصحاح

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرَّةٍ مِّنْ لَّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم

أفعاله كان ولم يتمتع للاقتدار وخلص الداعي وأما أفعال عباده فيما أن يريدوا وهم يختارون لها أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه فإن أرادها وقد قسره عليها لحكمها حكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لأن اختياره لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد ابن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدًا وأذرب منك لسانا وأحدمك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشواً في الكتية فقال له علي رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاستقين فتنازلتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما . أنه قال للوليد كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات وسماك فاسقاً ۝ ثم في قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنزهها استبعاداً لتركه الاتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغاء إلا ابن حزة ۝ يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها ۝ (فإن قلت) هلا قيل إنا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه العائدة (الكتاب) للجنس والضمير في (لقائه) له ومعناه إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» ونحو قوله من لقائه قوله «وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» وقوله «ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» ۝ وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعونهم إلى مافي التوراة من دين

فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يتمتع للاقتدار وخلص الداعي وأما أفعال عباده فيما أن يريدوا وهم يختارون لها أو مضطرون إليها بقسره فإن أرادها وقد قسره عليها لحكمها حكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها لأن اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقده عجزاً منك (قال أحمد) هذا الفصل رديء جداً مفزع على الإشراك الجلي لا على الإشراك الخفي فاعتصم بدليل الوجدانية على رده واجتنابه من أصله والله المستعان وإنما جزه في تفسير لعل إلى الإرادة والحق في تفسيرها أنها لترجي المخاطبين امتناع الترجي على الله تعالى كذا فمرها سيئويه فيما تقدم والله أعلم ۝ قوله تعالى «وأما الذين فسقوا فأولاهم النار» (قال سبب نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد ابن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدًا وأذرب لسانا وأحدمك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ حشواً في الكتية فقال له علي اسكت فإنك فاسق قال الزخشرى فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تناولها معاً) قال أحمد ذكر للسبب المحقق لأن المراد بالفاسق وبالذين فسقوا الذين كفروا لأنها نزلت في

(قوله ومنها لم يقدح ذلك في اقتداره) أي عدم وقوعها وعدم اختيارهم لها هذا على مذهب المعتزلة من أنه قد يريد الشيء ولا يكون ومذهب أهل السنة أن كل ما أراد الله كان

يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ أُولَئِكَ يَهْدِي لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۖ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نُسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۖ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ لَهُمْ مُنْتَظَرُونَ ۖ

الله وشرائعهم ولصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجمان الكتاب المنزل إليك هدى ونوراً ولنجمان من أمتك أمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصره الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أى من تلقيه له بالرضا والقبول ۖ وقرئ لما صبروا ولما صبروا أى لصبرهم وعن الحسن رضى الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضى فيميز المحق في دينه من المبطل ۖ الواو في (أولم يهد) للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف والضمير في (لهم) لأهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل مادلّ عليه (كم أهلكنا) لأن كم لاتقع فاعلة لا يقال جاءنى كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كاهو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لإله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القرامه بالنونو (القرون) عادو ثمود و قوم لوط (يمشون فى مساكنهم) يعنى أهل مكة يمشون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد (الجرز) الأرض التى جرز نباتها أى قطع إقاما لعدم الماء وإما لأنه رعى وأزيل ولا يقال للثى لا تثبت كالسباخ جزر ويدل عليه قوله (فخرج به زرعاً) وعن ابن عباس رضى الله عنه إنها أرض اليمن وعن مجاهد رضى الله عنه هى أبين ۖ به بالماء (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يأكل بالياء ۖ الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أى وقت يكون (إن كنتم صادقين) فى أنه كائن و(يوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدرو عن مجاهد والحسن رضى الله عنهم يوم فتح مكة (فإن قلت) قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً على سؤالهم (قلت) كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأنى بكم وقد حصانتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتهم لإدراك العذاب فلم تنظروا (فإن قلت) فمن فسره يوم الفتح أو يوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الفرق (وانتظر) النصر عليهم وهلاكهم (إنهم منتظرون) الغاية عليكم وهلاككم كقوله تعالى ۖ فتربصوا إنا معكم متربصون ۖ وقرأ ابن السميع رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعنى أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملائكة فى السماء ينتظرونه ۖ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثاً أيام

الوليد وهو كافر حينئذ ثم أدرج فيه المؤمن تعصياً لمذهبه فى وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه العقائد الفوائد ولقد اتسع الخرق على الراقع

(قوله وهى أبين به بالماء) فى الصحاح أبين اسم رجل نسب إليه عدن فيقال عدن أبين اه فتدبر

سورة الأحزاب مدنية

وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
وَاتَّبِعُوا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ مَاجِدًا
اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ

(سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) عن زرقال قال أبو بن كعب رضى الله عنه كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به أبى بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبى رضى الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداه بالنبى والرسول فى قوله (يا أيها النبى اتق الله) يا أيها النبى لم تحزم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفًا ورأبًا بحله وتنويعًا بفضله (فإن قلت) إن لم يوقع اسمه فى النداء فقد أوقعه فى الإخبار فى قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول (قلت) ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والإخبار ألا ترى إلى ما لم يقصده التعليم والتلقين من الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره فى النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يارب لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة . والله ورسوله أحق أن يرضوه . النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم . إن الله وملائكته يصلون على النبى . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى اتق الله واظب على ما أنت عليه من التقوى وأثبت عليه وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدكم على شئ ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضادة والمضادة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود فريضة والنضير وبنى قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى أن أباسفيان ابن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلى قدموا عليه فى المواعدة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبى ومعتب بن قشير والجدي بن قيس فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أرفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتشفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ونبذ المواعدة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبه بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت (إن الله كان عليا) بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة (حكيا) لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بداعى الحكمة (واتبع ما يوحى إليك) فى ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (إن الله) الذى يوحى إليك خبير (بما تعملون) فوح إليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك إليه وكله إلى نديده (وكيلا) حافظا موكولا إليه كل أمر ما جمع الله قلبين فى جوف ولا زوجية وأمومة فى امرأة ولا بنوة ودعوة فى رجل والمعنى أن الله سبحانه كما لم ير فى حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب

فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً عالماً ظاناً موقناً شاكاً في حالة واحدة لم ير أيضاً أن تكون المرأة الواحدة أما الرجل زوجها له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متناقضتان وأن يكون الرجل الواحد دعياً لرجل وابناً له لأن النبوة أصالة في النسب وعراقية فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابقون فاشترى حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أباً أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلاً من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول إن لي قلبيين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى أنه انهزم يوم بدر فتر بأبي سفيان وهو معلق لإحدى نعليه بيده والآخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال لهم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال إحدى نعليك في رجلك والآخرى في يدك فقال ما ظننت إلا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلاً في الظهار والتبني وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني والتكثير في رجل وإدخال من الاستغراقية على قلبيين تأكيداً لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبيين البتة في جوفه (فإن قلت) أي فائدة في ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للبدلول عليه لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبيين فكان أسرع إلى الإنكار وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللامى بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من أظهر بمعنى تظهرون وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبي المحرم إذا قال لبيك وأقف الرجل إذا قال أف وأخوات لمن (فإن قلت) فما وجه تعديته وأخواته بمن (قلت) كان الظهار طلاقاً عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها باعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها

﴿القول في سورة الأحزاب﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبيين في جوفه (قال) أسد ما ذكر فيه من التأويلات أنهم كانوا يدعون لابن خطل قلبيين ففي الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة بجعل الأديان أبناء والزوجات أمهات قال وهذه الأمور الثلاثة متنافية أما الأول فلائنه يلزم من اجتماع القلبيين قيام أحد المعنيين بأحدهما وضده في الآخر وذلك كالعلم والجهل والامن والخوف وغير ذلك وأما الثاني فلائنه الزوجة في مقام الامتهان والام في محل الإكرام فنافي أن تكون الزوجة أمّاً وأما الثالث فلائنه النبوة أصالة وعراقية والدعوة لاصقة عارضة فهما متنافيان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبيين فيه حتى يبارده السامع بالإنكار

(قوله وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين) لعل مراده قراءتان إحداهما بياء مكسورة والآخرى بهمزة مكسورة لكن الباء ليست ياء صرفة بل هي همزة مسهلة ينطق بها بين الهمزة والياء . والحاصل أنه قرئ اللائي بياء ساكنة بعد الهمز وقرئ اللاء بهمزة مكسورة من غير ياء وقرئ اللائي بشبه الباء مكسورة وهي الهمزة التي ينطق بها بين وقرئ اللائي بياء ساكنة بعد الالف من غير همز فهذه أربع قراآت في لفظ اللائي أينما كان في القرآن كما في شرح الشاطبية

ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۖ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
أَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خالص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعدها عدى بمن وإلا فآلى
في أصله الذى هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه (فإن قلت) ما معنى قولهم أنت على كظهر أمى (قلت) أرادوا أن يقولوا
أنت على حرام كبطن أمى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا
الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر رضى الله عنه يحى به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره
ووجه آخر وهو أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون إذا أتيت
المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول فلقص المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم
يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك (فإن قلت) الدعى فعل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولد أمه فله جمع على
أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل ككتفى وأتقيا وشقى وأشقيا ولا يكون ذلك في نحو رمى وسمى (قلت) إن شذوذه
عن القياس كشدوذ قتلاء وأسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظى (ذلكم) النسب هو (قولكم بأفواهكم) هذا ابنى
لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا ۖ والله عز وجل لا يقول إلا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدى
إلا سبيل الحق ۖ ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لأبائهم) وبين أن دعاءهم لأبائهم
هو أدخل الأمرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغنى على عالم بطرق الظم ۖ
وقرأ قتادة وهو الذى يهدى السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل
له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان ابن فلان (فإن لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم إليهم
(فهم إخوانكم في الدين) وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاي ويأخى ويأمولاي يريد الأخوة في الدين
والولاية فيه (ما تعمدت) في محل الجز عطفاً على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعاً على الابتداء والخبر محذوف تقديره
ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورد النهى ولكن الإثم
فيما تعمدتموه بعد النهى أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يابنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين
ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه الصلاة والسلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن
أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة والسلام وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه
خطأ التبنى وعمده (فإن قلت) فإذا وجد التبنى فما حكمه (قلت) إذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سناً من المتبنى
ثبت نسبه منه وإن كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا يولد مثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبى
حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف بالنسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وإن كان عبداً عتق (وكان الله
غفوراً رحيماً) لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العاقد (النبي أولى بالمؤمنين) في كل شئ من أمور الدين والدنيا
(من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها
وحقه أثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يدلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب

(قوله وظهر منها وحش منها) أى خلا منها أفاده الصحاح (قوله حتى جعله ظهر أمه فلم يترك) لعل هنا سقطاً فليحمر
ويمكن أن المعنى فلم يترك ذكر الآثم (قوله وفي فصل هذه الجمل ووصلها) أى فصل ما فصل منها ووصل ما وصل
(قوله وعن العمد إذا تاب العاقد) هذا عند المعتزلة وقد يغفر بمجرد الفضل عند أهل السنة

فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۖ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ۖ

ووقاه إذا لقيت حرب وأن لا يتبعوا ما ندعوه إليه نفوسهم ولا مانصرفهم عنه ويتبعوا كل مادعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لأن كل مادعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافوا فيما يرى بهم إلى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقروا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيمنا مؤمن هلك وترك مالا فليبرئه عصبته من كانوا وإن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنين إخوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيهه لهم بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى «ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً» وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبية ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنن أمهات النساء تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لمسا دجا الإسلام وعزأهله وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في اللوح أوفيا أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أوفى آية الموارث أوفيا فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لأولى الأرحام أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب ويجوز أن يكون لا ابتداء الغاية أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (فإن قلت) مم استثنى (أن تفعلوا) (قلت) من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لا وصية لو ارث وعدى تفعلوا يالى لأنه في معنى تسدوا وتزولوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (ذلك) إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ماهر آنفا والجملة مستأنفة كالحاتمة لما ذكر من الأحكام (و) اذكر حين (أخذنا من النبيين) جميعا (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خصوصا (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) وإنما فعلنا ذلك (ليسأل) الله

• قوله تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية (قال فيه قدم النبي صلى الله عليه وسلم على نوح لأنهم ذكروا تخصيصا بعد التعميم تفضيلا لهم فقدم أفضل المخصوصين) قال أحمد وليس التقديم في الذكر بمقتضى لذلك ألا ترى إلى قوله بهاليل منهم جعفر وابن أمه • على ومنهم أحمد المنخير فأخر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ليختم به بشر يفاله وإذا ثبت أن التفضيل ليس من لوازم التقديم فيظهر والله أعلم في سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده في الذكر أنه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المثل فكان تقديمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم

(قوله فأخذ بحجزهم لئلا يتهافوا) في الصحاح حجرة الإزار معقده وحجرة السراويل التي فيها التكة (قوله ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام) في الصحاح دجا الإسلام أى قوى وألبس كل شئ (قوله لأنه في معنى تسدوا وتزولوا) في الصحاح أزلت إليه نعمة أى أسديتها وفي الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها اه

لَيْسَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَتْكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم أليست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين الأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أنهم وتأويل مسألة الرسل تبكي الكافرين بهم كقوله أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله (فإن قلت) لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذرايعهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فإن قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام في الآية التي هي أخت هذه الآية وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى إنما أورد ما لو صف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير (فإن قلت) فإذا أراد بالميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلط استعارة من وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلاله شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حلوا (فإن قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) (قلت) على أخذنا من النبين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لا لجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأنا ب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق (إذ جاءكم جنود) وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ربح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور (وجنود المروها) وهم الملائكة وكانوا ألقوا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقبصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبوسفیان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عينة ابن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة

(قوله هم مشاهيرهم وذرايعهم) لعله درارهم بالمدال المهمة والدراري السكواكب العظام كما أفاده الصحاح (قوله في ليلة شاتية فأخصرتهم) في الصحاح الخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل إذا ألمه البرد في أطرافه اه فأخصرتهم أوقفعتهم في الخصر أي البرد (قوله فرفعوا في الآطام) أي الحصون وهو جمع أطم كعتق

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ إِلَّا الدَّبْرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝ قُلْ لَّيِّنَ

حتى نستاصل محمدًا (زاغت الأبصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشغوصاً وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروح ۝ الخنجر رأس الغلصمة وهي منتهى الخلقوم والخلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الخنجر ومن ثمة قيل للجان انتفخ سمحه ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيها وإن لم تبلغ الخناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بالسننهم فظن الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفه ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال ۝ أقل اللوم عاذل والعتابا ۝ وكذلك الرسول والسيد وقرئ بزيادتها في الوصل أيضاً لإجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كهن في الإمام بألف ۝ وعن أبي عمرو إشتام زاي زلزلوا ۝ وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج (إلا غرورا) قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيطي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن أبي وأصحابه ۝ ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها (لامقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أي لا قرار لكم هنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون (فارجعوا) إلى المدينة أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفاراً وأسلموا محمداً وإلا فليست يثرب لكم بمكان ۝ قرئ عورة بسكون الواو وكسرهما فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن أيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لأنها غير محترزة ولا محصنة فاستأذنه ليحصنها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جرائنها يريد ولودخلت هذه العساكر المتحيزة التي يفزون خوفاتها مدينهم وبيوتهم من نواحيها كلها والثالث على أهلهم وأولادهم ناهين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة (الفتنة) أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقابلة المسلمين لآتوها لجأوها وفعلوها ۝ وقرئ لآتوها لآعطوها (وما تلبسوا بها) وما ألبسوا إعطاءها (إلا يسيراً) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبسوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعلمون بأعوار بيوتهم ويتمحلوا ليفتروا عن نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤهم هولاً ووعباً وهولاً الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعلموا بشيء وما ذاك إلا لقمته الإسلام وشدة بغضهم لآله

(قوله أن يتبرز فرقا) أي خوفاً (قوله وانتالت على أهلهم وأولادهم) في الصحاح انثال عليه الناس من كل وجه أي انصبوا (قوله كما هم لو كبسوا عليهم) في الصحاح كبسوا دار فلان أغاروا عليها فجأة

يَنْفَعُكُمُ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ
 إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمَ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعُوقِينَ مِّنْكُمْ
 وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ يَلْبِثُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ أَشْجَعٌ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأْيُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
 تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّسَةِ حَدَادٍ أَشْجَعًا عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَسْتُكَ
 لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبِطِ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ

وحجهم الكفر وتمالكهم على حربه . عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون
 منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لنن شهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد أن
 لا يفتروا بعد منازل قيمهم منازل (مسؤلا) مطلوباً بمقتضى حتى يوفى به (لا ينفعكم الفرار) مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف
 أنف أو قتل ۖ وإن نفعكم الفرار مثلاً فتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زماناً قليلاً وعن بعض المروانية أنه من بحائط
 مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (فإن قلت) كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة
 إلا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متقلداً سيفاً ورحماً
 أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع (المعوقين) المشططين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ۖ
 كانوا يقولون (إخوانهم) من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا
 لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه نخلوهم ۖ و (هلم إلينا) أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد
 والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم
 (إلا قليلاً) إلا إيتان قليلاً يخرجون مع المؤمنين يومئذ وهم منهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا
 إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلاً (أشجع عليكم) في وقت الحرب أضناء بكم يترفرون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه
 عند الخوف (ينظرون إليك) في تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً ولو أذا بك فإذا ذهب
 الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفقة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة
 ونسوا تلك الحالة الأولى واجتروا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإننا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكنا
 غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب (أشجع) على الحال أو على الذم وقرئ أشجع بالرفع وصلوكم بالصاد (فإن قلت) هل
 يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط (قلت) لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يوطئه القلب
 وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتيان
 المنكف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس
 وأنها مما يذهب عند الله هباءً منثوراً (فإن قلت) ما معنى قوله (وكان ذلك على الله يسيراً) وكل شيء عليه يسير (قلت)
 معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف (يحبسون) أن الأحزاب لم ينهزموا
 وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لمنازل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وإن
 يأت الأحزاب) كرتة ثانية تمنوا الخوفهم مما منوا به هذه الكرتة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب

(قوله ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس) أي قليلون يشبعهم رأس واحد وهو جمع آكل والالتهم الابتلاع كذا في الصحاح
 (قوله مما منوا به هذه الكرتة) أي ابتلوا به (قوله لم يقاتلوا إلا لتلة رياه) في الصحاح علله بالشيء أي لها به كايعلل الصبي بشيء
 من الطعام يتجزأ به عن اللبن يقال فلان يعلل نفسه بتلة

يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُون عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدِيلًا ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ

(يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا إلا لئلا يراه وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بدى بوزن عدى ويسألون أى يتسألون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتسألون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وترأيناه ۚ كان عليكم أن تواسوا رسول الله ﷺ بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آسأكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه (فإن قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقرئ أسوة بالضم (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أى قدوة وهو المؤتى أى المقتدى به كما تقول في البيضة عشرة من مائة أى هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتى بها أو تتبع وهي المواساة بنفسه (لمن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا من آمن منهم ۚ يرجو الله واليوم الآخر كقولك رجوت زيداً وفضله أى فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصاً والرجاء بمعنى الأمل أو الخوف (وذكر الله كثيراً) وقرر الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة والمؤتى برسول الله ﷺ من كان كذلك ۚ وعدمه الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الأحزاب سائرون اليكم تسعاً أو عشرة أى في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للبيعاد قالوا ذلك ۚ وهذا إشارة إلى الخطب أو البلاء (إيماناً) بالله وبمواعيده (وتسليماً) لقضائاه وأقداره ۚ نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل وحزمة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله عنهم (فمنهم من قضى نحبه) يعنى حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعنى عثمان وطلحة وفي الحديث من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة (فإن قلت) ما قضاء النعب (قلت) وقع عبارة عن الموت لأن كل حى لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أى نذره وقوله «فمنهم من قضى نحبه» يحتمل موته شهيداً ويحتمل وفاته بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) فما حقيقة قوله : صدقوا ما عاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقتى أخوك وكذبتى إذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقتى سن بكره فعناه صدقتى في سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه إما أن يكون بمنزلة السن في طرح الجار وإما أن يجعل المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سننى بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكن مكنذبوا (وما بدلوا) العهد ولا غيره ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب جعل

(قوله في مرحى الحرب) أى مكان إدارة رحاها أفاده الصحاح
(قوله وقرئ أسوة بالضم) يفيد أن قراءة الكسر هي المشهورة

بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً * ورد الله الذين كفروا
بغيبهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظهروهم من أهل
الكتاب من صياصيمهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأورثكم أرضهم وديارهم
وأموالهم وأرضاً لم تطوها وكان الله على كل شيء قديراً * يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة

المنافقون كأنهم قصدوا عافية السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عافية الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق
إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحقيقهما * ويعذبهم (إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو
يتوب عليهم) إذا تابوا (ورد الله الذين كفروا) الأحزاب (بغيبهم) مغيبين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيراً) غير
ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية يائناً للأولى أو استثناء (وكفى الله المؤمنين القتال)
بالريح والملائكة (وأنزل الذين) ظاهره الأحزاب من أهل الكتاب (من صياصيمهم) من حصونهم والصيصية ما تحصن به
يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكه الديك وهي مخرجة التي في ساقه لأنه يتحصن بها . روى أن جبريل عليه السلام أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صديحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه
الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش لجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله إن الملائكة لم تضع السلاح إن الله يأمرك بالمشير
إلى بني قريظة وأنا عائد إليهم فإن الله دافعهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعاً
مطيعاً فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي
فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرفضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم ونسأؤهم فكبر
النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخذق في سوق المدينة خندقاً
وقدمهم ففرض أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير * وقرئ الرعب
بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين * وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للهاجرين دون
الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال إنكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خست يوم بدر قال
لأنما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضاً لم تطوها) عن الحسن رضي الله
عنه فارس والروم وعن قتادة رضي الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضي الله عنه هي خير وعن عكرمة كل
أرض تفتح إلى يوم القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد نسائهم * أردن شيئاً من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغارين فغم ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن إليه غيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت
الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر
لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج روى أنه قال لعائشة إني ذاكر لك أمراً
ولا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله
والدار الآخرة وروى أنها قالت لا تخبر أزواجك أفي اخترتك فقال إنما بعثني الله مبلغاً ولم يبعثني متعناً (فان قلت)

(قوله من فوق سبعة أرقعة) في الصحاح الرقيق سماء الدنيا وكذلك سائر السموات وفي الحديث من فوق سبعة أرقعة
على لفظ التذكير كأنه ذهب إلى السقف

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنِ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ
فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ يَذَسَّاءُ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ
ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَبِيلَهُ وَتَعَمَّلَ صَاحِبًا تَوْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ

ما حكم التخيير في الطلاق (قلت) إذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسي أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت
لا بد من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة وقعت طلاقه بآثمة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في
المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلاق رجعية
وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهرى رضى الله عنهم أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره
وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار وعن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقا وروى أفكان طلاقا وعن علي رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن
اختارت نفسها فواحدة بآثمة وروى عنه أيضا أنها إن اختارت زوجها فليس بشيء ۝ أصل تعال أن يقوله من في
المكان المرتفع لمن في المكان المستوطى ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتك
واختيارك لأحد أمرين ولم يرد نهوضهن اليه أنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني (أمتعنك)
أعطيتك متعة الطلاق (فإن قلت) المتعة في الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد
متعها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فتعتن مستحبة وعن الزهرى رضى الله عنه متعتان إحداها
يقضى بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت
امراة إلى شريح في المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه المتعة حق مفروض
وعن الحسن رضى الله عنه لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقرار
إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم
فلا ينقص من نصفها (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ أمتعنك وأسرحك بالرفع (قلت) وجه الاستئناف (سراحا
جميلا) من غير ضرار طلاقا بالسنة (منك) للبيان لا للتبعض ۝ الفاحشه السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة ۝
والمبينة الظاهرة فحشا والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن
وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث
الإفك وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة
الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فتى ازداد
قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك
فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيرا) إيذان
بان كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمن عنهن شيئا وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان
داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه ۝ قرئ يأت بآثمة والياء ۝ مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى
تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ويضعف بالياء والنون وقرئ تفتن وتعمل بالنساء والياء ونوتها
بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق ولطبن طيب
المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى ۝ أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في

وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا ۝ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لِسْتَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۖ إِنَّ اتَّقِيَتَيْنِ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَقُرْنِ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۚ وَأَقْنِ الصَّلَاةَ

النبي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وماوراه ۝ ومعنى قوله (لستن كأحد من النساء) لستن بكجاعة واحدة من جماعات النساء أى إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المبين (إن اتقيتين) إن أردتن التقوى وإن كنتين متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا بن بقولكن خاضعا أى لينا خشنا مثل كلام المريات والمومسات (فيطمع الذى في قلبه مرض) أى ربية وغفور وقرئ بالجزم عطفاً على محل فعل النهى على أنهم نهين عن الخضوع بالقول ونهى المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسيله ضم الياء مع كسرهما وإسناد الفعل إلى ضمير القول أى فيطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيداً من طمع المريب بجذوخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا ۝ وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقاراً أو من قزير حذف الأولى من رأى أقرن ونقلت كسرتها إلى القاف كانه يقول ظنن وقرن بفتحها وأصله أقرن فحذفت الراء وألقت فتحها على ما قبلها كقولك ظنن وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجه آخر قال قارباً إذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها لا ترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة و(الجاهلية الأولى) هى القديمة التى يقال لها الجاهلية الجلاء وهى الزمن الذى ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين إدريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الدرداء رضى الله عنه إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم إسلام فقال بل جاهلية كفر ۝ أمرهن أمراً خاصاً بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاماً في جميع الطاعات لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من أعتنى بهما حق اعتناؤه جرتاه إلى ماورائهما ثم بين أنه إنما نهان وأمرهن ووعظهن لئلا يقارفا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى ۝ واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لأن عرض المقترف للقبائح يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث

۝ قوله تعالى لستن كأحد من النساء (قال فيه معناه لستن بكجاعة واحدة من جماعات النساء أى إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله ولم يفرقوا بين أحد منهم) قال أحمد إنما بعثه على جعل التفضيل بين نساء النبي عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا أحادهن أن يطابق بين المتفاضلين لأن الأول جماعة وقد كان مستغنيا عن ذلك بحمل الكلام على واحدة ويكون المعنى أبلغ والتقدير ليست واحدة منكن كأحد من النساء أى كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك في العكس فتأمله والله أعلم وجاء التفضيل ههنا كمجيئه في قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله وليس الذكر كالأنثى في تقديم الأفضل عند التفضيل وقدمت في ذلك نكتة حسنة والله الموفق

(قوله إن أردتن التقوى وإن كنتين متقيات) لعله أول إن كعبارة النسفي (قوله إلى قول عضل والديش اجتمعوا) في الصحاح عضل قبيلة وهو عضل بن الهون بن خزيمه أخو الديش وهما القارة وفيه أيضا الديش بن الهون بن خزيمه وربما قالوه بفتح الدال وهو أحد القارة والآخر عضل بن الهون يقال لها جميعاً القارة

وَعَاتِنِ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝
وَأَذْكُرَنَّ مَا بُدِيَ فِي يَوْمِ تُكْرِمُنِي ۚ وَأَيُّتَ اللَّهُ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ

بدنه بالأرجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولى الباب عما
كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضىه لهم وأمرهم به و(أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفي هذا دليل
بين على أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ۝ ثم ذكرهن أن يوتهن مهابط الوحي وأمرهن أن لا ينسين
ما تبلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة
وعلم وشرائع (إن الله كان لطيفاً خبيراً) حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته
ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعاً بين الغرضين يروى أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما بينا خيراً أنذكره إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة
أم سلمة وروى أنه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم
الداخل في السلم بعد الحرب المتقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله
والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق
في نيته وقوله وعمله ۝ والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي ۝ والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل
الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله ۝ والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في أسبوع
بدرهم فهو من المتصدقين ۝ ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين ۝ والذاكر الله كثيراً من لا يكاد يخلو من
ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعاً ركعتين كتباً من الله كثيراً أو الذكرات ۝ والمعنى والحفاظاها والذاكراته
لخذف لأن الظاهر يدل عليه (فإن قلت) أي فرق بين العطفين أعنى عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على
الزوجين (قلت) العطف الأول نحو قوله تعالى ثيبات وأبكاراً في أنهما جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم لم يكن بدم
توسط العاطف بينهما وأما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكأن معناه أن الجامعين والجامعات
لهذه الطاعات (أعد الله لهم) ۝ خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب
على مولاه زيد بن حارثة فأبى وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها
ستين درهما وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر وقيل هي أم كلثوم بنت عقبة
ابن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيداً فسخطت
هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين
(إذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله أولاً لأن قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمرأ) من الأمور ۝ أن يختاروا من أمرهم
ما شاؤوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره (فإن قلت) كان من حق الضمير أن يوحد
كما تقول ما جاني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقعت تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة

أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۖ وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ

فرجع الضمير على المعنى لاعلى اللفظ ۖ وقرئ يكون بالناء والياء و (الخيرة) ما يتخير (للذي أنعم الله عليه) بالإسلام الذي هو أجل النعم وتوفيقك لعنته ومحبتة واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعنى زينب بنت جحش رضى الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها إياه ف وقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفوا عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسيحة فذكرتها لزيد فقطن وأتى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أراك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تعظم على لشرفها وتؤذني فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك أخطب على زينب قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجبنتها فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى فقامت إلى مسجد ها ونزل القرآن زوجها فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أوم على امرأة من نسائه ما أوم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (فإن قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تنزيه لالتحريم لأن الأولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تنكحها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج (فإن قلت) ما الذى أخفى في نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد إياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضى الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا بما أوحى إليه لكنتم هذه الآية (فإن قلت) فإذا أراد الله منه أن يقول حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له أفعلى فإني أريد نكاحها (قلت) كأن الذى أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لأن الله يريد من الأنبياء تساوى الظاهر والباطن والتصلب في الأمور والتجاوب في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبعة كما جاء في حديث إرادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان عيني إلى عينك هل تشير إلى فأقله فقال إن الأنبياء لا تومض ظاهري وباطنيهم واحده (فإن قلت) كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح ولا يستهجن النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بشيء إلا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق إلا بما يستقيم في العقول والعادات وماله لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى زينب وتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقاله (قلت) كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلبا إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويحل ثوابها ولولم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه أسنتهم إلا من أوتي فضلا وعليها ودينا ونظراً في حقائق الأمور ولوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا إذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يرمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه فعودهم ويضيق صدره حديثهم والحيام يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت إن ذلكم كان يؤذى النبي

أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِسَى لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَا لَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُبْلَغُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ

فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا الشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القليل لأن طموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضاً وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استئصال زيد عنها ولا طلب إليه وهو أقرب منه من زرع قيصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تسكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفوا عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكراً عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنأ إذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شيء حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحدهما وأنكحها المهاجر وإذا كان الأمر مباحاً من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجزاً مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الأئمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين إلى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لِسَى لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَا لَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا فبالحرى أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له إلا اتحاد الضمير والظاهر والنبات في مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافأة بالحق وإن كان مراً * (فإن قلت) الواو في وتغنى في نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هي (قلت) واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يسكها وتخفى خاشياً قاله الناس وتخشى الناس حقيقة في ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل وإذا تجمع بين قولك أمسك وإخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك * إذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها (زوجة) وأهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد رضى الله عنهما أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا إله إلا هو ما قرأتها على أبي إلا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على أبيه إلا كذلك ولا قرأها على بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذلك (وكان أمر الله مفعولاً) جملة اعتراضية يعنى وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولاً مكشوراً للاحالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفى الحرج عن المؤمنين في إجماع أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين في تحريمهم عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بأمر الله المكنون لأنه مفعول بكن وهو أمر الله (فرض الله) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجد لا مؤكد لقوله تعالى «ما كان على النبي من حرج» كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو أن لا يخرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاجر والسرائي وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة وسبعائة (في الذين خلوا) في الأنبياء الذين مضوا (الذين يبلغون) يحتمل وجوه الإعراب الجز على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على

(قوله لشق عليهم ولكان بعض المقالة) لعله القالة (قوله ومن نفى الحرج عن المؤمنين في إجماع) لعله في عدم إجماع ويمكن أن المراد الحرج الذي يكون في الإجراء والتسوية لو حصل ذلك الإجراء

وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

هم الذين يبلغون أو على أعني الذين يبلغون ۖ وقرئ رسالة الله ۖ قدر أقدم دوراً قضاء مقضيا وحكام مبتوتا ، ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله تعالى «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» (حسيباً) كافياً للخوف أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمداً بأحد من رجالكم) أى لم يكن أياً من رجالكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبواته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنعيمية لهم عليه لافى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعنى أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبياً ولم يكن هو خاتم الأنبياء كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفى لو عاش لكان نبياً (فإن قلت) أما كان أباً للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم (قلت) قد أخرجوا من حكم النبي بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم (فإن قلت) أما كان أباً للحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حيثئذ وهما أيضاً من رجاله لا من رجالهم وشئ آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين ۖ قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفاً على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه أى لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبياً ختم النبيين (فإن قلت) كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا نبياً أحده بعد عيسى من نبي قبله وحين ينزل ينزل عاملاً على شريعة محمد مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته (اذكروا الله) أنشأ عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثرها ذلك (بكرة وأصيل) أى فى كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروى فى قلب كل مسلم وعن قيادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والغفلان أعني اذكروا وسبحوا ووجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليسين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتغال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكور كثارته تسخير الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكركم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيل وهو الصلاة فى جميع أوقاتها الفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاء لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد لما كان من شأن المصلى أن يعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن يعطف على غيره حتى أعليه وترؤفاً كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أى ترحم عليك وترأف (فإن قلت) قوله (هو الذى يصلى عليكم) إن فسرته بترحم عليكم وترأف فما تصنع بقوله

هو قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور الآية (قال إن جعلت يصلى بمعنى يرحم

(قوله قد عاشا إلى أن نيف أحدهما) أى زاد والنيف بالتشديد والتخفيف الزيادة كذا فى الصحاح

وَمَلَأْنَاكَ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ

(وملائكته) وماء منى صلاتهم (قلت) هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكرهم مستجاب الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرافة ونظيره قوله حياك الله أي أحياك وأبقاك وحيثك أي دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لا تنكلك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرك الله وسقائك الله وسقيتك عليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويتألف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بالكثير الذكر والتوفير على الصلاة والطاعة (ليخرجكم) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيمًا) دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروي أنه لما نزل قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزلت (تحيتهم) من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلاً كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بعث اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم (فإن قلت) وكيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت هي) حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرًا به الصيد غدا (فإن قلت) قد فهم من قوله إننا أرسلناك داعيا أنه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله (بإذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن مستعاراً للتسهيل والتيسير لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر فلما كان الإذن تسهلاً لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك إن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقبل بإذنه للإيدان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطيع إلا إذا سهل الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح أنه غير مأذون له في الإنفاق أي غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقا عليه داخل في حكم التعذر ۝ جلي به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يحل ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد نور السراج نور الأبصار وصفه بالإشارة لأن من السراج ما لا يضيئ إذا قل سليله ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضيئ رسول بطيء وسراج لا يضيئ ومائدة ينظر لها من يحى وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام سائر وسراج فاتر وقيل وذاسراج منير أو تاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك ۝ الفضل ما يفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر المتفضل به وكبره فإظناك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من فوقهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم مفضلوهم به (ولا تطع الكافرين) معناه الدوام والثبات

فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بأنهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حيثه بمعنى دعوة الله له بالحياة والمقصد بذلك جعل الحياة محقة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجبت الدعوة) قال أحمد كثيرا ما يفر الزحشرى من اعتقاد إرادة الحقيقة والمجاز معا بلفظ واحد وقد التزمه هنا ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازاً لأنه حملها على الرحمة وأما غيره فحملها على الدعاء وجعلها من الملائكة حقيقة ومن الله مجازاً والله أعلم

بِاللهِ وَكِيلًا ۝ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوْهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّمْسُوْهُنَّ فَا لَكُمْ عَلَيْنَ
 مِنْ عَدَةٍ تَعْتَدُوْنَهَا فَمَتَّعُوْهُنَّ وَسَرَّحُوْهُنَّ سَرَاحًا جَمِيْلًا ۝ يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّا اَحْلَلْنَا لَكَ اَزْوَاجَكَ الَّتِيْ ءَاتَيْتَ
 اُجُوْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ مِمَّا اَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنٰتِ عَمَّتِكَ وَبَنٰتِ خَالَكَ وَبَنٰتِ خَلَّتِكَ

على ما كان عليه أو التيسيع (أذاهم) يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول يعنى ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذبظايرهم
 وحسابهم على الله في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضى الله عنهما هي منسوخة بآية
 السيف (وتوكل على الله) فإنه يكفيهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا
 منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر
 الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على
 المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع إذاهم لأنه إذا ترك إذاهم في الحاضر والأذى لابتدأ له من عقاب عاجل أو أجل
 كانوا منذرين به في المستقبل والداعى إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج
 المنير بالاكتفاء به وكلا لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتبني به عن جميع خلقه النكاح
 الوطء وتسمية العقد نكاحا ملابسته له من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر لئلا لأنها سبب في اقتراف الإثم
 ونحوه في علم البيان قول الراجز ۝ أسنمة الآبال في سحابه ۝ سمي الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن المال وارتفاع
 أسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن
 السكناية عنه بلفظ للماسة والمماسه والقربان والغشى والإتيان ۝ (فإن قلت) لم خص المؤمنين والحكم الذي نطقت
 به الآية تستوى فيه المؤمنات والكتبايات (قلت) في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير
 لنطقته وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتزهر عن مزاجعة الفواسق فما بال الكوافر ويستكشف أن يدخل تحت لحاف
 واحد عدوة الله ووليّه فالتى في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب
 وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فإن قلت) ما فائدة ثم في قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدته
 نفي التوهم عن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعدها بالنكاح ويتراخى
 بها المدة في حباله الزواج ثم يطلقها (فإن قلت) إذا خلا بها خلوة يمكنه معها الإمساك هل يقوم ذلك مقام المساس
 (قلت) نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فألزم عليهن من عدة) دليل على أن العدة
 حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كئنه فاكلناه
 وزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أى تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن
 ضرارا لتعتدوا ۝ (فإن قلت) ما هذا التمتع أو واجب أم مندوب إليه (قلت) إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة
 واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها
 فبعض على التدب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع واجب
 (أجورهن) مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد (فإن قلت)
 لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات (قلت) قد اختار
 الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اخنصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الآثار
 وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا وله أن يماسها وعليه مهر المثل
 إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف

الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ

وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية مملوكة وخطفه سيفه وورعه وبما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشتري من شقّ الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبيثة فسبي الطيبة ماسي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمسي منهم سبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى (بما أفاء الله عليك) لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب لإطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاقي هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء * وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرأ من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بذت الحريث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم رضي الله عنهن قرئ (إن وهبت) على الشرط وقرا الحسن رضي الله عنه أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدراً محذوفاً معه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالساً بمعنى وقت دوامه جالساً ووقت هبتها نفسها وقرا ابن مسعود بغير أن * (فان قلت) ما معنى الشرط الثاني مع الأول (قلت) هو تقيد له شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وبما به تم (فإن قلت) لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى (نفسها للنبي إن أراد النبي) ثم رجع إلى الخطاب (قلت) للإيدان بأنه مما خص به وأوثر وبجئته على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكملة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته * واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمثه سواء في الأحكام لإفيا خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعاً لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعى للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله تعالى اللاقي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصيغة الله أي خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصاً والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلال الأربع خصوصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لثلاث يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعنا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفوراً) للواقع في الحرج إذ اناب (رحيماً) بالتوسعة

(قوله كما أن رزق الله يجب لإطلاقه على الحلال) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فيطلقونه على القسمين

غَفُورًا رَحِيمًا * تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أُبْغِيَتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَنِهَا وَلَا يُخْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ

على عباده * روى أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغلظ رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرته شهرًا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله أفرض لنا من نفسك وما لك ما شئت وروى أن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إني أرى ربك يسارع في هواك (ترجي) بهمز وغير همز تؤخر (وتؤوى) تضم يعني ترك مضاجعة من تشاء منهم وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لآتين شئت وتقسم لمن شئت أو ترك نزوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت وعن الحسن رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق ولما أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روى أنه أرجى منهم سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كإشاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضي الله عنهن أرجى خمسًا وآوى أربعة وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه الأسود فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ذلك) التفويض إلى مشيئتكم (أدنى) إلى قرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى وعلين أن هذا التفويض من عند الله بوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيدان لم ترض منهم بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطى قلوبهن بتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافيه طيب نفسه * وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب العين وتقرأ عينهن على البناء للمفعول (وكان الله علياً) بذات الصدور (حلياً) لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يثق ويحذر * كلهن تأكيد لهن يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتينهن على التقديم وقرأ كلهن تأكيد لهن في آتينهن * (لا تحل) وقرئ بالذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيق وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته فمنه فلا يحل له أن يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بهن) ولأن تبدل هؤلاء التسع أزواجاً آخر بكلهن أو بعضهم أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهى التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت حيي الخبيرة ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الأسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن * من في (من أزواج) لتأكيد النفي وقائده استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص لإحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب أو من الكتاتيات أو من الإماء بالشكاح وقيل في تحريم التبديل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتى فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أن عينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة عن غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عينة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استئذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيْبًا ۝ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَدْخُلُوْا بُيُوْتَ النَّبِيِّ اِلَّا اَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ اِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظْرِيْنَ اِنَّهٗ وَلٰكِنْ اِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوْا اِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوْا وَلَا مُسْتَنْسِفِيْنَ لِحَدِيْثٍ اِنْ ذٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللّٰهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَاِذَا سَأَلْتُمُوْهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوْهُنَّ مِنْ وَّرَآءِ حِجَابٍ ذٰلِكُمْ اَظْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ

إلى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عينة أفلا نزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها من هذا يارسول الله قال أحق مطاع وأنه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحله النساء تعنى أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها إيمان يكون بالسنة وإما بقوله تعالى إنا أحللتك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أعجبك) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لامن المفعول الذي هو من أزواج لأنه موغل في التكثير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عيسى الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها من أعجبه حسنهن واستثنى من حرم عليه الإمام (رقيبا) حافظا مهمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه (أن يؤذن لكم) في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم و(غير ناظرين) حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا ياهؤلاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناؤه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤذن له إذنا خاصاً وهو الإذن إلى الطعام فحسب وعن ابن أبي عتبة أنه قرأ غير ناظرين مجروراً صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى على غير ما هو له فن حقه ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إناؤه أنتم كقولك هند زيد ضاربه هي ۝ وإني الطعام إدراكه يقال أني الطعام إني كقولك فلاه قلى ومنه قوله بين حميم أن بالغ إناؤه وقيل إناؤه وقته أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة كنه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يارسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا عليك السلام يارسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعونهن ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلبارأوه متوليا خرجوا فراجع ونزلت (ولاستأنسين لحديث) نهم وعن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستأنسه سمعه وتوجه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين ۝ لا بد في قوله (فيستحي منكم) من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحي من الحق يعنى أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحي منه ۝ ولما كان الحياء مما يمنع الحى من بعض الأفعال قيل (لا يستحي من الحق) بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحى منكم وهذا أدب أدب الله به النقاء وعن عائشة رضي الله عنها حبسك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة ۝ الضمير في (سألتوهن) لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن (متاعاً) حاجة (فأسألوهن) المتاع قيل إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن بحجة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأيتكن عيني وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن

وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

احتجبتنَ فَإِنَّ لَكُنَّ عَلَى النِّسَاءِ فَضْلًا كَمَا أَنَّ لِرُجُلِكُنَّ عَلَى الرِّجَالِ الْفَضْلَ فَقَالَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا ابْنَ الْخَطَابِ إِنَّكَ لَا تَغَارُ عَلَيْنَا وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي بَيْوتِنَا فَلَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سِيْرًا حَتَّى نَزَلَتْ وَقِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطْعَمُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَأَصَابَتْ يَدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَائِشَةَ فَسَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ أَنْ تَنْكَلُمَ بَنَاتِ عَمَّنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ لِإِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَا تَرْجُوَنَّ عَائِشَةَ فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ (وَمَا كَانَ لَكُمْ) وَمَا صَحَّ لَكُمْ إِذْ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نِكَاحَ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ ۝ وَسَمِيَ نِكَاحًا مِنْ بَعْدِهِ عَظِيمًا عِنْدَهُ وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ تَعْظِيمِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ وَلِحِجَابِ حُرْمَتِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِعْلَامِهِ بِذَلِكَ مَا طِيبَ بِهِ نَفْسُهُ وَسِرُّ قَلْبِهِ وَاسْتِغْزَرُ شُكْرِهِ فَإِنَّ نَحْوَ هَذَا مَا يَحْدُثُ الرَّجُلُ بِهِ نَفْسُهُ وَلَا يَخْلِي مِنْهُ فَسَكَرَهُ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَفَرَّطَ غَيْرَ تَهْ عَلَى حُرْمَتِهِ حَتَّى يَتَمَنَّى لَهَا الْمَوْتَ لِأَنَّهُ لَا تَنْكِحُ مِنْ بَعْدِهِ وَعَنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ لَا يَرَى الدُّنْيَا بِهَا شَغْفًا وَاسْتِهْتَارًا فَظَنَرَ إِلَيْهَا ذَاتَ يَوْمٍ نَفْسَ الصَّعْدَاءِ وَاتَّجِبَ فَعَلَى نَجِيهِ مِمَّا ذَهَبَ بِهِ فَسَكَرَهُ هَذَا الْمَذْهَبُ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهَا تَصَوُّرًا لِمَا عَمِيَ يَتَفَقَّ مِنْ بَقَائِهَا بَعْدَهُ وَحُصُولِهَا نَحْتِ يَدِ غَيْرِهِ وَعَنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ أَنَّ الزَّوْجَ الثَّانِي فِي هَذَا الثَّلَاثِي مَا يَجْرِي بِمَجْرَى الْعُقُوبَةِ فَصَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَالًا يَحْظُ ذَلِكَ (إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا) مِنْ نِكَاحِ مَنْ عَلَى السَّنَكَمِ (أَوْ تَخَفَوْهُ) فِي صَدُورِكُمْ (فَإِنَّ اللَّهَ) يَعْلَمُ ذَلِكَ فَيُعَاقِبُكُمْ بِهِ وَإِنَّمَا جَاءَ بِهِ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ عَامًا لِكُلِّ بَادٍ وَخَافَ لِيَدْخُلَ تَحْتَهُ نِكَاحَهُمْ وَغَيْرِهِ وَلَآئِهْ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَهْوَلُ وَأَجْزَلُ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ قَالَ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ وَالْأَقْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ نَحْنُ أَيْضًا نَكَلُمُهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ فَنَزَلَتْ (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ) أَيْ لَا إِثْمَ عَلَيْهِنَّ فَنُفِىَ أَنْ لَا يَحْتَاجْنَ مِنْهُنَّ وَهُوَ لَا يَذْكُرُ الْعَمَّ وَالْحَالَ لَاهِمَا يَجْرِيَانِ بِمَجْرَى الْوَالِدَيْنِ وَقَدْ جَاءَتْ تَسْمِيَةُ الْعَمِّ أَبَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِلَهُ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَاسْتَحَقَّ وَاسْمُ لَعَمِّ يَعْقُوبَ وَقِيلَ كَرِهَ تَرْكُ الْإِحْتِجَابِ عَنْهُمَا لِأَنَّهُمَا يُصَفَّانِ لِأَبْنَائِهِمَا وَأَبْنَاؤُهُمَا غَيْرَ مُحَرَّمٍ ثُمَّ نَقَلَ الْكَلَامَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى احْطَابِ وَفِي هَذَا النُّقْلِ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ تَشْدِيدِ فَقِيلَ (وَاتَّقِينَ اللَّهَ) فِيمَا أَمَرْتُمْ بِهِ مِنَ الْإِحْتِجَابِ وَأَنْزَلَ فِيهِ الْوَحْيَ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ وَأَحْطَطَ فِيهِ وَفِيمَا اسْتَنْتَى مِنْهُ مَا قَدَّرْتُمْ وَاحْفَظْ حُدُودَهُمَا وَاسْلُكْ طَرِيقَ التَّقْوَى فِي حِفْظِهِمَا وَلَيْسَ عَمَلُكُمْ فِي الْحِجَابِ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ وَأَنْتُمْ غَيْرَ مُحْجَبَاتٍ لِيَفْضَلَ سِرْكُنَّ عَلَيْنَكُنَّ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) مِنْ السَّرِّ وَالْعَلَنِ وَظَاهَرِ الْحِجَابِ وَبَاطِنِهِ (شَهِيدًا) لَا يَتَفَاوَتْ فِي عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ ۝ قَرِئَ وَمَلَائِكَتُهُ بِالرَّفْعِ عَظَمًا عَلَى مَحَلِّ إِنْ وَاسْمُهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَى مَذْهَبِ السُّكُوفِيِّينَ وَوَجْهُهُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ أَنْ يَحْذِفَ الْخَبَرَ لِدَلَالَةِ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا) أَيْ قُولُوا الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ وَالسَّلَامَ وَمَعْنَاهُ الدُّعَاءُ بِأَنْ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَيَسْلَمَ (فَإِنْ قُلْتَ) الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبَةٌ أَمْ مَدْنُوبٌ إِلَيْهَا (قُلْتَ) بَلْ وَاجِبَةٌ وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي حَالِ وَجُوبِهَا فَفَهَّمُ مِنْ أَوْجِهَا كُلِّمَا جَرَى ذِكْرُهُ وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ ذَكَرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلِّ عَلَىَّ فَدَخَلَ الْبَارِ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَيُرْوَى أَنَّهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الْمُسْكُونِ وَلَوْلَا أَنْكُمْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ مَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ وَكُلَّ بَنِي مَلَكَينَ فَلَا أَذْكَرَ عِنْدَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ فَيُصَلِّي عَلَىَّ إِلَّا قَالُ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ جَوَابًا لَذَنْبِكَ الْمَلَكَينَ آمِينَ وَلَا أَذْكَرَ عِنْدَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ فَلَا يَصَلِّي عَلَىَّ إِلَّا قَالُ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ لَا غُفَرَ اللَّهُ لَكَ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ لَذَنْبِكَ الْمَلَكَينَ آمِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ تَجِبُ فِي كُلِّ مَجْلَسٍ مَرَّةً وَإِنْ تَكَثَّرَ ذِكْرُهُ كَأَقِيلٍ فِي آيَةِ السُّجْدَةِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَكَذَلِكَ

(قوله لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا) في الصحاح فلان مستهتر بالشراب أى مولع به لا يبالي ما قيل فيه

تَسْلِيماً ۚ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ۖ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ۖ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَبَنَاتَكِ
وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبِيبٍ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلََّا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ۖ

في كل دعاء في قوله وخره ومنهم من أوجها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة
عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار (فإن قلت) فالصلاة عليه في الصلاة أي شرط في جوازها أم لا (قلت) أبو حنيفة
وأصحابه لا يرونها شرطا وعن إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالشهادة وهو السلام عليك أيها النبي
وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا (فإن قلت) فأتقول في الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن
لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل أبي أوفى ولكن للعناء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها
وأما إذا أفرده من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موافق
التهم (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيان منه من الكفر والمعاصي
وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما
جعلته مجازاً فيهما جميعاً وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاث أوجه العبارة الواحدة معطية معنى المجاز
والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين بآله
مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الدين يلحدون في أسمائه وصفاته
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه «شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وأذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني
فأما شتمه إياي فقله إني اتخذت ولدأ وأما أذاه فقله إن الله لا يعيدني بعد أن بدأت بدأني وعن عكومة فعل أصحاب التصاوير
الذين يرمون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل
كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين
والمؤمنات لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أ. أو أما أذى المؤمنين والمؤمنات فنه ومنه ومعنى (بغير ما اكتسبوا)
بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا
على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق
فكيف وكان ابن عون لا يكرى الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كثر الحول ۖ الجلباب ثوب واسع أو سعة من
الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتقي منه مآثره على صدرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستمر من فوق
إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زيد ۖ يجلب من سواد الليل جلباباً ۖ ومعنى (يدنين عليهن من
جلابيبهن) برخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زال الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك وذلك
أن النساء كن في أول الإسلام على مجيراهن في الجاهلية متبذلات ترز المرأة في درع وخمار فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان
وأهل الشطارة يتعزضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضى حوائجهن في النخيل والعيطان للإمام ورمات تعزضوا للحرة بعلقة الامة يقولون
حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زى الإمام بلبس الأردية والملاحف وستر الرأس والوجه ليجتشم من وجههن
فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعزض لهن ولا يلقين ما يكرهن (فإن

(قوله فكيف وكان ابن عون لا يكرى الحوانيت) عبارة النسفي فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات

لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۖ مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا تُقَفُّوا أَخْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۖ إِنَّ اللَّهَ

قلت (ما معنى من في من جلايدين (قلت) هو للنبيعض إلا أن معنى النبيعض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلبين ببعض ما لهن من الجلايب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالآمة والمساهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تنقع حتى تميز من الآمة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجهها والشق الآخر إلا العين وعن الكسائي يتنقعن بملاحفن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإيداء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل (الذين في قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطعم الذي في قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلولة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدكم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنا منك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتؤدهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها (إلا) زمنا (قليلا) ربما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراما وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين (فإن قلت) ما موقع لا يجاورونك (قلت) لا يجاورونك عطف على لغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم يذهبوا لا يجاورونك (فإن قلت) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالقاء وأن يقال لغرينك بهم فلا يجاورونك (قلت) لوجعل الثاني مسيبا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف بهم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه (سنة الله) في موضع مصدر مؤكد أى سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعنى كما قتل أهل بدر وأسروا ۖ كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزم واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عصى وقها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للستعجلين وإسكاتا للמתحنين (قريبا) شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب ۖ السعير النار المسعورة

ه قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (قال فيه المراد بقوله تعالى إلا قليلا ربما يلتقطون عيالاتهم وأنفسهم لا غير) قال أحمد وفيها إشارة إلى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعى يملك ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد والله أعلم

(قوله لما سلف منهن من التفريط مع التوبة) هذا عند المعتزلة أو بمجرد الفضل عند أهل السنة (قوله الأفاعيل التي تسوءهم وتؤدهم) في الصحاح يقال له عندى ما ساءه وناءه أى أثقله وما يسوءه وينوءه وقال بعضهم أراد ساءه وناؤه وإنما قال ناءه وهو لا يتعدى لأجل ساءه ليزوج الكلام

لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۖ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ۖ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ

الشديدة الإيقاد ۖ وقرئ تقلب على البناء المفعول وتقلب بمعنى تتقلب وأي تقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعيير ومعنى تقلبها تصرفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فزأى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغيرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكور لأن الوجه أكرم وضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو أذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا ۖ وقرئ ساداتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوا الكفر وزيادتهم ۖ يقال ضل السبيل وأضله آياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف ۖ وقرئ كثيرا تكثيرا لإعداد اللعائن وكثيرا ليبدل على أشد اللعن وأعظمه (ضعفين) ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل إنها هم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الجبل فمات هناك لحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياء الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه برئ منه (وجيها) ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميظ عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وسم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شيبوذ في شهر رمضان فسمعت يقرؤها وقرأة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك (فإن قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح للبراءة منه (قلت) المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سمو السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ أنفسكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل لإصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنبت تلك على النهي عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان ليرادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البالغ

(قوله على أن الفعل للسعيير) يعني ووجوههم بالنصب (قوله وقيل قرفوه بعيب) في الصحاح قرفت الرجل أي عتبه ويقال هو يقرف بكذا أي يرمي برويته (قوله ألا ترى أنهم سمو السبة بالقالة) في الصحاح صار هذا الأمر سبة عليه بالصم أي عارا (قوله على أن يسد قولهم) في الصحاح سد قوله يسد بالكسر أي صار سديدا

أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۖ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۖ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ

فيقوى الصارف عن الأذى والداعى إلى تركه ۖ لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله
(إنا عرضنا الأمانة) وهو يريد بالأمانة الطاعة فعظم أمرها ونظم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام
من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياداً تليها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له
الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تتمتع على مشيئته وإرادته بإيجاداً وتكويناً وتسوية على هيات مختلفة وأشكال
متنوعة كما قال قلنا أتينا طائعين وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد وأمر
الله ونواهيته وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم
الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإبائها
وإشفاقها مجاز ۖ وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان حامل الأمانة ومحمّل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول
عن ذمته ويخرج عن عهدها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولى
عليه حق فإذا أداها لم تبقى راكبة له ولا هو حاملها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصراً يريدون أنه يبذل النصرة
له ويسامحها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذى لا تملك الحس نفسه ۖ وترفض عند المحفظات الكتائف

أى لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضمين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم
يخرجه إلى أخيه ولم يؤدده وإذا أبغضه أخرجه وأذا فعنى فأبين أن يحملتها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن
يكون محملاً لها لا يؤديها ۖ ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها
والثاني أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل بحمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأفواه وأشدّه أن
يتحمّله ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته (لأنه كان ظلوماً جهولاً)
حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على
طريقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج وكم لهم من أمثال على السنة البهائم
والجمادات وتصور مقابلة الشحم بحال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح
حسنه فصور أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس السامع وهى به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك
تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل حملها والوفاء بها (فإن قلت) قد علم وجه التمثيل في قولهم للذى لا يثبت على رأى
واحد أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضى على أحدهما بحال من
يتردد في ذهابه فلا يجمع رجله للبضى في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة
وليس كذلك ما في هذه الآية فإن عرض الأمانة على الجهاد وإبائه وإشفاقه بحال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء
التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا لأن تشبه شيئاً والمشبّه به غير معقول (قلت) الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم

(قوله وترفض عند المحفظات الكتائف) أى تفرق وتذهب والمحفظات المغضبات والكتائف جمع كتيفة وهى السخيمة
والحقديقول هو الذى إذا رآك مظلوماً رآك لك وذهب حقه كذا فى الصحاح (قوله ثم خاس بضمانه فيها) فى الصحاح خاس به
يخبس ويخوس أى غدر به يقال خاس بالعهد إذا نكث

سورة سبأ مكية

إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لآيين أن يحملنها وأشققن منها ۝ واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب ۝ وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويتبدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر والله أعلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وماملكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر

﴿ سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدينية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول أحمد أخاك الذي كساك وحملك تريد أحمدك على كسوته وحملانه ولما قال (وله الحمد في الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فإن قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون ۝ ثم ذكر مما يحيط به علما (ما يلبج في الأرض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الأمطار والتلوج والبرد والصواعق والأزراق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما تعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للمفترطين في أداء مواجب شكرها ۝ وقرأ

﴿ القول في سورة سبأ ﴾

۝ قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة (قال فيه الحمد الأول واجب لأنه على نعمة متفضل بها والثاني ليس بواجب لأنه على نعمة واجبة على المنعم) قال أحمد والحق في الفرق بين الحمدين أن الأول عبادة مكلف بها والثاني غير مكلف به ولا متكلف وإنما هو في النشأة الثانية كالجلبات في النشأة الأولى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام يلهمون التيسيح كما يلهمون النفس وإلا فالنعمة الأولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لاعتنا استحقاق والله الموفق

(قوله ويتوب) أي بالرفع كما في النسق (قوله نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها) مبنى على مذهب المعتزلة أما أهل السنة فلا يوجبون على الله شيئاً ولا يجب الحمد في الآخرة لأنها ليست دار تكليف (قوله كما يلتذ من به العطاش البارد) في الصحاح العطاش داء يصيب الإنسان يشرب الماء فلا يروى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْبَشُّكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُّرِقٌ لِّنَّاسِكُمْ لَنِي خَلَقَ جَدِيدًا ۖ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ
 اللَّهُ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۖ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَاشِئَهَا خِيفٌ لِّهِنَّ الْأَرْضُ أَوْ يُنْسَقُ عَلَيْهِنَّ مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالُ الْحَدِيدُ ۚ إِنَّ أَعْمَلَ

أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لايزادعليه في الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد
 وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما (الذين كفروا) قریش قال بعضهم لبعض
 (هل ندلكم على رجل) يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتشؤون
 خلقاً جديداً بعد أن تكونوا رفاتاً وتراباً ۖ يمزق أجسادكم البلى كل ممزق أى يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد ۖ أهو
 مفتر على الله كذباً فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ۖ ثم قال سبحانه ليس محمد من
 الافتراء والجنون فى شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون فى عذاب النار فيما يؤدبهم اليه
 من الضلال عن الحق وهم غاللون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشدّه إطاقاً على عقولهم جعل وقوعهم فى العذاب رسيلاً
 لوقوعهم فى الضلال كأنهما كائنان فى وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلاً كأنهما فى
 الحقيقة مقترنان ۖ وقرأ زيد بن عليّ رضى الله عنه ينبيكم (فإن قلت) فقد جعلت الممزق مصدراً كيئت الكتاب

ألم تعلم مسرحى القوافى ۖ فلا عيا بهن ولا اجتلاباً

فهل يجوز أن يكون مكاناً (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الأموات فى بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به
 كل مذهب وما سفته الرياح فطرحت كل مطرح ۖ (فإن قلت) ما العامل فى إذا (قلت) مادلاً عليه إنكم لني خلق جديد
 وقد سبق نظيره ۖ (فإن قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت) هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد
 فهو جديد كحد فهو حديد وقلّ فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه وقالوا هو الذى جد الناسج الساعة
 فى الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهى عند البصريين كقوله تعالى إن رحمة الله قريب ونحو ذلك
 (فإن قلت) لم أسقطت الهمزة فى قوله افتري دون قوله آسحر وكنائهما همزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن
 أمراً اضطررتم إلى ترك إسقاطها فى نحو آسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة
 الاستفهام (فإن قلت) مامعنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الإسناد المجازى لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن
 الجادة وكما ازداد عنها بعداً كان أضل (فإن قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً علماً فى قریش وكان
 إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبيكم فكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل
 على مجهول فى أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك الطعن والسخرية فأخرجوه مخرج التحلى ۖ بعض الأحاجى التى
 يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به وبأمره ۖ أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانا وأينما ساروا
 أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدر أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل
 ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفاً لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء
 به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة (إن فى ذلك) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله
 (آية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع إلى ربه المطيع له لأن المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على أنه قادر
 على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به ۖ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افتري على الله كذباً وبالنون

الْغُفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ الْيَمِّ ۝ وَيَرَى الَّذِينَ ءَاتَوْا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝

على بن أبي طالب رضى الله عنه نزل بالنون والتشديد ۝ قولهم (لا تأتينا الساعة) نفى للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد ۝ أوجب ما بعد النفي بلى على معنى أن ليس الأمر إلا تأتينا ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أهد التوكيد القسمة إمداداً بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزى لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعباً وأبين فضلاً وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فإن قلت) هل للوصف الذى وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب تخين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفوت عليه شيء من الخفيات واندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما طلبه من وجه الاختصاص بجيئاً واضحاً (فإن قلت) الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغظ الأيمان وأقسم عليهم جهده القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذباً كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهى قوله ليجزى فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا يبدله من ثواب والمسيء لا يبدله من عقاب وقوله ليجزى متصل بقوله لتأتينكم تعليلاً ۝ قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أى لتأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون إلا أن تأتيتهم الملائكة أو يأتى ربك وقال أوبأى أمر ربك ۝ وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لرى وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر في الزاى من العزوب وهو البعد يقال روض عزيز بعيد من الناس (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (ذلك) إشارة إلى مثقال ذرة ۝ وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفى الجنس كقولك لآحول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله (فإن قلت) هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة للتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لا متاع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يأتى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسماً للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطوراً في اللوح ۝ وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر ۝ وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) في موضع الرفع أى ويعلم أولوا العلم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحرار وعبد الله بن سلام رضى الله عنهما ۝ الذى أنزل إليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل من قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبراً والجملة في موضع المفعول الثانى وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزى أى وليعلم

(قوله وركب في الغرائز وجوب الجزاء) هذا مقتضى الحكمة وإن لم يجب على الله تعالى شيء عند أهل السنة فتدبر

سَبَّغْتَ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلَاحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَسْلَيْمُ مِنَ الرِّيحِ غَدَوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

لقوله ولقد آتينا وكسفاً بفتح السين وسكونه ۝ وقرأ الكسائي يخسف بهم بالإدغام وليست بقوة (يا جبال) إما أن يكون بدلا من فضلا وإما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أوقلنا يا جبال وقرئ أوتى وأوتى من التأويب والأوب أى رجعى معه التسييح أو راجعى معه فى التسييح كلما رجع فيه لأنه إذا رجع فقد رجع فيه ومعنى تسييح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسييحاً كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسيح معجزة لداود وقيل كان يوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعد على نوحه بأصداثها والطير بأصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفاً على لفظ الجبال ومحلا وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فإن قلت) أى فرق بين النظم وبين أن يقال ۝ وآتينا داود منا فضلا ۝ تأويب الجبال معه والطير (قلت) كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التى لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير متمتع على إرادته (والأنا له الحديد) وجعلناه له ليناً كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لأن الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بنى إسرائيل متسكراً فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فيقبض الله له ملكاً فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فربح داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر) لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (و) سخرنا (لسليمان الریح) فيمن نصب وسليمان الریح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحها وعن الحسن رضى الله عنه كان يغدو فيقبل باصطخر ثم يروح فيكون رواحاً بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بيناه ومبياً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رانحون منه فباتون الشام إن شاء الله . القطر النحاس المذاب من القطران (فإن قلت) ماذا أراد بعين القطر (قلت) أراد بهامعدن النحاس ولكنه أسأله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراى أعصر خمرأ وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (بإذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاعه ۝ وعذاب السعير عذاب الآخرة . عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى : كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى ۝ المحارب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محارب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد ۝ والتماثيل صور الملائكة والنبين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراه الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (فإن قلت) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل

(قوله بأصداثها) جمع صدى وهو الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها كذا فى الصحاح

(قوله ولكنه أسأله كما ألان الحديد) لعله أسأله له

السَّعِيرُ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقَدُورٍ رَاسِيَتٍ اَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ

كالظم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محزوماً ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور محذوفة الرؤس وروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظهر النسرين بأجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال :

تروح على آل الملق جفنته • بجاية السبع العراقي تفهق

لأن الماء يجي فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازاً وهى من الصفات الغلبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بمحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود) حكاية ما قيل لآل داود انتصب (شكراً) على أنه مفعول له أى عملوا لله وعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أى شاكرين أو على تقدير الشكر أو شكر الآن عملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للنعم شكره ويجوز أن ينتصب بأعمال مفعولاً به ومعناه أنا نتميزنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً وكدهاً وأكثر أوقانه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فأنادعوه أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر • قرئ فلما قضى عليه الموت ودابة الأرض الأرضة وهى الدويبة التى يقال لها السرقة والأرض فعلها فاضيفت إليه يقال أرضت الخشب أرضاً إذا أكلتها الأرضة • وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشب أرضاً وهو من باب فعلته ففعل كقوله أكلت القوادح الأسنان أكلها أكلت أكلها والمنساء العصال لأنه ينسأ بها أى يطرد ويؤخر • وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسى ومنسأته على مفعالة كما يقال فى الميضأة ميضأة ومن سأنه أى من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشيء إذا ظهر وبجلى • و (أن) مع صلها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له فى المعنى أى ظهر أن الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب) أو علم الجن كلهم علماً بينا بعد التباس الأمر على عاقبتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بخالفهم وإنما أريد التهمك بهم كما تنهمك بمدعى الباطل إذا دحضت حجته وظهر لإبطاله بقولك هل تبين أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متيناً وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى المعنى هو أن مع ما فى صلها لأنه بدل وفى قراءة أبى تبينت الإنس وعن الضحاك

(قوله بجاية السبع العراقي تفهق) أى الماء الجارى على وجه الأرض وفهق الاء إذا امتسلاً حتى يتصبب كذا فى الصحاح (قوله سميت بسأة القوس) فى الصحاح سبة القوس ما عطف من طرفها وكان روبة يهمز سبة القوس وسائر العرب لا يهمزونها (قوله كقولهم قحة وقحة) كسعة وكدة بمعنى الوقاحة وهى الصلابة (قوله بمدعى الباطل إذا دحضت حجته) فى الصحاح بطلت

جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم

تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أى علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من عليهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتسكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لى شىء أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لحراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخر به وأنا حى أنت التى على وجهك هلا كى وخراب بيت المقدس فترعها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عم عن الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويؤهون على الإنس أنهم يعلمون الغيب وقال للملك الموت إذا أمرت بى فأعلنى فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه فى صلاته إلا احترق فتر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فإذا العصا قد كلتها الأرض فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرض على العصا فأكلت منها فى يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حياً فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا فى العذاب سنة وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب روى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعد أن يدنوا منه وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربعة مئتين من ملكه ۝ قرئ (لسبأ) بالصرف ومنعه وقلب الحمزة ألفاً ۝ ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكنائهم وهو بلدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكينهم و(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفى الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فإن قلت) ما معنى كونهما آية (قلت) لم يجعل الجنتين فى أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأن أهلها أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخر بهما وأبدلهم عنهما الخط والائل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغطا النعم ويجوز أن تجعلهما آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره (فإن قلت) كيف عظم الله جنتى أهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قرى العراق يحتف بها من الجنان ما شئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعنى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضى الله عنهم كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل يديها وتسير بين تلك الشجرة فيمتلى المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن

(قوله وكل واحد من الجماعتين فى تقاربهما) لعله كل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة

وهذه عبارة النسفى

سِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَانَهُمْ بِجَنَّتِهِمْ ذَوَاتِي أَكُلَ خَمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا
كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ ۚ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الَّذِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سَيَرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَيَأْمَأْمِنِينَ ۚ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ اسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فُجِعْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ

ثم لمب معناه اسكن. واعبد (العرم) الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجباين
بالصخر والقار لحقت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا
قيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويد كروهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله نعمة ساط الله
على سدوم الخلد فنقبه من أسفله ففرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكُدس من الطعام عرمة
والمراد المسناة التي عقدوها سكرأ وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد ۚ وقرئ العرم بسكون الراء وعن
الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ۚ وقرئ أكل بالضم والسكر والسكون وبالتنوين والإضافة
والأكل الثمر ۚ والخط شجر الأراك وعن أبي عبيدة كل شجر ذى شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعاما من مرارة
حتى لا يمكن أكله ۚ والأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً ووجه من تون أن أصله ذواتي أكل أكل خمط
خُذِفَ المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل يشع ومن أضاف وهو
أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط في معنى البربر كأنه قيل ذواتي بربر والأثل والسدر معطوفان على أكل لاعلى خمط لأن
الأثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيثاً بالنصب عطفاً على جنتين وتسمية اليدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من
التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لأنه أكرم ما بدلو ۚ وقرئ وهل يجازى وهل يجازى بالنون وهل يجازى
والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن
تكفر سيأته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من سوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة
يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم
بكفرهم قيل وهل يجازى إلا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى
إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص
وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا
الكافر والمؤمن لم يصح ولم يستد كلاً ما قتين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء
عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرى التي باركنا فيها) وهي قرى الشام (قرى ظاهرة)
متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو رابكة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن
مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقد رنا فيها السير) قيل كان الغادي منهم يقبل في قرية والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ
الشام لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم
ولكنهم لما مكثوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه (فإن قلت) ما معنى قوله (ليالي وأياما)
(قلت) معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يتخلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها
آمنين لا تخافون وإن تناولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في

(قوله العرم الجرذ) في الصحاح الجرذ ضرب من الفار وفيه سكرت النهر سكرأ إذا سددته (قوله سلط الله على سدوم الخلد
فنقبه) في الصحاح الخلد ضرب من الجرذان أعشى وفيه المكس بالضم وأحد كداس الطعام (قوله والمراد المسناة التي عقدوها)
في الصحاح المسناة العرم وفيه العرم المسناة وفي ذلك دور (قوله فلأن أكل الخمط في معنى البربر) في الصحاح البربر ثمر الأراك

كُلُّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَنَّ مِنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ۝ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَالَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ

كل حين وزمان لاتلقون فيها إلا الأمن قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ياربنا على الدعاء ۝ بطروا النعمة وبشموامن طيب العيش وملوا العافية فطلبوا السكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر أن نشفيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فجعل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفع به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسائرهم على قصرها ودونها لفرط تنعمهم وترفعهم كأنهم كانوا يتشاجرون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقاتهم تفريقاً اتخذها الناس مثلاً مضروباً يقولون ذهبوا أيدي سباً وتفرقوا أيادي سباً قال كثير بن أيدى سباً يعزما كنت بعدكم ۝ فلم يحل بالعينين بعدكم منظر لحق غسان بالشام وأثمار يثمر وجذام بهامة والأزد بعمان (صبار) عن المعاصي (شكور) للنعم ۝ قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إبليس ونصب الظن فن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً ومن خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق يظن ظناً نحو فعلته جهك وبنصب إبليس ورفع الظن فن شدد فعلى وجد ظنه صادقاً ومن خفف فعلى قال له ظنه الصادق حين خيله إغواهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعها على صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعها لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف عزماً منه فظن بهم اتباعه وقال لأصلهم لا غوينهم وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ۝ والضمير في عليهم واتبعوه إما لأهل سباً أو لبني آدم ۝ وقلل المؤمنين بقوله (إلا فريقاً) لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار كما قال لا تحسكن ذريته إلا قليلاً ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم ۝ وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وفعل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين) عبدتموه من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتهم باسمه كما تدعون الله والتجثوا إليهم فيما يعرفونكم كما تلجثون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضرر (في السموات ولا في الأرض وما لهم) في هذين الجنسيتين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض، وماله منهم من عوين يعين على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فإن قلت) أين مفعولاً زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفاً فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلائم كلاماً ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما

(قوله وبشموا من طيب العيش) بشموا أى شموأفاده الصحاح (قوله كأنهم كانوا يتشاجرون) في الصحاح الشجواهم والحزن

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۖ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا

هو حجة عليه وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقى أن يكون محذوفاً تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله محذوف
الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله أهدأ الذي بعث الله رسولا استخفافاً فالطول الموصول لصلته وحذف آلهة
لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً فإذا مفعولاً زعم
محذوفان جميعاً بسببين مختلفين ۖ تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع
له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أى
لا تنفع الشفاعة إلا كائنه لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنه لمن أذن له أى لشفيعه أو هى
اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أى لأجله وكأنه قيل إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو
الوجه وهذا كذب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فإن قلت) بما اتصل قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) ولاى شيء
وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً للإذن وتوقعا وتمهلاً وفزعا من الراجين للشفاعة
والشفعاء هل يؤذن لهم أولاً يؤذن وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملى من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال
دلّ عليه قوله عز وجل رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح والملائكة
صفاً لا يتكلمون إلا لمن أذن له الرحمن وقال صواباً كأنه قيل يتربصون ويتوقفون ملياً فزعين وهلين حتى إذا فزع
عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بهارب العزة في إطلاق الإذن ۖ تباشروا
بذلك وسأل بعضهم بهضاً (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن
ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعه الشفاعة وقرئ أذن له أى أذن
له الله وأذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففاً بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده
وفرغ أى نفي الوجع عنها وأقنى من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجع وأسند إلى الجار والمجرور
كما تقول دفع إلى زيد إذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجع عنها أى اتقى عنه وفى ثم حذف الفاعل
وأسند إلى الجار والمجرور وقرأ افرقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبي هلكمة أنه هاج به المزار
فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأ تكأ على كأك على ذى جنة افرقعوا عنى والكلمة مركبة من حروف المفارقة
مع زيادة العين كارب كارب من حروف القمط مع زيادة الراء موقرئ الحق بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير)
ذو العلو والكبرياء ليس ملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى ۖ أمره بأن يقرهم
بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقولهم
إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذى تمكن فى صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق
بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزعمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتوثرون
عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار حتى قال
فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال فكأنهم كانوا يقرّون بالسنتهم مزمومة كانوا يتلثمون عناداً وضراً
وحذراً من إلزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء
لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً ۖ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى إن لم يزد على إقرارهم بالسنتهم

(قوله أنه هاج به المزار) فى الصحاح المزار بضم الميم شجر مر إذا أكلت منه الإبل قلصت عنه مشافرها ومنه بنو كل
المزار وهم قوم من العرب

أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۖ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۖ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

لم يتقاصر عنه (وإنا أو إياكم لعل هدى أو في ضلال مبين) ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجواد الذي لا يوصف بالقدرة لعل أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدمه ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقل شوكته بالهوين ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان أنهجوه ولست له بكف ۖ فشركا لخير كما الفداء

(فإن قلت) كيف خولف بين حرفي الجزر الداخليين على الحق والضلال (قلت) لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضلال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين ۖ هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجماع إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالإجماع الصغار والزلات التي لا تخلو منها مؤمن وبالعقل الكفر والمعاصي العظام ۖ وفتح الله بينهم وهو حكيم وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله (أروني) وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه

ۖ قوله تعالى وإنا أو إياكم لعل هدى أو في ضلال مبين (قال) لما ألزمهم الحجة في قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم بهما من شرك وما له منهم من ظهير، وهلم جزأ إلى الآية المذكورة وهذا الإلزام إن لم يرد على إقرارهم بأستهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وإنا أو إياكم لعل هدى أو في ضلال مبين ومعناه أن أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجواد الذي لا يوصف بالقدرة على ذرة لعل أحد الأمرين من الهدى أو الضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به قد أنصفك صاحبك والتعريض أنضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقل شوكته بالهوين ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله يعلم الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه قول حسان : أنهجوه ولست له بكف ۖ فشركا لخير كما الفداء (قال أحمد) وهذا تفسير مهذب وافتنان مستعذب رددته على سمعي فزاد رونقا بالترديد واستعاده الخاطر كأني بطيء الفهم حين يفيد ولا ينبغي أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تعاطيها متأخرو الفقهاء في مجادلاتهم ومحاوراتهم وذلك قولهم أحد الأمرين لازم على الإجماع فهذا المسلك من هذا الوادي غير بعيد فتأمله والله الموفق ۖ قوله تعالى قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون (قال وهذا القول أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجماع إلى النفس وأراد به الزلات والصغار التي لا تخلو عنها مؤمن وأسند العمل إلى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر) قال أحمد فعبعن الهفوات بما يعبر به عن العظام وعن العظام بما يعبر به عن الهفوات التزاما للإنصاف وزيادة على ذلك أنه ذكر الإجماع المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الذي يعطى تحقيق المعنى وعن العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يعطى ذلك والله أعلم

(قوله ولكن التعريض والتورية أفضل) في الصحاح ناضله راماه يقال ناضلت فلانا فضلته إذا غلبته اه فالأنضل الأشد رميا فلذا عدى يالى (قوله وقل شوكته) أى كسرها

الْحَكِيمُ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَنْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَتَنْحَنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ

والإشراك به (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وإن لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده أو ضمير الشأن كما في قوله تعالى قل هو الله أحد (إلا كافة للناس) إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ فجعلها حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للبالغة كناه الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجاروكم ترى من يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوى له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين ۖ قرئ ميعاديوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فإن قلت) فما تأويل من أضافه إلى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول سمعت ثوب وبغير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم (فإن قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ماسألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعتالا لاسترشاداً لجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجىء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا تقدما عليه ۖ الذى بين يديه منازل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر فكفروا بها جميعاً وقيل الذى بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لمادل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ۖ ثم أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أول للخطاب (ولو ترى) في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجيب خذف الجواب ۖ والمستضعفون هم الاتباع ۖ والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون ۖ أولى الاسم أعني نحن حرف الإنكار لأن الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم اتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعد إذ جامكم) بعد أن صممت على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم أمر الشهوة دون أمر النهي فكنتم مجرمين كافرين لا اختياركم لالقولنا وتسويلنا (فإن قلت) إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت إذ مضافا إليها (قلت) قد اتسع

اسْتَضعِفُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بِلِ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَّا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا
أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَوْلَادًا وَأَوْلَدًا
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا

في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف اليها الزمان كما أضيف إلى الجمل في قولك جئتكم بعد إذ جاء زيد وجئتكم ويومئذ كان
ذلك أو أن الحجاج أمير وحيد خرج زيد لما أنكر المستكبرون بقولهم نحن صدقناكم أن يكونوا هم السبب في كفر
المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كره عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل
والنهار) فأبطلوا لإضرارهم بإضرارهم كأنهم قالوا ما كان الأجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائماً ليلاً ونهاراً أو حملكم
إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول
به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلاً ونهاراً ما كبر على الإسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتون ونصب
الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الإغواء مكرأ دائماً لا تفترون عنه (فإن قلت) ما وجه الرفع
والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على
بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار (فإن قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا
(قلت) لأن الذين استضعفوا أمر ولا كلامهم لغيره بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستثاف ثم جرى بكلام
آخر للمستضعفين فطغى على كلامهم الأول (فإن قلت) من صاحب الضمير في (وأسروا) قلت الجنس المشتمل على النوعين
من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالتهم
وإضلالهم والمستضعفون على ضلالتهم واتباعهم المضلين (في أعناق الذين كفروا) أى في أعناقهم فجاء بالصرح للتوبيخ
بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهرها وهو
من الأضداد ۝ هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما نهي به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة
بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين
خير مقاماً وأحسن ندياً وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم
يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمُعَذِّبِينَ) أرادوا
أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم في الدنيا ۝ وقد أبطل الله تعالى حسابهم بأن الرزق فضل من الله
يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما
وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذى مبناه على الاستحقاق ۝ وقد رزق تضيقه قال تعالى ومن قدر عليه
رزقه ۝ وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف ۝ أرادوا ما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر
عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز أن يكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله زلفى وحدها أى ليست

(قوله مما نهي به من قومه) أى ابتلى به (قوله والمفاخرة وزخارفها) لعله بالدنيا وزخارفها

عَمَلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ۖ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۖ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۖ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ۖ فَلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ

أموالكم تلك الموضوعة للتقريب ۖ وقرأ الحسن باللاقى تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذى يقربكم أى بالشئ الذى يقربكم والزلقى والولفة كالكرى والكربة ومحلهما النصب أى تقربكم قربة كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا (إلا من آمن) استثناء من كم فى تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى ينفعها فى سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقهم فى الدين ورشهم للصالح والطاعة جزاء (الضعف) من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء جزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء قرئ فى الغرفات بضم الراء وفتحها وسكوتها وفى الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوضه لا معوض سواء إما عاجلا بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لا ينفد وإما أجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبق طول عمره فى فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فإن هذا فى الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلام رب العزة بأن كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التى بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجدو واجدا لا يشتهى ۖ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر إياك أغنى واسمعى يا جاره ونحوه قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعيرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهو أنه الزم ويكون اقتصاص ذلك لطف لمن سمعه وذاجر لمن اقتص عليه والموا الالة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهى مفاعلة من الولى وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهى البعد والولى يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى أنت الذى توالىه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فينبوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براهنتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل صوّرت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون فى أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها ۖ وقرئ نحشروهم ونقول بالنون والياء ۖ الأمر فى ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد من مضرّة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها تخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو وحده ۖ ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) معطوفا على لا يملك ۖ الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية إلى القرآن

(قوله الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى) فى الصحاح وجد مطلوبه وأوجد الله مطلوبه أى أظهره به وأوجدته أى أغناه (قوله إياك أغنى واسمعى يا جاره) لعله فاسمعى

ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَسْتَقْبِلُونَ مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شَتَّىٰ وَفَرَّدِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝

والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو وفي قوله (وقال الذين كفروا) وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله (للحق لما جاءهم) وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وفي لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجب من أمرهم ببلغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بحجراتهم على الله ومكابرهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه (إن هذا إلا سحر مبين) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر حل عاقل تأمله سحراً ۝ وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيراً يندرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطاناً ما فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أقيون أهل جاهلية لامة لهم وليس لهم عهد بإزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبه ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فبال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ودرسوها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والرابع (فإن قلت) ما معنى (فكذبوا رسل) وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسبباً عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه (فكيف كان نكير) أى للتكذابين الأولين فليحذروا من مثله (بوحدة) بخصلة واحدة وقد فسرنا بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذى لا يراد به المشول على القدمين ولكن الاتصاف فى الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظمكم بوحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً (ثم تفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادفين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفه من غير أن يكابرهما ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ويجارى أحوالهم والذى أوجب تفرقهم مثنى وفردى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر

(قوله فكيف كان نكير) وفى النسب أن يعقوب قرأ نكيرى بالياء فى الوصل والوقف

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَٰلَمُ الْغُيُوبِ ۝ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ

ويمنع من الروية ويخاط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وأراهم بقوله (ما بصاحبكم من جنة) أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً لا يتصدى لادعاء مثله إلا لرجلان إما مجنون لا يبالي بأفضاحه إذا طوب بالبرهان فجز بل لا يدري ما الافتضاح ومارقة العواقب وإما عاقل راجع العقل مرشح للنقوة مخار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا يذنه له عليه وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلاً وأرزنهم حلالاً وأنفعهم ذنباً وأصلهم رأياً وأصدقهم قولاً وأنزههم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجعوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كففاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بهاتين أنه نذير مبين (فإن قلت) ما بصاحبكم بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبهاً من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تفكروا ففعلوا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية (بين يدي عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت في نسم الساعة (فهولكم) جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أى شيء سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة الأجر رأساً كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً نخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ولكنه يريد به البت لتعليقه الآخر بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى قل ما سألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً في قوله قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى لأن الأخذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمت وإياهم (على كل شيء شهيد) حفيظ مهيم يعلم أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء ۝ القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهم المعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أن أفذه في الثابت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويذهقه (علام الغيوب) رفع محمول على محل إن واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على المدح وقرئ الغيوب بالحرركات الثلاث فالغيوب كاليوب والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفي جداً ۝ والحق إما أن يبدئ فعلاً أو يعيد فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلاً في الهلاك ومنه قول عبيد :
أفقر من أهله عبيد ۝ فاليوم لا يبدئ ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى «جاء الحق وزهق الباطل» وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۝ والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس لعنه الله أى ما ينشئ خلقاً ولا يعيده ۝ المثنى والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيراً ولا يعيده أى لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج أى شيء ينشئ إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل أولاً لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرهما وضللت أضل بكسرهما مع

(قوله بعثت في نسم الساعة) في الصحاح نسيم الريح أو لها حين تقبل بلين قبل أن تشتد ومنه الحديث بعثت في نسم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت أوائلها والنسيم أيضاً جمع نسمة وهى النفس (قوله القذف والرمي تزجية السهم) في الصحاح زجيت الشيء تزجية إذا دفعته برفق (قوله فجعل يطعنها بعود نبعة) لعله معه كعبارة النسفي

أَهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۖ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۖ

فتحها وهما لغتان نحو ظلمت أظلم وظلمت أظلم وقرئ أضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فإن قلت) أين التقابل بين قوله فأما أضل على نفسي وقوله فبما يوحى إلى ربى وإنما كان يستقيم أن يقال فأما أضل على نفسي وإن اهتديت فأما اهتدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فن اهتدى فلنفسه ومن ضل فأتما يضل عليها أو يقال فأتما أضل بنفسى (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها ويسببها لأنها الآتية بالسوء ومالهما مما ينفعها فهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة حمله وسداد طريقته كان غيره أولى به (إنه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهدى وفعله لا يخفى عليه منهما شيء (ولو ترى) جوابه مخدوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو لإذوالأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للبضى والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجه لتحقيقه ووقت الفزع ووقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلا فوت) فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت ۖ والآخر من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القلب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم (فإن قلت) علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك أخذ (آمنأ به) بمحمد صلى الله عليه وسلم لمروذ ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة ۖ والتناوش والتناول أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم مالا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لالعب فيه وقرئ التناوش همزت الواو المضمومة كما همزت في أجره وأدور وعن أبي عمرو التناوش بالهمز تناول من بعد من قولهم ناشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت

تمنى نثشا أن يكون أطاعنى ۖ أى أخيرا (ويقذفون) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفى لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عاداته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أى يأتهم به شياطينهم ويلقنهم إياه وإن شئت فقله بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في حوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة

(قوله أن يتناول الشيء من غلوة) في الصحاح غلوت بالسهم غلوا إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه والغلوة الغاية مقدار رمية وفيه يقال بينهما قيس رخ وقاس رخ أى قدر رخ (قوله ومنه البيت تمنى نثشا) تمام البيت : وقد حدثت بعد الأموار مور

سورة فاطر مكية

وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى
وثلث وربيع يزيد في الخلق ما يشاء ۝ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قاتنين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قد فهم بالغيب وهو غيب ومقدوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم أرجعنا نعمل صالحا (بأشياءهم) بأشباههم من كفره الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) إمامن أراه إذا أوقعه في الرية والتهمة أو من أراب الرجل إذا صار ذاربية ودخل فيها وكلاهما مجاز إلا أن بينهما فريقا وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الأعيان إلى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصاحفا

﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إلى أعريان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقرئ الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولى أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذا وكما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والحقة (متنّى وثلث ورباع) صفات لأجنحة وإنما لم تصرف لتكرار العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيما بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وخلقوا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقوا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (فإن قلت) قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة (قلت) لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مرّ بي في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة لجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياة من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستائة جناح وروى أنه سأل جبريل عليه السلام أن يترأى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأثاه جبريل في صورته ففتشني على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والآخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لورأيت لإسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضام الأحياء لعظمة الله حتى يعود مثل

(قوله والمعنى أن الملائكة خلقا) لعله متنوعة خلقا الخ

لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَى تَوْفِكُونَ . وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ

الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحاة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولبافة في التكلم وحسن تأن في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف . استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فائخ له يعني أى شيء يطلق الله من رحمة أى من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها . وتسكيره الرحمة للإشاعة والإيهام كأنه قال من آية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها وأى شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه . (فإن قلت) لم أنت الضمير أولاً ثم ذكر آخرأ وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير . وقرئ فلا مرسل لها (فإن قلت) لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فإن قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس رضى الله عنهما (قلت) إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذى أراده ابن عباس رضى الله عنهما إن قاله فقبول وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصى تاب وإن لم يشأ لم يتب فردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد إمساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأى حديث بعد الله أى من بعد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الإرسال والإمساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة لإرساله وإمساكه . ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به القلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليا ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أياذى عندك بربد حفظها وشكرها والعمل على موجهها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغفورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد يا أهل مكة أذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية . وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجز والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً والنصب على الاستثناء . (فإن قلت) ما محل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعت صفة الخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق يا خمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيره أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله هل من خالق لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق يا خمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيره أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله هل من خالق

(القول في سورة الملائكة) . (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه إن قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعت صفة الخالق وأن لا يكون له محل إذا جعلته تفسيراً وجعلت

(قوله مثل الوضع وهو العصفور) في الصحاح الوضع طائر أصغر من العصفور (قوله وحصافة) أى إحكام أفاده الصحاح (قوله وذلاقة) أى حذوة وطلاقة أفاده الصحاح (قوله ولبافة في التكلم) أى حذق أفاده الصحاح (قوله يشاء التوبة أبداً) هذا وما بعده على مذهب المعتزلة من أنه تعالى يجب عليه الصلاح للعباد وعند أهل السنة لا يجب عليه شيء فالكلام على ظاهره وردّه مردود (قوله وحفظها من الكفران والغمط) أى الاحتقار أفاده الصحاح

رُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ۖ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرِبُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۚ الَّذِينَ

غير الله (فإن قلت) هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى (قلت) نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ أو هو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تنقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات (لا إله إلا هو) جملة مفصلة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلماذا ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنبي بعد الإثبات (فأني توفكون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك ۚ نعي به على قريش سوء تلقيم آيات الله وتكذيبهم بها وسلي رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له في الأنبياء قبله أسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه وبجأزة المكذب والمكذب بما يستحقانه ۚ وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فإن قلت) ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وإن يكذبوك فأنس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فأنس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأنسي (فإن قلت) ما معنى التنكير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولوا آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة ۚ وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرنكم) فلا تخدعنكم (الدنيا) ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للأخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولون لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعه وقعوده أخبر الله عز وجل

من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا كأنه قيل هل يرزقكم خالق غير الله أو جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ) قال أحمد والوجه المؤخر أوجهها ۚ عاد كلامه (قال) فإن قلت هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تنقيد فيهما بالرزق من السموات والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) القدرة إذا قرعت هذه الآية أسماهم قالوا بجمرة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لأن كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فهذا رأيت الزمخشري وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة النافرة وجعل الوجهين يطابقان معتقده في إثبات خالق غير الله ووجهها هو الحق والظاهر وآخره في الذكر تأسيًا له والذي يحقق الوجه الثالث وأنه هو المراد أن الآية خوطب بها قوم على أنهم مشركون إذا سئلوا عن رازقهم من السموات والأرض قالوا الله فقررنا بذلك وقرعوا به إقامة للحجة عليهم بإقرارهم ولو كان على غير هذا الوجه قيد لكان مفهومه إثبات خالق غير الله لكنه لا يرزق وهو لام الكفرة قد تبرؤا عن ذلك فلا وجه لتقريعهم بما يلائم قولهم هذا ترجع الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية وأما من حيث النظم اللفظي فلأن الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لا إله إلا هو سيقنا سياقًا واحدًا والثانية مفصلة اتفاقًا مما تقدم فكذلك وزينتها ۚ قوله تعالى يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية (قال معناه) لا يقولن لكم الشيطان اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة (قال أحمد) هو يعرض بأهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للوحدون لم يكن توبة وهذا لا يناقض صدق وعده تعالى لأن الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة في مثل قوله لهم إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم إذا صدقوا بوعده الله تعالى موقنون به على حسب ما ورد

كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَنَزَّلْنَاهُ سِوَهُ عَمَلِهِ
فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ * فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ * وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَاحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعدارة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك تتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدواً) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجد منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سرهم وجهركم * ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤتمه في دعة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشفوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأمانى الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما * لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والإضلال واحده وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمر النهي ويعتق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس

اسقنى حتى ترانى * حسناً عند القبيح

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقى بالآلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة لحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله لحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء * عليه حسرات مفعول له يعني فلا تملك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حباً ومات عليه حزناً أو هو بيان للتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالاً كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لخمهن مع السرى * حتى ذهبن كلا كلا وصدورا

يريد رجعن كلا كلا وصدوراً أى لم يبق إلا كلا كلها وصدورها ومنه قوله

فعلى أثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك (إن الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ أرسل الريح (فإن قلت) لم جاء فتير على المضارعة دون ما قبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أوتهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شراً

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة مصححان

(قوله وقشر اللحاء) في الصحاح اللحاء مدود قشر الشجر (قوله لخمهن مع السرى * حتى ذهبن كلا كلا) في الصحاح سريت سرى إذا سرت ليلاً وفيه الكلكل والكلكال الصدر اه فالعطف تفسير (قوله قد لقيت الغول تهوى * بسهب) في الصحاح السهب الفلاة والصحاحان المكان المستوى والجمران مقدم العنق

كَذَلِكَ النُّشُورُ ۚ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُهُ ۚ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ

فَأَضْرَبَهَا بِلَادِهِ فَخَرَّتْ ۚ صَرِيحاً لِلْيَسِيدِ وَاللَّجْرَانِ

لأنه قصد أن يصور لقرمه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة
للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السجاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر
بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدر الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في
الاختصاص وأدل عليه والكاف في (كذلك) في محل الرفع أى مثل إحياء الموات نشور الأموات وروى أنه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتي وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك محلام مررت
بهيز خضراً قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتي وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش
كمضى الرجال تنبت منه أجساد الخلق ۚ كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزاً والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً فين أن لا عزة إلا لله ولا ولياته وقال والله العزة
ولرسوله وللؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (فإن العزة جميعاً) موضع استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب
إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فمى عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل
عليه مقامه ومعنى فله العزة جميعاً أن العزة كلها مختصة بالله : عزة الدنيا وعزة الآخرة ۚ ثم عرف أن ما يطلب به العزة
هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والكلم الطيب لا إله إلا الله . عن
ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة
كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لى عليين إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل
الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم
الطيب كل ذكر من تكبير وتسييح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية ولا يقبل
قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثير يد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ
إليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصدع والمصعد هو الرجل
أى يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب وإليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع
الكلم أو الله عز وجل ۚ (فإن قلت) مكر فعل غير متعدي لا يقال مكر فلان عمله فم نصب (السيئات) (قلت) هذه صفة
للمصدر أو لما فى حكمه كقوله تعالى ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف
المكر السيئات وعنى بهن مكرات قریش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداولوا رأى فى إحدى ثلاث مكرات يكرونها
برسول الله صلى الله عليه وسلم أما إثباته أو قتله أو إخراجهم كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يكر بك الذين كفروا ليثبتوك
أو يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعنى ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة
يبور أى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً

(قوله ثم مررت بهيز خضراً) فى الخازن بهيز

جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ
تَأْكُلُونَ تَمَخَّطًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝
يُوجِبُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوجِبُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

وَحَقَّقَ فِيهِمْ قَوْلَهُ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ وَقَوْلُهُ وَلَا يَحْيِي الْمَكْرَ السَّيِّئَ إِلَّا بِأَمْرِهِ (أَزْوَاجًا) أَصْنَافًا
أَوْ ذَكَرَانَا وَإِنَّا نَاكَرَانَا أَوْ بِزَوْجِهِمْ ذَكَرَانَا وَإِنَّا نَاكَرَانَا وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَوْجَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (بِعِلْمِهِ) فِي مَوْضِعِ
الْحَالِ أَيْ إِلَّا الْمَعْلُومَةُ لَهُ ۝ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ (قُلْتَ) مَعْنَاهُ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ أَحَدٍ وَإِنَّمَا سَمَّاهُ مَعْمَرًا
بِمَا هُوَ صَاحِبُهُ إِلَيْهِ (فَإِنْ قُلْتَ) الْإِنْسَانُ إِمَامُ مَعْمَرٍ أَيْ طَوِيلُ الْعُمُرِ أَوْ مَنْقُوصُ الْعُمُرِ أَيْ قَصِيرُهُ فَإِنَّمَا أَنْ يَتَعَاقَبَ عَلَيْهِ
التَّعْمِيرُ وَخِلَافُهُ فَحَالٌ فَكَيْفَ صَحَّ قَوْلُهُ (وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ) (قُلْتَ) هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمَتَسَاخِ
فِيهِ ثِقَةٌ فِي تَأْوِيلِهِ بِأَفْهَامِ السَّامِعِينَ وَاتِّكَالًا عَلَى تَسْدِيدِهِمْ مَعْنَاهُ بِعَقُولِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَلْبَسُ عَلَيْهِمْ إِحَالَةُ الطَّوِيلِ وَالْقَصَرِ فِي عُمُرِ
وَاحِدٍ وَعَلَيْهِ كَلَامُ النَّاسِ الْمُسْتَفِيزِ يَقُولُونَ لَا يَنْبَغِي لِلَّهِ عَبْدٌ وَلَا يَعْاقِبُهُ إِلَّا بِحَقٍّ وَمَا تَعَمَّتْ بِلَدَاوَلَا اجْتَوَيْتَهُ إِلَّا قَلَّ فِيهِ
ثَوَائِي وَفِيهِ تَأْوِيلٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَطُولُ عُمُرُ إِنْسَانٍ وَلَا يَقْصُرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ وَصُورَتُهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي اللَّوْحِ إِنْ حَجَّ فَلَانٍ
أَوْ غَزَا فَعُمُرُهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَإِنْ حَجَّ وَغَزَا فَعُمُرُهُ سِتُونَ سَنَةً فَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا بَلَغَ السِّتِينَ فَقَدْ عَمِرَ وَإِذَا أَفْرَدَ أَحَدُهُمَا فَلَمْ
يَتَجَاوِزْ بِهِ الْأَرْبَعُونَ فَقَدْ نَقَصَ مِنْ عُمُرِهِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ وَهُوَ السِّتُونَ وَإِلَيْهِ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ
إِنَّ الصَّدَقَةَ وَالصَّلَاةَ تَعْمِرَانِ الدِّيَارَ وَتَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ حِينَ طَعَنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَوْ أَنَّ عُمَرَ دَعَا اللَّهَ لَأَخَّرَ
فِي أَجَلِهِ فَقِيلَ لَكَعْبٍ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ قَالَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ
وَقَدْ اسْتَفَاضَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاكَ وَفَسَّحَ فِي مَدَّتِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْتُبُ فِي
الصَّحِيفَةِ عُمُرُهُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً ثُمَّ يَكْتُبُ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ يَوْمَانِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهِ وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ الْمَعْمَرُ مَنْ بَلَغَ سِتِينَ سَنَةً وَالْمَنْقُوصُ مَنْ عُمُرُهُ مِنْ يَمُوتُ قَبْلَ سِتِينَ سَنَةً وَالْكِتَابُ اللَّوْحُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِكِتَابِ اللَّهِ عِلْمُ اللَّهِ أَوْ صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ وَقُرِئَ وَلَا يَنْقُصُ عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ مِنْ عُمُرِهِ بِالْتَّخْفِيفِ
ضَرْبَ الْبَحْرَيْنِ الْعَذْبِ وَالْمِلْحِ مِثْلَيْنِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ثُمَّ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِطْرَادِ فِي صِفَةِ الْبَحْرَيْنِ وَمَا عُلِقَ بِهِمَا
مِنْ نِعْمَتِهِ وَعَطَائِهِ (وَمِنْ كُلِّ) أَيْ وَمِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مَهُمَا (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) وَهُوَ السَّمَكُ (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً) وَهِيَ
اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ) فِي كُلِّ (مَوَآخِرَ) شَوَاقِ اللَّيْلِ بِحَرْفِهَا يُقَالُ مَخَرْتُ السَّفِينَةَ الْمَاءَ وَيُقَالُ لِلْسَّحَابِ بَنَاتُ
مَخَرٍ لِأَنَّهُنَّ تَمُخِّرُ الْهَوَاءَ وَالسَّفْنَ الَّذِي اشْتَقَّتْ مِنْهُ السَّفِينَةُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَخَرِ لِأَنَّهُ تَسْقِنُ الْمَاءَ كَأَنَّهَا تَقْشُرُهُ كَمَا تُخْمِرُهُ (مِنْ
فَضْلِهِ) مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَلَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ فِي آيَةِ وَلَكِنْ فِيهَا قَبْلُهَا وَلَوْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَشْكَلْ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ ۝ وَحَرْفُ الرَّجَاءِ
مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى الْإِرَادَةِ أَلَا تَرَى كَيْفَ سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ لَمْ التَّعْلِيلِ كَأَنَّمَا قِيلَ لَتَبْتَغُوا وَلَتَشْكُرُوا ۝ وَالْفُرَاتُ الَّذِي يَكْسِرُ
الْعَطَشَ ۝ وَالسَّائِغُ الْمَرِيُّ السَّهْلُ الْانْحِدَارُ لِعَذَابِهِ وَقُرِئَ سَيْغٌ بِوَزْنِ سَيْدٍ وَسَيْغٌ بِالتَّخْفِيفِ وَمِلْحٌ عَلَى فَعْلٍ ۝ وَالْأُجَاجُ
الَّذِي يَحْرِقُ بِمَلُوحَتِهِ وَيَحْتَمِلُ غَيْرَ طَرِيقَةِ الْاسْتِطْرَادِ وَهُوَ أَنْ يَشْبَهَ الْجَنْسَيْنِ بِالْبَحْرَيْنِ ثُمَّ يَفْضُلُ الْبَحْرَ الْأُجَاجَ عَلَى
الْكَافِرِ بِأَنَّهُ قَدْ شَارَكَ الْعَذْبَ فِي مَنَافِعِ مِنَ السَّمَكِ وَاللُّؤْلُؤِ وَجَرَى الْفُلْكَ فِيهِ وَالْكَافِرُ خَلُوَ مِنَ النَّفْعِ فَهُوَ فِي طَرِيقَةِ
قَوْلِهِ تَعَالَى «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» ثُمَّ قَالَ «وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ

(قَوْلُهُ وَلَا اجْتَوَيْتَهُ إِلَّا قَلِيلٌ فِيهِ ثَوَائِي) أَيْ كَرِهْتَ الْمَقَامَ بِهِ كَذَا فِي الصَّحَاحِ

الْمَلِكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۖ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشَرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ ۖ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۖ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْمِهَا لِأَيِّحْمَلَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا

الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله (ذلكم) مبتدأ (والله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأ واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفاقة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها إن تدعوا الأوثان (لا يسمعون دعاءكم) لأنهم جهاد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتشليل (ما استجابوا لكم) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرؤون منها وقيل ما تفعلونكم (يكفرون بشاركم ولا ينبيئكم مثل خبير) ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به ويريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأن خبير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والناء (فإن قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله وخلق الإنسان ضعيفا وقال سبحانه وتعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أتم بعض الفقراء (فإن قلت) قد قبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه إلا إذا كان الغنى جوادا منعا فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على السنة مؤمنهم (بعزيز) بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وإن تولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يخلق بعدكم من بعده لا يشرك به شيئا ۖ الوزر والور أخوان ووزر الشيء إذا حملة ۖ والوازر صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبارة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار (فإن قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة (قلت) لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها (فإن قلت) كيف توفيق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية في الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال المضلل الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء (فإن قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) (قلت) الأولى في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه تعالى لا يؤخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى أن نفسا قد أثقلت الأوزار وبهظتها لودعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ (فإن قلت) لإلام أسند كان في (ولو كان ذا قرين) (قلت) إلى المدعو المفهوم من قوله وإن تدع مثقلة (فإن قلت) فلم ترك ذكر المدعو (قلت)

(قوله ما تفعلونكم يكفرون بشاركم) كأن تفسيره قد سقط وفي النسق يكفرون بشاركم بشاركم لهم وعبادتهم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولا ينبيئكم الخ

الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا
النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ * وَمَا أَنْتَ
بِمُسْمِعٍ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ *

ليعلم ويشمل كل مدعو (فإن قلت) كيف استقام إضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قرين للمثقلة (قلت) هو من
العموم الكائن على طريق البدل (فإن قلت) ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قرين على كان التامة كقوله تعالى وإن كان
ذو عسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملازمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحداً إلى حملها لا يحمل منه شيء
وإن كان مدعوها ذا قرين وهو معنى صحيح ملتزم ولو قلت ولو وجد ذو قرين لتفكك وخرج من اتساقه والنشامه على أن
ههنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين
عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصحابه فكانت عاداتهم المستمرة أن يخشوا الله * وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوا مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً يعني
إنما تقدر على إبدار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرد بهم وأهل عنادهم (ومن
تزكى) ومن تظهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن أزكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكداً لحشيتهم وإقامتهم
الصلاة لأنهما من جملة التزكى (وإلى الله المصير) وعد المتزكّين بالثواب (فإن قلت) كيف اتصل قوله إنما تنذر بما قبله
(قلت) لما غضب عليهم في قوله إن يشأ يذهبكم أتبعه الإبدار بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل إنما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم (الاعمى والبصير) مثل للكافر
والمؤمن كما ضرب البحرين مثلاً لها أول للضم والله عز وجل * والظلمات والنور والظل والحجور مثلاً للحق والباطل
وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب * والآحياء والأموات مثل المذنبين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا
على الكفر * والحجور السموم إلا أن السموم يكون بالنهار والحجور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فإن قلت)
لا المقرونة بواو العطف ما هي (قلت) إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي (فإن قلت) هل من فرق
بين هذه الواوات (قلت) بعضها ضمت شفعاً إلى شفع وبعضها وترأ إلى وتر (إن الله يسمع من يشاء) يعني أنه قد
علم من يدخل في الإسلام من لا يدخل فيه فهدى الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه وأما
أنت تخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص وتهالك على إسلام قوم من المخدولين ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع
المقبورين وينذر وذلك مالا سبيل إليه ثم قال (إن أنت إلا نذير) أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المذنب
من يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدي المطبوع على
قلوبهم على وجه القسر والإجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلاحيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم
بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محققاً أو محققين أو صفة للمصدر أي إرسالاً مصحوباً بالحق أو صلة لبشير ونذير
على بشير أو بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق * والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لأهل
كل عصر أمة وفي حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر
إجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فإن قلت) كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير
(قلت) إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تدرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمداً
صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة

(قوله وخرج من اتساقه والنشامه) أي انتظامه

وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرُ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۖ ثُمَّ أَخَذَتْ
الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۚ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

مشفوعة بالبشارة لا محالة دلّ ذكرها على ذكرها لاسيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما (بالبنات) بالشواهد على صحة
النبوّة وهى المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والإنجيل والزبور . لما كانت هذه الأشياء
فى جنسهم أسند الملقى بها إليهم إسناداً مطلقاً وإن كان بعضها فى جميعهم وهى البنات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب
وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ألوانها) أجناسها من الزمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أوهيئاتها
من الحرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد: الخطط والطرائق قال لبيد ۚ أو مذهب جدد على ألواحه . ويقال جدت
الحمار للخطّة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (وغرايب) معطوف
على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرايب وعن عكرمة رضى الله عنه
هى الجبال الطوال السود (فإن قلت) الغريب تأكيد لا سود يقال أسود غريب وأسود حلكوك وهو الذى أبعد
فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك
(قلت) وجهه أن يضم المؤكد قبله ويكون الذى بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وإنما يفعل
ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعاً ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله
تعالى ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات
مختلف ألوانها (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهرى
جدد بالضم جمع جديدة وهى الجدة يقال جديدة وجدود جدائد كسفيته وسفن وسفائن وقد فسرها قول أبى ذؤيب يصف
حمار وحش ۚ جون السراة له جدائد أربع ۚ وروى عنه جدد بفتحين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع
الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففاً ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ أو الأضالين
لأن كل واحد منهما مفرار من التقاء الساكنين فحذف ذلك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أى كاختلاف الثمرات
والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره
وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمن وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له
خشية وعن مسروق كفى بالمرء علماً أن يخشى وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبى أفنى أيها العالم فقال العالم
من خشى الله وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فإن قلت) هل يختلف المعنى
إذا قدم المفعول فى هذا الكلام أو آخر (قلت) لا بد من ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله وأخبرت العلماء كان المعنى إن الذين
يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله تعالى
«ولا يخشون أحداً إلا الله» وهما معنيان مختلفان (فإن قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بمأقوله (قلت) لما قال ألم تر بمعنى
ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماءً وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل
به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك بمن عرفه حق

(قوله ما هو على لون واحد غرايب) لعله غرايب (قوله أصفر فاقع وأبيض يقق) بفتح القاف الأولى وحكى كسرهما أفاده الصحاح

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۚ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۚ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۚ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۚ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۚ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَأُكُلُوا وَلبَّاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۚ

معرفة وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أرجو أن أكون أنفكم به (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة (قلت) الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يحجلهم ويعظمهم كما يحجل المهيب الخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (إن الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المنيب حقه أن يخشى (يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوته وهى شأنهم وديدهم وعن مطرف رحمه الله هى آية القراء وعن الكلبي رحمه الله يأخذون بمافيه وقيل يعلمون مافيه ويعملون به وعن السدى رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وعن عطاءهم المؤمنين (يرجون) خبر إن والتجارة طلب الثواب بالطاعة و (ليوفيههم) متعلق بـن تبور أى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيههم بنفاقها عنده (أجورهم) وهى ما يستحقونه من الثواب (يزيدهم) من الفضل عن المستحق وإن شئت جعلت يرجون فى موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيههم أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق فى سبيل الله لهذا الغرض وخبر إن قوله (إنه غفور شكور) على معنى غفور لهم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الإثابة (الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعض (مصدقاً) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لمابين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعنى أنه خبرك وأبصر أحوالك فأراك أهلاً لأن يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب ۚ (فإن قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فيه وجهان أحدهما إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدهك أى حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نوره لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الاتناء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذى هو أفضل كتب الله ۚ ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله ومقتصد وهو الذى خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وسابق من السابقين والوجه الثانى أنه قدم إرساله فى كل أمة رسولا وأنهم كذبوا برسالمهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فأتى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم واعترض بقوله والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أى من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الخفيفة (فإن قلت) فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذى هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك (قلت) لما كان السبب فى نيل الثواب نزل

ۚ قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يأذن الله (قال) يعنى بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمتهم الآية إلى ظالم لنفسه وهو المرجأ لأمر الله وإلى مقتصد وهو الذى خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وإلى سابق ثم قال الزمخشري فإن قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ

منزلة لمسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليلك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بمارواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى «عسى الله أن يتوب عليهم» وقوله «إما يعذبهم وإما يتوب عليهم» ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع * وقرئ سابق ومعنى يأذن الله بتيسيره وتوفيقه (فإن قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقين أقل من القليل * وقرئ جنة عدن على الأفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضممار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للفعول * ويحلون من حللت المرأة فهي حال (ولو لؤوا) معطوف على محل من أساور ومن داخلة للتبعية أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الألباس كما سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ ولو لؤوا بتخفيف الهمزة الأولى * وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فنن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لاله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن * وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات * المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كال تبرع * وقرئ لغوب بالغوب بالفتح وهو اسم ما يلقب منه أي لا تتكلف عملاً يبلغنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فإن قلت)

في تمة الآية في قوله ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها . قلت لأن الإشارة بالفضل إلى السبق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيل الثواب فأقام السبب مقام المسبب وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد وليلك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح ولا يغترا بمارواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع (قال أحمد وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله ثم قسمتهم إلى الظالم والمقتصد السابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين وإنه لمنهم وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفايته للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فما بال المصنف يطعن في التسوية بين الموحدين والمصطفى والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع إلى المصطفين عموماً والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعاً وإعرابها جنات مبتدأ ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير إلى آخر الآية خبر بعد خبر وخير على خير والله المستعان

(قوله فإن شرط ذلك صحة التوبة) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فيجوزون الغفران بمجرد الفضل (قوله أو صفة للمصدر كأنه) لعله كأنه قال

مَنْ عَذَابَهَا كَذَلِكَ يُجْزَى كُلُّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ
نُعْمَرْكُمْ مَا تُبْدُونَ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ مِنَ النَّصِيرِ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْفَكُمْ فِي الْأَرْضِ قَوْمًا كَفَرُوا عَلَيْهِ كُفْرُهُمْ وَلَا يَذْكُرُونَ كُفْرَهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَذْكُرُونَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي

ما الفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاو له وأما اللغوب فما
يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجة وما يحدث منه من الكلال والفترة
(فيموتوا) جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفاً على يقضى وإدخاله في حكم النفي أي لا يقضى عليهم
الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجزاء (يجزى) وقرئ يجازى ويجزى
(كل كفور) بالنون (يصطرخون) يتصارخون يفعلون من الصراخ وهو الصباح بجهد وشدة قال ۝ كصرخة حبل
أسلمتها قبيلها ۝ واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ۝ (فإن قلت) هلا كتبت بصالحا كما كتبت به في قوله تعالى
فارجعنا لنعمل صالحا ۝ وما فائدة زيادة (غير الذي كنا نعمل) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي
عملوه (قلت) فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر
وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحه كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا
أخرجنا لنعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعني فتقول لهم ۝ وقرئ ما يذكرو
فيه من أذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتناول
أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد بين العشرين إلى الستين
وقيل ثمانين عشر وسبع عشر و (النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب ۝ وقرئ وجاءكم النذر (فإن قلت)
علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أولم نعمركم لأن لفظة لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم
وجاءكم النذير (إنه عالم بذات الصدور) كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم
 وذات الصدور : مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عن
ذا إنائك أجمعا ۝ المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء
ألا ترى إلى قولهم معما حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معما وذو موضوع للمعنى الصعبة ۝ يقال للمستخلف
خليفة وخليف فالحليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف
فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعتها لشكركم بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية
فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بق بعده خسار والمقت
أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتى لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب الناس وقيل خطاب لمن بعث
إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به فمن كفر
منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم (أروني) بدل من أرايتم لأن المعنى أرايتم أخبروني
كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله

(قوله ويجزى كل كفور بالنون) ونصب كل في هذه القراءة ورفعها فيما قبلها (قوله ولأنهم كانوا يحسبون) لعله أولأنهم
كانوا (قوله وغمط هذه النعمة) أي واحتقر

مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّمَا يَعِدُ الظَّالِمُونَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ
مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ
إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا

أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ شِرْكَةٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ أَمْ مَعَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَنْطِقُ بِأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ فِيهِمْ عَلَى حَقِّهِ وَرَهَانٌ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ أَوْ يَكُونُ
الضَّمِيرُ فِي آيَتِنَاهُمْ لِلْمُشْرِكِينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا بِأَمْرٍ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ بَلْ إِنَّمَا يَعِدُ بَعْضُهُمْ رُؤُوسَهُمْ (بَعْضًا) وَهُمْ
الْإِتْبَاعُ (الْأَغْرَارُ) وَهُوَ قَوْلُهُمْ هُوَ لَا شَفَاعَةَ نَاعِدُ اللَّهِ وَقَرَأَ بَيِّنَاتٍ (أَنْ تَزُولَا) كَرَاهَةً أَنْ تَزُولَا أَوْ يَمْنَعُهُمَا مِنْ أَنْ تَزُولَا لِأَنَّ
الْإِمْسَاكَ مَنَعٌ (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) غَيْرُ مُعَاجِلٍ بِالْعُقُوبَةِ حَيْثُ يُمْسِكُهُمَا وَكَاتِلَا جَدِيرَتَيْنِ بَأَن تَهْدَاهُمَا لِعَظَمِ كَلِمَةِ الشَّرِكِ
كَأَنَّ تَكَادُ السَّمَوَاتِ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ ۝ وَقَرَأَ وَلَوْ زَالَتَا وَإِنْ أَمْسَكَهُمَا جَوَابُ الْقَسَمِ فِي وَلَئِنْ زَالَتَا سَدَّ مَسَدَ
الْجَوَابِينَ وَمِنْ الْأَوَّلَىٰ مَزِيدَةٌ لَنَا كَيْدِ النَّبِيِّ وَالثَّانِيَةِ لِلْإِبْتِدَاءِ ۝ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ بَعْدِ إِمْسَاكِهِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
لِرَجُلٍ مَقْبَلٍ مِنَ الشَّامِ مَنْ لَقِيتَ بِهِ قَالَ كَعْبًا قَالَ وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ مَنْكَبِ مَلِكٍ قَالَ كَذَبٌ
كَعْبٌ أَمَا تَرَكَ يَهُودِيَّتَهُ بَعْدَ ثَمِّ قِرَاءَةِ هَذِهِ آيَةِ ۝ بَلَّغْ قَرِيشًا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَذَبُوا رُسُلَهُمْ
فَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَتَهُمُ الرِّسْلَ فَكَذَّبُوهُمْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَنَا رَسُولٌ لَنَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا بَعَثَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَّبُوهُ ۝ وَفِي (إِحْدَى الْأُمَمِ) وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا مِنْ بَعْضِ الْأُمَمِ وَمِنْ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأُمَمِ مِنَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ وَالثَّانِي مِنَ الْأُمَّةِ الَّتِي يَقَالُهَا إِحْدَى الْأُمَمِ تَفْضِيلًا لَهَا عَلَى غَيْرِهَا فِي الْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ (مَّا زَادَهُمْ) إِسْنَادٌ
بِمَجَازِيٍّ لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنْ زَادُوا أَنْفُسَهُمْ نَفُورًا عَنِ الْحَقِّ وَابْتِعَادًا عَنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَزَادَهُمْ رَجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ (اسْتَكْبَارًا)
بَدَلًا مِنْ نَفُورِهِمْ أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ عَلَى مَعْنَى مَا زَادَهُمْ إِلَّا أَنْ نَفُورُوا اسْتَكْبَارًا وَعَلَوْا (فِي الْأَرْضِ) أَوْ حَالٌ بِمَعْنَى مُسْتَكْبِرِينَ وَمَا كَرِنَ
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (وَمَكْرَ السَّيِّئِ) مَعْطُوفًا عَلَى نَفُورِهِمْ (فَإِنْ قُلْتَ) فَتَأَوُّجُهُ قَوْلُهُ وَمَكْرَ
السَّيِّئِ (قُلْتَ) أَصْلُهُ وَأَنْ مَكْرُوا السَّيِّئِ أَيْ الْمَكْرُ السَّيِّئِ ثُمَّ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ثُمَّ مَكْرَ السَّيِّئِ وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا يَحِيقُ
الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وَمَعْنَى يَحِيقُ يَحِيطُ وَيَنْزِلُ وَقَرَأَ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ أَيْ لَا يَحِيقُ اللَّهُ وَلَقَدْ حَاقَ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَعَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَمْكُرُوا وَلَا تَعِينُوا مَا كَرَأَفَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَلَا تَبْغُوا وَلَا تَعِينُوا بِأَغْيَا
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ لَابَنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ مِنْ حَفْرِ مَغْوَةٍ وَقَعَ
فِيهَا قَالَ أَنَا وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَقَرَأَ آيَةَ وَفِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ مِنْ حَفْرِ لِأَخِيهِ جَبَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ سَكْبَا وَقَرَأَ حِمَزَةً وَمَكْرَ السَّيِّئِ
بِاسْكَانِ الْحِمَزَةِ وَذَلِكَ لِاسْتِقَالَةِ الْحَرَكَاتِ مَعَ الْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ وَلَعَلَّهُ اخْتَلَسَ فَظَنُّ سَكْرًا أَوْ وَقَفَ وَخَفِيفَةً ثُمَّ ابْتَدَأَ وَلَا يَحِيقُ
وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمَكْرًا سَيِّئًا (سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ) إِنْزَالُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَذَبُوا بِرُسُلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ وَجَعَلَ اسْتِقْبَالَهُمْ
لِذَلِكَ انْتِظَارًا لَهُ مِنْهُمْ وَبَيْنَ أَنْ عَادَتِهِ الَّتِي هِيَ الْإِنْتِقَامُ مِنْ مَكْذِبِي الرِّسْلِ عَادَةً لَا يَبْدُلُهَا وَلَا يَحْوِلُهَا أَيْ لَا يَغْيِرُهَا وَأَنَّ ذَلِكَ
مَفْعُولٌ لَهُ لِأَحْوَالِهِ وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَشَاهِدُونَهُ فِي مَسَائِرِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ فِي رَحْلِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ مِنْ آثَارِ

(قَوْلُهُ مِنْ حَفْرِ مَغْوَةٍ وَقَعَ فِيهَا) فِي الصَّحَاحِ وَقَعَ النَّاسُ فِي أَغْوِيَةٍ أَيْ فِي ذَاهِيَةٍ وَالْمَغْوِيَّاتُ بَفَتْحِ الْوَاوِ مُشْتَدَّةٌ جَمْعُ الْمَغْوَةِ
وَهِيَ حَفْرَةٌ كَالزُّبْيَةِ يَقَالُ مِنْ حَفْرِ مَغْوَةٍ وَقَعَ فِيهَا وَالزُّبْيَةُ حَفْرَةٌ تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ أَيْ لَصِيدِ الْأَسَدِ

فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَآئِبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا *

﴿سورة يس مكية : إلا آية ٥٤ فندية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَسْ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *

الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفوته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهورها) على ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريدني آدم وقيل ماترك بنى آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجمل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس أن الضب لموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء (إلى أجل مسمى) إلى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

﴿سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قرئ يس بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر على الاصل كجبر وبالرفع على هذه يس أو بالضم كبحث ونغمت الألف وأمليت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه بالإنسان في لغة طي والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثير النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله أئمن الله (الحكيم) ذى الحكمة أولآنه دليل ناطق بالحكمة كالحى أولآنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فإن قلت) أى حاجة إليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونوا إلا على صراط مستقيم (قات) ليس الغرض بذكره ما ذهب إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة بجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضاً فإن التنكير فيه دل على أنه أرسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه قرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والنصب على أغنى وبالجزء على البدل من القرآن (قوما ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أنأهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من

* (القول في سورة يس) * (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه إن قلت ما سر قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين أنه كذلك وأجاب بأن الغرض وصفه ووصف ما جاء به فجاء بالوصفين في نظام واحد فكأنه قال إنك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضاً في تنكير الصراط أنه مخصوص من بين الصراط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم في مواضع أن التنكير قد يفيد تفخيماً وتعظيماً وهذا منه * قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قال فيه أنه على الوصف كقوله لتنذر قوما ما أنأهم من نذير قال وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات

(قوله قرئ يس بالفتح) يفيد أن السكون قراءة الجمهور والحركات قراآت لبعضهم فالفتح بناء أو نصب والكسر بناء فقط فتدبر (قوله وأخفيت الألف وأمليت) يعنى قرأ الجمهور بالتفخيم وقرأ بعضهم بالإمالة كما في النسفي

إِنَّا جَعَلْنَا فِيَّ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبُهِتَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۖ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

نذير وقد فسر ما نذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل مامصدرية لتنذر قوما نذار آباؤهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما نذر آباؤهم من العذاب كقوله تعالى إِنَّا نُنْذِرُكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا (فإن قلت) أى فرق بين تعالى قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الأول متعلق بالثاني أى لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم نذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلناك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل (فإن قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآية الآخر (قلت) لا مناقضة لأن الآية في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آباؤهم وآباؤهم القدماء من ولد لإسماعيل وكانت النذارة فيهم (فإن قلت) ففي أحد التفسيرين أن آباؤهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به (قلت) أريد آباؤهم الآدون دون الأباعد (القول) قوله تعالى لا ملأنا جهم من الجنة والناس أجمعين يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ۖ ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى إرجعائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يفتنون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يبطؤون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدمهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله (فهي إلى الأذقان) (قلت) معناه فالأغلال واصله إلى الأذقان ملووزة إليها وذلك أن

الإبذار على أن مامصدرية أو موصولة قال والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الأول متعلقة بالثاني معنى جواباً له والمعنى أن نفي إنذارهم هو السبب في غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلناك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل انتهى (قلت) يعنى أنها على التفسير الثاني تفهم أن غفلتهم سبب في إنذارهم قال فإن قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله ما أنامهم من نذير من قبلك وأجاب بأن الآية لنفي إنذارهم لا لنفي إنذار آباؤهم وآباؤهم القدماء من ولد لإسماعيل وقد كانت النذارة فيهم ۖ قال فأتصنع بأحد التفسيرين الذي مقتضاه أن آباؤهم لم ينذروا وهو التفسير الأول في هذه الآية مع التفسير الثاني ومقتضاه أنهم أُنذروا ۖ وأجاب بأن آباؤهم الأباعد المندرون لا آباؤهم الآدون قال ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنهم لا يرجعون ولا يرجعون بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يفتنون إلى الحق ولا يبطؤون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدمهم ولا ما خلفهم قال والضمير للأغلال لأن طوق الغل يكون في مائتي طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يبطأ رأسه فلا يزال مقمحا انتهى كلامه (قلت) إذا فرقت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبها بالأغلال وكان استكبارهم عن قبول الحقائق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه مشبها بالإقحاح لأن المقمح لا يبطأ رأسه وقوله فهي إلى الأذقان تامة للزوم الإقحاح لهم وكان عدم الفسك في القرون الخالية مشبها بسد من خلفهم وعدم النظر في العوالم المستقبلية مشبها بسد من قدامهم ۖ قال فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدى وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدى ۖ وأجاب بأن الوجه هو الأول واستدل على هذا التفسير الثاني بقولهم فهم مقمحون لأنه جعل الإقحاح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدى لم يكن معنى التسبب في الإقحاح ظاهراً أو ترك الحق الأجاج للباطل اللجاج انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الفاء للتعقيب كالفاء الأولى في قوله فهي إلى الأذقان أو للتسبب ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في الغل يوجب الإقحاح فإن اليد والعياذ بالله تعالى تبقى بمسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها ومانعة من وطأتها ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير فإن اليد متى كانت مرسله مخللة كان للمغلول بعض الفرج بإطلاقها ولعله يتحیل بها على فكك الغل ولا كذلك إذا كانت مغולה فيضاف إلى ما ذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاص من ربة

(قوله لتنذر قوما ما نذرهم) لعله أى لتنذر قوما بذكر أى وذكر لتنذر مرة ثانية

فَأَعْشَيْنَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۖ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ
وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۚ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ

طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفية تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا
تحليه يطاطم رأسه ويوطىء قذاله فلا يزال مقمحا ۖ والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو
قامج إذا روى فرفع رأسه ومنه شهراً قماح لأن الإبل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيها وهما الكانونان ومنه اقتحمت
السويق (فإن قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدى وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى
جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدى (قلت) الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحوون ألا ترى
كيف جعل الإقحاح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدى لم يكن معنى التسبب في الإقحاح ظاهراً
على أن هذا الإضرار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يخفو عنه وترك
للحق الأباغ إلى الباطل اللجاج (فإن قلت) فقد قرأ ابن عباس رضى الله عنهما في أيديهم وابن مسعود في أيماهم فهل
تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدى أو للإيمان (قلت) بآبي ذلك وإن ذهب الإضرار المتعسف ظهور
كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت ۖ وقرئ سداً بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس بالفتح
وما كان من خلق الله بالضم فأعشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئى
وعن يجاهد فأعشيناها فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل
حلف لئن رأى محمداً يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع أثبت يده إلى عنقه ولزق
الحجر بيده حتى فسكه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه
ۖ (فإن قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه
التفقية لو كان الإنذار منقياً (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيًا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن
البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهى الإيمان فنى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإندارك من
غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحي الموتى) نبههم بعد مماتهم وعن
الحسن إحيائهم أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان (ونكتب ما) أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا
عنه من أثر حسن كعلم علوه أو كتاب صنفوه أو حبس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك
أوسى كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشئ أحدث فيه صدعن ذكر الله من
ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أى
قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله

الكفر المقدر عليهم مشهاً بغل الأيدى فإن اليد آلة الحيلة إلى الخلاص ۖ قوله تعالى إنما تنذر من اتبع الذكر الآية (قال إن
قلت قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت التفقية تصح لو كان
الإنذار منقياً وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن لما بين أن البغية المرومة بالإنذار وهى الإيمان منفية عنهم قفاه بقوله
إنما تنذر أى إنما تحصل بغية الإنذار بمن اتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) فى السؤال سوء أدب وينبغى أن يقال

(قوله رأس العمود نادراً) أى شاذاً كما يفيد الصراح (قوله ويوطىء قذاله) فى الصراح القذال جماع مؤخر
الرأس فتدبر (قوله ومنه شهراً قماح) بوزن كتاب وغراب كانقل عن القاموس وفى الصراح سميًا بذلك لأن الإبل
إذا وردت فيها آذاها برد الماء فقامحت (قوله إلى الباطل اللجاج) أى الذى يردد من غير أن ينفذ أفاده الصراح

شَيْءٌ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَسَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ

خَالِيَهُ فَلَبِغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَانَا فِي دِيَارِنَا وَقَالَ يَا بَنِي سُلَيْمَةَ بَلَّغْنِي أَنْتُمْ تَرِيدُونَ النُّقْلَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقُلْنَا نَعَمْ بَعْدَ عَلَيْنَا الْمَسْجِدَ وَالْبَقَاعَ حَوْلَهُ خَالِيَةً فَقَالَ عَلَيْكُمْ دِيَارُكُمْ فَإِنَّمَا تَسْكُنُ بَنَاتُكُمْ قَالُوا فَمَا وَدَدْنَا حَضْرَةَ الْمَسْجِدِ لِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ كَانَ اللَّهُ مَغْفِلًا شَيْئًا لَا غَفَلَ هَذِهِ الْآثَارُ الَّتِي تَعْفِيهَا الرِّيحُ وَالْإِمَامُ الْوُحْدَانُ وَقُرِئَ وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَرُهُمْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفِعُولِ وَكُلُّ شَيْءٍ بِالرَّفْعِ (وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا) وَمِثْلُ لَهُمْ مَثَلًا مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدِي مِنْ هَذَا الضَّرْبِ كَذَا أَيْ مِنْ هَذَا الْمَثَالِ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى ضَرْبٍ وَاحِدٍ أَيْ عَلَى مِثَالٍ وَاحِدٍ وَالْمَعْنَى وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا مِثْلَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ أَيْ إِذْ كَرَّ لَهُمْ قِصَّةُ عَجَبِيَّةِ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ وَالْمِثْلُ الثَّانِي بَيَانُ الْأَوَّلِ * وَانْتِصَابُ إِذْبَانِهِ بِدَلٍّ مِنْ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ وَالْقَرْيَةِ أَنْطَاكِيَّةَ (الْمُرْسَلُونَ) رَسُلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِهَا بِعُهُمْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ وَكَانُوا عِبْدَةً أَوْثَانًا * أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَلَمَّا قَرَّبَا مِنَ الْمَدِينَةِ رَأَى شَيْخًا يَرْعَى غَنِيمَاتِ لَهُ وَهُوَ حَبِيبُ النَّجَارِ صَاحِبُ يَسَ فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ أَمَعَكَا آيَةُ فَقَالَا نَشْفِي الْمَرِيضَ وَنَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مَرِيضٌ مِنْ سَنَتَيْنِ فَمَسَحَاهُ فَقَامَ فَأَمَّنَ حَبِيبٌ وَفَشَا الْخَبْرَ فَشَفَى عَلَى أَيْدِيهِمَا خَاقٌ كَثِيرٌ وَرَقِيَ حَدِيثُهُمَا إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ لَهَا أَلْنَا إِلَهُ سِوَى آلِهَتِنَا قَالَا نَعَمْ مِنْ أَوْجَدِكَ وَأَلْهَنَكَ فَقَالَ حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكَمَا فَتَبِعَهُمَا النَّاسُ وَضَرَبُوهُمَا وَقِيلَ حَبَسَا ثُمَّ بَعَثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ شَمْعُونَ فَدَخَلَ مَتَسَكِّرًا وَعَاشِرَ حَاشِيَةِ الْمَلِكِ حَتَّى اسْتَأْذَنُوا بِهِ وَرَفَعُوا خَبْرَهُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَنْسَبَهُ فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ بَلَّغْنِي أَنَّكَ حَبَسْتَ رَجُلَيْنِ فَهَلْ سَمِعْتَ مَا يَقُولَانِهِ فَقَالَ لَأَحَالُ الْغَضَبَ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ فَدَعَاهُمَا فَقَالَ شَمْعُونَ مِنْ أَرْسَلَكُمَا قَالَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فَقَالَ صَفَاهُ وَأَوْجَزَا قَالَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ قَالَ وَمَا آيَتُكَمَا قَالَا مَا يَتَمَنَّى الْمَلِكُ فَدَعَا بَغْلَامَ مَطْمُوسَ الْعَيْنَيْنِ فَدَعَا اللَّهَ حَتَّى انْشَقَّ لَهُ بَصَرٌ وَأَخَذَا بِنَدَقَتَيْنِ فَوَضَعَاهُمَا فِي حَدَقَتَيْهِ فَكَانَتَا مَقْلَتَيْنِ يَنْظُرُ بِهِمَا فَقَالَ لَهُ شَمْعُونَ أَرَأَيْتَ لَوْ سَأَلْتُ إِيْلَهُكَ حَتَّى يَصْنَعَ مِثْلَ هَذَا فَيَكُونُ لَكَ وَلَهُ الشَّرَفُ قَالَ لَيْسَ لِي عَنْكَ سِرٌّ إِنَّا لَهْنَا لَا يَبْصُرُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَكَانَ شَمْعُونَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ عَلَى الصَّنَمِ فَيُصَلِّي وَيَتَضَرَّعُ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُ مِنْهُمْ ثُمَّ قَالَ إِنْ قَدَّرَ إِيْلَهُكَ عَلَى إِحْيَاءِ مَيِّتٍ أَمَّنَابِهِ فَدَعَا بَغْلَامَ مَاتَ مِنْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَقَامَ وَقَالَ إِنِّي أَدْخَلْتُ فِي سَبْعَةِ أَوْدِيَةٍ مِنَ النَّارِ وَأَنَا أَحْذَرُكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ فَأَمَّنُوا وَقَالَ فَتَحْتُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فَرَأَيْتُ شَابًا حَسَنَ الْوَجْهِ يَشْفَعُ لِهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ قَالَ الْمَلِكُ وَمَنْ هُمْ قَالَ شَمْعُونَ وَهَؤُلَاءِ فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ فَلَمَّا رَأَى شَمْعُونَ أَنَّ قَوْلَهُ قَدْ أَثَّرَ فِيهِ نَصَحَهُ فَأَمَّنَ وَآمَنَ مَعَهُ قَوْمٌ وَمَنْ لَمْ يَوْثِنْ صَاحَ عَلَيْهِمْ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صِيحَةً فَهَلَسُوا (فَعَزَّزْنَا) فَقَوَيْنَا يَقَالُ الْمَطَرُ يَعَزُّزُ الْأَرْضَ إِذَا لَبَدَهَا وَشَدَّهَا وَتَعَزَّزَ لَحْمُ النَّاقَةِ وَقُرِئَ بِالْتَّخْفِيفِ مِنْ عَزَّهِ يَعَزُّهُ إِذَا غَلَبَهُ أَيْ فَعَلَبْنَا وَقَهَرْنَا (بِثَالِثٍ) وَهُوَ شَمْعُونَ (فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ تَرَكَ ذَكَرَ الْمَفْعُولَ بِهِ (قُلْتَ) لِأَنَّ الْغَرَضَ ذَكَرَ الْمَعَزَّزَ بِهِ وَهُوَ شَمْعُونَ وَمَا لَطَفَ فِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ حَتَّى عَزَّ الْحَقَّ وَذَلَّ الْبَاطِلَ وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَنْصَبًا إِلَى غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ جَعَلَ سِيَاقَهُ وَتَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَسَاوَاهُ مَرْفُوضٌ مَطْرُوحٌ وَنَظِيرُهُ قَوْلُكَ حَكَمَ السُّلْطَانُ الْيَوْمَ بِالْحَقِّ الْغَرَضُ الْمَسْئُوقُ إِلَيْهِ قَوْلُكَ بِالْحَقِّ فَلِذَلِكَ رَفَضْتُ ذَكَرَ الْمَحْكُومِ لَهُ وَالْمَحْكُومَ عَلَيْهِ * إِنَّمَا رَفَعَ بَشْرًا وَنَصَبَ فِي قَوْلِهِ مَا هَذَا بَشَرًا لِأَنَّ الْإِلَهَ تَعَالَى لَا يَتَقَبَّضُ النَّفْيَ فَلَا يَبْقَى لِمَا الْمَشْبَهَةِ بِلَيْسَ شَبَهَ فَلَا يَبْقَى لَهُ عَمَلٌ (فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ يَقُلْ إِنَّمَا إِلَيْكُمْ مَرْسَلُونَ أَوَّلًا وَ(إِنَّمَا إِلَيْكُمْ

وَمَا وَجَّهَ ذَكَرَ الْإِنْذَارِ الثَّانِي فِي مَعْرِضِ الْخَالَفَةِ لِلْأَوَّلِ مَعَ أَنَّ الْأَوَّلَ لِإِبْتِهَاتٍ وَالْإِنْذَارِ الثَّانِي كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا إِلَيْكُمْ مَرْسَلُونَ (قَالَ إِنْ قُلْتَ لَمْ أَسْتَطِعْ اللَّامَ هُنَا وَأَتَبَتُهَا فِي الثَّانِيَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّمَا إِلَيْكُمْ مَرْسَلُونَ قُلْتَ الْأَوَّلَ ابْتِدَاءً

(قَوْلُهُ إِنَّمَا رَفَعَ بَشْرًا وَنَصَبَ) عِبَارَةُ النَّسْفِ إِنَّمَا رَفَعَ بَشْرًا وَنَصَبَ الْحَقَّ

من شئ إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلغ المبين * قالوا
إننا تطيرنا بكم لأن لم تنتهوا لرجسكم ولیمسنكم منا عذاب الیم * قالوا طيركم معكم أن ذكركم بل أنتم
قوم مسرفون * وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يقيم أتبعوا المرسلين * أتبعوا من لا يستلکم
أجراً وهم مهتدون * ومالی لأعبد الذی فطرني وإليه ترجعون * أتخذ من دونه الهة إن یردن الرحمن

لمرسلون) آخر (قلت) لأن الأول ابتداء لإخبار الثاني جواب عن إنكار * وفوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد
وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا
إلا البلاغ المبين) أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فلو قال المدعى والله إني لصادق فيما ادعى ولم
يحضر البينة كان قبيحا (تطيرنا بكم) تشاء منا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة الجهال أن يقيموا
بكل شئ مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا
بركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شئ كان من أجلكم (طائرکم
معكم) وقرئ طيرکم أى سبب شؤمکم معکم وهو كفرهم أو أسباب شؤمکم معکم وهى كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن
أطيرکم أى تطيرکم * وقرئ أن ذکرتهم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن بألف بينهما بمعنى أظفرون إن ذکرتهم
وقرئ أن ذکرتهم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة يعنى أظفرتهم لأن ذکرتهم وقرئ أن وإن بغير استفهام لمعنى
الإخبار أى تطيرتم لأن ذکرتهم أو إن ذکرتهم تطيرتم وقرئ أين ذکرتهم على التخفيف أى شؤمکم معکم حيث جرى
ذکرکم وإذا شتم المكان بذکرهم كان بحولهم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) فى العصيان ومن ثم أناكم الشؤم
لأن قبل رسل الله وتذكيرهم أوبل أنتم قوم مسرفون فى ضلالکم متمادون فى غيکم حيث تشاءمون بمن يجب التبرک به
من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو من آمنوا برسل الله صلى الله
عليه وآله وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنى أحد إلا بعد ظهوره
وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أنهم وأظهر دينه وقول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا
عليه فقتلوه وقيل توطنوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجوه وهو يقول اللهم اهد قومى وقبره فى سوق أنطاكية فلما
قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم
يكفروا بالله طرفة عين : على بن أبى طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يستلکم أجراً وهم مهتدون) كلمة
جامعة فى الترغيب فيهم أى لا تخسرون معهم شيئاً من دنياکم وتربحون صحة دينکم فينتظم لکم خير الدنيا وخير الآخرة
ثم أبرز الكلام فى معرض المناجحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويدارهم ولأنه أدخل فى إلحاح النصيح حيث
لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالی لأعبد الذی فطرني) مكان قوله ومالکم لا تعبدون الذی فطرکم
ألا ترى إلى قوله (وإليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذی فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن
قال آمنت بربکم فاسمعون يريده فاسمعوا قولى وأطيعوني فقد نهىکم على الصحيح الذى لا معدل عنه أن العبادة لا تصح إلا

إخبار الثاني جواب إنكار) قال أحمد أى فلاق توكيده

(قوله ونفرت منهم نفوسهم) لعله منه كعبارة النسي (قوله وآئن بألف بينهما) الذى فى النسي أن هذا وما قبله بياء
مكسورة بدل الهمزة الثانية (قوله بأرجلهم حتى خرج قصبة) فى الصحاح القصب بالضم المتقى والمعنى واحد الأمعاء

بُضِرَ لَا تُغْنِي عَنْ شَفَاعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَدُونَ • إِنِّي إِذَا لَنِي ضَلَّلْتُ مِيزِينَ • إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ • قِيلَ
أَدْخِلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ • بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ • وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ • إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فِإِذَا هُمْ خِمِدُونَ • يَحْسِرُونَ عَلَى

لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر
وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يسكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدرُوا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه
إنكم في هذا الاستحياب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذى عقل وتميز وقيل لمناصح قومهم أخذوا يرجونه
فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (إني آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا لإيماني تشهدوا لى به • وقرئ إن يردنى
الرحمن بضر بمعنى أن يوردنى ضرأى يجعلنى موردا للضر • أى لمساقتل (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله
الجنة وهو فيها حتى يرزق أراد قوله تعالى «بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين» وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من
أهلها (فإن قلت) كيف مخرج هذا القول فى علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن
حالته عند لقاء ربه كأن قائلها قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى نصرة دينه والتسعى لوجهه بروحه فقيل قيل
أدخل الجنة ولم يقل قيل له لالصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك (قال ياليت قومي
يعلمون) مرتب على تقدير سؤال عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون عليهم
بها سببا لا اكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول فى الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهم إلى الجنة
وفى حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على
من أدخل نفسه فى غمار الأشرار وأهل البغى والتشمر فى تخليصه والتلطف فى اقتدائه والاشتغال بذلك عن الشتمات به
والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتله والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا
أنهم كانوا على خطأ عظيم فى أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا
سعادة لأن فى ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه • وقرئ المكرمين (فإن قلت) ما فى قوله تعالى (بما
غفر لى ربى) أى المآت هى (قلت) المصدرية أو الموصولة أى بالذى غفره لى من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية بمعنى بأى
شئ غفر لى ربى يريد به ما كان منه معهم من المصاهرة لإعزاز الدين حتى قتل إلى أن قولك بهم غفر لى بطرح الألف أجود وإن كان
إثباتها جزأ يقال قد علمت بما صنعت هذا أى بأى شئ صنعت وبم صنعت المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة لك ولم ينزل لإهلاكهم
جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر أو الخندق (فإن قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح فى
حكمتنا أن ننزل فى إهلاك قوم حبيب جندنا من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما
ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبه المصلحة ألا ترى إلى قوله تعالى «فمنهم من أرسلنا عليك حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا» (فإن قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى «فأرسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها» بألف من الملائكة مردفين ، بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين (قلت) إنما كان يكفى ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة منه وسكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شئ على كبار الأنبياء وأولى العزم من الرسل فضلا عن حبيب
التجار وأولاه من أسباب الكرامة والإعذار ما لم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشاء بقوله :
وما أنزلنا وما كنا منزلين : إلى أن أنزال الجنود من عظام الأمور التى لا يؤهل لها إلا ملك وما كنا نفعله بغيرك (إن كانت
إلا صيحة واحدة) إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدنى بالرفع على كان الثالثة أى ما وقعت

الْعِبَادَ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۚ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۚ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

إلا الصيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلا الصيحة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وإن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وبيت ذى الرمة ۚ وما بقيت إلا الضلوع الجراشع ۚ وقرأ ابن مسعود الأزقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويرقى إذا صاح ومنه المثل أقل من الزواقي (خامدون) خمدوا كما تخمد النار فتعود رماداً كما قال لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ۚ يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
(يا حيرة على العباد) نداء للحيرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حيرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضرى فيها وهي حال استهزائهم بالرسول والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلف على حالهم المتلفون أو هم متحسرون عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومخوهابه وفرط إنكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حيرة ناعتضد هذا الوجه لأن المعنى يا حسر قى وقرئ يا حيرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث أنها موجهة إليهم ويا حيرة على العباد على إجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في (كم) لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ في الجملة كأنفذ في قولك ألم يروا إن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه و (أنهم إليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكتنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وعن الحسن كسر إن على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكتنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتغال وهذا ما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قبل له أن قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه ۚ قرئ لما بالتخفيف على أن ماصلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى إلا كالتى في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وإن نافية ۚ والتونين في كل هو الذى يقع عوضا من المضاف إليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون (فإن قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناها واحد (قلت) ليس بواحد لأن كلا يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر بجميعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حتى جميع وجاءوا جميعا القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان (وأحييناها) استئناف بيان لسكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما الجنس مطلقين لأرض وليل بأعيانها فعملهما معاملة التكرات في وصفهما بالأفعال ونحوه ولقد أمر على اللثيم يسنى ، وقوله (فنه يا كلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم

ۚ قوله تعالى ۚ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ۚ (قال فيه إن قلت لم أخبر عن كل بجميع ومعناها واحد وأجاب بأن كلا تفيد الإحاطة حتى لا ينفلت عنهم أحد وجميع تفيد الاجتماع وهو فعيل بمعنى مفعول ويينهما فرق انتهى كلامه) قال أحمد ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعا لكل لأنه أخص منه وأزيد معنى ۚ قوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها الآية (قال يجوز أن يكون أحييناها صفة للأرض وصح ذلك لأن المراد بالأرض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بيانا لوجه الآية فيها) قال أحمد وغيره من النحاة يمنع وقوع جملة صفة للعرف وإن كان جنسيا وليس الغرض منه معينا ويراعى هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه ۚ ولقد أمر على اللثيم يسنى ۚ

(قوله وما بقيت إلا الضلوع الجراشع) جمع جرشع وهو العظيم والزواقي هى الديوك لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت الديكة تفرقوا أفاده الصحاح

يَا كُؤُونَ ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۖ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۖ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۖ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۖ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۖ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ

بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء ۖ قرئ (ونجرتنا) بالانخفاض والتثقيب والفجر والتفجير كالفتح والتفتح لفظاً ومعنى وقرئ (ثمره) بفتحين وضمين وضمه وسكون والضمير لله تعالى والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر (و) من (ما عملته أيديهم) من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلق فيه آثار من كذبى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا ونجرتنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع إلى النخيل وترك الاعتناء بغير مرجوع إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبه

فيها خطوط من يياض وبلق ۖ كأنه في الجلد توليع البق

ف قيل له فقال أردت كأن ذاك ولك أن تجعل مانافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الأول وما علمت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الأزواج) الأجناس والأصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقاً إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم في الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعهم عليه فأعلمنا بوجوده وإعداداه ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علوه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه ۖ سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل ولاقى ظله (مظلمون) داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتما وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهي إليه من فلسكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافرين إذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تنقصها مشرقاً مشرقاً ومغرباً مغرباً حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة ۖ وقرئ تجرى إلى مستقرها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال تجرى لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن بمعنى ليس (ذلك) الجرى عن ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكمل الفطن عن استخراجها وتحرير الأفهام في استنباطها ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علماً بكل معلوم ۖ قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفاً على الليل يريد من آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بدق (قدرناه منازل) من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره

(قوله في الحديث ما لا عين رأت) وفي الحديث أوله أعددت لعبادي الصالحين كما مر في تفسير السجدة (قوله ومنه سلخ الحية لخرشائها) في الصحاح الخرشاء مثل الخرباء جلد الحية (قوله أعتما وأدجينا لمستقرها) الوجى وجع في حافر الفرس أو خوف البعير أفاده الصحاح وغيره

منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستولا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرقة العق السماك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الدابج سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فإذا كان في آخر منازل دق واستقوس (عاديكالرجون القديم) وهو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج هو ففلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما الغتان كالزبون والزيون والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشب به من ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلاً قال كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول أو أكثر وقرئ سابق النهار على الأصل والمعنى أن الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وأيتيها مقسماً من الزمان وضرب له حداً معلوماً ودبر أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وإن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فيجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فقطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فإن قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لأن الشمس لا تقطع فلها إلا في سنة والقمر يقطع فلها في شهر فكانت الشمس جدرة بأن توصف بالإدراك لا بالتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليفاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل)

ه قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى قال فإن قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لأن الشمس بطيئة السير تقطع فلها في سنة والقمر يقطع فلها في شهر فكانت الشمس لبطئها جدرة بأن توصف بالإدراك والقمر لسرعة سيره جدراً بأن يوصف بالسبق انتهى كلامه (قلت) يؤخذ من هذه الآية أن النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف للفقهاء وبيانه من الآية أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل وإنما نفي الإدراك لأنه هو الذي يمكن أن يقع وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس فإنه لا يقال أدرك السابق اللاحق ولكن أدرك اللاحق السابق وبحسب الإمكان توقيع النفي فالليل إذا متبوع والنهار تابع فإن قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرح الآية بأنه ليس سابقاً فالجواب أن هذا مشترك الإلزام وبيانه أن الأقسام المحتملة ثلاثة إما تبعية النهار الليل وهو مذهب الفقهاء أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة أو اجتماعهما فهذا القسم الثالث منفي باتفاق فلم يبق إلا تبعية النهار الليل وعكسه وهذا السؤال وارد عليهما جميعاً لأن من قال إن النهار سابق الليل لزم أنه لا يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار فإن المتأخر إذا نفي إدراكه كان أبلغ من نفي سابقه مع أنه يتناهى عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر تنائياً لا يجمع شمل المعنى باللفظ فإن الله تعالى نفي أن تكون مدركة فضلاً عن أن تكون سابقة فإذا أثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفي السبقية الموجبة لثراخي النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما وحيث ثبت التعاقب وهو مراد الآية وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فإنه غير معتبر ألا ترى إلى جواب موسى بقوله هم أولاء على أن ترى فقد قربهم منه عذراً عن قوله تعالى وما أعجلك عن قولك فكان سهل أمر هذه العجلة يكونهم على أثره فكيف لو كان متقدماً في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة فذلك لو اتفق لكان سياق الآية يوجب أنه لا يعد عجلة ولا سبقاً فيثبت يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفاً صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فإن بين عدم الإدراك الدال على التأخير والتبعية وبين سبقه بوابعداً ومخالفاً أيضاً لبقية الآية فإنه لو كان الليل تابعاً ومتأخراً لكان أحرى أن يوصف بعدم الإدراك ولا يبلغ به عدم سبقه ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقاً لصدور الآية صريحاً ولعجزها بوجه

(قوله وقرئ العرجون بوزن الفرجون) في الصحاح الفرجون المحسة وقد فرجت الدابة إذا فرجتها ومنه قول بعضهم ادفوني في ثيابي ولا تحسوا عني تراباً أي لا تنفضوه وفيه البزور السندس (قوله في النيرين سلطان) لعله سلطانا

فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۝ وَإِنْ نَشَاءُ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ أَنْطَعُمُ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعِمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝

التوبن فيه عوض عن المضاف إليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والأقمار على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهملهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها وفي الحديث أنه نهى عن قتل الذراري يعني النساء (من مثله) من مثل الفلك (مايركيون) من الإبل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلاهم هم وذرياتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح . ومن مثله من مثل ذلك الفلك مايركيون من السفن والزوارق (لا صريح) لا مغيث أو لا غائاة يقال أتاهم الصريح (ولاهم ينقذون) لا ينجون من الموت بالفرق (إلا لرحمة) إلا لرحمة منا ولتتبع بالحياة (إلى حين) إلى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الفرق ولقد أحسن من قال ولم أسلم لسكى أبقي ولكن ۝ سلبت من الحمام إلى الحمام

وقرأ الحسن رضي الله عنه نغرقهم (اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) كقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلمكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله (إلا كانوا عنها معرضين) فكأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة ۝ كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب بخارج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادراً على إطعامه ولا يشاء إطعامه فتحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا بما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله بما ذرأ من الحرث والآنعام نصيباً فحرمهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين ۝ قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الحاء وكسرها وإتباع الياء الحاء في الكسر ويخصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أنفسهم وغفلتهم عنها لا يخطرورها يباهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى خصمون يخضم بعضهم بعضاً وقيل تأخذهم

من التأويل مناسب لنظم القرآن وثبوت ضده أقرب إلى الحق من حبل وريده والله الموفق للصواب من القول وتسديده ۝ قوله تعالى وإن نشأ نغرقهم فلا صريح لهم إلى قوله ومتاعاً إلى حين (قلت) من هنا أخذ أبو الطيب ۝ ولم أسلم لسكى أبقي ولكن ۝ سلبت من الحمام إلى الحمام لأنه تعالى أخبر أنهم إن سلموا من موت الفرق فلك السلامة متاع إلى حين أي إلى أجل يموتون فيه ولا بد

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۚ
قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۚ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۚ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ۚ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكِثُونَ ۚ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ۚ

وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون (فلا يستطيعون) أن يوصوا في شيء من أمورهم (توصية) ولا
يقدرّون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون بحيث تفجؤهم الصيحة ۚ قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو
جمع صورة وحزنها بعضهم و (الأجداث) القبور وقرئ بالقاء (ينسلون) يعدّون بكسر السين وضمة وهى النفخة
الثانية ۚ قرئ ياولنا ۚ وعن ابن مسعود رضى الله عنه من أهنا من هب من نومه إذا اتبها وأهبه غيره وقرئ من هبنا
بمعنى أهنا وعن بعضهم أراد هب بنا لحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر
و (هذا) مبتدأ و (ما وعد) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للبرق وما وعد خبر مبتدأ
محذوف أى هذا وعد الرحمن أى مبتدأ محذوف الخبر أى ما وعد (الرحمن وصدق المرسلون) حق وعن مجاهد للكفار
هجمة يجدون فيها طعم النوم فإذا صبح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس
وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا (فإن
قلت) إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدق فيه بالوعد والصدق
فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة (قلت) تقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدّقه المرسلون بمعنى
والذى صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوا الحديث والقتال ومنه صدقنى سن بكره (فإن قلت) من بعثنا من مرقدنا
سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا (قلت) معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنباكم به الرسل إلا أنه
جاء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت إليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما اندرّوا به
وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهكم السؤال عن الباعث لأن هذا هو البعث
الأكبر ذوالأهوال والأفزع وهو الذى وعده الله فى كتبه المنزلّة على السنة رساله الصادقين (إلا صيحة واحدة) قرئت
منصوبة ومرفوعة (فالיום لا تظلم نفس شيئا ۚ) إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل (حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم وفى مثل
هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له فى النفوس وترغيب فى الحرص عليه وعلى ما يشره فى شغل فى أى شغل
وفى شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التى هى دار المتقين ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك
ال كبير والنعيم المقيم ووقع فى تلك الملاذ التى أعدّها الله للبرّاضين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم
وذلك بعد الوله والصبابة والنقصى من مشاق التكليف ومضائق التقوى والخشية وتخطى الأهوال وتجاوز الأخطار
وجواز الصراط ومعاناة مالتى العصاة من العذاب وعن ابن عباس فى اقتضااض الأبقار وعنه فى ضرب الأوتار وعن
ابن كيسان فى التزاور وقيل فى ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عمافيه أهل النار التعم بما هم فيه وعن الكلبي هم فى شغل
عن أهاليهم من أهل النار لا يهجم أمرهم ولا يهذكرونهم لأن لا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم ۚ قرئ فى شغل بضمين

ۚ قوله تعالى فى شغل فاكهون (قلت) هذا مما التفسير فيه للنفخيم كأنه قيل فى شغل أى شغل وكذا قوله تعالى سلام قولا

(قوله والأجداث القبور وقرئ بالقاء) فى الصحاح الجذف القبر وهو إبدال الجذث قال الفراء العرب تعقب بين القاء
والثاء فى اللغة فيقولون جذث وجذف وهى الأجداث والأجذاف

سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ * وَامْتَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَإِنْ أَعْبَدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا

وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون * والفاكه والفكه المنعم والمنلذذ ومنه الفا كمة لأنها مما يتلذذ به وكذلك
الفكاهة وهي المزاخرة * وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمة كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس
وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيذا للضمير في شغل
وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والإبتكاء على الأرائك تحت الظلال * وقرئ في ظلال
والأريكة السرير في الحجرة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكين (يدعون) يفتعلون من الدعاء أى يدعون به
لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل * ويجوز أن يكون بمعنى
يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وفلان في خير ما ادعى أى
في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أى ما يدعو به أهل الجنة بأنهم و(سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام
يقال لهم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم
وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالنحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أى
عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازة وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن
ابن مسعود سلاما نصب على الحال أى لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين
يحشر المؤمنون ويسارهم إلى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازة فامتاز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك
لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض * العهد الوصية وعهد إليه إذا
وصاه وعهد الله إليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع * وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به
إليهم ويزينه لهم * وقرئ لعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعة الكسر لإفني الياء وأعهد بكسر
الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم نعم وضرب يضرب وأعهد بالحاء وأحد وهي لغة ثميم ومنه قولهم دحا
محا (هذا) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير
لئن كان يهدى برد أنياها العلى * لا فقر معنى لأنى لفقر

أراد إنى لفقر ببلغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه في والإلم يستقيم معنى البيت وكذلك قوله (هذا صراط
مستقيم) يريد صراط ببلغ في بابه ببلغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض

من رب رحيم ومنه قوله تعالى وأن أعبدوني هذا صراط مستقيم قال ومعناه لا صراط أقوم منه والتنكير يفيد ذلك إفادته
إياه في قول كثير عزة * فإن كان يهدى برد أنياها العلى * لا فقر منى البيت . ولولا ذلك لم يستقيم معنى البيت قال
ويجوز أن يكون معناه هذا صراط أقل الأحوال فيه أن يعتقد أنه مستقيم كما يقول الرجل لولده هذا فيما أظن قول
نافع غير ضار تويخاله على الإعراض عن نصائح

(قوله كقولهم رجل حدث وحدث) أى حسن الحديث والنطس البالغ في التطهر والمدقق في العلم أفاده الصحاح (قوله والأريكة
السرير في الجملة) بيت العروس يزين بالثياب الستور كذا في الصحاح (قوله واجتمل إذا شوى) في الصحاح جملة الشحم
أجمله جملا واجتملته إذا أذبه (قوله في حروف مضارعة الكسر) لعله مضارعه (قوله ومنه قولهم دحا محا) أى دحها معها

تَعْقُلُونَ ۖ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۖ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۖ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ
فَإِنِّي يَبْصُرُونَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۖ وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ
فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۖ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ۖ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَانُوا حَيًّا وَيُحِقِّ

الصرط المستقيمة توييخالهم على العدول عنه والنفادى عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذى يؤدى إلى الضلالة والهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذى هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصيح البالغ الذى ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توييخاله على الإعراض عن نصائحهم ۖ قرئ جبلا بضمين وضمة وسكون وضمين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه اللغات فى معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كقطر وخلق وفى قرامة على رضى الله عنه جبلا واحدا لاجبال ۖ يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشارهم فيحلفون ما كانوا مشركين حينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لأجيز على شاهد إلامن نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه الناطق فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وبحقا فعنكن كنت أناضل ۖ وقرئ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك تختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة ۖ الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوqa لامسبوqa إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلوراموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيح الذى اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التى تردوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون إليه ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السالك فضلا عن غيره أولو شاء لأعماهم فلورادوا أن يمشوا مستبقيين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أولو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلقوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطرق المعتادون ماوراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا به وضربوا به من المقاصد دون غيرها (على مكاتتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قرده وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمانهم ۖ وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضى والمضى كالعنى والعنى والمضى كالصبي (تنكسه فى الخلق) نقله فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتراد وينقل من حال إلى حال

ۖ قوله تعالى « ومن نعمره نُنَكِّسْهُ » (قال) فيه مناسبة لقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم من حيث أنه استدلال بقدرته على رده إلى أرذل العمر وإلى الضعف بعد القوة كما أنه قادر على طمس أعينهم والله أعلم

(قوله كنت أناضل) أى أجادل (قوله إلى الطريق المهيح) الهيوع الجبن والهيعة الذوبان والسيلان وكل ما أفرغك من صوت كذا فى الصحاح ولعل المراد الذى سهله كثرة سلوكه (قوله فى متصرفاتهم موضعين) فى الصحاح وضع البعير وغيره أسرع من سيره وأوضعه راكبه (قوله فيما ألفوا وضربوا به) أى مروا

الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَكَونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا

ويرتقى من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق لجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ثم يرددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وتنكسه وتنكسه من التنكيس والإنكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبي معيط فليل (وما علمناه الشعر) أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعاني التي ينتجها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذا لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت اللهم إلا أن هذا لفظه عربي كما أن ذلك (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يتطلب لوطبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يأت له ولم يتسمل كما جعلناه أتماً لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهض وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فإن قلت) فقله أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وقوله

هل أنت إلا أصعب دمية * وفي سبيل الله ما لقيت

(قلت) ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً كما يتفق في كثير من إنشادات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر وإذا قششت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً ولما نفي أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجن كما قال إن هو إلا ذكر للعالمين وما هو إلا قرآن كتاب سماوى يقرأ في المحاريب ويتلى في المنعبدات وينال بتلاوته والعمل بمافيها فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به إذا علمه (من كان حياً) أي عاقلاً متأملاً لأن الغافل كالميت أو معلوماً منه أنه يؤمن فيحيا بالإيمان (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان (مما عملت أيدينا) مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح أن يقدر عليها إلا هو وعمل الأيدي استعارة من عمل من يعملون بالأيدي (فهم لها مالكون) أي خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالاتفاق فيها لا يراحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله

أصبحت لأحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا

أي لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذييله وتسخيرها لها كما قال القائل

يصرفه الصبي بكل وجه * ويحبسه عن الحسف الجرير

وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير

(قوله وقرئ بكسر الكاف وتنكسه) يقيد أن القراءة المشهورة بضم الكاف وهما من النكس (قوله فلا غير لديه ولا نكير) الغير جمع الغيرة بالكسروهي الدينة والغير أيضاً الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير كذا في الصحاح والمعنى الثاني هو المراد في البيت

رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۖ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يُنصَرُونَ ۖ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ۖ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ ۖ أَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۖ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ۖ وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالجلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أي ذو ركوبهم أو فن منافعهم ركوبهم (منافع) من الجلود والأبواب والأصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها بحملة وقد فصلاها في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا للآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب ۖ اتخذوا الآلهة طمعا في أن يتقوا بهم ويعتصدا بها بمكانهم والأمر على عكس ما قدرنا حيث هم جند لآلهتهم معدون (محضرون) يخدمونهم ويزبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقوداً للنار ۖ وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهينك تكذيبهم وأذا هم وجفاؤهم فإنما عالمون بما يسرون لك من عداوتهم (وما يعلنون) وإنا يجازوهم عليه حتى مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن (فإن قلت) ما تقول فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل والثاني أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقدير كفتح فصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البديل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسراً أو افتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فافيه إلا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلايتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا ألا ترى إلى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخره قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقييحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادى كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في الفجة حيث قرره بأن نصره الذي خلقه منه هو أحسن شيء وأهمه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ۖ ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودنائة أوله لخصامة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب من الباطل وبالج ويمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي الأنثرون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأُممات ثم قال واللات والعزى لأصيرن إليه ولا خصمته وأخذ عظامي بالأي جعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قدرتم قال صلى الله عليه وسلم نعم وبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فإذا هو خصيم مبين) فإذا هو بعدما كان ماء مهينا رجا لم يميز منطبق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين (فإن قلت) لم سمى قوله (من يحيي العظام وهي رميم)

(قوله وتغلغله في الفجة) في الصحاح وقح الرجل قحة ووقاحة إذا صار قليل الحياء (قوله وشرز صفحته لمجادلته الخ) في الصحاح الشرز الشرس وهو الغالظ والمحك اللجاج

وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُنْتَقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

مثلا (قلت) لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتي أو ما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك بما يوصف الله تعالى بكونه قادر أعليه كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه * والرميم اسم لما يلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من ثبتت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويرعون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (وهو بكل خلق عالم) يعلم كيف يخلق لا يتعاطمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلالها ودقاتها * ثم ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراض وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار. واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهم أغصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتندح النار بإذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذئبتات القصارين * قرئ الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فالتون منها البطون فشاربون عليه من الحميم * من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الإناس أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماة بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل المبتدأ وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (إنما أمره) (إذا أراد شيئا) إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أي فهو كأن موجود لا محالة (فإن قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من المسكنات وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع (فإن قلت) فساوجه القرامتين في فيكون (قلت) أما الرفع فلا نهاجلة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل فيتكون فثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الإعادة (فسبحان) تنزيه له عما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شيء) هو مالك كل شيء والمنصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لأعلم ما روى في فضائل يس وقراءتها كيف خصت

سورة الصافات مكية

وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ

بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحياه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

(سورة الصافات مكية)

وهي مائة وإحدى وثمانون آية وقيل واثنان وثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم) أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة من قوله تعالى وإنا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء وافقة منتظرة لأمر الله (فالزاجرات) السحاب سوا (فالتاليات) الكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجود وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواظع والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائع الله أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فإن قلت) ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات (قلت) إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله

يالهف زياية للحرث الصابح فالغائم فالآيب
كأنه قيل الذي صبح فغيم فآب وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكل واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المخلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات (فإن قلت) فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدد (قلت) إن وحدت الموصوف

القول في سورة الصافات

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا الآية (قال) في تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصافف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواظع عن المعاصي وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون في الحرب ويزجرون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر فإن قلت ما حكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تقع لثلاثة أوجه إما لتعاقب وقرع الصفات وجودا كقوله يالهف زياية للحرث الصابح فالغائم فالآيب أو على ترتبها لتفاوتها من بعض الوجوه كقولك اعمل الأحسن فالأجمل وإما لترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المخلقين فالمقصرين فعلى هذا إن وحدت الموصوف كانت الدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحَفَظْنَا
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ

كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وإن ثلثة فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت
هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فحفظها بالفاء يفيد ترتيبها لها في الفضل إما أن يكون الفضل للأص
ثم للزجر ثم للنلاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت الصفة الأولى على الطوائف
والثانية والثالثة على آخر فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاوجات
أفضل والثالثات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصفات الطير وبالزاوجات كل ما يجر عن معصية
وبالثالثات كل نفس تنلو الذكر فإن الموصوفات مختلفة ۖ وقرئ بإدغام الناء في الصاد والزاي والذال (رب السموات)
خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف و (المشارق) ثلثائة وستون مشرقا وكذلك المغرب تشرق الشمس كل يوم
في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين (فإن قلت) فماذا أراد بقوله «رب المشرقين
ورب المغربين» (قلت) أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما (الدنيا) القربى منكم ۖ والزينة مصدر كالنسبة واسم
لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواء ويحتملها قوله «بزينة الكواكب» فإن أردت المصدر فعلى إضافته
إلى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها
لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والاعمش وابن وثاب وإن أردت
الاسم فلا إضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد
ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها
المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسارها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب
بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة (وحفظا) مما حمل
على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلن كأنه قيل وحفظا (من كل شيطان) زينها بالكواكب وقيل
وحفظناها حفظا ۖ والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها ۖ الضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لأنه في معنى

ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها أن تعتقد أن صنفا مما ذكر في التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز
أولى الصفات وأفضلها أو على العكس ومعنى ثلثتها أن تجعل كل صفة لطائفة ويكون التفاضل بين الطوائف إما على
أن الأول هو الأفضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد جوز أن يكون ترتيبها في التفاضل على أن الأول وهو
الأفضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع ونحن نبينه فنقول وجه البداهة بالأفضل
الاعتناء بالأمم تقدم ووجه عكس هذا الترتيب من الأدنى إلى الأعلى ومنه قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ۖ على ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضى رتبة فإن هذا غاية أنه عذر وما ذكرناه يان لما فيه من مقتضى
البديع والبلاغة وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيويو والخليل في مثل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى فإنهما
يقولان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغيرهما يذهب إلى أنها حروف قسم فوقع الفاء في هذه الآية موقع
الواو والمعنى واحد إلا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقس
ۖ قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له

(قوله على ترتيب الموصوفات فيه) لعله الصفات (قوله من الطاعة المتملس منها) في الصحاح يقال انملس من الأمر إذا أفلت منه

إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَسَدٌ خَلَقَا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ *

الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد (فإن قلت) لا يسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافاً فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلاً لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقى أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأً اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدر أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقدوفون بالشهب مدحورون عن ذلك * إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقه فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب (فإن قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله ثلاثا يسمعون لحذف اللام كما حذف في قولك جئتكم أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعون فحذف أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهاذا الزاجرى أحضر الوغى (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأمّا اجتماعهما فنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فإن قلت) أى فرق بين سمعت فلا يأتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه (قلت) المعتدى بنفسه يفيد الإدراك والمعتدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملا الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملا الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفوا وقرأ أبو عبد الرحمن السلى بفتح الدال على قذفا دحورا طروداً أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوج والواصب الدائم وصب الأمر وصوباً يعنى أنهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذى (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف * وقرئ فأتبعه وفاتبعه * الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهى بمعنى الاستفهام فى

وأبطل أن يكون أصله ثلاثا يسمعون لحذف اللام وحذفها كثير ثم حذف أن وأهدر عملها مثل

ألا أيهاذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد للذات هل أنت مخلدى

واستبعد اجتماع هذين الحذفين وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائغاً ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصاً لما عليه أحوال المسترقة للسمع اه كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه حال الشيطان حال كونه محفوفاً منه حال كونه لا يسمع وإحدى الحالين لازمة للأخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفاً بعدم السماع فى حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه ونظير هذه الآية على هذا التقدير قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره * فقوله تعالى مسخرات حال ما تقدمه العامل فيه الفعل الذى هو سخر ومعناه مستقيم لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التى سخرت فيها هى الحال التى كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشار له الزحشرى فى هذه الآية قريب من هذا التفسير إلا أنه ذكر معه تأويل آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كمزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنو اعامن التسخير وفما ذكرناه كفاية ومن هذا النمط ثم أرسلنا رسلنا وهم كانوا رسلاً إلا بالرسال وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون إلا بالحفظ وأما الجواب عن إشكاله الثانى فورد حذفين فى مثل قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا وأصله ثلاثا تضلوا لحذف اللام ولا جميعاً من محليهما

بَلْ يَجْعَلُ وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ أَغْدَا مَتًّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعَظَمًا أَغْدَا لِمَبْعُوثُونَ ۖ أَوْ عَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ

أصلها فلذلك قيل (فاستفهم) أى استخبرهم (أهم أشد خلقا) ولم يقل فقرّهم والضمير لمشركى مكة قبل نزلت في أبى الأشد بن كادة وكفى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلّاقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الأشياء فاستفهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفهمهم أهم أشد خلقا أم الذى خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتحفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقّه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون ۖ وخلقهم (من طين لازب) لما شهداء عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فن أن استكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أنذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم ۖ وقرئ لازب ولاذب والمعنى واحد والثاقب الشديد الإضاءة (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (وهم) (يسخرون) منك ومن تعجبك وبما تريهم من آثار قدرة الله أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أنى عجبت منها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهالهم وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبت من أن ينسكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه (فإن قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى وإنما هو روعة تعترى الإنسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن مجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة إجابته لما لم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال إبراهيم النخعي إن شريحا كان يعجبه عليه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت (ولذا ذكروا) ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به (ولذا رأوا آية) من آيات الله البينة كأنشقاق القمر ونحوه (يسخرون) يبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل (إن) واسمها أو على الضمير في مبعوثون والذى يجوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أبيع أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قل نعم أى الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فإنما) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فما (هى) (إلا زجرة واحدة) وهى لا ترجع إلى شيء إنما هى مهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله زجر أبى عروة السباع إذا ۖ أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويتها (فإذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله احشروا من كلام الكفرة

(قوله من الكم وقنوطكم) الآلة يأتى بمعنى السرعة والأتين والفساد أفاده الصحاح

أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۖ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۖ مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ۖ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۖ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۖ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ۖ حَقَّقْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاقُونَ ۖ فَاعْبُدُونَا ۖ فَاعْبُدُونَا إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۖ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۖ إِنَّا كَذَّاكُ

بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و(هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جواباً لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نجازي بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرباهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم (فأهدوهم) فترفوهم طريق النار حتى يسلكوها ۖ هذاتكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلمهم مستسلم غير منتصر ۖ وقرئ لا تناصرون ولا تناصرون بالإدغام ۖ اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يقيمون بها فيها يصافحون ويمسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمين وأرادلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء ۖ وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه يمينه والمسيء أن يؤتاه بشماله استعيرت الجهة الخير وجانبه قليل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فضده عنه وأضله وجاء في بعض التفاسير من آياه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة والثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة (فإن قلت) قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازاً عن المجاز (قلت) من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذلك ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدونا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمسكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين إليه (وما كان لنا عليكم) من تسلط نسلبكم به تمسكنكم واختياركم (بل كنتم قوماً) مختارين الطغيان (حق علينا) فلزمنا (قول ربنا إنا لذائقون) يعني وعيد الله بأننا ذائقون لعذابه لاحتاله لعلهم يحالنا واستحقاقنا بالعقوبة ولو حكي الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل ۖ لقد زعمت هو وزن قل مالى ۖ

ولو حكي قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لا أخرجن ولنخرجن الهزمة لحكاية لفظ الحالف والناء لإقبال المحلف على المحلف (فاعبوناكم) فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغي لقبولكم لها واستجابتكم الغي على الرشد (إنا كنا غاوين) فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا (فإنهم) فإن الاتباع والمتوعين جميعاً (يوم القيامة) مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية (إنا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعني أن سبب العقوبة هو

نَفْعُ بِالْجَزْمِ . إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَاتِنَا لَشَاعِرِ
مُجْنُونٍ . بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ . إِنَّكُمْ لَذَاتُ قُوَّةٍ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ . فَوَاكُهُمْ مُسْكِرُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ .
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . بِيَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ . وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ

الإجرام فمن ارتكبه استوجبا (إنهم كانوا إذ) سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك (لشاعر
مجنون) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقاً لما بين يديه
وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله . ولا إذا كر الله إلا قليلاً بتقدير التنوين وقرئ على الأصل لذائقون
العذاب (إلا ما كنتم تعملون) إلا مثل ما علمتم جزاء سيئاً بعمل سيئ (إلا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء
المنقطع . فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى أن رزقهم كله فواكه لأنهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز
أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله (وهم مسكرون) هو الذى
يقوله العلماء فى حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوى الهمم كما أن
من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم . التقابل أتم للسور وآنس وقبل لا ينظر بعضهم
إلى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأساً قال . وكأس شربت على لذة . وعن الأخفش كل
كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه
الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء)
صفة للكأس (لذة) إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هى تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيد ووزنه
فعل كقولك رجل طب قال : ولذ كطعم الصرخدى تركته . بأرض العدا من حشية الحدائث

يريد النوم . الغول لمن غاله يغوله غولاً إذا هلكه وأفسده ومنه الغول الذى فى تكاذيب العرب وفى أمثالهم الغضب غول الحلم
(و ينزفون) على البناء للفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للبطعون نزف فوات
إذا خرج دمه كله ونزحت الركبة حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء وفى أمثالهم أجهن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف
الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال : لعمرى لئن أنزفتموا وصحرتوا . لبئس الندامى كنتموا آل أبجرا
ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكبته وحقيقتهما دخلا فى القشع والكب
وفى قراءة طلحة بن مصرف وينزفون بضم الزاى من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لأنها فساد قط من أنواع الفساد
التي تكون فى شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عريضة أو لغوا أو تأنيب أو غير ذلك ولاهم يسكرون وهو أعظم مفسدها
فأفرزه وأفرده بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم كقوله تعالى عرباً .

(قوله ولذ كطعم الصرخدى) شراب منسوب إلى صرخد وهو موضع نسب إليه الشهاب كما فى الصحاح
(قوله من نزف الشارب) فى الصحاح نزف ماء البئر نزفاً إذا نزحته كله ونزفت هى يتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضاً
على ما لم يسم فاعله (قوله من مغص أو صداع أو خمار) فى الصحاح الخمار بنية السكر (قوله ولاهم يسكرون) لعله ولاهم عنها
يسكرون (قوله كقوله تعالى عرباً والعين) أى متحبات إلى أزواجهن كما يأتى

الْطَّرَفِ عَيْنٌ * كَانَهُنَّ بَيضٌ مَسْكُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَدِ آنَلَ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ *
يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ * أَأَعْزَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا * أَعْنَا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ * فَأُطْلِعَ فَرَّاهُ
فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ *

والعين : النجل العيون ، شههن ببيض النعام المسكونون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسمين بيضات الخدور (فإن قلت) علام عطف قوله (فأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاق عليهم والمعنى يشربون فيتحدثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات إلا * أحاديث الكرام هي المدام

فيقبل بعضهم على بعض (يتساملون) عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جرى به ماضياً على عادة الله في أخباره * قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدد الصاد من التصديق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدي بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة خيراً منه فقال أنتك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئاً (لمدينون) مجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث : العاقل من دان نفسه (قال) يعني ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) إلى النار لآريكم ذلك القرن قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاضل بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع وفاضل بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرن فاطلع أنا أيضاً أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعتهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله :

* هم الفاعلون الخيرو والآمرونه * أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتأخيه بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر (في سواء الجحيم) في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي (إن) مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وفي قراءة عبدالله لتغوين (نعمة رب) هي العصمة والتوفيق في الاستمسك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء أو إزعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك الذي عطف عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلصون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بماتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يدقوا إلا الموتة الأولى بخلاف

* قوله تبارك وتعالى يطاق عليهم بكأس من معين إلى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساملون (قال) فيه معناه يتساملون فيتحدثون على الشراب كعادة الشرب : وما بقيت من اللذات إلا * أحاديث الكرام على المدام
* قوله تعالى هل أنتم مطلعون (قال) فاطلع على صبغة المضارع المنصوب قال في موجب هذه القراءة فإن معناها أنه لا يستبد بأمر دونهم فشرط في اطلاعه اطلاعتهم وذلك من آداب المجالسة

(قوله النجل العيون) في الصحاح النجل بالتحريك كشف العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل وفيه مدحى النعامة موضع بيضها وأدحيا موضعها وهو أفعال من دحوت لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه اه والأدحيا جمعه (قوله كعادة الشرب قال وما بقيت) جمع شارب كالصاحب جمع صاحب كذا في الصحاح

إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۚ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۚ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ۚ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۚ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۚ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَاسُ الشَّيْطَانِ ۚ فَإِنَّهُمْ لَا كُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ كَانُوا يَرْجِعُونَ ۚ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ۚ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ

الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ماشر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت . يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واعتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (إن هذا هو الفوز العظيم) أى إن هذا الأمر الذى نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ هو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أى خير حالا (أم شجرة الزقوم) وأصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن تجعله حالا كما نقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقال للنازل بالمكان من الرزق ومنه إنزال الجند لإرزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الأول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم أنه لاخير في شجر الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (في أصل الجحيم) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ۚ والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما استعاره لفظية أو معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تنافيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لا اعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صورته المصورون جاؤا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه فشبها به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وهذا تشبيه تخيلى وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل إن شجرا يقال له الآسن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمعت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين إلا قصدا إلى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به (منها) من الشجرة أى من طلعها (فماثلون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يفسرون على أكلها وإن كرهوها ليكون بابا من العذاب فإذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد شوبه أى مزاجه (من حميم) يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول تسمية بالمصدر (فإن قلت) ما معنى حرف التراخي في قوله ثم إن لهم عليها لشوبا وفي قوله (ثم إن مرجعهم) (قلت) في الأول وجهان أحدهما أنهم يملأون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملي تعذبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بتم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني أنهم يذهب بهم عن مقارمهم ومنازلهم في الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها إلى شجرة الزقوم فياكلون إلى أن يتملأوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى

(قوله ما يقال للنازل بالمكان) لعله ما يقام كعبارة النسفي (قوله لساكن الدار السكن) في الصحاح السكن كل ما سكنت إليه

لِإِلَى الْجَحِيمِ • إِنَّهُمْ الْقَوَا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ • فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ • وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ •
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ • فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ • وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلْنَعْمِ
الْمُجِيبُونَ • وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى
نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ • وَإِنَّ مِنْ
شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ • إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ • إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ • أَفِئْسَكَ إِلَهًا دُونَ اللَّهِ

دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن منفذهم إلى الجحيم علل استحقاقهم
للقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم لإيائهم على الضلال وترك اتباع الدليل والإهراف الإسراع
الشديد كأنهم يحشون حشا وقيل إسراع فيه شبه بالردة (ولقد ضلّ قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم
العواقب (المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (إلا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله
أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين • لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر
نوح ودعائه إياه حين آتس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره فوالله لنعم المجيئون نحن • والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة وأوصلها إلى
مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والإنتقام منهم بأبلغ ما يكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم
فقد روى أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة قال قتادة الناس
كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام
أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث أبو الترك وأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الأمم هذه
الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة
أنزلناها (فإن قلت) فما معنى قوله (في العالمين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعاً وأن لا يخلو أحد
منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم • علل مجازاة نوح
عليه السلام بتلك التكرمة السنة من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسناً ثم علل كونه محسناً
بأنه كان عبداً مؤمناً لربك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد
منه (من شيعته) ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعها أو شايعه على التصلب في دين الله ومصارفة
المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى
سنته وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة • (فإن
قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما في الشيعة من معنى المشايعة يعنى وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه
بقلب سليم لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص
لأنه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فإن قلت) مامعنى المجيء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه
أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلاً لذلك (أفكاً) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكاً
وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الآهم عنده أن يكافهم بأنهم على إفك
وباطل في شركهم ويجوز أن يكون إفكاً مفعولاً يعنى أتريدون به إفكاً ثم فسر الإفك بقوله آلهة من دون الله على أنها

تُرِيدُونَ ۖ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۖ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۖ فَقَوْلُوا عَنْهُ مُدِيرِينَ ۖ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۖ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۖ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۖ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ۖ قَالَ اتَّعْبِدُونَ مَا تَنْتَحُونَ ۖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۖ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۖ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا

إفك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أنريدون آلهة من دون الله أفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام والمعنى أنهم لا يقدر فيهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أي شيء وهو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبتهم غيره (في النجوم) في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب أنظر إليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه ، كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بأماره في علم النجوم على أنه يسقم (فقال إنني سقيم) إنني مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل (فإن قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى والذي قاله إبراهيم عليه السلام معارض من الكلام ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ۖ ليصحنى فإذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل أراد : إنني سقيم النفس لكفركم (فراغ إلى آلهتهم) فذهب إليها في خفية من روعة الثعلب ، إلى آلهتهم : إلى أصنامهم : التي هي في زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائي (ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون) استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبادتها (فراغ عليهم) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضرهم (ضربا) لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضرهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفعاً وسفعاً ومعناها الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا شديدا قويا لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّها وقيل بالقوة والمثانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لا كيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف إذا دخل في الزفيف أو من أزفه إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للفعول أي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم إليه (فإن قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بألهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليسكفوه ويوقعوه به وذكر ثم إنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا إبراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر أنهم استدلوا بذمته على أنه الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفرأ منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشتأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك نفر نيمحة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون لإقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسألهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعني خلقكم

(قوله من زفاه إذا حداه) أي ساقه فأداه الصحاح (قوله فلما رجع الجمهور والعلية) أي العظاء

وخلق ما تعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن أى فطر الأصنام (فإن قلت) كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله معمولاً لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعاً (قلت) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسى وعمل الصانع السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورتها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال تخالف جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذى يريدونه (فإن قلت) فما أنكرت أن تكون مامصدرية لاموصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة (قلت) أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إياه جلياً وينوعه نواظراً وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعاً خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله لولا ما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن محتجاً عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما فى ما تنحتون موصولة لامقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر فى علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن (فإن قلت) اجعلها موصولة حتى لا يلزمنى ما ألزمت وأريد ما تعملونه من أعمالكم (قلت) بل الإلزامان فى عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك فى إرادتك بها العمل غير محتج على المشركون كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضاً فإنك قاطع بذلك الوصلة

قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون (قال) فيه يعنى خلقكم وما تعملون من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله تعالى معمولاً لهم ٥ وأجاب بأن هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكله لا جوهره وكذلك الأصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى وأشكالها وصورتها معمولة لهم ٥ فإن قلت ما منعك أن تكون مامصدرية لاموصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة ٥ وأجاب بأن أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية يأباه فإن تعالى احتج عليهم بأنه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود ٥ قال ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن للكلام طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون شرحه فى قوله أتعبدون ما تنحتون ولا مقال فى أن ما هذه موصولة بالفرقة بينهما تعسف وتعصب ٥ قال فإن قلت اجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم وحيث توافق الأولى فى أنها موصولة فلا يلزمنى التفرقة بينهما وأجاب فقال بل الإلزامان فى عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فهى واقعة عندك على المصدر الذى هو جوهر الصنم وفى ذلك فك للنظم وتبني كما لو جعلتها مصدرية اه كلامه (قلت) إذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل فنقول يتعين حملها على المصدرية وذلك أنهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعاونوا فى تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورتها التى هى أثر عملهم فى الحقيقة أنهم عبدوا عملهم وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله مع أن المعبود كسب العابد وعمله فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون مامصدرية أو موصولة أو بغير قيام وأبلغه فإذا أثبت ذلك فليتبع كلامه بالإبطال أما قوله أنها موصولة وأن المراد بعملهم لها عمل أشكالها فخالف للظاهر فإنه مقتدر إلى حذف مضاف فى موضع اليأس يكون تقديره والله خلقكم وما تعملون

(قوله فإن قلت فما أنكرت) لعله لم أنكرت (قوله كما تقول المجبرة) يريد أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه لا خالق إلا الله فهو الخالق لعمل العبد والمعتزلة يقولون إن العبد هو الخالق لعمل نفسه فجعلوا العبد شريكاً لله فى الخالقية مع أنهم سمو أنفسهم أهل العدل والتوحيد قالوا لو كان الله هو الخالق لفعل العبد لكان تعذيبه للعبد على المعاصى ظليلاً لا عدلاً قال أهل السنة يعذبه عليها كما يثيبه على الطاعة لماله فيهما من الكسب والاختيار فلا ظلم لكن المعتزلة لم ينظروا فى التوحيد تمام النظر ولم يتصوروا أدلته تمام التبصر (قوله وخلق عملكم لم يكن محتجاً عليهم) يكفى فى الاحتجاج أن الله هو الخالق لهم ولا عملهم فى الأصنام وغيرها والأصنام لا تخلق شيئاً بل الأفراد بالخالفية أدل على الأفراد بالإلهية

فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ ۖ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ۖ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۚ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَسَّىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَسَّىٰ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

بين ما تعملون وما تحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبنيه كما إذا جعلتها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم ۖ والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألهمهم به الحجر وقهرهم فقالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه ۖ أراد بذهابه إلى ربه مهاجرة إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي (سيدين) سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويعصمني ويوقني كما قال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله ولو قصد الرجم والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (هب لي من الصالحين) هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الآخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نيا قال عز وجل ووهبنا له إسحاق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هنأه بولده علي أبي الأملك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب ۖ وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أو أن الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال استجدي إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله إن إبراهيم لأقواه حلیم إن إبراهيم لأقواه حلیم لأن الحادث شهد بحلمها جميعا ۖ فلما بلغ أن يسمى مع أبيه في أشغاله وحوائجه (فإن قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لا يخلو إيمان يتعلق يبلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه يبلغ لاقتضائه بلوغهما معاخذ السعي ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبق أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحمّله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشر سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقبله في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال

شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم فها هو من عملهم وهو الشكل ليس بمعبود ألهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قررناه يتضح وأما قوله إن المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فقير صحيح فإن لنا أن نحمل الأولى على أنها مصدرية وأنهم في الحقيقة إنما عبدوا نحتهم لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة إذا حاصلة والإلزام على هذا أبلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا كما يقول الزنخري مكافئين لقوله والله خلقكم وما تعملون بأن يقولوا لا ولا كرامة ولا يخلق الله ما نعمل نحن لأننا إنما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله وكانوا يجدون الذريعة إلى اقتحام الحجة ويأبى الله إلا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الأكاذيب الفارغة فهذا إلزام بل إلجام لمن خالف السنة وغلّ بعنقه وعقر بكشفه وضرب على يده حتى يرجع إلى الحق آييا ويعترف بخطئه تابعا

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ * وَنَدِيْنَهُ أَنْ يَأْبُرَ هِيْمَ * قَدْ صَدَّقَت الرُّمِيَا
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدِيْنَهُ بِذِيْنِ عَظِيْمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ *

تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم أتى في المنام فقيلاً له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحي في اليقظة فلماذا قال (إني أرى في المنام أني أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول המתحن وقد رأى أنه راكب في سفينة رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قاتلاً يقول له إن الله يأمرك بذيبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بسلام حلیم قال هو إذن ذبيح الله فلما ولدو بلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك (فالنظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى أي ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للفعول أي ماذا تريدك نفسك من الرأي (افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به بخذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به وأمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أسراً وقرئ ما تؤمر به (فإن قلت) لم شاورة في أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاورة ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله قيبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ولأن المغافضة بالذبح مما يستسمح وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاورة آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فإن قلت) لم كان ذلك بالمانم دون اليقظة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام يحود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحى إلى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفرد أحدهما * يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعاً إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خصل له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في أسلم أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع أحد جنبيه على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التي بنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضعاف في المنحر الذي ينحرفه اليوم (فإن قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلموا وتله للجبين (ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسب في تضاعيفه يتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله (إننا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتحويل ما خولها من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغيه بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التي لا تحته أصعب منها * الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الكبش الذي قرب به إيل قبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل وعن الحسن فدى بوعل أبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجنة سمين وهي السنة في الأضاحي وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فإنها

(قوله وقرئ ماذا ترى) لعله بضم التاء وكسر الراء من أراه يريه فليحرر (قوله المغافضة) في الصحاح غافضت الرجل أي أخذته على غرة (قوله تواضعاً على مباشرة الأمر) أي توفقاً (قوله بوعل) في الصحاح الوعل الأروى اه ويقال التيس الجلبى

على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال ابراهيم عليه السلام الله أكبر والله الحمد في سنة وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه وقال يا بني خذ الحبل والمدينة وانطلق بنا إلى الشعب نختطب فلما نوا سطا شعب ثبير أخبره بما أمر فقال له اشد رباطي لأضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجرى وتراه أمي فتحزن واشخذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلق حتى تجهز على ليكون أهون فإن الموت شديد واقرأ على أمي سلامي وإن رأيت أن ترد قيصي على أمي فاقبل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لأن الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كني على وجهي فإنك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدركت رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فظفر فإذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش و ابراهيم وابنه وأقى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصله وضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فإن قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين أنه إسماعيل والحجة فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر الله لئن سهل الله له أمرها ليدبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله ففعله أخواله وقالوا له أفديناك بمائة من الإبل فقدها بمائة من الإبل والثاني إسماعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان يجتهد بنو إسرائيل يقول إذا دعا اللهم إله ابراهيم وإسماعيل وإسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب ما يجتهد بنو إسرائيل إذا دعا قال اللهم إله ابراهيم وإسماعيل وإسرائيل وأنا بين أظهرهم فقد أسمعني كلامك واصطفيتني برسالك قال يا موسى لم يحبني أحد حب ابراهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط إلا اختارني وأما إسماعيل فإنه جاد بدم نفسه وأما إسرائيل فإنه لم ييأس من روحى في شدة نزلت به قط يدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه بإسحاق نبيا وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو إسماعيل فقال عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه وإنى لأراه كما قلت ثم أرسل إلى يهودى قد أسلم فسأله فقال اليهود لتعلم أنه إسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت وعن الأصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان إسحاق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق في قوله وإسماعيل والبسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله إنه كان صادق الوعد لانه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولأن الله بشره بإسحاق وولده يعقوب في قوله فضحكك فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفا للوعد في يعقوب وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه إسحاق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوهمه ولدا ثم أتبع ذلك البشارة بسلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (فإن قلت) قد أوحى إلى ابراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح

• قوله تعالى قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم (قال) فيه فإن قلت قد أوحى إلى ابراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح • فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقة ولكن الله

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ *

(قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقة ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ويجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أو أن الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فإن قلت) الله تعالى هو المقتدى منه لانه الأمر بالذبح فكيف يكون قاديا حتى قال وفديناه (قلت) القادى هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدى به وإنما قال وفديناه إسناد للفداء إلى السبب الذى هو الممكن من الفداء بهيته (فإن قلت) فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء إنما هو التخليص من الذبح بيد (قلت) قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فرى الأوداج وإنهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل واسكن في نفس الكبش بدلا منه (فإن قلت) فأى فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالنذور وإيجاد المأمور به من كل وجه * (فإن قلت) لم قيل ههنا (كذلك نجزي المحسنين) وفي غيرها من القصص إنا كذلك (قلت) قد سبق في هذه القصة إنا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فإن قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول، والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيا وليس كذلك المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة لأن الحال حلية والحلية لا تقوم إلا بالمحلى وهذا المبشر به الذى هو إسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أوبه فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لأن المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فإنه لا سبيل

سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ويجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أو أن الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام عليه انتهى كلامه (قلت) كل ما ذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة وأما أهل السنة فيثبتون جوازه لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل لجواز رفعه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لامتددة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل أفعول ما تؤمر ونسخ قبل التمكن بدليل العدول إلى الفداء فن ثم تحوم الزخشرى على أنه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقة وإنما امتنعت بأمر من الله تعالى وغرضه بذلك أحد أمرين إما أن يكون الأمر إنما توجه عليه بمقدمات الذبح حصلت لا بنفس الذبح أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن وكلا الأمرين لا يخلصه أمّا قوله أمر بمقدمات الذبح فبالباطل بقوله إني أرى في المنام أني أذبحك وقوله أفعول ما تؤمر وأما قوله لم يتمكن لأن الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح فخالصه أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ إذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم وهو باطل لا يثبت له وسياق الآية يحل دعواه ويقول ثنياه

(قوله عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم) لعله فتقديره

وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ۖ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَنَجَّيْنَاهُمَا
وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۖ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَهَدَيْنَاهُمَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَيْنَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ
لَهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ
أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ۖ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ۖ
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَيْنَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ إِلْيَاسَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ

إلى أن تكون موجودة أو مقطرة وقت وجود البشارة بإسحق لعدم إسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السالك ضيق المسلك
والذي يحل الإشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود إسحق نبياً أي بأن يوجد مقطرة
نبوته فالعامل في الحال الوجود لافعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين (من الصالحين) حال
ثانية وورودها على سبيل الثناء والتعريض لأن كل نبي لابد أن يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة إسحق بعد
ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح إسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه بإسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره
الله بمولده ونبوته معا لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبياً (وباركنا عليه وعلى إسحق) وقرئ وباركنا
أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على إبراهيم
في أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال
عهدي الظالمين وفيه تنبيه على أن الخبث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر
وهذا ما يهدم أمر الطابع والعناصر وعلى أن الظلم في أعقابها لم يعد عليهما يعيب ولا نقصة وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله
ويعاتب على ما اجتاحت يده لا على ما وجد من أصله أو فرعه (من الكرب العظيم) من العرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم
(ونصرناهم) الضمير لهما ولقومه هما في قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال وإنا أنزلنا
التوراة فيها هدى ونور، وقال من جواز أن تكون التوراة عربية أن تشق من وري الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة
من واو (الصراط المستقيم) صراط أهل الإسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۖ
قرئ إلياس بكسر الهمزة واليأس على لفظ الوصل وقيل هو إدريس النبي وقرأ ابن مسعود وأن إدريس في موضع إلياس
وقرئ إدريس وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كناية
وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه فتوا به وعظموه حتى أخذموه أربعاً ساداً وجعلوه أنبياء
فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد
الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول
وتتركون عبادة الله (الله ربكم ورب آبائكم) قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف
رفع ۖ وقرئ على الياسين وإدريسين وإدراسين وإدريس على أنها لغات في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية
معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به إلياس وقومه كقولهم الخبيون والمهلبون (فإن قلت) فهلا حملت على
هذا الياسين على القطع وأخواته (قلت) لو كان جمعاً لعرف بالآلف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن ياسين

(قوله وغشمهم) في الصحاح الغشم الظلم (قوله أن تشق من وري الزند) لعله يجوز أن تشق

وَأَنَّ لُوطًا مِّنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ * فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ

اسم أبي الياس أضيف إليه الآل (مصبحين) داخلين في الصباح يعني تمرّون على منازلهم في متاجرهم إلى الشام أيلاً ونهاراً فما فيكم عقول تعتبرون بها * قرئ يونس بضم النون وكسر ها * وسمى هر به من قومه بغير إذن ربه إباحة على طريقة المجاز * والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم إذا اقترعوا * والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روى أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد أبى من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها أبى لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء (فالتمقه الحوت وهو ملهم) داخل في الملامة يقال رب لا ثم ملهم أى يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ ملهم بفتح الميم من لهم فهو ملهم كما جاء مشيب في مشوب مبنياً على شيب ونحوه مدعى بناء على دعى (من المسبحين) من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتفديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكاً وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد (البث في بطنه) الظاهر لبث فيه حياً إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة وروى أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت : إني جعلت بطنك له سجيناً ولم أجعله لك طعاماً . واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوماً وعن الضحاك عشرون يوماً وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلاً ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقم فيه * وروى أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالمًا لم يتغير منه شيء فأسلموا وروى أن الحوت قد فذبه بساحل قرية من الموصل * والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه (وهو سقيم) اعتلّ ساحتاً به وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد * واليقتين كل ما ينسحق على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعل من قطن بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء . فائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطي بورقها واستظل بأغصانها وأطرى على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وروى أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعاً فأوحى الله إليه بكيت على شجرة ولا تبكى على مائة ألف فيدالكافر (فإن قلت) مامعنى وأنبأنا عليه شجرة (قلت) أنبأنا هافوقه مظلة له كما يطنب البيت على الإنسان (وأرسلناه إلى مائة ألف) المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين أو إلى غيرهم وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النبي إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقبلاً فيهم وقال لهم إن الله باعث إليكم نبياً (أو يزيدون) في مرأى الناظر أى إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف

شَهِدُونَ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۖ وَلَدَ اللَّهُ وَلَانَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۖ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۖ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۖ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مِّبِينَ ۖ فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ۖ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۖ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ فَإِنَّكُمْ

بالكثرة (إلى حين) إلى أجل مسمى وقرئوا يزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً ثم ساق الكلام موصولاً ببعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن وأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام والثاني تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضاع الجنسين له وأرفعها لهم كما قال «وإذا بشر أحدهم بمرضب الرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين» والثالث أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم ولوقيل لأفلهم وأدانهم فيك أنوثته أو شكك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولا تقلبت حاليقه وذلك في أهاجهم بين مكشوف فكثرة الله سبحانه الأنواع كلها في كتابه ميزات ودل على فظاعتها في آيات «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً» لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه» وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض» بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد» وألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله» وجعلوا له من عباده جزءاً» ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون» وألم البنات ولكم البنون» ويجعلون لله ما يكرهون» وأصطفى البنات على البنين» وأم اتخذنا ما نخلق بنات وأصفاً كم البنين» وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً» (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) (فإن قلت) لم قال وهم شاهدون غصص علم المشاهدة (قلت) ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله «أشهدوا بخلقهم» ونحوه قوله «ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم» وذلك أنهم كالم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموا بخلق الله عليه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولاً عن شبح صدر وطمانينة نفس لا فراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم» وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى (فإن قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات (قلت) جعله من كلام الكفرة بدلاً عن قولهم ولد الله وقد قرأها حمزة والأعمش رضى الله عنهما وهذه القراءة وإن كان هذا يحملها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتشف هذه الجملة من جانبها وذلك قوله ولأنهم لكاذبون (مالككم كيف تحكمون) فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين» وقرئ تذكرون من ذكر (أم لكم سلطان) أى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله (فاتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم في ذلك كقوله تعالى «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون» وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع واستبعاد لا قابلية شديداً ما الأساليب التي وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجب من أن يخطر بخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفساً فضلاً أن يجعله معتقداً ويتظاهر به مذهباً (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نسباً) وهو زعمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة (فإن قلت) لم سمي الملائكة جنساً (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً أكله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً أكله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضاع منهم وتقصير أبهم وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا

(قوله ولا تقلبت حاليقه) في الصحاح حلاق العين باطن أجفانها الذى يسوده الكحل اه

وَمَا تَعْبُدُونَ ۖ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۖ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۖ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مُقَامٌ مَّعْلُومٌ ۖ وَإِنَّا لَنَحْنُ
الْصَّافُونَ ۖ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۖ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ۖ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ

منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب
من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقرّيه فيقول لك أتسوى بيني وبين عبدى وإذا ذكره
في غير هذا المقام وقوله وكنهه ۖ والضمير في (إنهم لمحضرون) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة
أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين
ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله والشيطان أخوان وعن الحسن أشركوا الجن
في طاعة الله ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في أنهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار
ويعذبهم ولو كانوا مناسين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه
ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون أى يصفوه
هو لا بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به ۖ والضمير في (عليه) لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبودكم ما أنتم وهم جميعاً
بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فإن قلت) كيف يفتنونهم على الله
(قلت) يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان كما تقول أفسدها عليه وخيبها عليه ۖ
ويجوز أن يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضعته
وأن كل رجل وضعته جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مستداً الخبر لأن معناه فإنكم
مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهنكم أى فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبدون
(بفاتنين) يباغثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال (إلا من هو) ضال مثلكم أو يكون في أسلوب قوله

فإنك والكتاب إلى على ۖ كدابة وقد حمل الأديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام
التعريف (فإن قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو ۖ قلت من موحد اللفظ بجمع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون
على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني أن يكون أصله صائل على القلب
ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفاً ويجرى الإعراب على عينه كما حذف
من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الحوار
المنشآت بإجراء الإعراب على العين (ومامنا) أحد (إلا له مقام معلوم) تحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه
كقوله ۖ أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ۖ بكفى كان من أرمى البشر ۖ مقام معلوم مقام في العبادة وال انتهاء إلى أمر الله مقصور
عليه لا يتجاوز كما روى فهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه (نحن الصافون) نصف أقدامنا في الصلاة
أو أجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل إن المسلمين إنما اصطقوا
في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون
أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله
ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان
الله فزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهنكم لا تقدر
أن تفتنوا على الله أحداً من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول

(قوله بكفى كان من أرمى البشر) لعله وقوله بكفى الخ

الْمُخْلِصِينَ ۖ فَكُفِّرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۖ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۖ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۖ قَتَلْنَا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۖ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ۖ أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ

الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسين لرب العزة ويجمعنا وإياه جنسية واحدة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين بمجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة يسبحون الله وينزهونه مما يضيف إليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه ۖ هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكرا) أى كتابا (من) كتب (الأولين) الذين نزل عليهم النوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا لحاجهم الذكر الذى هو سيد الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام ۖ وإن هى الخفيفة من الثقلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكلم بين أول أمرهم وآخره ۖ الكلمة قوله (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وإنما سماها كلمة وهى كلمات عدة لأنها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة ۖ وقرئ كلما تناو المراد الموعد بعلمهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهم زامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثالا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي فى حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة ۖ وفى قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت (قتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذامهم (حتى حين) إلى مدة يسيرة وهى مدة السكف عن القتال وعن السدى إلى يوم بدر وقيل الموت وقيل إلى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصر والتأييد والثواب فى العاقبة والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفى ذلك تسلية له وتنقيس عنه وقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف لا للتبعيد ۖ مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصائحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت فى وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التى نحس بها ويروك موردها على نفسك وطبعك إلا لجيئها على طريقة التمثيل ۖ وقرأ ابن مسعود فبئس صباح ۖ وقرئ نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس

(قوله لا لتقديره وإرادته تعالى) مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يقدر الشر ولا يريده وقال أهل السنة إن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره كما بين فى التوحيد (وقوله وكما يجب على العباد بربهم) لعله كما يجب كعبارة النسي (قوله ولا يلزم انهم زامهم) أى لا يرد نقضا للغلبة والنصر (قوله وأغض على أذامهم) فى الصباح الإغضاء إدناء الجفون (قوله ونزل على ونزل العذاب) لعله على نزل العذاب فيكون بياناً للقراءة نزل بالتشديد مبنياً للمفعول

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ • وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ • وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ • سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

سورة ص مكية

وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ • بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ • كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضي الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخيس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين • وإنما أتى (وتول عنهم) ليكون تسلية على تسلية وتأكيذاً لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقيد بالمفعول وأنه يبصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالأخر عذاب الآخرة • أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه مامن عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء • اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فغنمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قبض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمينات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأول في من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين

(سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم الله لأفعلن كذا بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجز كقولهم الله لأفعلن بالجز وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ ص بالجز والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره واته عن نواهيه (فإن قلت) قوله ص (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منظم فإوجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبية على الإعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كما قال والقرآن ذى الذكر أنه لسكلام معجز والثاني أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعني هذه

قَبْلِهِمْ مَنْ قَرَنَ فَنَادُوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۖ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ

السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسما بها وعظفت عليها والقرآن ذي الذكر جازلك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتسكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقهما وقرئ في غرة أى في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكتنا) وعيد لنوى العزة والشقاق (فنادوا) فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحياء ولم يبرز إلا أحد مقتضياتها إما الاسم وإما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنى الأحياء و (حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينصب بعده بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص ويرفع بالابتداء أى ولا حين مناص كما تن لهم وعندهما أن النصب على وولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص والرفع على وولات حين مناص حاصل لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زيد الطائي طلبوا صلحنا وولات أوان ۖ فأجبنا أن لات حين بقاء

(فإن قلت) ما وجه الكسر في أوان (قلت) شبه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل وولات أوان صلح (فإن قلت) فأتقول في حين مناص والمضاف إليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا إلى غير متمسك وقرئ وولات بكسر التاء على البناء كجبر (فإن قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملزمة بحين في الإمام لا متشبث به فكيف وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر: غمر الجراء إذا قصرت عناته ۖ يبدى استناص ورام جرى المسجل (منذر منهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا إظهار للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقوا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا بلغ من أن يسموا من صدقه الله بوجه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته ۖ روى أن إسلام عمر رضي الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحاشديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرايتم إن أعطيتكم ما سألتهم أمعطى أتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشر أى نعطيكمها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله

(قوله ورام جرى المسجل) في الصحاح الحمار الوحشى (قوله يسألونك السؤال فلا تمل) لعله السواء كافي عبارة النسفي

كَذَابٌ ۖ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۚ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ
 آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۚ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ۚ فَأَنزَلْ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ
 يَنِينًا بَلٌّ لِّمَن فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ۚ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۚ أَمْ

فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب) أى بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله تعالى
 مكرراً كباراً وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله أجعل الآلهة إلها واحداً مثل قوله وجعلوا
 الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال اجعل الجماعة
 واحداً في قوله لأن ذلك في الفعل محال (الملائ) أشرف قریش يريدوا انطلقوا عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلاحيلة لكم في دفع أمر محمد (إن هذا) الأمر
 (لشيء يراد) أى يريد الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو أن هذا الأمر
 لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكك لنا منه أو أن دينكم لشيء يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ۚ وأن
 بمعنى أى لأن المطلقين عن مجلس التناول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان الاطلاق مضمناً
 معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أى أكثروا واجتمعوا من مشيت المرأة
 إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتناول كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ۚ ومعنى
 واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لاتزالوا عنها ۚ وقرئ وانطلق الملائمة امشوا بغير أن على
 إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملائمة يمشون أن اصبروا (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملال لأن
 النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أوفى ملة قریش التي أدركتنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على
 أن يجعل في الملة الآخرة حالاً من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كإي الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهنة
 أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ۚ ما (هذا إلا اختلاق) أى افتعال وكذب ۚ أنكروا أن يختص بالشرف من بين
 أشرفهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار
 ترجمة عما كانت تعلی به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوة من بينهم (بل هم في شك) من القرآن يقولون
 في أنفسهم أما وأما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا
 عذاب) بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حيثئذ يعنى أنهم لا يصدقون به إلا لأن يسهم العذاب مضطرين

(القول في سورة ص) (بسم الله الرحمن الرحيم) ۚ قوله تعالى وانطلق الملائمة أن امشوا واصبروا على آلهتكم
 إن هذا لشيء يراد (قال) فيه معناه اصبروا فلاحيلة لكم في دفع أمر محمد إن هذا لشيء يراد أى يريد الله ويحكم بامضائه
 وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر اه كلامه ۚ قوله تعالى أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك
 من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (قال معناه لم يذوقوه بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم الخ) قلت ويؤخذ منه أن لما
 لائحة بالجواب وإنما ينفي بها فعل يتوقع وجوده كما يقول سيويه وفرق بينها وبين لم بأن لم نفي لفعل يتوقع وجوده
 لم يقبل مثبتة قد ، ولما نفي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبتة قد وإنما ذكرت ذلك لأنى حديث عهد بالبحث في قوله
 عليه الصلاة والسلام الشفعة فيما لم يقسم فإني استدلت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل القسمة فقليل إن غايته أنه
 أثبت الشفعة فيما نفي عنه القسمة فأما لأنها لا تقبل قسمة وإما أنها تقبل ولم تقع القسمة فأبطلت ذلك بأن آله النفي المذكورة

(قوله ضموا فواشيكم) بقيته في الصباح حتى تذهب حمّة العشاء (قوله أنكروا أن يختص بالشرف) لعله أنكروا كإي النسق

لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جُنْدٌ مَّا هُنَاكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝

إلى تصديقه (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعني ما هم بما لكي خزائن الرحمة حتى يصيدوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا ويتخيروا للنوبة بعض صناديدهم ويرفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام ۝ وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها ما وقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أمهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض) حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي تنص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النوبة دون من لا تحق له (فليرتقوا في الأسباب) فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستولوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوته الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خسأة عن ذلك بقوله (جند ما هُنَاكَ مهزوم من الأحزاب) يريد ما هم للاجيش من الكفار المتحزبون على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثر ثلما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره ۝ إلا أنه على سبيل الهزء

وهناك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك (ذو الأوتاد) أصله من ثبات البيت المطنّب بأوتاده قال

والبيت لا يبنى إلا على عمد ۝ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل كان يشجع المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمدّه بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وجبال يلعب بها بين يديه (أولئك الأحزاب) قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب ۝ ولقد

لمو مقتضاها قبول المحل الفعل المنفي وتوقع وجوده الأتراك تقول الحجر لا يتكلم ولو قلت الحجر لم يتكلم لكان ركيكا من القول لإفهامه قبوله للكلام ۝ قوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب (قال) ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النوبة دون من لا يستحق فليرتقوا في المعارج والطرق الموصلة إلى العرش حتى يستولوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوته الله تعالى وينزلوا الوحي على من يختارونه قال ثم خسأهم بقوله جند ما هُنَاكَ مهزوم من الأحزاب معناه إن هؤلاء إلا جند متحزبون على النبي صلى الله عليه وسلم عما قليل يهزمون ويولون الأدبار اه كلامه (قلت) الاستواء المنسوب لله ليس مما يتوصل إليه بالصعود في المعارج والوصول إلى العرش والاستقرار عليه والتمكين فوه لأن الاستواء المنسوب إلى الله تعالى ليس استواء استقرار بجسم تعالى الله عن ذلك وإنما هو صفة فعل أي فعل فيه فعلا سماه استواء هذا تأويل القاضي أبي بكر وليست عبارة الزمخشري في هذا الفصل مطابقة للفصل على جاري عادته في تحرير العبارة على مراده ۝ قوله تعالى أولئك الأحزاب (قال فيه قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد التكذيب منهم اه كلامه) قلت وفي تكرار تكذيبهم فائدة أخرى وهي

(قوله ثم خسأهم خسأة) في الصحاح خسأت الكلب خسأ طردته وخسأ بنفسه يتعدى ولا يتعدى (قوله وقيل كان يشجع المعذب) أي يمدّ أفاده الصحاح

إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ حَقَّ عِقَابٍ * وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ مَّا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا بَعَثَ لَنَا طَاقِنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ * أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا نَنْخَرِطُكَ الْجِبَالِ مَعَهُ يَسْبَحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ

ذكر تكذيبهم أولافى الجملة الخبرية على وجه الإيهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفى تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إيهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (حق عقاب) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء) أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أولأنهم كالحضور عند الله * والصيحة النفخة (وما لها من فواق) وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلقى الخالب ورضعى الراضع يعنى إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدار إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة لحسب لائتى ولا تردد * القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسرهما قوله تعالى (عجل لنا قطنا) أى نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها وعجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (فإن قلت) كيف تطابق قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما على صاحبه (قلت) كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله فى أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكاؤه الدائم وغمه الواصب ونقش جنائته فى بطن كفه حتى لا يزال يحدد النظر إليها والندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أوقاله صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغى مالتى (ذا الأيد) ذا القوة فى الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل شيء ما يتقوى به (أواب) تواب رجاء إلى مرضاة الله (فإن قلت) مادلك على أن الأيد القوة فى الدين (قلت) قوله تعالى إنه أواب لأنه تعليل لذى الأيد (والإشراق) ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طائوس عن ابن عباس قال هل

أن الكلام لما طال بتعدد آحاد المكذبين ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم كرر ذلك مصحوبا بالزيادة المذكورة ليلي قوله تعالى فحق عقاب على سبيل الطريقة المعتادة عند طول الكلام وهو كإفادته فى قوله وكذب موسى حيث كرر الفعل ليقترن بقوله فأملت للكافرين * قوله عز وعلا * يسبحن بالعشى والإشراق (قال) الإشراق حين تشرق الشمس أى يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن

يُجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا نخرجنا له الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسى من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية يسبحن بالعشي والإشراق وكان لا يصلى صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس إني لأجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهاه بالشروق • ويسبحن في معنى ومسبحات على الحال (فإن قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكان السامع محاضراً تلك الحال يسمعا تسبيح ومثله قول الأعشى • إلى ضوء نار في يفاع تحرق • ولوقال محرقة لم يكن شيئاً وقوله (محشورة) في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء جرى به اسماً لافعلاً وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء والحشر هو الله عز وجل لكان خلفاً لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبّحت فذلك حشرها • وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أبواب) كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسيبته مسبّح لأنها كانت تسبّح بتسيبته ووضع الأبواب موضع المسبّح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع وإما لأن الأبواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عاداته أن يكثّر ذكر الله ويديم تسيبته وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أبواب أى مسبّح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قوّيناه قال تعالى شددت عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة أن رجلاً ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن إقامة

عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في وقت الشروق ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهاه بشروق الشمس اه كلامه (قلت) الوجه الثانى يفرق بين العشي والإشراق فإن العشي ظرف بلا إشكال فلو حمل الإشراق على الدخول في وقت الشروق لكان مصدرأ مع أن المراد به الظرف لأنه فعل الشمس وصفتها التي تستعمل ظرفاً كالطلوع والغروب وشبهها • عاد كلامه إلى قوله تعالى يسبحن (قال فيه إن قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع كان حالاً وأجاب بأن اختيارهما لمعنى وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيئاً بعد شيء كأن السامع محاضراً فيسمعا تسبّح ومنه قول الأعشى • إلى ضوء نار في يفاع تحرق • ولوقال محرقة لم يكن شيئاً) قلت ولهذا النكتة فرق بين من أصحابنا بين أن محرم يوم أفعّل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع فرأى أن المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرماً يوجد صيغة التعليق ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع فإنه لا يكون محرماً حتى يحرم ويقال له أحرم فكانه رأى أن صيغة الفعل خصوصية في الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وإن كان متأخراً وأصحابنا اختلفوا في معنى قول بين من أصحابنا يكون محرماً يوم يفعل ففهم من قال أراد الفور فينشئ إحراماً ومنهم من قال يكون محرماً في الحال بالتعليق الأول ولا يجتد شيئاً ومذهب مالك التسوية بين صيغتي اسم الفاعل والفعل في هذا المقام والله أعلم وحقق الزحشرى هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل في قوله • والطير محشورة كل له أبواب • فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدل على القدرة لم يكن لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيئاً فشيئاً معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل في الأول

(قوله أشرق ثبير) كانوا يقولون أشرق ثبير كما نفير كما في الصحاح (قوله نار في يفاع تحرق) في الصحاح اليفاع ما ارتفع من الأرض (قوله أربعون ألف مستلم يحرسونه) أى لا يلبس اللأمة وهى الدرع أفاده الصحاح

الخطاب هـ وهل أهلك نبؤ الخضم إذ تسوروا المحراب هـ إذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا لا تخف خصمان

البيئة فأوحى الله تعالى إليه في المنام أن اقل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله عز وجل لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أباهذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنبت أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فها هو (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة هـ الفصل التمييز بين الشيتين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الآمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقبضه فصل أى مفصول بعرضه من بعض فمضى فصل الخطاب البين من الكلام الملتبس الذي يتبينه من مخاطبه لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدبير الملك والمشورات وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو قوله البيئة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لأنه يفتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مغل ولا إشباع مغل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نذروا لهذر هـ كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن أمراته فيزوجهن إذا أعجبتهم وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قداعتهم وها قدرونا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فزوجهها وهي أم سليمان فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما متخنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فدأثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آياته إبراهيم وإسماعيل ويعقوب فقال يارب إن آباءني قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها فابتلى إبراهيم بنمروذ وذبح ولده وإسماعيل بذبحه وذهب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابيه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمديده ليأخذها لابن له صغير فطار فامتد إليها فطار فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء إن ابعت أوريا وقدمه على التابوت وكان

هـ قوله تعالى هـ وهل أهلك نبؤ الخضم إذ تسوروا المحراب (الآية) (ذكر) في تفسيرها فضلا أسرده على الاختصار والإيجاز لتتدرج حقا في فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضا النزول له عن أمراته إذا أعجبتهم فيزوجهن وقدرى مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين داود عليه السلام على امرأة أوريا فأعجبتته فسأله ليثارة بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها فزوجه وأولدها سليمان فقيل له إنك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها وكان الأفضل قهر الهوى وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب إليه أهلها فاندرج في الخطاب على خطبة أخيه وأما ما يذكر أن داود تمنى نزله آياته الأنبياء فقيل له إنهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء ليصبر فقيل له إنك تبتلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان في صورة حمامة ذهب فمديده ليأخذها ولد صغير فطار فتبعها فرأى المرأة قد نقضت شعرها فبعث إلى أيوب صاحب بعث البلقاء أن قدم أوريا إلى التابوت وهو من غزاة البلقاء وكان المتقدم

(قوله من غزاة البلقاء) في الصحاح مدينة بالشام

من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أئمة المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الأعور أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وهو حد القرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها استرا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسامع هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبة إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها خضب (فإن قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح (قلت) لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثر فيه وأجلب لاحتماله وحياته وأدعى إلى التنبه على الخطيئة من أن يبادر به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى إلى الحكام كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة أن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمح حال صاحب الحكاية فاستسمح حال نفسه وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة (فإن قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم إليه (قلت) ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه (وهل أنك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنبياء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق إلى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا (فإن قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت) معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذا خصمان اختصموا في ربهم (فإن قلت) فما تصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على اثنين (قلت) هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فإن قلت) فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكا (قلت) معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن

إليه يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم فسلم فأمر بتقدمه مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقبح الحديث به عن متسمين بالصلاح من آحاد المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال من حدثكم قصة داود كما يروها القصاص جلده مائة وستين حد القرية مضاعفا روى أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بمضرة عالم محقق فكذب الحديث بذلك وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فالتمس خلافها فريفة وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها استرا لئنه عليه السلام فما ينبغي لك إظهار ما ستره الله تعالى فقال عمر بن عبد العزيز استماعي هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس قال الزحشرى والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله أن قصته ليست إلا طلبة إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم نه الزحشرى على بحى الإنكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع إلى التأمل والتنبيه لوجه الخطيئة مع ما فيه من اجتناب المجاهرة في الإنكار والتوبيخ وألقاه بطريق التمثيل ليستبجح ذلك من غيره فيجعله مقياسا لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى الحكام بذلك في سياسة الوالد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة قال وجاء ذلك على وجه التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه محكمة قال وقوله وهل أنك جاء على وجه الاستفهام تنبها على أن هذه قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقا

(قوله يحدث به بعض المتسمين بالصلاح الخ) لعله عن بعض أولعله يحدث من بعض وفى الصحاح يقال هو من أئمة الناس إذا لم يعلم ممن هو وعبرة النسب بدل قوله فهذا ونحوه الخ فلا يليق من المتسمين الخ

بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِيجَةً وَلِي نَعِيجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيجَتِكَ إِلَى

يُصَحِّهُمَا آخَرُونَ (فإن قلت) فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعاً خصماً في قوله نبأ الخصم وخصمان (قلت) لما كان صاحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به ۝ (فإن قلت) بم انتصب (إذ) (قلت) لا يخلو إما أن ينتصب بأنك أو بالنبا أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأنك لأن إتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده لافي عهد داود ولا بالنبا لأن النبا الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصباً فبقى أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما إذ الثانية فبدل من الأولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سوروه ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الآية تسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلباً أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فتعهما الخرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما يدينه جالسان (ففرع منهم) قال ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخواص أموره ويوماً يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبيكهم فجأؤه في غير يوم القضاء ففرع منهم ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (خصمان) خبر مبتدأ محذوف أى نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أى ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق و (سواء الصراط) وسطه ومحجته ضربه مثلاً لعين الحق ومحضه (أخى) بدل من هذا أو خبر لأن المراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والآلة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وإن كثيراً من الخلطاء وكل واحدة من هذه الأخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم ۝ وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطح ونطع ولقوة ولقوة (أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ماتحت يدى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه تعزه قال قطاة عزها شرك فبات ۝ تجاذبه وقد علق الجناح

يريد جاءنى بحجاج لم أقدر أن أوردته عليه ما أردت به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو نطاطبني خطاباً أى غالبنى في الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزنى بتخفيف الزاى طلباً للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فإن قلت) ما معنى ذكر النعاج (قلت) كأن تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبية على أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسج الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تمتة المائة

إلى سماعها أيضاً ۝ وقال في قوله هذا أخى الأخوة كيف ما كانت إما من الصداقة أو من الدين أو من الشركة والخلطة تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم فلذلك قال إن هذا أخى ۝ وقال في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتانى بما لم أقدر على رده من الجدل ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أى خطبت فخطب على خطبتي فغلبنى والمفاعلة لأن الخطبة صدرت منهما جميعاً ۝ وقال في ذكر النعاج إنها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلاً وكلامهم أيضاً تمثيلاً لأنه أبلغ لما تقدم وللتنبية على أن هذا أمر يستحيا من التصريح به وأنه مما يكنى عنه سماجة الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا برجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتهمها بمائة بالنعجة المذكورة ثم قال

(قوله نحو نطع ولقوة ولقوة) في الصحاح النطع فيه أربع لغات وفيه اللقوة داء في الوجه والناقعة السريعة اللقاح والعقاب الآثى واللقوة بالكسر مثله (قوله قطاة عزها شرك) لعله عزه يعزه ويعزه

نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخَطَاةِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ

فقطع في نعمة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيراً من الخطأ وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعمة (فإن قلت) إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطأ بالجدال فإن فسرت بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجمل النعمة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله

يا شاة ما قص لمن حلت له ٥ فرميت غفلة عينه عن شاته

وشبهها بالنعمة من قال كنعاج الملائكة تعسف رملا لولا أن الخطأ تأباه إلا أن يضرب داود الخطأ ابتداء مثلا لهم ولقصتهم (فإن قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمره له أربعون شاة وأنت تشير إليهما بخلطاهما وحال عليهما الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمره سب ولا ليد وتقول أيضا في تصويرها لي أربعون شاة وأربعون غلطناها ومالك من الأربعين أربعة ولا ربعة (فإن قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعمة أنثى (قلت) يقال لك امرأة أنثى للحسنة الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وقورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطع الكلام وقوله تثنى رويدا تكاد تنعرف (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه ٥ والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة فعدي تعديتها كأنه قيل بإضافة (نعتك إلى نعاجه) على وجه السؤال

فإن قلت طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فإن كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حينئذ أن تجعل النعمة استعارة للمرأة كما استعاروا لها الشاة في قوله ٥ يا شاة ما قص لمن حلت له . إلا أن لفظ الخطأ يأباه اللهم إلا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام (قلت) والفرق بين التمثيل والاستعارة أنه على التمثيل يكون الذي سبق إلى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم انتقل بواسطة التثنية إلى فهم أنه تمثيل لحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهم بالنعاج كناية ثم استشعر أنه هو المراد بذلك ٥ قال فإن قلت لم صح من الملائكة الإخبار عن أنفسهم بما لم يتلبسوا بشيء منه وأجاب بأن ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول في تصوير المسألة زيد له أربعون شاة وعمره له أربعون خطاها فماذا يجب عليهما من الزكاة وتقول أيضا لي أربعون شاة ولك أربعون ومالك ولا له من الأربعين أربعة ولا ربعة (فإن قلت) فما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعمة أنثى وأجاب بأنه يقال امرأة أنثى للحسنة الجميلة ومعناه وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وقورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم إياها بالكسول والمكسال كقوله :

٥ فتور القيام قطع الكلام ٥ اه كلامه (قلت) ولكن قوله ولي نعمة إنما أوردته على سبيل التقليل لماعنده والتحقيق ليستجل على خصمه بالبغي لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجمل الغفير فكيف يليق وصف ماعنده والمراد تقليله بصفة الحسن التي توجب إقامة عذر ما لخصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاختصار على ذكر النعمة وتأكيد قتلها بقوله واحدة فهذا إشكال على قراءة ابن مسعود يمكن الجواب عنه بأن القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا الممثلة بالنعمة فيها مشهورة بالحسن وصف مثالها في قصة الخصمين بالحسن زيادة في التطبيق لنا كيد التثنية على أنه هو المراد بالتمثيل ثم

(قوله لمن حلت له فرميت) لعله وقوله فرميت (قوله كنعاج الملائكة تعسف رملا) في الصحاح الملائكة الصحراء ويروى الفلا وهو جمع فلاة وهي المغازاة كذا في الصحاح (قوله وما لزيد وعمره سب ولا ليد) في الصحاح ماله سب ولا ليد أي لا قليل ولا كثير والسب من الشعر واللب من الصوف

وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّ قَسَمَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ

والطلب (فإن قلت) كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجهة فقال داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (الخطأ) الشركاء الذين خلطوا أموالم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحمهما ومساقهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يركبان زكاة الواحد فإن كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهما واحدة كما لو كانت لو واحد وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخلطة والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياء (فإن قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله وعند أبي حنيفة لا شيء عليه ۖ (فإن قلت) ماذا أراد بذكر حال الخطأ في ذلك المقام (قلت) قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إثارة عادة الخطأ الصالحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه في خليطه وأن له في أكثر الخطأ أسوة وقرئ ليبي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله ۖ اضرب عنك الهموم طارقتها ۖ وهو جواب قسم محذوف وليبلغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في (وقليل ما هم) للإيهام وفيه تعجب من قتلهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتاه) أنا ابتليناه لاحتالة بامرأة أورياهل ثبت أويزل وقرئ فتناه بالتشديد للبالغة وأفتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت وفتناه على أن الألف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحن ويخضع كالساجد

قال فإن قلت لما سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بأن ذلك كان بعد اعتراف خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم اه كلامه (قلت) ويحتمل أن يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير أي إن صح ذلك فقد ظلمك ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلا وإنما كانت من البشر إما خليطين في الغنم حقيقة وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسر أو ماله إلا امرأة واحدة فاستزله عنها وفرع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه إلى الظلم قبل مسأله اه كلامه (قلت) مقصود هذا القائل تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب إلى العجلة في نسبة الظلم إلى المدعى عليه لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب وكرهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذي صدر منه أولا وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس وقد ألزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع في صفات الذنوب مبترؤن من ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال هذه القصة وهذا هو الحق الأبلغ والسبيل الأبهر إن شاء الله تعالى

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لأنه لا يكون ساجدا حتى كع ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنيه وأحرم بركعتي الاستغفار والإجابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أى مصليا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة (وأنا ب) ورجع إلى الله تعالى بالتوبة والتصل وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يرقأ دمه حتى نبت العشب من دمه إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا وثلاثه دمع وجهه نفسه راغبا إلى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا إلى نفسه واجتمع إليه أهل الزيف من بنى إسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقبل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الغنم وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاجر والسراى والثاني معسرا ماله إلا امرأة واحدة فاستزله عنها وإنما فرغ لدخولها عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مقاتلين وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة في الأرض) أى استخلفناك على الملك في الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قوله خلفاء الله في أرضه أو جعلناك خليفة من كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله تعالى إذا كنت خليفته (ولا تتبع) هوى النفس في قضائك وغيره مما تصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سببا لضلالك (عن سبيل الله) عن دلائله التى نصبها في العقول وعن شرائعه التى شرعها وأوحى بها (يوم الحساب) متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا عيين ما خلقناهما إلا بالحق . وتقديره ذوى باطل أو عابثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيا موضع المصدر وهو صفة أى ما خلقناهما وما بينهما للعب ولللعث ولكن للحق المبين وهو أن خلقناها نفوسا أو دعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكن وأزحنا عللها ثم عرضناها للنفاع العظيمة بالتكليف وأعدنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم و (ذلك) إشارة إلى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون أى خلقها للعب لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا (فإن قلت) إذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فم جعلوا ظانين أنه خلقها للعب لا للحكمة (قلت) لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبثا وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فن جرده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان إقراره بكونه خالقا كلا إقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتق وجر ومن سوى بينهم كان سفيا ولم يكن حكما

كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * كتب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا
الالباب * ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب * إذ عرض عليه بالعشي الصفت الجياد * فقال إني
أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق *

وقرئ مباركا وليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكير فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة
ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المنلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله
كمثل من له لقعة درور لا يحلبها ومهرة ثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله
حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه
كله ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده والله ما هو لاء بالحكمة ولا الوزعة
لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعدنا من القراء المتكبرين * وقرئ نعم العبد على
الأصل والمخصوص بالمدح محذوف * وعلل كونه بمدوحا بكونه أوابا رجاءا إليه بالتوبة أو مسجحا مؤوبا للنسيح
مرجعا له لأن كل مؤوب أواب * والصافن الذي في قوله ألف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا
وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يدأو رجل هو المخيم وأما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار أي واقفين كما خدتم الجبابرة (فإن قلت) مامعنى وصفها
بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخالص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع
لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خففا
في جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها
أبوه من العالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعديوما بعدما صلى الأولى على كرسيه واسترضها فلم تزل تعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته
فاستردها وعقرها مقربا لله وبقى مائة فما بقي في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها
وهي الرمح تجرى أمره (فإن قلت) مامعنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربي) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يتعدى
بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربي وذكر أبو الفتح الهمداني
في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزم من قوله مثل بعير السوء إذ أحبا وليس بذلك والخير المال كقوله إن ترك
خيرا وقوله وإنه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال

* قوله تعالى الصافات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا للنخيم والصفان الذي
يجمع بين يديه قال ووصفها بذلك لأنه لا يكون في الهجن غالبا وإنما يكون في العراب الخالص أو وصفها ليجمع لها الوصفين
المحمودين جارية وواقفة فوصفها في جريها بالجودة والسرعة وفي وقوفها بالسكينة والطمأنينة لأن ذلك من لوازم الصفون غالبا

(قوله لم يحل منه بكثير طائل) في الصحاح قولهم لم يحل منه بطائل أي لم يستفد منه كبير فائدة وفيه اللقح بالسكسر الإبل بأعيانها
الواحدة لقوح وهي الحلوب مثل قلوص وقلاص واللقحة اللقوح والجمع بفتح مثل قرية قرب وفيه ناقة درور أي كثيرة اللبن
وفيه الثور أي كثيرة الولد (قوله ولا الوزعة) جمع وازع وهو الذي يكف عن الضرر والذي يتقدم الصف فيصلحه
بالقديم والتأخير أفاده الصحاح (قوله وقرئ نعم العبد على الأصل) لعله بفتح النون وكسر العين كما يفيد الصحاح
(قوله بعد ما صلى الأولى على كرسيه) عبارة النسخي صلى الظهر (قوله وعقرها مقربا لله) عبارة النسخي تقربا

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ۖ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَخِي أَنْ يَأْتِيَنِي بِالسُّعْيِ ۚ

رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأما أردت الخير ۖ والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن توارى الملك أو الخجأة بحجابهما والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصفاء أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن يدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطفق مسحاً) فجعل يمسح مسحاً أي يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعني يقطعها يقال مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فصنف وقيل مسحها يده استحساناً لها وإعجاباً بها ۖ (فإن قلت) بم اتصل قوله ردوها عليّ (قلت) بمحذوف تقديره قال ردوها علي فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائله قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتضى للسؤال اقتضاء ظاهراً وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تنفث الصلاة عن وقتها ۖ وقرئ بالسوق بهمز الواو لضمها كما في أدور ونظيره الغور في مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسوق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الإلباس قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنه أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن غاشم تنفك من السخرة فسيبنا أن نقتله أو نخبه فلم ذلك فكان يغذوه في السحابة ففارعه إلا أن أتى على كرسية ميتة فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفس بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا نحوه مما لا بأس به وأما ما يرى من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان فانه أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكاً عظيماً الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أتاه بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً فاصطفاه لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمها حزناً على أبيها فأمر الشياطين فثقلوا لها صورة أبيها فكسوها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائها يسجدن له كعادتكن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد لجلس عليه تائباً إلى الله متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على المساس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته ففرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فكش على ذلك أربعين صباحاً عدداً عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظما

(قوله ومسح المسفر الكتاب) الذي في الصحاح سمرت الكتاب أسفره سفراً وسمرت المرأة كشفت عن وجهها وأسفر الصبح أي إحناء وأسفر وجهه حسناً أي أشرق فليحرر (قوله فكان يغذوه في السحابة) في الصحاح غاداه أي غدا عليه فلعل عبارة الكتاب بالذال المعجمة وفي الصحاح غذوت الصبي بالابن أي ربيته به فاغتذى وعبارة النسفي يغذوه بالمعجمة

بَعْدَى إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً ۝ حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
وَعَوَّاصٍ ۝ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا

بنی اسرائیل حکم الشیطان وسأل آصف نساء سلیمان فقلنا ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشیطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة ووقعت السمكة في يد سلیمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر لجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقتر في يدك فنب إلى الله عز وجل ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود ، والشیاطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله (وألقينا على كرسیه جسداً) ناب عن إفادة معنى إنبابة الشیطان منابه بقوا ظاهراً ۝ قدم الاستغفار على استئجاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنيائهم (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون ۝ ومعنى (من بعدى) دوني (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره (قلت) كان سلیمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوة ووارثاً لها فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب ألفه ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلاً على نبوته فأمر بالبعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدى وقيل كان ملكاً عظيماً يخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكاً لأسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة وأقيم مقامى غيري ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استئجاب فأمره أن يستوجهه إياه فاستوجهه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباد أو أراد أن يقول ملكاً عظيماً فقال لا ينبغي لأحد من بعدى ولم يقصد بذلك إلا أعظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحاجة أنه قيل له إنك حسود فقال أحسد مني من قال هبلى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى وهذا من جرأته على الله وشیطنته كما حكى عنه طاعتنا أو جب من طاعة الله لأنه شرط في طاعته فقال ۝ فاتقوا الله ما استطعتم ۝ وأطلق طاعتنا فقال وأولى الأمر منكم ۝ قرئ الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيبة له لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الأصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن ربيعة أن رجلاً من أهل اللغة قصده ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعنا ويقال أصاب الله بك خيراً (والشیاطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشیاطين (وآخرين) عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر وكان يقترن مرددة الشیاطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغلولين في الجوامع والصفد القيد وسمى به العطاء لأنه ارتباط للنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه

(قوله وجاب صخرة لصخر) أي خرق أو قطع أفاده الصحاح (قوله في الجوامع والصفد) في الصحاح الجامعة الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق

لَوَاقِي وَحَسَنَ مَّثَابٍ ۖ وَادَّكَرَ عَبْدُنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بَنَصْبٍ وَعَذَابٍ ۖ أَرُكُضُ بِرَجْلِكَ
هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ ۖ وَخَذِ يَدَكَ

من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل ۖ غل يدا مطلقها وأرق رقة معتقها ۖ وقال حبيب إن العطاء
إسار وتبعه من قال ۖ ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا ۖ وفزقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده
وأوعده أي (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه
وحصره (فأمن) من المنة وهي العطاء أي فأعط منه ما شئت (أو أمسك) مفعولنا إليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود
هذا فأمن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب وهذا التسخير عطاؤنا فأمن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك من شئت
منهم في الوفاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (أيوب) عطف بيان و(إذ) بدل اشتغال منه (أني مسني) بأنني مسني
حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولم يحك لقال بأنه مسه لأنه لأنه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد
وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد
وهو التعب والمشقة ۖ والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب
الأهل والمال (فإن قلت) لم ينسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلمه الله على أنبيائه لقضى من أتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر
على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرّر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب (قلت) لما كانت
وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبيا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبة إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث
لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به
من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده
بالصبر الجليل وروى أنه كان يعود ثلاثه من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل أتى إليه الشيطان إن الله لا يتلى الأنبياء
والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهه ولم يغزه
وقيل أعجب بكثرة ماله (أركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الأرض وعن قتادة هي أرض
الجالية فضر بها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهره وتنقلب
مابك قلبه وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداها وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله وقيل
ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا وذكري) مفعول لها والمعنى
أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة
الصابرين وما يفعل الله بهم (وخذ) معطوف على أركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ربحان أو غير ذلك رعن
ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فقال الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها حسن خدمتها
إياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عسكالا فيه مائة
شراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة مع
وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذؤابتها برغيفين وكانتا
متعلقا بأيوب إذا قام وقيل قال لها الشيطان اسمدي لي سجدة فأردت عليك ما لكم وأولادكم فهمت بذلك فأدركتها العصمة فذكرت

(قوله من أنواع الوصب) في الصحاح الوصب المرض (قوله هي أرض الجالية) مدينة بالشام كما في الصحاح (قوله وتنقلب
مابك قلبه) في الصحاح القلاب داء يأخذ البعير وقولهم مابه قلبه أي أيسر به علة (قوله إنه أتى بمخدج) الخاج النقصان
وأخذت الناقة إذا جامت بولدها ناص الخلق وإن كانت أيامه تامة فهي مخدج والولد مخدج كذا في الصحاح

ضَعُفًا فَأُضْرِبَ بِهِ وَلَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَا الدَّارَ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ * وَأَذْكُرْ
إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ * جِذَّتْ عَدْنٌ مُفْتَحَةٌ

ذلك له خلف وقيل أومها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سأله أن يقرب للشيطان بعناق
(وجدناه صابراً) علمناه صابراً (فإن قلت) كيف وجده صابراً وقد شككنا إليه مابه واسترحمه (قلت) الشكرى إلى الله عز وجل
لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب وذلك
أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها فإذا صح أن يسمى صابراً مع تمنى العافية وطلب الشفاء فليس
صابراً مع اللجأ إلى الله تعالى والدعاء بكشف مابه ومع العلاج ومشاورة الأطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب
الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل
ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ويروي أنه قال في مناجاته إلهي
قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهين مملكتي يميني ولم آكل إلا ومعنى يقيم ولم أبت شعبان
ولا كاسيا ومعنى جائع أو عريان فكشف الله عنه (إبراهيم وإسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جمل
إبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي إسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس وإله إليك إبراهيم وإسماعيل
وإسحق * لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا يتأتى
فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وجل (أولى الأيدي والأبصار) يريد
أولى الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفسكرون أفكار ذوى الديانات
ولا يستبصرون في حكم الزماني الذين لا يقدر على أعمال جوارحهم والمسلوب العقول الذين لا استبصار بهم وفيه
تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم
متمكنين منها وقرئ أولى الأيادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولى الأيدى على طرح الباء والاكتفاء بالكسرة
وتفسيره بالأيدي من التأييد قلق غير متمكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة) بخالصة لا شوب فيها * ثم فسرها
بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الإضافة والمعنى بما أخلص من
ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكرهم
الآخرة دائبا ونسيانهم إليها ذكر الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء وديدهم
وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم (فإن قلت) ما معنى أخلصناهم بخالصة (قلت)
معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللفظ بهم في اختيارها وتعاضد الأول
قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم و(الآخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كالأموال
في جمع ميت أو ميت (واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ واليسع كأن حرف التعريف دخل على
ليسع فيل من اللسع * والتونين في (وكل) عوض من المضاف إليه معناه وكلهم من الآخيار (هذا ذكر) أي هذا نوع
من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر
على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وإن للمتقين) كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم

قوله تعالى هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (قال فيه) إنما قال هذا ذكر ليدرك عقبه ذكرا آخر وهو ذكر الجنة

(قوله ولم يهين مملكتي يميني) أي لم ينشطني ولم يهينني من هبت الريح أي هاجت وهب البعير أي نشط كما في الصحاح

لَهُمُ الْآبُوتَابُ ۖ مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَسْكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۖ وَعِنْدَهُمْ قَصِرَاتُ الطَّرَفِ أُرَابٌ ۖ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۖ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۖ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ۖ جَهَنَّمُ يَصْلُونَهَا فَيْدُسُ الْمُهَادُ ۖ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ ۖ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۖ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَيْدُسُ الْقَرَارِ ۖ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا

يشرع في باب آخر ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتى ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكركم جميل يذكرون به أبداً وعن ابن عباس رضي الله عنه هذا ذكر من مضى من الأنبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مأب (مفتحة) حال والعامل فيهما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والآبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الآبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم كأن اللوات سمين أزواجاً لأن التراب مسهن في وقت واحد وإنما جعل على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن أزواج لأن أزواجهن أسنانهم كأسنانهم قرئ يوعدون بالثناء والياء (ليوم الحساب) لآجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تذكرونه ليوم الحساب أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر (فئس المهاد) كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النائم أي هذا حميم فليذوقوه وأل العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتداء فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة وإيائى فارهبون أي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحمزه والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لتنت أهل المشرق وعن الحسن رضي الله عنه الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى ۖ إن الناس أخفوا طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر) ومذوقات آخر من شكل هذا المذكور من مثله في الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضرباً أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كشاف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم وقرآنكم والافتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحباً بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحباً أي آيت رحباً من البلاد لأضيماً أو رحبت بلادك رحباً ثم تدخل عليه لافي دعاء السوء وبهم بيان للدعوى عليهم (لأنهم صالوا النار) تعليل لاستيجابهم الدعاء ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لغت أختها وقيل هذا فرج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحباً بهم لأنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا)

وأهلها كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر) قلت وكما ما يقول الفقيه إذا ذكر أدلة المسئلة عند تمام الدليل الأول هذا دليل ثان كذا وكذا إلى آخر ما في نفسه ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال هذا

(قوله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة) أي في الشكل بمعنى المثل (قوله وأما الغنج فبالكسر لا غير) في الصحاح الغنج والغنج الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهي غنجة وفيه الشكل بالفتح المثل وبالكسر الدل يقال امرأة ذات شكل

فَزِدْهُ عَذَابًا ضَعْفًا فِي النَّارِ ۖ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۖ أَخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا أُمَّ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۖ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ ۖ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ رَبُّ

أى الاتباع (بل أنتم لامر حبابكم) يريدون الدعاء الذى دعوتهم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصلبهم (فإن قلت) مامعنى تقديمهم العذاب لهم (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لأن العالمين هم المقدمون فى الحقيقة لأرؤسائهم والعمل هو المقدم لاجزائه (فإن قلت) فالذى جعل قوله لامر حبابهم من كلام الحزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لامر حبابكم والمخاطبون أعنى رؤسائهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذى دعا به علينا الحزنة أنتم يارؤساء أحق به منا لإغرائكم إيانا وتسيبك فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى فارتكبوه فقبل للزينين أخزى الله هؤلاء مأسوأ فعلهم فقال المزين لهم للزينين بل أنتم أولى بالخزى منا فلو لا أنتم لم ترتكب ذلك (قالوا) هم الاتباع أيضا (فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا ومعناه أضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعى (وقالوا) الضمير للطاغين (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكأوعدهم أشرارا (أخذناهم سخرى) قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كننا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها فى الاستسغار منهم وقوله (أم زأغت عنهم الأبصار) له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله مالنا أى مالنا لآلئهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفى عليهم مكانهم والوجه الثانى أن يتصل بأخذناهم سخرى إيمان تكون أم متصلة على معنى أى القلعين فعلنا بهم الاستسغار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تلوغهم وتقحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخرى وزأغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وإمان تكون منقطعة بعد مضى أخذناهم سخرى على الخبر أو الاستفهام كقولك إنها لا بل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو لك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزته لأن أم تدل عليها فلا تفرق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير فى وقالوا لصناديد قريش كأبى جهل والوليد وأضربهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم ۖ وقرئ سخرى بالضم والكسر (إن ذلك) أى الذى حكينا عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس (فإن قلت) لم سمي ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن

وإن للطاغين لشر مآب فذكر أهل النار ۖ قوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا وقال فى موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا والقصة واحدة (قلت) وفيه دليل على أن الضعفين اثنان من شئ واحد خلافا لمن قال غير ذلك لأنه فى موضع قال فزده عذابا ضعفا والمراد مثل عذابه فيكونا عذابين وقال فى موضعين ضعفين والمراد إذا عذابا ۖ قوله تعالى إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (قال) إن قلت لم سمي ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لامر حبابهم وقول اتباعهم بل أنتم لامر حبابكم

(قوله وجاء فى التفسير عذابا) عبارة الخازن قال ابن عباس حيات وأفاعى (قوله وتأنيب لها) أى تعنيف ولوم أفاده الصحاح

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۖ قُلْ هُوَ نَبُوٌ عَظِيمٌ ۖ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۖ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ
الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۖ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۖ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ
فَإِذَا سَوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ فَسَجَدَ الْمَلَأُ كُلُّهُ مُخِطِينَ ۖ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۖ

قول الرؤساء لامر حبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لامر حبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تحاصما لأجل اشتماله
على ذلك (قل) يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للبشر كين وأقول لكم إن دين الحق توحيد
الله وأن يعتقد أن لا إله إلا الله (الواحد) بلانذ ولا شريك (القهار) لكل شيء ۖ وأن الملك والربوبية له في العالم كله
وهو (العزیز) الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) لذنوب من التجأ إليه ۖ وأقول لهم ما أنا
إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجي ثوابه (قل
هو نبأ عظيم) أي هذا الذي أنبأكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله
إلا غافل شديد الغفلة ۖ ثم احتج لصحة نبوته بأن ما نبئ به عن الملائكة الأعلى واختصاصهم أمر ما كان له به من علم قط ثم عليه ولم
يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلم أو هو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعمل أن ذلك لم يحصل إلا بالوحي من
الله (إن يوحى إلى إلا إنما أنا نذير) أي لا إنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلى إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل
الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا إفراط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر
وحده وليس إلى غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي
شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم
القيامة (فإن قلت) بم يتعلق إذ يختصمون (قلت) بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملائكة الأعلى وقت اختصاصهم
(وإذ قال) بدل من إذ يختصمون (فإن قلت) ما المراد بالملائكة الأعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم
كانوا في السماء وكان التقاول بينهم (فإن قلت) ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله تعالى وبينهم لأن الله سبحانه وتعالى هو
الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إيمان أن تقول الملائكة الأعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم وإيمان
تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملائكة الأعلى (قلت) كانت مقابلة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في
الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملائكة الأعلى والمراد بالاختصاص التقاول
على ما سبق (فإن قلت) كيف صح أن يقول لهم (إني خالق بشرأ) وما عرفوا ما للبشر ولا عهدوا به قبل (قلت) وجهه أن
يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فإذا سويته) فإذا أتممت
خلقه وعدلته (ونفخت فيه من رוחي) وأحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) فخرؤا كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع
فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا يسجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات
(فإن قلت) كيف ساغ السجود لغير الله (قلت) الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة
والتبجيل فلا ياباه العقل إلا لأن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه (فإن قلت) كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن
(قلت) قد أمر بالسجود معهم فغلّبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى إبليس من الملائكة استثناء متصلا (وكان من
من باب الخصومة) (قلت) هذا يحقق أن ما تقدم من قوله لامر حبا بهم لإنهم صالوا النار من قول المتكبرين الكفار
وقوله تعالى بل أنتم لامر حبا بكم من قول الاتباع فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين فيتحقق التخاصم خلافا
لمن قال إن الأول من كلام خزنة جهنم والثاني من كلام الاتباع فإنه على هذا التقدير إنما تكون الخصومة من أحد الفريقين

الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافراً لأن كان مطلق في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لا يها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله (فإن قلت) ما وجه قوله (خلقت يدي) (قلت) قد سبق لنا أن ذا اليمين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليمين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرها حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل بمن لا يدي له يداك أو كتنا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت يدي (فإن قلت) فما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي (قلت) الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجد لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون يسجد لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلاً على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزلّ عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعزّ عباده عليه وأقربهم منه زلّوا وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيماً لأمر ربهم وإجلالاً لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرياً بأن يقتدى بهم ويقتنى أثرهم ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم بأمر الله أو غل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته يدي لا شك في كونه مخلوقاً أمثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمر الله به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلاً اعتبرت أمري وخطابي وترك اعتبار سقوطه وفيه أني خلقته يدي فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه من إنعام عليه بالترجمة

فالتفسير الأول أمكن وأثبت ه قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي ، (قال) فيه لما كان ذو اليمين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل باليمين على سائر الأعمال التي تباشر بغير اليمين حتى قيل في عمل القلب هذا مما عملت يداك ه ومعناه أن الوجه الذي استنكره إبليس السجود لآدم واستنكف بسببه أنه يسجد لمخلوق مع أنه دون الساجد لأن آدم من طين وإبليس من نار فرأى للنار فضلاً على الطين وزلّ عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعزّ عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة أن يسجدوا لهذا البشر لم يمتنعوا ولم يذهبوا بأنفسهم إلى التكبر مع انحطاطه عن مراتبهم فقيل له ما منعك أن تسجد لهذا الذي هو مخلوق يدي كما وقع لك مع أنه لا شك أن في ذلك أمثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له العلة التي منعت من السجود وقيل له ما حملك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمري ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلاً اعتبرت أمري وخطابي وترك اعتبار سقوطه انتهى المقصود من الآية بعد تطويل وإطباب وإكثار وإسهاب (قلت) إنما أطال القول هنا ليفتر من معتقدين لأهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية ه أحدهما أن اليمين من صفات الذات أثبتهما السمع هذا مذهب أبي الحسن والقاضي بعد إبطالهما حمل اليمين على القدرة فإن قدرة الله تعالى واحدة واليدان مذكورتان بصيغة التثنية وأبطلنا حملهما على النعمة بأن نعم الله لا تحصى فكيف تحصر بالتثنية وغيرهما من أهل السنة كإمام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة ويجب عما ذكرناه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحقق تفضيله على إبليس إذ لم يخلق لإبليس نعمة الآخرة وعلى أن المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد في اللغة كثيراً ه المعتد الثاني أن النبي أفضل من الملك والوخشي شديد العصية في هذه المسئلة والإنكار على من قال

(قوله يداك أو كتنا) في الصحاح أو كنى على ما في سقائه إذا شدّه بالوكاء (قوله حين أمر به أعز عباده) مبنى على مذهب المعتزلة أن الملك أفضل من البشر وعند أهل السنة البشر أفضل من الملك

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۖ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۖ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ۖ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۖ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۖ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيهِمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۖ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ۖ لَا مَلَأَنُ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ

السنة وإتلاء الملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت يدي لما خلقت بغير واسطة ۖ وقرئ يدي كما قرئ بمصرخي وقرئ يدي على التوحيد (من العالمين) ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالمين حيث (قال أنا خير منه) وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لأن أم تدل عليه أو بمعنى الإخبار ۖ هذا على سبيل الأولى أي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي (خلقتني من نار) مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقه فغير الله خلقته فأسود دبه ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا ۖ والرجيم المرحوم ومعناه المطرود كما قيل له المذحور والملعون لأن من طرد رمى بالحجارة على أثره والرجم الرمي بالحجارة أولان الشياطين يرجمون بالشهب (فإن قلت) قوله (لعتني إلى يوم الدين) كأن لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعة ما ينسى عنده اللعة فكأنها انقطعت (فإن قلت) ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم (قلت) الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر (فبعزتك) أقسام بعزة الله تعالى وهي سلطانه وقهره ۖ قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الأول مقسم به كالله في أن عليك الله أن تبايعا وجوابه (لأملأن) والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عز وجل الذي في قوله إن الله هو الحق المبين أو الحق الذي هو تقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به ومرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمر ك أي فالحق قسمي لأملأن والحق أقول أي أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الأول وجزءه مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين

بذلك من أهل السنة لاجرم أنه أجرم في بسط كلامه على آدم عليه السلام فقتل قصته في انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره زر بعض سقاط الحشم فجعل سقاط حشم الملك مثالا لآدم الذي هو عنصر الانبياء عليهم السلام وأقام لإبليس عذره وصوب اعتقاده أنه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين وإنما غلظه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة إذ سجدوا له على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوط الرتبة ساقط المنزل وجعل قوله تعالى لما خلقت يدي إنما ذكر تقريراً للعلة التي منعت إبليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نساء الله العصمة المراد منه ضد ما فهم الزخشي وإنما ذكر ذلك تعظيماً لمعصية إبليس إذ امتنع من تعظيم من عظمه الله إذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لاحتقار منه ويدل عليه الحديث الوارد في الشفاعة إذ يقول له الناس عند ما يقصدونه فيها أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته وإنما يذكرون ذلك في سياق تعدد كراماته وخصائصه لافيا يحط منه معاذ الله وإياه نساء أن يعصمنا من مهاوى الهوى ومهالكه وأن يرشدنا إلى سبيل الحق ومسالكه إنه ولي التوفيق وبالإجابة حقيق

أَجْمَعِينَ ۖ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ۚ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

سورة الزمر مكية

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۚ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۚ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ الْأَلِلَّةُ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۚ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا

(ومن تبعك منهم) من ذرية آدم (فإن قلت) (أجمعين) تأكيد لما ذا (قلت) لا يخلو أن يؤكده الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لا ملائجهن من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً أولاً ملائها من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الانبياء وغيرهم (عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدعياً ما ليس عندي حتى أتجمل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحى إلي فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم له تكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلن نبأه) أي ما ياتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سمخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصير على ذنب صغير أو كبير

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

(وقال ثنتان وسبعون آية إلا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغفر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزمر (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة (مخلصاً له الدين) مخلصاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصاً بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا الله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصاً حالاً من العابد وله الدين مبتدأ وخبراً فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك الله الدين ألا الله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لا طاعة على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى . عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الدين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء (فإن قلت) فالخبر ما هو (قلت) هو على الأول إما (إن الله يحكم بينهم)

لَا صُطْفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ

أو ما أضر من القول قبل قوله ما نعبدكم وعلى الثاني أن الله يحكم بينهم (فإن قلت) فإذا كان الله يحكم بينهم الخير فما موضع القول المضمّر (قلت) يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود بإظهار القول قالوا ما نعبدكم وفي قراءة أبي ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ۝ وقرئ نعبدكم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتثنية في عذاب أركض والضمير في بينهم لهم ولا وليا لهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي تحتها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حسب جهنم ۝ واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقربهم إلى الله زلفى وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ۝ والمراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين ۝ وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه تحتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعنى لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفى من خلقه بفضله ويختصم ويقرهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنم به وغررهم اختصاصه إياهم فزعمهم أنهم أولادة جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولاداً ثم تبادلتهم في جهلكم وسفاهكم فجعلتموهن بنات فكنتن كذا بنين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالبين في الكفر ثم قال (سبحانه) فنه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء ۝ ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ۝ وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء ۝ ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوك على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب ۝ والتكوير اللف واللى يقال كالرعمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلقة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوى الثنايا بأحقها حواشيه ۝ لى الملاء بأبواب التفاريح

(القول في سورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (قال المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا يلفظ بهم وأنه في علمه من الهالكين انتهى كلامه) قلت مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فإن معتقدهم أن معنى هداية الله تعالى للؤمن خلق الهدى فيه ومعنى إضلاله للكافر إزاحته عن الهدى وخلق الكفر له ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفاً يؤمن عنده طائعا خلافاً للقدرة وغرضنا

(قوله متبالغين في الافتراء) لعلمه بالبالغين (قوله في الكفر) لعلمه بالبالغين (قوله بأحقها حواشيه) في الصحاح الحقو الإزار وثلاثة أحق وأصله أحق على أفعل مخذف وأبدلت عن الضمة الكسرة فصار آخره ياء مكسورة ما قبلها فكان بمنزلة القاضى والغارى وفيه الملازمة بالضم بمدود الربطة والجمع ملاء وفيه الربطة والملاءمة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين

النَّهَارَ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۖ أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَى تُصْرَفُونَ ۝ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ

ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبّه في تعييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ماغيه عن مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كروا متتابعاً فشبّه ذلك بتتابع أكوار العامة بعضها على أثر بعض (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصيرين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة ۝ (فإن قلت) ما وجه قوله (ثم جعل منها زوجها) وما يعطيه من معنى التراخي (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشييع هذا الخلق الفائق للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيره إلا أن إحداها جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجربها العادة ولم تخلق أي غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بـ ثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيا عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدث ثم شفعها الله بزواج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأُنزل لكم) وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكانه أنزلها وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكر وأُنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز والزواج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى لجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (خلقاً من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد لطف ۝ والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذي هذه أفعاله هو (الله ربكم ۝ فآفَى تُصْرَفُونَ) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره (فإن الله غنى عنكم) عن إيمانكم وإيمانكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستفعاكم بالإيمان (ولا يرضى لعباده الكفر) رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة (وإن تشكروا يرضه لكم) أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإن ما ذكره كفركم ولا يرضى شكركم إلا لكم ولصالحكم لأن منفعة

التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره ۝ قوله تعالى ألا هو العزيز الغفار (قال أي لذنوب التائبين انتهى كلامه) قلت الحق أنه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصيرين على مادون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى ولقد قيد الزخشي الآية بما ترى ۝ قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (قال فيه فإن قلت ما وجه العطف بـ ثم في قوله ثم جعل وأجاب بأنهما آيتان الخ) قال أحمد إنما منعه من حمل ثم على التراخي في الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو متقدم على الذرية فضلا عن كونه متراخيا عن خلق الذرية فلم يستقم حملها على تراخي الوجود لما جعلها في الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يعني شفعها بزواجها فكانت ههنا على بابها لتراخي الوجود والله سبحانه وتعالى أعلم ۝ قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (قال إنما جعلها منزلة لأن قضاياه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول الخ) قال أحمد ومن هذا النمط بعينه قول الراجز أسنمة الآيال في سحابة ۝ قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الإرادة والعباد على

فَيُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ

ترجع إليه لأنه الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى مانفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم أعطى فلم ييخل ولم ييخل * كوم الذرى من خول الخول

وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال إذ كان متعهداً له حسن القيام به ومنه ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافترخ وفي معناه قول العرب * إن الغنى طويل الذيل مياس * (ما كان يدعو إليه) أى نسي الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه وقيل نسي ربه الذى كان يتضرع إليه ويبتل إليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكور والأنثى * وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون غرضاً في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخيلة كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حَقَّ ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغته في خذلانه وتخيلته وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان لأن أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم ما واهم جهنم قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو

العموم (الخ) قال أحمد إن المصر على هذا المعتقد على قلبه رين أو في ميزان عقله غين أليس يدعى أو يدعى له أنه الخريت في مغائر العبارات وبديع الزمان في صناعة البديع فكيف نباعن جادة الإجابة فهما وأعار منادى الخذاقة أذنا صما اللهم إلا أن يكون الهوى إذا تمسكن أرى الباطل حقاً وغطى سنى مكشوف العبارة فسحقاً بحقاً أليس مقتضى العربية فضلاً عن القوانين العقلية أن المشروط مرتب على الشرط لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلاً ولا ماضيه واستقبال الشرط لغو عقلاً واستقر باتفاق الفريقين أهل السنة وشيعة البدعة أن إرادة الله تعالى لشكر عباده مثلاً مقدمة على وجود الشكر منهم فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الإرادة وقد جعل في الآية مشروطاً وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطاً ومجزياً واللازم من ذلك عقلاً تقدم المراد وهو الشكر على الإرادة وهي الرضا ولغة تقدم المشروط على الشرط والزمخشري أخص من قال إن المشروط متى كان ماضياً محضاً لزمته الفاء وقد كقولك إن تكرمى فقد أكرمك قبل وقد عريت الآية عن الحرفين المذكورين على أنه لا بد من تأويل يصح الشرطية مع ذلك فإذا ثبت بطلان حمل الرضا على الإرادة عقلاً ونقلنا تعين التماس الحمل الصحيح له وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضي عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم وإن تشكروا يجازكم على شكركم جزاء المرضي عنه ولا شك أن المجازاة مستقبلية بالنسبة إلى الشكر فجرى الشرط والجزاء على مقتضاها لغة وانتظم ذلك بمقتضى الأدلة العقلية على بطلان تقدم المراد على

(قوله ليثبت لله تعالى) إنما يتم لو كان الرضاء بمعنى الإرادة وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة هو غيرها فكفر الكافر مراد غير مرضى وعند المعتزلة غير مراد ولا مرضى

مَنْ أَحْبَبَ النَّارَ ۖ أَمِنْ هُوَ قَنْتَ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَامًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۖ قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۖ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما (ساجدا) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين ۖ وقرئ ويحذر عذاب الآخرة ۖ وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدياد عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى حذيفة ابن المغيرة المخزومى وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتبادى في المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية ۖ وقرئ إنما يذكر بالإدغام (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة غير مكتنته بالوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فإن قلت) إذا علق الظرف بأحسنوا فأعرا به ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفا ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلادهم كثيرة فلا يجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد آخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هى أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلياء في طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل إنى أمرت) بإخلاص الدين (وأمرت) بذلك لأجل (أن أكون أول المسلمين) أى مقدمهم وسابقهم في

الإرادة عقلا ومثل هذا يقدر في قوله ولا يرضى لعباده الكفر أى لا يجازى غير الكافر مجازاة المغضوب عليه من النكال والعقوبة ۖ قوله تعالى آمن هو قانت آتاء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قال سئل الحسن عمن يتبادى على المعاصى ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضى الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزمخشري بقريته حاله فإن الحسن أراد أن المتبادى على المعصية مصرأ عليها غير تائب إذا غلب رجاءه خوفه كان متمنيا لأن الاتق بهذا أن يغلب خوفه رجاءه ولم يرد الحسن إقناط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه وأما قريته حال الزمخشري فإنها تتم على ما أضمره من إيراد هذه المقالة فإن معتقده أن مثل هذا العاصى وإن كان موحدا يجب خلوده في نار جهنم ولا معنى لرجائه ولتتميته صحة هذا المعتقد أورد مقالة الحسن كالإتمام إلى تتميم هذه النزعة وعما قليل يقرع سمعه ما فى أبناء هذه

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۝ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبق في الدين فمن أخلص كان سابقاً (فإن قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به نصب سبق في الدين شيء وإذا اختلف وجهها الشيء وصفناه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في أسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه بجيء بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زمانى ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً وأن أكون أول من دعا نفسه إلى مادعا إليه غيره لا كون مقتدى بي في قولى وفعلى جميعاً ولا تكون صفتى صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولوية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى أن الله أمرنى أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليل العقل والوحى ۝ فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوته إلى دين آبائه (فإن قلت) مامعنى التكرير في قوله قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصاً له ديني) (قلت) ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وآخره في الأول فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فأعبدوا ما شئتم من دونه) والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلى على ما حققت فيه القول مرتين قل إن الكاملين في الخسران الجامعين لوجوه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها فيهلكة لاهلكة بعدها (و) خسروا (أهلهم) لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده إلههم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعنى وخسروا أهلهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين (ومن تحتم) أطباق من النار هي (ظلال) الآخرين (ذلك) العذاب هو الذى يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون)

السورة ۝ قوله تعالى « قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت أن أكون أول المسلمين » إلى قوله « قل الله أعبد مخلصاً له ديني » (قال فيه فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير الخ) قال أحمد ولقد أحسن في تقوية هذا المعنى في هذه الآية بقوله فأعبدوا ما شئتم من دونه فإن مقابلته بعدم الحصر توجب كونه للحصر والله أعلم وما أحسن ما بين وجوه المبالغة في وصف الله تعالى لفظاً خسرانهم فقال استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وبين في تسمية الشيطان طاغوتاً وجوها ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان الثاني بناؤه على فعلوت وهي صيغة مبالغة كالرحوت وهي

(قوله وخسروهم لأنهم لم يدخلوا) لعله خسروهم بدون واو

فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتَ تُتَّقِدُ مِنَ النَّارِ ۚ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ

ولا تتعزضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة وقرئ يا عباد (الطاغوت) فعلوت من الطغيان
كالمسكوت والرحموت إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدر أو فيها مبالغات
وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحمت الرحمة الواسعة والمسكوت الملك المبسوط
والقلب وهو الاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت
بدل الاشتغال (لهم البشرى) هي البشارة بالثواب كقوله تعالى «لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة» الله عز وجل يبشرهم
بذلك في وحيه على السنة رسله وتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى «يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشرا كم اليوم جنات» وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)
الذين اجتنبوا أو أنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإقامة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير
وأراد أن يكونوا نقاداً في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب
اخترأ الواجب وكذلك المباح والندب حترأ على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً ويدخل تحته المذاهب واختياراً أثبتا
على السبك وأقواها عند السبر وأينها دليلاً أو أماراً وأن لا تكون في مذهبه كما قال القائل :

ولا تكن مثل غير قيد فانتقاداً يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله
فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى»
وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن
ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه
على الابتداء وخبره (أولئك) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار
والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أنت مالك أمرهم فمن حق عليه
العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كترت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير
فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أمّن حق عليه العذاب فأنت تخلّصه فأنت تنقذ من في النار
وإنما جاز حذف فأنت تخلّصه لأن فأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله فأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى
هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر
أن تخلّصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه (غرف من فوقها غرف) علالي بعضها فوق بعض (فإن قلت)
ما معنى قوله (مبنيّة) قلت معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها (تجري من تحتها الأنهار)
كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العاق والسفل (وعاد الله) مصدر مؤ كدلان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك

الرحمة الواسعة والمسكوت وشبه الثالث تقديم لأمه على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية ۚ قوله تعالى
«الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» (قال يدخل تحت هذا المذاهب واختياراً أثبتا على السبك وأقواها عند السبر الخ)
قال أحمد لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة حتى حقت من كلامه
هذا أن ذلك التصميم كان متمكناً من فؤاده الصميم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج قتره مصفراً ثم يجعله حطماً إن في ذلك لذكرى لأولى الالباب
أحسن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقسمة قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال
مبين الله نزل أحسن الحديث كتباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

(أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله (فلسفه) فأدخله
ونظمه (ينابيع في الأرض) عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد (مختلفاً ألوانه) هيئته من خضرة وحمرة وصفرة
وبياض وغير ذلك وأصنافه من برّ وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه عن الأصمى لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور
عن مثابته ويذهب (حطاماً) فئاتاً ودريناً (إن في ذلك لذكرى) لند كبراً وتنبيهاً على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن
عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلاً للدنيا كقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء يصب على الثمر
وقرئ مصفراً (فن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلفظ به حتى أنشراح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو
حرج الصدر قاسى القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقبل يارسول الله كيف أنشراح الصدر
قال إذا دخل النور القلب أنشرح وانفسح فقبل يارسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والنجاة عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله آمن هو فانت في حذف الخبر (من ذكر الله) من أجل ذكره
أى إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشتأوا وازدادت قلوبهم قسوة كقوله تعالى فزادتهم رجساً إلى رجسهم وقرئ عن
ذكر الله (فإن قلت) ما الفرق بين من وعن في هذا (قلت) إذا قلت قساقبه من ذكر الله فالعنى ما ذكرت من أن القسوة
من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالعنى غلظ عن قول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاء من العيمة أى
من أجل عطشه وسقاء من العيمة إذا أرواه حتى أبعدته عن العطش عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ملوامة فقالوا له حدثنا فنزلت وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث
ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وإنه من عنده وإن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبه على
أنه وحى معجز مبين لساير الأحاديث و(كتاباً) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالاً منه (ومتشابهاً)
مطلق في مشابهة بعضه بعضاً فكان متناولاً لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق
وتناسب ألفاظه وتناسفها في التخيير والإصابة وتجاوب نظمها وتأليفه في الإعجاز والنبكيت ويجوز أن يكون (مثاني)
بياناً لكونه متشابهاً لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لمثنى من قصصه
وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعدته ووعيده ومواعظه وقيل لأنه ثنى في التلاوة فلا يمل كاجاء في وصفه لا يتفه
ولا يتشأن ولا يتخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى
ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كثرة بعد كثرة وكذلك ليلى وسعديك وحنانيك (فإن قلت) كيف وصف الواحد بالجمع
(قلت) إنما صرح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفصيل الشئ هى جملة لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع
وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق
وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار
وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصباً على التمييز من متشابهاً كما تقول رأيت رجلاً حسن الشأان
والعنى متشابهة مثانيه (فإن قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أنفر شئ عن حديث الوعظ والنصيحة فالم

(قوله فئاتاً ودريناً) في الصحاح الدرّين خطام المرعى إذا قدم وهو مابى من الحشيش

(قوله لا يتفه ولا يتشأن) في الصحاح النافه الحقيير اليسير وفيه تشانت القرية وأخلقت وتشأن الجلد يابس وتشنج

وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَالَهُ مِنْ هَادٍ أَفَنْ يَتَّبِعَ بُوجْهَهُ
سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِ الْعَذَابِ الْآخِرَةُ أَكْبُرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝

يكرر عليها عودا عن يده لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فإن قلت) ما وجه تعدية لأن يالى (قلت) ضمن معنى فعل متعد بالى كأنه قيل سكنت أو اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية (فإن قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لأن أصل أمره الرحمة والرافقة ورحمته هي سابقة غضبه فلا صلة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤفا رحما (فإن قلت) لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا (قلت) إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فاذا ذكروا الله ومبني أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينافى جلودهم (ذلك) إشارة إلى الكتاب وهو (هدى الله يهدي به) يوفق به من يشاء يعنى عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى المتقين (ومن يضل الله) ومن يخذله من الفساق والفجرة (فما له من هاد) أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أى أثر هداة وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدى به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعنى من صحب أولئك وراهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه وإصراره على الجحود فما له من هاد من مؤثر فيه بشئ قط يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتناه بيده وتقديره (أفنى يتقى بوجهه سوء العذاب) كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يبق بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يده إلى عنقه فلا يتبأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذي كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل وقيل لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر بآتيهم منها بينما هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من ما منهم ۝ والحزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلام وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة

قوله تعالى أفنى يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه معناه) كمن هو آمن فحذف الخبر أسوة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى في النار والعياذ بالله لم يقصد الانتقام بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقى به النار غير وجهه ولو وجد لفعل فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال

(قوله من الخوف وقف شعره) أى قام من الفزع كذا في الصحاح (قوله ومن يخذله من الفساق) تأويل الضلال بذلك مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يخلق الشر وعند أهل السنة أنه يخلق له كالخير فالإضلال خلق الضلال في القلب

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ

كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح (غير ذي عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف (فإن قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد وقد أتاك يقين غير ذي عوج ۝ من الإله وقول غير مكذوب

واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المالك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبدهم فهم يتجادبون ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده وإذا عنت له حاجة تدافعه فهو متحير في أمره سادر قد تشبعت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدین أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبا كما قال تعالى ولعلنا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد ومن يطلب رزقه ومن يلمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلهًا واحدًا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله و (فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخص الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه (سالمًا لرجل) خالصًا وقرئ سالمًا بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرهما مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أظن لما شق به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالهما وإنما اقتصر في التمييز على لواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفي بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجهاً إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميئ والمائت أن الميئ صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائت غدا أي سيموت وسيسود

المتقي بوجهه فعبّر عن ذلك بالانتقاء من باب المجاز التشبيل والله أعلم ۝ قوله تعالى إنك ميت وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (قال فيه قرئ إنك ميت ومائت الخ) قال أحمد فاستعمال ميت مجاز إذا الخطاب مع الأحياء واستعمال مائت حقيقة إذ لا يعطى اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها يعني توفى الموت والتي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين المنام تشبيهاً للنوم بالموت كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حياة ويرسل الأخرى أي النائمة إلى الأجل الذي سماه أي قدره لموتها الحقيقي هذا أوضح ما قيل في تفسير الآية والله أعلم

(قوله في أمره سادر) في الصحاح السادر المتحير (قوله فهمه شعاع) بالفتح أي متفرق وقولهم بها أوزاع من الناس أي جماعات كذا في الصحاح (قوله ونعى إليكم أنفسكم) لعله إليهم أنفسهم

عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۖ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۖ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا
 وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله (إنك ميت وإنهم ميتون)
 إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان (ثم إنكم) ثم إنك وإياهم فغلب ضمير
 المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد
 ويعتذرون بمالا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآبأنا الأقدمون
 وقد حمل على اختصاص الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدى والمؤمنون الكافرين
 يكتسبون بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه
 الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتاب قلنا كيف نختم ونبيننا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب
 وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد
 فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت
 الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة
 والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله تعالى فن أظلم من كذب على الله وقوله تعالى والذي
 جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) افتري عليه بإضافة الولد
 والشريك إليه (وكذب بالصدق) بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (لإذ جاءه) فاجأه
 بالكذب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون
 (مثنوى للكافرين) أى هؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين إشارة إليهم (والذي جاء بالصدق
 وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه
 في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فذلك قال (أولئك هم المتقون) لأن هذا في الصفة وذاك في الاسم
 ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا
 به وفي قراماة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس ولم يكذبهم
 به يعنى أداه لهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أى بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من
 الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجرها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا لصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ
 وصدق به (فإن قلت) ما معنى إضافة الأسوة والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فهما (قلت) أما الإضافة
 فمأهى من إضافة أفعال إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك
 الأشج أعدل بنى مروان وأما التفضيل فإيدان بأن السبىء الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المسكفرة هو عندهم
 الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ
 وحسنهم بالأحسن وقرئ أسواء الذى عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي
 فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الأنبياء
 وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرفتها لعيبك

يُضِلُّ اللَّهُ قَوْمَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۖ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ
هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۖ
قُلْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۖ
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

إياها ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذر كها يا خالدا إن لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد
خالدا إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في موطن
الخوف وفي هذاتكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضرر أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أمهم نحو ذلك فكفاهم
الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافهم
في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافى عباده على الإضافة ويكافى عباده ويكافى يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة
من الكفاية كقولك يجازى في يحزى وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة والمبالاة أن يكون مهموزا من المكافأة
وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم (بالذين من دونه) أراد الآوثان التي اتخذوها آلهة من دونه (بعزى)
بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم قرئ
كاشفات ضره ومسكات رحمته بالتثنية على الأصل وبالإضافة للتخفيف (فإن قلت) لم فرض المسئلة في نفسه دونهم
(قلت) لأنهم خوفوه معرة الآوثان وتخيلها فأمر بأن يقرهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير
فإذا أرادني خالق العالم أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما
هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عنى ضره أو مسكات رحمته حتى إذا أقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يجيروا
بينت شفة قال (حسبى الله) كافيا لمعرة أو ثنائكم (عليه يتوكل المتوكلون) وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله (فإن قلت) لم قيل كاشفات ومسكات على التانيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين
من دونه (قلت) أنهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
ألكم الذكر وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة لأن
الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث اللاتي هن اللات والعزى
ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا (على مكاتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي
تمسكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث الزمان وهما للبيان (فإن قلت)
حق الكلام فإني عامل على مكاتى فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإبذان بأن حاله لا تقف
وتزداد كل يوم قوة وشدة لأن الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى إلى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه)
كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لأنهم إذا أناهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته
من حيث أن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه (يخزيه) مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب أى
عذاب يخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار ۖ وقرئ مكاناتكم (للناس) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه
ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لى إلى ذلك فأنا الغنى فمن اختار الهدى فقد
نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها ۖ وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فإن التكليف مبنى على الاختيار دون

بوكيل ۞ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۞ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ۞ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ۞ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ۞ قل اللهم فاطر السموات والأرض علم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون ۞

الإجبار (الأنفس) الجمل كما هي ۞ وتوفى إمامتها وهوان يسلب ما هي به حية حساسة ذراكة من صحة أجزائها وسلامتها لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت (والتي لم تمت في منامها) يريد ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي بتوفاهما حين تمام تشبيهها للنايمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك (فيمسك) الأنفس (التي قضى عليها الموت) الحقيقي أي لا يردّها في وقتها حية (ويرسل الأخرى) النائمة (إلى أجل مسمى) إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الأنفس يستوفىها ويقبضها وهي الأنفس التي تسكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى في النوم هي نفس التمييز لأن نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والناشم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضى الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لأن الله عز وعلا خلق التوفى والموت والنام جميعا بالأنفس وما عوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وإنما الجملة هي التي تموت وهي التي تام (إن في ذلك) إن في توفى الأنفس مائة وثمانية وأمسأ كهوا وإرسالها إلى أجل لا بات على قدرة الله وعلمه لقوم يحلون فيه أفكارهم ويعتبرون ۞ وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قریش والهمزة للإنكار من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعائنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعته إلا بشرطين أن يكون المشفوع له مرضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا (أولو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيئا ولا يعقلون) أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملسكوا الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والأرض) تقرير لقوله تعالى الله والشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فإن قلت) بم يتصل قوله (ثم إليه ترجعون) (قلت) بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم لإلا له فله ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله وحده أي إذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أي نفروا وانقبضوا (وإذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أولم يذكر استبشروا لافتنائهم بها ونسيانهم حق الله إلى هوام فيها وقيل إذا قيل لإلا له إلا الله وحده لاشريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشتمزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشتمزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه (فإن قلت) ما العامل في إذا ذكر (قلت) العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا

(قوله وقت الاستبشار بعلى رسول الله) في الصحاح بعلى الرجل بالكسر أى دهش (قوله وعن الربيع بن خثيم)

في النسفي خثيم

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضِرْدَانَاهُ إِذَا خَوْلَتْهُ نِعْمَةً مَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا

وقت الاستبشار بعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدّة شكيמתهم في الكفر والعناد فقليل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم ولإعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليّة له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (وبدأهم من الله) وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله تعالى في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدّثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وعن سفیان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقليل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يدبولى من الله ما لم أحسبه (وبدأهم سيئات ما كسبوا) أى سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسمها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم * التخويل مختص بالتفضل يقال خولني إذا أعطاك على غير جزاء (على علم) أى على علم منى أنى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق أو على علم من الله بى وباستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى (فإن قلت) لم ذكر الضمير فى أو تيته وهو للنعمة (قلت) ذهابه إلى المعنى لأن قرله نعمة منا شيئا من النعم وقسمنا منها ويحتمل أن تكون ما فى إنما موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى أن الذى أو تيته على علم (بل هى فتنة) إنكار لقوله كأنه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أن تشكر أم تكفر (فإن قلت) كيف ذكر الضمير ثم أنه (قلت) حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرأ ولأن الخبر لما كان مؤثرا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لأجله لأنه فى معناه كقولهم ماجأت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أو تيته (فإن قلت) ما السبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو (قلت) السبب فى ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده أشمازت على معنى أنهم يشمزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضر دعامن أشمازت من ذكره دون من

* قوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أو تيته على علم بل هى فتنة (قال فيه معناه على علم من الله بى وباستحقاق الخ) قال أحمد كذلك يقول على قدرى تمنى على الله أن يثيبه فى الآخرة أن الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة أن حمد الدنيا واجب على العبد لأنه على نعمة متفضل بها وحمد الآخرة ليس بواجب عليه لأنه على نعمة واجبة على الله عز وجل ولقد صدق الله إذ يقول وهى فتنة إنما سلم منها أهل السنة إذ يعتقدون أن الثواب بفضل الله وبرحمته لا باستحقاق ويتبعون فى ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولأنت يا رسول الله قال ولأنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته فما أحق من منى نفسه وركب رأسه وطمع أنه يستحق على الله الجنة (قال فإن قلت لم عطف هذه الآية على التي قبلها بالفاء والآية التي قبلها فى أول السورة بالواو وأجاب بأن هذه الآية مسببة عن قوله وإذا ذكر الله الخ) قال أحمد كلام جليل فافهمه فضلا عن مشبه قليل

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَسَأَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ فَاصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۚ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۚ

استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض (فإن قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) مافي الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقاً أو إياهم خاصة إن عنيهم به كأنه قيل ولو أن هؤلاء الظالمين مافي الأرض جميعاً ومثله معه لاقتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم والابقيت محتجبة في أحكامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسيبة وما هي إلا جملة ناسبة جملة قبلها فعضفت عليها بالواو وكقولك قام زيد وقعد عمرو (فإن قلت) من أي وجه وقعت مسيبة والاشتماز عن ذكر الله ليس بمقتضى لالتجأهم إليه بل هو مقتضى لصدوفهم عنه (قلت) في هذا التسبيب لطف وبيان أنك تقول زيد مؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر لالبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فتجىء بالفاء بجيتك به ثم كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ويجريه مجراه في جعله سبباً في الالتجاء فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام والإنكار والتعجب من فعله ۚ الضمير في (قالها) راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول ۚ وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلاً (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركى قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم بدر وحبس عنهم الرزق ففحطوا سبع سنين ثم بسط لهم ففطروا سبع سنين فقيل لهم (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا) أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها (لا تقنطوا) قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) يعنى بشرط التوبة وقد تكرّر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكر آله فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا للملك وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفى الخوف في قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبداً أو ثاناً وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوئان وقتلنا النفس التي حرم الله فزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا فكننا نقول لا يقبل الله لهم صرفاً ولا عدلاً أبداً فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت

(قوله المعترض بينه وبينه) لعل قوله وبينه مزيد من بعض الناصحين (قوله لصدوفهم عنه) أى إعراضهم أفاده الصراح (قوله يعنى بشرط التوبة) عند التوبة فالعموم شامل للشرك وعند عدمها فلا غفران للكبائر عند المعتزلة ويجوز بالشفاعة وبمجرد الفضل عند أهل السنة « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » كما تقرّر في علم التوحيد فارجع إليه

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۖ أَنْ تَقُولَ
نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ۖ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ ۖ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَآئِي

في وحشي قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن ألى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل
يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات (وأنبيوا إلى ربكم) وتوبوا إليه (وأسلوا
له) وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط
فيها لازم لا تحصل بدونه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم
لا تشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئاً لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فإن
قلت) لم نكرت (قلت) لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما
بالبهاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكسير كما قال الأعشى

ورب بقيق لو هتفت بجوه ۖ أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحداً ونظيره ربّ بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة
ولا يقصد إلا التكسير ۖ وقرئ يا حسرتى على الأصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوّض منه والجنب الجانب
يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجانب ثم قالوا فزط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق
البربرى أما تتقين الله في جنب وامق ۖ له كبد حترى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه ألا ترى إلى قوله :

إن السباحة والمروءة والنسب ۖ في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لا جلك وفي الحديث من الشرك الخفي أن يصلى الرجل لمكان الرجل وكذلك
فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل (فزطت في جنب الله) على معنى
فزطت في ذات الله (فإن قلت) فرجع كلامك إلى أن ذكر الجانب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغها فكانه
قيل فزطت في الله فامعنى فزطت في الله (قلت) لابد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجانب أولم يذكر والمعنى فزطت
في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبدالله وحفصة في ذكر الله وما في ما فزطت مصدرية مثلها في ممارجت
(وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى يخسر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه
قال فزطت وأنا ساخر أى فزطت في حال سخريتي وروى أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه إبليس وقال له تمتع من
الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأفقه في الفجور فأناه ملك الموت في الأذى كان فقال يا حسرتا على ما فزطت في جنب الله ذهب عمري
في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الدم فأنزل الله خبره في القرآن (لو أن الله هدانى) لا يخلو إما أن يريد به الهداية

(قوله لو هتفت بجوه أتاني كريم) في الصحاح الجوق القطعة من الأرض فيها غلظ وما اتسع من الأودية وما بين السماء والأرض
وفيه البقيع موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى وأما الحق بالخاء المهملة فلم يذكر فيه نعم ذكر الحقوة بمعنى سواد مشوب
بجمرة (قوله لا يخلو إما أن يريد به الهداية) تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة ولكن خلق الهداية لا يصل إلى حد الإلجاء لأنه
لا يسلب الاختيار عند أهل السنة كخلق التقوى والطاعة وغيرهما من الأفعال الاختيارية لما أثبتوه للعبد من الكسب فيها وإن
كان فاعلها في الحقيقة هو الله تعالى كما تقرر في التوحيد

فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَسْوَدَةٌ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مِثْوًى لِّلْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَاقَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

بالإلجاء أو بالإلطف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الإلطف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يتهدى وإنما يقول هذا تحيراً في أمره وتعللاً بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتي) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فإن قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهما وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبشير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فإن قلت) كيف صح أن تقع بلى جواباً لغير مني (قلت) لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجوز أن يخلق خلقاً لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويحسمونه بكونه ممرئاً معانينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يد أو قدما وجنبا متسترين باللبس الكفة ويجعلون له أنداداً بإثباتهم معه قدماء (وجوهم مسودة) جملة في موضع

قوله تعالى ۝ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهمهم مسودة ۝ (قال فيه يعنى الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحمد قد عدا طور التفسير لمرض في قلبه لادواء له إلا التوفيق الذى حرمه ولا يعافيه منه إلا الذى قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسقيم عليه حد الرد لأنه قد أبدى صفحته ولولا شرط الكتاب لأضر بنا عنه صفحا ولو بنا عن الالتفات إليه كشحا والله التوفيق فنقول أما تعرضه بأن أهل السنة يعتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى فيرجعه باعتقادهم المشار إليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة «الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل» أما الزمخشري وإخوانه القدرية فيغيبون في وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شيء لأن القبائح أشياء وليست مخلوقة له فاعتقدوا أنهم زهوا وإلما أشركوا وأما تعرضه لهم في أنهم يجوزون أن يخلق خلقاً لا لغرض فذلك لأن أفعاله تعالى لا تتعلل لأنه الفعل لما يشاء وعند القدرية ليس فعلا لما يشاء لأن الفعل إما منطوق على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعله عندهم وإما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعله فإين أثر المشيئة إذا ۝ وأما اعتقاده أن في تكليف ما لا يطاق تظليماً لله تعالى فاعتقاد باطل لأن ذلك إنما ثبت لازماً لاعتقادهم أن الله تعالى خالق أفعال عبده فالتكليف بها تكليف بما ليس مخلوقاً لهم والقاعدة الأولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم إلا النصف في ملك الغير بغير إذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ۝ وأما تعرضه بأنهم يجوزون أن يؤلم لا لعوض فيقال له ما قولك أيها الظنن في إبلام البهائم والأطفال ولا أعواض لها وليس مرتباً على استحقاق سابق خلافاً للقدرية إذ يقولون لا بد

(قوله وقرئ بكسر التاء على مخاطبة) لعل من كسرهما كسر الكاف أيضاً (قوله تعالى قوم يسفهونه بفعل القبائح) يريد بهم أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد ولو معاصي وأن فعله لا لغرض بل لحكمة وإبلام الأطفال لا يستوجب عليه عوضاً وتظليماً نسبة إلى الظلمة بتجوز تكليف المحال كما في علم الأصول وجوزوا عليه الرؤية وهي غير مختصة بالأجسام عندهم وجوز السلف أن يكون له يد ونحوها لكن لا كالأيدى وأراد بالقدماء صفات المعاني كالقدرة والإرادة حيث قال أهل السنة إنها موجودة بوجودات زائدة على وجود الذات وتحقيق ذلك في التوحيد والأصول فانظره والبالسكة قره لهم بلا كيف

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

الحال إن كان "ي" من رؤية البصر ومفعول ثانٍ إن كان من رؤية القلب ۝ وقرئ ينجي وينجي (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله (لا يمسه السوء ولا هم يحزنون) كأنه قيل ما مفازتهم فقيل لا يمسه السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة (فإن قلت) لا يمسه ما محله من الإعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثانى فمحله النصب على الحال (له مقاليد السموات والأرض) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزان ومدير أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقى إليه مقاليد الملك وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقلد ويقال لمقلد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فإن قلت) ما للكتاب العربى المبين وللفارسية (قلت) التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال الملهل من كونه مهملا ۝ (فإن قلت) بما اتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجي الله الذين اتقوا أى ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون وأعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء فى السموات والأرض فآلة خالقه وفتح بابه والذين كفروا واجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تسلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا آيات

فى الألم من استحقاق سابق أو عوض ۝ وأما اعتقاده أن تجوز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية فإنه اغترار فى اعتقاده بأدلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية ولم يشعر أنه يقابل بهداية قول نبي الهدى عليه الصلاة والسلام إنكم سترون ربكم كلقمر ليلة البدر لاتضمامون فى رؤيته فهذا النص الذى ينبوع عن التأويل ولا يردع المتمسك به شيء من التأويل وأما قوله لهم يتسترون بالملكفة فى معنى به قولهم بلا كيف أجل إنها لستر لانتسك يد الباطل البتراء ولا تبعد عن الهدى عين الضلال العوراء وأما تعريضه بأنهم يجعلون لله أندادا بإثباتهم معه قدام فى لإثباتهم صفات الكمال كلا والله إنما جعل لله أندادا القدريه لاذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويشتهون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا إن ما شاؤهم كان وما شاء الله لا يكون وأما أهل السنة فلم يزيدوا على أن اعتقدوا أن الله تعالى علما وقدره وإرادة وسمعا وبصرا وكلاما وحياة حسبا دل عليه العقل وورد به الشرع وأى مخلص للقدري إذا سمع قوله تعالى وسع ربنا كل شيء علما إلا اعتقاد أن الله تعالى علما أو جحد آيات الله وإطفاء نوره وبأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأما قوله إنهم يشبهون الله تعالى يدا وقدماء ووجها فذلك فرية ما فيها مرية ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة وإنما أثبت القاضي أبو بكر صفات سمعية وردت فى القرآن اليدان والعينان والوجه ولم يتجاوز فى إثباتها ما وردت عليه فى كتاب الله العزيز على أن غيره من أهل السنة حمل اليدى على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك فى مواضع من الكتاب فقد اتصف فى هذه المباحثة بحال من بحث بظلفه عن حقه وتعريضه معتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه وإنما حملنى على إغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فإنه قد أساء عليهم الأدب ونسبهم بكذبه إلى الكذب

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدْ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۖ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ بَلْ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۖ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

والله وكلمات توحيده وتمجيده (أغفر الله) منصوب بأعبدو (تأمروني) اعتراض ومعناه أغفر الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا وتؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدوني وتقولون لي أعبد والأصل تأمروني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ۖ ألا أي هذا الزاجري أحضر الوغي ۖ ألا تراك تقول أغفر الله تقولون لي أعبد وأغفر الله تقولون لي أعبد فكذلك أغفر الله تأمروني أن أعبد وأغفر الله تأمروني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب ۖ وقرئ تأمروني على الأصل وتأمروني على إدغام النون أو حذفها ۖ قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولتحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك ۖ (فإن قلت) الموحى إليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله وأوحى إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا (فإن قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساذ مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط (فإن قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لا متناع الداعي إليه وجود الصارف عنه ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل وتكونن من الخاسرين بسبب جبوط العمل ويحتمل وتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى إذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف المات (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ماأمروك بعبادته بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد فاعبد ۖ لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وما قدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمتهم وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملة ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنهه جلالة لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى

والله الموعده قوله تعالى بل الله فاعبد (قال فيه أصل الكلام إن كنت عابداً فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه اه كلامه) قلت مقتضى كلام سيوي في أمثال هذه الآية أن الأصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً فلما وقعت الفاء أو لا استسكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدما المفعول وصارت متوسطة لفظاً ودالة على أن ثم محذوفاً اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها وينضاف إلى هذه الغاية في التقديم فائدة الحصر كما تقدم من إشعار التقديم بالاختصاص ۖ قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه (قال) فيه الغرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنهه جلالة من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حبراً

أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً مما قال ثم قرأ تصديقاً له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة أن الأفعال العظام التي تنحيز فيها الأفهام والأذهان ولا تنكسها إلا وهام هينة عليه هو أن لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا لإجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل ولا ترى بآبى علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديماً وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدره حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير ولا يعرف قبلاً منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعاً وقوله والسموات ولأن الموضوع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أنبج الجميع مؤكداً قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الاراضى كهن والقبضة المرة من القبض وقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضاً أعطى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روى أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعاً قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى أن الارضين مع عظمتهم وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أى ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الارضين بحملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفاً مشبهاً للوقت بالمهم * مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب وعادة طوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملسكه بلامدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات

جاء إليه فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب مما قال الخبر ثم قرأ هذه الآية تصديقاً له وإنما ضحك أفصح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يوصل السامع إلى الوقوف عليها إلا لإجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخيل ثم قال وأكثر كلام الأنبياء والكتب السماوية وعليتها تخيل قد زلت فيه الأقدام قديماً اه كلامه (قلت) إنما عني بما أجراه ههنا من لفظ التخيل التمثيل وإنما العبارة موهمة منكورة في هذا المقام لا تنليق به بوجه من الوجوه والله أعلم

(قوله أن جبريل جاء إلى رسول الله) قيل الصواب أنه خبر من أحبار اليهود لاجبريل ويدل عليه ما في البخارى ومسلم والترمذى كذا بهامش ويؤيده أن يا أبا القاسم عادة اليهود في ندائه صلى الله عليه وسلم (قوله وعليته تخيلات) أى معظمه (قوله وما أتى الزالون) أى أجبيوا (قوله بالتأويلات الغثة) في الصحاح الغث نبت يختبئ حبه ويؤكل في الجوب وتكون خبزه غليظة شبيهة بخبز الملة (قوله قبلاً منه من دبير) في الصحاح القبيل ما تقبل به المرأة من غزلها حين تقتله وفيه الدبير ما تدبره به المرأة من غزلها حين تقتله ومنه قيل فلان ما يعرف قبلاً من دبير (قوله نهى عن خطفة السبع) أى والمراد مخطوفة

يُشْرِكُونَ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۖ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم
بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۖ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

يمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليلتهى بالتعجب منه
ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته ومأمي من به أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين
العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم
السماوات في حكم الأرض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعد من هذه قدرته
وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء (فإن قلت) (أخرى) ما حملها من الإعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب
أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور
نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذف لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما
ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوتين إذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام
بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتعيرهم ۖ قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل
وهذا من ذلك والمعنى (وأشرفت الأرض) بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن
الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار لإضافته إلى اسمه لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها
حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها
منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وإنما يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على أشراق الأرض
من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل
أشرفت الآفاق بعد ذلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول أظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظلم ظلمات يوم القيامة وكافح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرفت على البناء للمفعول من شرفت بالضوء
تشرق إذا امتلأت به واغتصت وأشرفها الله كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها عدلا (الكتاب) صحائف الأعمال ولكنها كتفي
باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للأئمة وعليهم من الحفظة والاختيار وقيل المستشهدون في سبيل الله
الزمر الأفواج المتفرقة بعضها في أثر بعض وقد تزمروا قال حتى أزال تزمروا بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة
الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ۖ وقرئ نذر منكم ۖ (فإن قلت) لم أضيف إليهم اليوم (قلت) أرادوا لقاء وقتكم
هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضا في أوقات الشدة (قالوا بلى) أتونا
وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لا ملأنا جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا

(قوله ومأمي به من أمثاله) أي ابتلى (قوله أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ) أي في الخافعة وقوله من قرأ أي هناك وقوله
حذفت أي هنا (قوله بمعنى الوقوع والجمود) لعله الوقوف (قوله وقد تزمروا) وفي نسخة أخرى تزامروا وفي الصحاح
أحزالت الإبل في السير ارتفعت

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسَيَقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمَا
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّمَ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْثَرَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ
الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال * اللام في المتكبرين للجنس لأن (مثنوى المتكبرين) فاعل بئس
وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثنوى المتكبرين
جهم (حتى) هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في
صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى إذا جاءوها جاءوها
وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها
بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جرى بالواو كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها (فإن قلت)
كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل
بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم
إلا راكبين وحشا إسرعاهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بما يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك
فستان ما بين السوقين (طبم) من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسيبا عن
الطيب والطهارة فما هي إلا دار الطيبين ومثنوى الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قدر فلا يدخلها
إلا مناسب لها موصوف بصفتهما فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن
يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقى أنفسنا من درن الذنوب وتبسط هذه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود
(الأرض) عبارة عن المكان الذى أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوا وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق
تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في إنفاقه طولا وعرضا (فإن قلت)
مامعنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوا أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة
على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره (حافين) محققين من حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون
سبحان الله والحمد لله متلذذين لامتعدين (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع إلى العباد
كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع إلى الملائكة على أن
ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم
فهو القضاء بينهم بالحق (فإن قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضى بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة
كأنه قيل وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإنزال كل منا منزله التى هي حقه . عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة
رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر

سورة غافر مكية

إلا آتيتي ٥٦ و ٥٧ فدينيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

﴿سورة المؤمن مكية﴾

﴿قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة ، وقد قيل في الحواميم كلها﴾

أنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية ، وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قرئ بإمالة ألف وتثنيهما وبسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو التعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل . التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول والفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل (فإن قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتكثيراً والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف (قلت) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلاً وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبوّ ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد أذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزواج ما قبله وما بعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سعادته من عناديه فتشوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل أنه على نية الألف واللام كما كان الجاء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعدد تكثيره وإيهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى مالا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز

﴿القول في سورة غافر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب» الآية (قال) فيه فإن قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتكثيراً والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف وأجاب بأن غافر الذنب وقابل التوب معرفتان لأنهما صفتان لازمتان وليستا لحدوث الفعل حتى يكونا حالاً أو استقبالا بل إضافتهما حقيقية وأما شديد العقاب فلا شك في أن إضافته غير حقيقية يريد لأنه من الصفات المشبهة ولا تكون إضافتها محضة أبداً ۝ عاد كلامه قال وجعله الزجاج بدلاً وحده وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبوّ ظاهر والوجه أن يقال أن جميعها أبدال غير أوصاف لو وقع هذه النكرة التي لا يصح أن تكون صفة كما لو جاءت قصيدة تفاعيلها كلها على مستفعلن قضى عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل (قلت) وهذا لأن دخول مستفعلن في الكامل يمكن لأن متفاعلن يصير بالضمير إليه مستفعلن وليس وقوع متفاعلن في الرجز ممكناً إذ لا يصير إليه مستفعلن البتة فما يفضي إلى الجمع بينهما فإنه يتعين وهذا كما يقضى الفقهاء بالخاص على العام لأنه الطريق في الجمع بين الدليلين وأجاز فيه وجهاً آخر وهو

الْعَقَابُ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ * مَا يَجِدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبَلَدِ * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُلُوا بِالسَّبِيلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

أن يقال هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال (فإن قلت) ما بال الواو في قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جلية وهي إفادة الجمع للذنب النائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذابأس شديد من أهل الشام فقبل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأما أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وبسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير، وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى نجد صاحبا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرتي عقابه فلم يبرح يردد ها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحاكم قدزل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه * سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجدادوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيف بها وعنه فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالا في القرآن كفر وإيراده منكر أول أن لم يقل إن الجدال تمييز منه بين جدال وجدال (فإن قلت) من أين تسبب لقوله (فلا يغرك) ما قبله (قلت) من حيث أنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قریش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد * ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسول وجدالهم بالباطل وما أذخرهم من سوء العاقبة مثلاما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه * وقرئ فلا يغرك (الأحزاب) الذين تحزبوا على الرسل وناصرهم وهم عادوثود وفرعون وغيرهم (وهمت كل أمة) من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) لئتمكنا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للآسير أخيد (فأخذتهم) يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادته أخذه إن أخذتهم

أن تكون كلها صفات معارف ويكون شديد العقاب مخدوف الألف ليجانس ما قبله وذلك مثل قولهم ما يعرف بخادليه من عنادليه فتوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قد قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا أنه على نية الألف واللام كما جاء الجاء الغفير على نية حذف الألف واللام مضافا إلى ما سهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة * وأجاز وجه آخر وهو أن يكون صفة قصد تنكيرها لما في الإبهام من الدلالة على فرط الشدة * قال ولعل هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال * قال فإن قلت فما بال الواو في قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكتة جلية وهي إفادة الجمع بين رحمتي مغفرة الذنب وقبول التوب * قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الآية (قال) الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لإدحاض الحق وقصد إطفاء نور الله فقد دل على ذلك قوله تعالى وجدادوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الزيف عنها فأعظم جهاد في سبيل الله تعالى وعلى هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام إن جدالا في القرآن كفر ولهذا أورده منكرًا للتمييز بين جدال وجدال

النَّارِ ۝ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

(فكيف كان عقاب) فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعانون أن ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (أنهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بخذف لام التعليل وإيصال الفعل ۝ والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار ۝ قرئ كلمات ۝ روى أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تنفكوا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلفا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضام من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع وفي الحديث إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائميتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صنّف من الملائكة يطوفون به مهملين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالنهل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الإيمان على الشمايل مامنهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ۝ وقرأ ابن عباس العرش بضم العين (فإن قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) لا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصالح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معانين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزّه عن صفات الأجرام وقدر وعي التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعث شيء على محاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الإيمان

۝ قوله تعالى « يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا » الآية (قال) فيه إن قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة يؤمنون بالله تعالى وأجاب بأن فائدته إظهار شرف الإيمان كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصالح لذلك وكما عقب أفعال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما يقول المجسمون لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا ۝ قال وفيه تنبيه على أن الاشتراك في وصف الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعث شيء على محاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وبشر ومع ذلك لما اشتركا في صفة الإيمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقي والتناسب الجنسي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض اه كلامه (قلت) كلام حسن إلا استدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا لا يدل لأن الإيمان هو

(قوله حتى يصير كأنه الوضع) طائر أصغر من العصفور (قوله كما تقول المجسمة) يريد أهل السنة لأنهم لما جوّزوا رؤيته تعالى معانية لزعمهم القول بأنه تعالى جسم ولكن الرؤية لا تستلزم الجسمية خلافاً للبعثرة كما بين في علم النوحيد

وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۚ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ
عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ

الآماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوى وأرضى قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلى
والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن فى الأرض ۚ أى
يقولون (ربنا) وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فإن قلت) تعالى
الله عن المسكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء (قلت) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء فى المعنى والأصل
وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجنا
منصوبين على التمييز للإغراق فى وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء (فإن قلت) قد ذكر الرحمة
والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعاً وما ذكر إلا الغفران وحده (قلت) معناه فاغفر للذين
علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله الحق التى نهجها لعباده ودعا إليها (لأنك أنت العزيز الحكيم) أى
الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لاتفعل شيئاً إلا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تنفى بوعدك
(وقهم السيئات) أى العقوبات أو جزاء السيئات فحذف المضاف على أن السيئات هى الصغائر أو الكبائر المتوب
عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة (فإن قلت) ما الفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون
المغفرة والله لا يخلف الميعاد (قلت) هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح
بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم أى ينادون يوم القيامة فيقال لهم

التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل صحة إطلاق الإيمان بالآيات مع أنها مشاهدة كانشقاق القمر وقلب
العصا حية وإنما نقب الزمخشرى بهذا التسكلف عما فى قلبه من مرض لكنه طاح بعيداً عن الغرض فقرر أن حملة
العرش غير مشاهدين بدليل قوله تعالى ويؤمنون لأن معنى الإيمان عنده التصديق بالغائب ثم يأخذ من قولهم غير
مشاهدين أن البارئ عز وجل لو صحت رؤيته لرأوه فحيث لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى ممالا يصححه العقل وقد
أبطلنا ما ادّعاء من أن الإيمان مستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه فلا نسلم أنه يلزم من كون حملة العرش مشاهدين له
تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة الانتاج لأن الرؤية عبارة عن إدراك
يخلق الله تعالى هذا الإدراك لحملة العرش إلا أن يذهب بالزمخشرى الوهم إلى أن مصححي الرؤية يعتقدون الجسمية
والاستقرار على العرش فيلزمهم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشي أهل السنة ومصححي الرؤية من ذلك
قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتباعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات
عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته الآية (قال) فيه فإن قلت قد ذكر أولا الرحمة والعلم ثم ذكر ما توجه به الرحمة وهو الغفران فأين موجب
العلم وأجاب بأن معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك ۚ قال وقوله إنك أنت العزيز الحكيم معناه
الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لاتفعل شيئاً إلا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تنفى بوعدك ثم قال
ومعنى السيئات العقوبات التى هى جزاء السيئات أو على حذف مضاف على أن السيئات هى الصغائر أو الكبائر المتوب
عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ثم قال فإن قلت ما الفائدة فى استغفارهم وهم تائبون صالحون موعودون
بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد وأجاب بأن هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه

(قوله سبيل الحق التى نهجها لعباده) أبانها وأوضحها أفاده الصحاح

وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ
مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا

(لمقت الله أكبر) والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكر هامة (وإذ تدعون) منصوب بالمقت الأول
والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمانة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان
فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهم اليوم وأنتم في النار إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهم وعن الحسن
لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض
كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وإذا تدعون لتعليل والمقت أشد بغض فوضع في موضع أبلغ
الإنكار وأشدّه (اثنتين) إمامتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالإمامتين خلقهم أمواتا أولوا إمامتهم عند
انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياء الأولى وإحياء البعث وناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (فإن قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إمارة (قلت)
كما صح أن تقول سبحانه من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركبة ووسع أسفلها وليس
ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء
على تلك الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما وكذلك
الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائر الآخر
لجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الإمامتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات
وهو خلاف ما في القرآن إلا أن يتحمل فيجعل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم في القبور وتستمر

هنا محشو بأنواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعي الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد أن اجتناب
الكبائر يكفر الصغائر وجوباً وإن لم يكن توبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التي لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب
قبول التوبة على الله تعالى ومنها جمحد الشفاعة واعتقاد أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وأنه يجوز
أن يعذب على الصغائر وإن اجتنب الكبائر وأنه يجوز أن يغفر الكبائر ماعدا الشرك وإن لم يتب منها وأن قبول
التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وأنها تنال أهل الكبائر المصرين من الموحدين فهذه جواهر خمسة نسأل الله
تعالى أن يقلد عقائل ناهيا إلى الخاتمة وأن لا يحرمننا ألطافه ومراحمه آمين وجميع ما يحتاج إلى تزييفه مما ذكره على
قواعد الاعتزال في هذا الموضوع قد تقدم غير أنه جدد هنا قوله إن فائدة الاستغفار كفاية الشفاعة وذلك مزيد
الكرامة لا غير يريد أن المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تستل وهذا الذي قاله مما يحمل نفسه فيه الفضيحة زادت على
بطلانه هذه الآية بالأسن الفصيحة كيف يجعل المسؤل مزيد الكرامة لا غير ونص الآية فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم فهي ناطقة بأنهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم وهو الذي أنكر الزنجشري
كونه مسؤولاً عنه قوله تعالى آتينا اثنتين وأحييتنا اثنتين (قال) فيه إحدى الإمامتين خلقهم أمواتاً أولاً والآخرى إمامتهم عند
انقضاء آجالهم ثم قال فإن قلت كيف سمي خلقهم أمواتاً إمارة أجاب بأنه كما يقال سبحانه من صغر جسم البعوضة وكبر
جسم الفيل وكما يقال للحفار ضيق فم الركبة ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر إلى كبر ولا عكسه ولا من ضيق
إلى سعة ولا عكسه وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر والصغر جائزان معاً على
المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن من الآخر جعل صرفاً عن
الآخر وهو متمكن منه اه كلامه (قلت) ما أسد كلامه هنا حيث صادق التمسك بأذيال نظر مالك رحمه الله في مسألة
ما إذا باع إحدى وزنتين معينتين على اللزوم لإحداها والخيرة في عينها فإنه منع من ذلك لأن المشتري لما كان

فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ
السَّكِينِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ * فَادْعُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها وبعدهم في المستثنى من الصعقة في قوله تعالى إلا من شاء الله (فإن قلت) كيف تسبب
هذا لقوله تعالى (فاعترفوا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن من لم
يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الإمامة والإحياء قد تكثرنا عليهم علوا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على
الإشياء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل إلى خروج) أى إلى نوع من
الخروج سريع أو بطيء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب
عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتخييراً ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أى ذلكم
الذى أتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به (فالحكم لله) حيث حكم
عليكم بالعذاب السرمد وقوله (العلو الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو
الذى يطابق كبريائه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لاحكم إلا الله من هذا (يرىكم آياته) من الريح
والسحاب والعدو البرق والصواعق ونحوها * والرزق المطر لأنه سببه (وما يتذكر إلا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات
الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا سبيل إلى تذكركه وافتاعظه ثم قال للنبيين (فادعوا الله) أى عبدوه (مخلصين
له الدين) من الشرك * وإن غاظ ذلك أعداءكم بمن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش باقى الروح) ثلاثة
أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يرىكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهى مختلفة تعريفاً وتنكيراً وقرئ رفيع الدرجات
بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذى المعارج وهى مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهى دليل على
عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء العرش فوقهن وبحوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن
ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هى درجات ثوابه التى ينزلها أوليائه فى الجنة (الروح من أمره) الذى هو سبب الحياة
من أمره يريد الوحي الذى هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه

ممكننا من تعيين كل واحدة منهما على سواء فإذا عين واحدة منهما بالاختيار نزل عدوله عن الأخرى وقد كان متمكناً
منها منزلة اختيارها أولاً ثم الانتقال عنها إلى هذه فإذا آل إلى بيع إحداها بالأخرى غير معلومتى التماثل وهو لى لخصه
أصحابنا فى قولهم إن من خير بين شيئين فاختار أحدهما عد متقلاً وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم
* قوله تعالى فهل إلى خروج من سبيل (قال) أى إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء من سبيل قط أم اليأس واقع
دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللاً وتخييراً ولهذا
جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم معناه أن اعتياض السبيل إلى خروجكم
من النار سببه كفركم بتوحيد الله تعالى وإيمانكم بالإشراك به كلامه (قلت) وعلى هذا النظم بنى الشعراء مثل قولهم
هل إلى نجى وصول * وعلى الخيف نزول وإنما قصدتم أن هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع

(قوله تخرق فى المعاصي) فى الصحاح يقال هو يتخرق فى السخاء إذا توسع فيه (قوله الحرورية) فى الصحاح أنها
طائفة من الخوارج تنسب إلى حرور اسم قرية وكأنه يريد أهل السنة فإنهم الذين اشتهر عنهم هذا القول خلافاً للعتزلة فى قولهم إن
الفعل قد يدرك الحكم قبل ورود الشرع كما بين فى الأصول

عَبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۚ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۚ
الْيَوْمَ يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ۚ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۚ وَاللَّهُ

(لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أي لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول ۚ وقرئ لينذر
يوم التلاق على البناء للفعول (ويوم التلاق) يوم القيامة لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل يلقى فيه أهل السماء وأهل الأرض
وقيل المعبود والعابد (يومهم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صافف
ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شيء) أي
من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء (فإن قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان
وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا
إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال
لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى وإكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله يبرزوا الله
الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يستل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي
مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض
بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأقول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى
كل نفس الآية فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو الحبيب ۚ لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي
أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأهون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب
عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا أخذ في حسابهم
لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها ۚ الآزفة القيامة سميت بذلك لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد يوم
الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج
فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحووا ولكها معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا ۚ فإن قلت (كاظمين) بم انتصب (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى
حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكره فيها مع بلوغها الحناجر وإنما جمع
الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لى ساجدين وقال فظلت أعناقهم
لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله رأيتهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم
كقوله تعالى فادخلوها خالدين ۚ الحميم الحب المشفق ۚ والمطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في
أنها لا تكون إلا لمن فوقك (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع يطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة
والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا
إلا أنك لا تتبعه ونفهم جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينحجر يريد نفي الضب وانجحاره

ۚ قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (قال فيه يحتمل أن يكون المنفي الشفيع الذي هو الموصوف
وصفته وهي الطاعة ويحتمل أن يكون المنفي الصفة وهي الطاعة والشفيع ثابت اه كلامه) قلت إنما جاء الاحتمال

(قوله لم يقل أهل الجنة إلا فيها) من قال يقبل قيلولة

يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

(فإن قلت) فعلى أى الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه وأن الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم وإذا لم يحبهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى ومال للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولأن الشفاعة لا تكون إلا فى زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته وإنما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضى الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فإن قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة فى ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) فى ذكرها فائدة جليلة وهى أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لا تأتى بدون موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالى فرس أركبه ولا معنى سلاح أحرار به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمخاربة كأنك تقول كيف يتأتى منى الركوب والمخاربة ولا فرس لى ولا سلاح معى فكذلك قوله ولا شفيع بطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتیه بعدم الشفيع وضعا لا انتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذى لا ينبغي أن يتوهم خلافه ۝ الخاتمة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الریب ولا يحسن أن يراد الخاتمة من الأعين لأن قوله وما تخفى الصدور لا يساعد عليه (فإن قلت) هم اتصل قوله (يعلم خاتمة الأعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يربكم مثل باقى الروح ولكن باقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع بطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) يعنى والذى هذه صفاته وأحواله لا يقضى إلا بالحق والعدل لاستغنائها عن الظلم ۝ وآلهتمكم لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى (إن الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور ووعدهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعرض بما يدعون من دون الله وأنها لا تسمع ولا تبصر ۝ وقرئ يدعون بالتاء والياء ۝ هم فى (كانوا هم أشد منهم) فصل (فإن قلت) من حق الفصل أن لا يقع إلا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت) قد ضارعت المعرفة فى أنه لا تدخله الآلف واللام فأجرى مجراها ۝ وقرئ منكم وهى فى مصاحف أهل الشام (وآثارا)

من حيث دخول النفي على مجموع الموصوف والصفة ونفى المجموع كما يكون بنفى كل واحد من جزئيه وكذلك يكون بنفى أحدهما على أن المراد هنا كما قال نفي الأمرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفي الصفة لأنه إذا تنفى الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) فكأنه نفي الصفة مرتين من وجهين مختلفين ۝ قوله تعالى يعلم خاتمة الأعين (قال الخاتمة إمّا صفة للنظرة وإمّا مصدر كالعافية قال ولا يحسن أن يراد الخاتمة من الأعين لأنه لا يساعد عليه قوله تعالى وما تخفى الصدور انتهى كلامه) قلت إنما لم يساعد عليه لأن خاتمة الأعين على هذا التقدير معناه الأعين الخاتمة وإنما يقابل الأعين الصدور لا ما تخفيه الصدور بخلاف التأويل الأول فإن المراد به نظرات الأعين فيطابق خفيات الصدور

(قوله لا تكون إلا فى زيادة التفضل) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فتكون فى الخروج من النار أيضا كما تقر فى التوحيد وحديث الشفاعة مشهور نعم الكفار لا خروج لهم من النار (قوله موضع الأمر المعروف) أى الذى يعرفه السامع ويسلمه كما هو شأن الشاهد على الدعوى وإذا كان انتفاء الشفيع معروفا فلا يفتق أن يتوهم وجوده وبهذا يتبين قوله فيما سبق فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۚ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَابٌ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۚ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ

يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفاً ورحماً (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذابا (فلما جاءهم بالحق بالنبوة) (فإن قلت) أما كان قتل الأبناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرتة الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أعيديا عليهم القتل كالذى كان أو لا يريد أن هذا قتل غير القتل الأول (في ضلال) في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعنى أنهم باشرنا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظاً وحنقا وظنا منه أنه يصددهم بذلك عن مظاهره موسى وما علم أن كيدهم ضائع في السكرتين جميعا (ذروني أقتل موسى) كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى نخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله ويقولون إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معاوضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجريزة وكان قتلا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذى يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما فى نفسه من هول الفزع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام بدليل قوله ويدركوا لهتك والفساد فى الأرض التفان والنهارج الذى يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعاش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفى مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا ۚ وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أى يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظام والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تابع وتعاون ۚ لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (إني عذت) بالله الذى

قوله تعالى حكاية عن فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا إذا هم بقتله كفوه عنه بقولهم ليس هذا بمن يخاف وإنما هو ساحر لا يقاومه إلا مثله وقله يقع الشبهة عند الناس أنك إنما قتلت خوفاً وكان فرعون لعنه الله فى ظاهر أمره والله أعلم عالما أنه نبي خائفاً من قتله مع رغبته فى ذلك لولا الجزع وأراد أن يكتم خوفه من قتله بأن يقول لهم ذروني أقتله ليكفوه عنه فينسب الانكشاف عن قتله اليهم لا إلى جزعه وخوفه ويدل على خوفه منه لسكونه نبياً قوله وليدع ربه وهذا من تمويها ته المعروفة (قلت) هو من جنس قوله إن هؤلاء مشرمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنما جميع حاذرون فقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة احتفاله

(قوله وقرئ يظهر من أظهر) يفيد أن القراءة المشهورة يظهر من ظهر والفساد مرفوع

فَرَعُونَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذَابًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ۚ يَقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ

هو ربى وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم عن أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياده ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أفتح استكبار وأدله على ذنابه صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن يوم الحساب) لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرامة على الله وعباده ولم يترك عظمة إلا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالإدغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن موسى سراً وقيل كان إسرائيليا (من آل فرعون) صفة لرجل (أوصلة ليكنتم أى يكنتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أوحبيب وقيل خربيل أوحزيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فإن المؤمنين من بنى إسرائيل لم يقولوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه ينصح لقومه (أن يقول) لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكيته شديد كأنه قال أترتكبون الفعل الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة ومالك علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التى نطق بها وهى قوله (ربى الله) مع أنه لم يحضر لتصحیح قوله بيته واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهوربكم لاربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به ولياين بذلك جماعهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أى وقت أن يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر فى أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا (إن يك كاذبا فعليه كذبه) أى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وإن يك صادقا يصيبكم بعض) ما يعدكم إن تعزضتم له (فإن قلت) لم قال بعض (الذى يعدكم) وهونى صادق لا بدلسا يعدكم أن يصيبهم كله لابعضه (قلت) لأنه احتاج فى مقابلة خصوم موسى ومناكره إلا أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف فى القول وبآتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل فى تصديقهم له وقبولهم

بهم ويوهمهم أن قتاله لهم ليس خوفا منهم ولكن غيظاً عليهم وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة فى المحافظة على حوزة المملكة لأن ذلك خوف وهلع لقد كذب إنما كان فؤاده مملوءاً أرباباً ۚ قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه الآية (قال) الظاهر أن الرجل من آل فرعون وقيل إنه من بنى إسرائيل ومن آل فرعون متعلق بكنتم تقديره يكتم إيمانه من آل فرعون وهو بعيد لأن بنى إسرائيل كان إيمانهم ظاهراً فاشياً ولقد استدرجهم هذا المؤمن فى الإيمان باستشهاده على صدق موسى بإحضاره عليه السلام من عند من نسب إليه الربوبية بينات عدة لاينة واحدة وأتى بها معرفة معناه البينات العظيمة التى شهدتموها وعرفتوها على ذلك ليلين بذلك جماعهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فإن يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فيصيبكم إن تعزضتم له بعض الذى يعدكم ۚ قال وإنما ذكر بعض مع تقدير أنه نبى صادق والنبي صادق فى جميع ما يعده لأنه سلك معهم طريق المناصحة لهم والمداواة فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم وأدخل فى تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه صحته وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعدد ولكنه أردفه يصيبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وأثنى عليه فضلا عن أن يكون متعصبا له

(قوله إلى أن يلاوصهم ويداريهم) فى الصحاح فلان يلاوص الشجر أى ينظر كيف يأتيا لقلعها

الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَنُيَصِّرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۝ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ

منه فقال وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه يصيبكم بعض الذي يعدكم ليضممه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيّاً فضلاً أن يتعصب له أو يرمى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضاً من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (فإن قلت) فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد تراك أمكنة إذالم أرضها ۝ أو يرتبط بعض النفوس حمامها (قلت) إن صححت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العاتي كان أجنبي من أن يفقه ما أقول له (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه إن كان مسرفاً كذاباً خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوة ولما عاضده بالبينات وقيل ماتولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع رداً فقالوا له أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أناذاك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرّاً وأبو بكر قاله ظاهراً (ظاهرين في الأرض) في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تعترضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (ينصرون) وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مسامهم فيه (ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهديكُم) بهذا الرأي (إلا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أذكر منه شيئاً ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلدولوا لاستشعاره لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة ۝ وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذلك لأن فعالاً من أفعل لم يبحى إلا في عدة أحرف نحو دراك وسار وقصار وحبّار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون

قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اه كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتفطن لأسرار هذا القول ويناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدم الشاهد أمانة صدقها على أمانة صدق يوسف وإن كان الصادق هو يوسف دونها لرفع التهمة وإبعاد الظن وإدلالاً بأن الحق معه ولا يضره التأخير لهذه الفائدة ۝ وقريب من هذا التصرف لإبعاد التهمة ما في قصة يوسف مع أخيه إذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى قيل إنه لما انتهى إليه قال اللهم ماسرّق هذا ولا هو بوجه سارق فاطمأنت أنفسهم وانزاحت التهمة عن يوسف أن يكون قصد ذلك فقالوا والله لنفتشنه فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل إن ما لقيه أبو بكر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم أشد مما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع رداً وقالوا أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال عليه السلام أنا ذلك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال إن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرّاً وقاله أبو بكر جهراً قال وقال مؤمن آل فرعون فس ينصرون من بأس الله إن جاءنا ليعلمهم أنه يسامهم فيه فيتحقوا نصرته لهم

نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ۖ وَيَقْرَأُ إِنَّهُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۖ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَالِكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَنَازِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ

نسبة إلى الرشد كعواج وبنات غير منظور فيه إلى فعل (مثل يوم الأحزاب) مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمرود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله ۖ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ۖ وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائماً دائماً منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم (فإن قلت) بم انتصب مثل الثاني (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح ولوقلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمرود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناولته الإضافة (وما الله يريد ظلماً للعباد) يعني أن تدميرهم كان عدلاً وقسطاً لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى ۖ وما ربك بظلام للعبيد ۖ حيث جعل المنفي لإرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفي أن يريد ظلماً ما للعبادة ويجوز أن يكون معناه كعني قوله تعالى ۖ ولا يرضى لعباده الكفر ۖ أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمرهم لأنهم كانوا ظالمين ۖ التنادى ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور ۖ وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يقر المرء من أخيه ۖ وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطراً آمن الاقطار إلا وجدوا ملائكة صفوا فبيناهم موج بعضهم في بعض إذ سمعوا منادياً أقبوا إلى الحساب (تولون مدبرين) عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فآزين عن النار غير معجزين ۖ هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبياً عشرين سنة وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككنتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى إذا) قبض (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته وقرئ أن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقر ببعضنا في البعث ۖ ثم قال (كذلك يضل الله) أي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف

ۖ قوله تعالى وما الله يريد ظلماً للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وما ربك بظلام للعباد وهذا أبلغ لأنه إذا لم يرد الظلم كان عن فعله الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضا كأنه نفي أن يريد ظلماً ما للعبادة قال ويجوز أن يكون معناه كعني قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون المعنى أن الله لا يريد لعباده أن يظلموا لأنه ذمهم على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الأول وقد

(قوله كعواج وبنات) أي صاحب العاج والعاج عظم الفيل والبنات الذي يبيع البتوت أو يعملها والبت الطيلسان من الخبز كذا في الصحاح (قوله كأنه نفي أن يريد ظلماً ما للعبادة يجوز) هذا على مذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريد به وأن الإرادة بمعنى الرضا وعند أهل السنة أنه تعالى يخلق الشر ويريد كالتحريم ولا يرضى الشر فالرضا غير الإرادة عندهم كاتقرب في التوحيد (قوله وقيل هو يوسف بن إبراهيم) عبارة النسب أفرأيتم (قوله أي مثل هذا الخذلان المبين) المعتزلة يؤثرون الإضلال بالخذلان والترك بناء على مذهبهم أن الله لا يخلق الشر وأهل السنة يفسرونه بخلق الضلال في القلب بناء على أنه تعالى يخلق الشر كالتحريم كما بين في التوحيد

هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ *
الْأَسْمَاءُ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ

في عصيانه مرتاب في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فإن قلت) كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذلك موحّد
(قلت) لأنه لا يريد مسرفاً واحداً فكأنه قال كل مسرف (فإن قلت) ففاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فإن قلت)
أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع في المعنى وأما اللفظ فوحد فحمل البدل على معناه
والضمير الراجع إليه على لفظه وليس يبدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون
على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقنا
محمّلت أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أنا هم خبراً وفاعل كبر قوله (كذلك) أى كبر مقنا مثل ذلك
الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقنا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقنا
ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبرياء وقرئ سلطان بضم اللام
وقرئ قلب بالتووين ووصف القلب بالتكبر والتعجب لأنه مركزهما ومنعهما كما تقول رأيت العين وسمعت الأذن ونحوه
قوله عز وجل فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر تجعل
الصفة لصاحب القلب قبل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر
(أسباب السموات) طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها وكل ما أدرك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فإن قلت)
مافائدة هذا التكرير ولو قيل لعل أبليغ أسباب السموات لأجزأ (قلت) إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه
فلما أراد تفخيماً ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمراً عجبياً أراد أن يورده
على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشفو إليه نفس هالمة ثم أوضحه وقرئ فاططلع بالنصب
على جواب الترجى تشبهاً للترجى بالتعجب ومثل ذلك التزيين وذلك الصّد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل)
والمزين إما الشيطان بسوءه كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسيب لأنه ممكن

تقدم مذهب أهل السنة فيما يتعلق بإرادة الله تعالى خلافاً لهذا وأشياعه قوله تعالى كذلك يضلل الله من هو مسرف
مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقنا عند الله وعند الذين آمنوا (قال) في إعرابه الذين يجادلون بدل
من من هو مسرف لأن المراد كل مسرف وجاز إبداله على معنى من لا على لفظها قال فإن قلت مفاعل كبر وأجاب بأنه ضمير من
هو مسرف فحمل البدل على المعنى والضمير على اللفظ وليس يبدع اه كلامه (قلت) فيما ذكره معاملة لفظ من بعد معاملة معناها
وهذا ما قدمت أن أهل النرية يستغربونه والأولى أن يحتج في إعراب القرآن فإن فيه إبهاماً بعد إيضاح والمعهود في قراءة
البلاغة عكسه والصواب أن يجعل الضمير في قوله كبر راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر جدالهم مقنا
ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون في آيات الله والضمير في قوله كبر مقنا على الجدال
المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
كن آمن بالله على أحد تأويله ومثله كثير وفيه سوى ذلك من الوجوه السالمة عما يتطرق إلى الوجه المتقدم فالوجه العدول عنه

(قوله وقرئ فاططلع بالنصب على جواب) يفيد أن القراءة المشهورة بالرفع على العطف (قوله على وجه التسيب لأنه ممكن) أول
بهذا لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيخلق كالخير فلا حاجة إلى هذا التأويل وتبقى الآية على ظاهرها

فَرَعُونَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۚ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ اتَّبَعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۚ يَوْمَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۚ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۚ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثَرِي ۚ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَيَقَوْمٌ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۚ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۚ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي

الشیطان وأمهله ومثله زيناً لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزین له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصعد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قبله والتباب الخسران والهلاك وصعد مصدر مطوف على سوء عمله وصعدوا هو وقومه ۚ قال (أهدكم سبيل الرشاد) فأجل لهم ثم فسر فافتتح بدم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاق إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدى إلى سخط الله ويوجب الشقاوة في العاقبة وثني بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبت عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوة إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذروا وأذروا واجتهد في ذلك واحتشد لاجرم أن الله استثناء من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوқаه الله سيآت مامكروا وحقاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أيضاً دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد تقيض الغنى وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغنى (فلا يجزى إلا مثلاً) لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة لحسنة لأنها فضل ۚ قرئ يدخلون ويدخلون (بغير حساب) واقع في مقابلة إلا مثلاً يعني أن جزاء السيئة لها حساب وتقدير لثلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ۚ (فإن قلت) لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني (قلت) أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك أن لا يهتموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحهم لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه يابوت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هويان للجمال وتفسيره فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بذلك المثابة ۚ يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له (ماليس لي به علم) أي بربوبيته والمراد بنى العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس ياله وما ليس ياله كيف يصح أن يعلم إلهها (لا جرم) سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لآرء المادعاء اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمكم شتان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان

قوله تعالى تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم (قال المراد بنى العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس ياله وما ليس ياله كيف يصح أن يعلم إلهها) قلت وهذا من قبيل ۚ على لاحب لا يهتدى بمناره ۚ أي لا منار له فهتدى به وكلام الزمخشري هنا أشد من كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون ما علمت لكم من إله غيري قوله تعالى لا جرم أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة (قال فيه) سياق لا جرم عند البصريين أن يكون لآرء المادعاء اليه قومه وجرم بمعنى كسب أي وكسب دعاؤهم اليه بطلان دعوته أي ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز

(قوله وقرئ وزین له سوء عمله) أي بدل قوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله

إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآلَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ه فَتَسْذَكُرُونَ
مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ه فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَمَكُرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ
سُوءُ الْعَذَابِ ه النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ه وَإِذْ
يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مَغْنُونَ عَنَّا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ

دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال أن لا جرم نظير لا بدفع من الجرم وهو
القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك
لا جرم أن لهم النار أى لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبداً يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة
الأصنام أى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقاً وروى عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة
بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ما تدعوني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط
أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته ثم يدعو العباد إليها إظهاراً لدعوة ربهم وما تدعون إليه وإلى
عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيواناً ناطقاً لضيغ من دعائكم وقوله (في الدنيا ولا في الآخرة)
يعنى أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئاً من دعاء وغيره وفي الآخرة إذا أنشأه الله حيواناً تبرا من الدعاة إليه ومن عبده
وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها
ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان
قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء (المسرفين) وعن قادة المشركين وعن
مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون ه وقرئ فتسذكرون أى فسيذكركم بعضهم
بعضاً (وأفوض أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) لأنهم توعدوه (فوقاه الله سيئات مامكروا) شذائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع
العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم
(النار) بدل من سوء العذاب وأخبر مبتدئاً محذوف كأن قال قال ماسوء العذاب فليل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون
عليها) وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها لإحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على
السيف إذا قتلهم به ه وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الأخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز
أن ينتصب على الاختصاص (غدواً وعشيا) في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فأما أن يعذبوا
بجنس آخر من العذاب أو بنفس عنهم ويجوز أن يكون غدواً وعشيا عبارة عن الدوام هذا مادامت الدنيا فإذا قامت
الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لخزنة جهنم أدخلوهم
(فإن قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المسكر بالمسلمين كقول العرب من
حفر لآخيه جباباً وقع فيه منكباً فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعاً عليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم (قلت)
يجوز أن يهيم الإنسان بأن يفرق قوماً فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقاً لأنه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء
ولا يشترط في الحيق أن يكون إلحاق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهيم فرعون لما سمع إنذار المسلمين بالنار وقول
المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود يعذبهم بالنار فخاق به مثل ما أضمره وهم بفعله ويستدل
بهذه الآية على إثبات عذاب القبر ه واذكر وقت يتحاجون (تبعاً) تبعاً كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أى أتباع

أن يكون لا جرم نظير لا بد من الجرم وهو القطع فكما أنك تقول لا بد أنك أن تفعل والبد من التبديد الذى هو التفريق
ومعناه لا مفارقة لك من فعل كذا فكذلك لا جرم معناه لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هى باطلة أبداً

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ۖ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

أو وصفاً بالمصدر وقرئ كلا على التأكيد لاسم إن وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف إليه يريد إنا كلنا أو كلنا فيها (فإن قلت) هل يجوز أن يكون كلاحالا قد عمل فيها فيها (قلت) لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدمة تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائماً في الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لحزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فإن قلت) هلا قيل الذين في النار لحزنتها (قلت) لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيلاً ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعراً من قولهم بئر جهنم بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنم تسمية بها لزعمهم أنه يلقى الشعر على إسان المنتسب إليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال أبو نواس في خلف الأحمر فليدّم من العيالم الخسف وفيها أعنى الكفار وأطغاهم فلعلّ الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أو لم تك تأتكم) إلزام للحجة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أتمم فإننا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع إلا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الحية فإن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني أنه يغلبهم في الدارين جميعاً بالحجة والظفر على مخالفهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحيان امتحاناً من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الأول يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم اللعنة) البعد من

قوله تعالى وقال الذين في النار لحزنة جهنم (قال) فإن قلت فهلا قيل لحزنتها وأجاب أن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيلاً ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعراً من قولهم بئر جهنم بعيدة القعر وكان النابغة يسمى الجهنم لبعد غوره في الشعر اه كلامه (قلت) الأول أظهر والتفخيم فيه من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمّر وهو الذي أشار إليه والثاني ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أفضع منه لأن جهنم أفضع من النار إذ النار مطلقة وجهنم أشدها ۖ قوله تعالى قالوا فادعوا (قال في معناه أنهم لما ألزمهم الحجة بقولهم أو لم تك تأتكم رسلكم بالبينات واعتزوا بذلك وكان في ضمن ذلك أنهم خلفوا أوقات الدعاء وأسباب الإجابة وراهم قالوا لهم فادعوا أتمم معناه إنا نحن لا نجترئ أن ندعو لكم فادعوا أتمم وليس قولهم فادعوا ترجية للكفار ولكن قطعاً لرجائهم لأنه إذا لم يسمع دعاء الملك المقرب فكيف يسمع دعاء الكافر قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم (قال فيه يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفعهم لأنها باطلة ويحتمل أنهم لا يعتذرون ولو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة انتهى كلامه) قلت هما لاحتيا لأن في قوله

(قوله بئر جهنم بعيدة القعر الخ) في الصحاح بكسر الجيم والهاء وفيه القليذم البئر الغزيرة وفيه العيلم الركبة الكثيرة الماء وفيه الخسيف البئر التي تحضر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة والجمع خسف (قوله ويتيح الله من يقتص) أي يقتدر

الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرًا لِلأُولَى الْأَلْبَابِ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ
بِيَلْغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا

رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالناء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه
فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرايع (وأورثنا) وتركنا على بنى إسرائيل من بعده (الكتاب) أى التوراة
(هدى وذكرى) إرشادا وتذكرا وانتصاها على المفعول له أو على الحال وأولو الألباب المؤمنون به العاملون بما
فيه (فاصبر إن وعد الله حق) يعنى أن نصرة الرسل فى ضمان الله وضمان الله لا يخاف واستشهد بموسى وما آتاه من
أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هدايه فى بنى إسرائيل والله ناصر كذا نصرهم ومظهر كذا على الدين
كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجزئك قومك من الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به
وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرط بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء
عليه (بالعشى والإبكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (إن فى صدورهم إلا كبر) إلا تكبر وتعظم وهو إرادة
التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمر
ونهلك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى ولو
كان خيرا ماسقونا إليه أو إرادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) أى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق
إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود
يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك فسمى الله تمنيمهم
ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) فالنجى إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إنه هو السميع) لما
تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصر كذا عليهم وعاصمك من شرهم (فإن قلت) كيف اتصل قوله
(لخلق السموات والأرض) بما قبله (قلت) إن مجادلهم فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل
المجادلة ومسارها لحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بأنها خلق عظيم لا يقادر قدره
وخلق الناس بالقياس إليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهاته أقدر وهو
أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لا يعلمون) لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم * ضرب

تعالى ولا شفيع يطاع ولكن بين الموضعين فرقا يصير أحدهما معه عكس الآخر وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون
المراد أنهم لا معذرة لهم البتة يكون قد نفى صفة المعذرة وهى المتقعة التى لها تراد المعذرة قطعاً لرجائهم كى لا يعتذروا
البتة كأنه قيل إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع مالا ثمرة له وفى الآية المتقدمة جعل نفى الموصوف بتا لنفى الصفة
ولهذا أولى النفى فى هذه الآية الفعل وفى المتقدمة أولى النفى الذات المنسوب إليها الفعل قوله تعالى لخلق السموات والأرض
أكبر من خلق الناس (قال فيه) فإن قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والأرض بما قبله وأجاب بأن مجادلهم
فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها لحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا
مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم بخلق الناس بالقياس إليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان
على الإنسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الأولى فى هذا الاستشهاد ثابتة

مَا تَذْكُرُونَ ۖ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا وَلَكِنَّا كَثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۖ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۖ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ

الاعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيء ۖ وقرئ يندكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لاريب فيها) لابتد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء (لا يؤمنون) لا يصدقون بها (ادعوني) اعبدونى والدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتى ۖ والاستجابة الإجابة وفى تفسير مجاهد اعبدونى أئبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ريزبدهم من فضله وعن الثورى أنه قيل له ادع الله فقال إن ترك الذنوب هو الدعاء وفى الحديث إذا شغل عبدى طاعتى عن الدعاء أعطيت أفضل ما أعطى السائلين وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتى دعائى لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدق قول ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلا نبياً مرسلان يقول لكل نبي أنت شاهدى على خلقى وقال لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعنى أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس وحدوتى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاغرین (مبصرًا) من الإسناد المجازى لأن الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار (فإن قلت) لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلاكاً حالين أو مفعولاً لها فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فانت الفصاحة التى فى الإسناد المجازى ولو قيل ساكننا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة الأتري إلى قولهم ليل ساج وساكن لا ریح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز (فإن قلت) فهلا قيل لمفضل أو لمفضل (قلت) لأن الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلاً لا يوازيه فضل وذلك إنما يستوى بالإضافة (فإن قلت) فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس (قلت) فى هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكروا كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلوم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحدهم (الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق

بدرجتين أحدهما ما ذكره من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلهم كانت فى البعث وهو الإعادة ولا شك أن الابتداء أعظم وأبهر من الإعادة فإذا كان ابتداء خلق العظيم يعنى السموات والأرض داخل تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعنى الناس أدخل تحتها وإعادته أدخل من ابتدائه فهو أولى بأن يكون مقدوراً عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والأرض بدرجتين وإلى هذا الترتيب وقعت الإشارة بقوله تعالى فى المـ غلبت الروم ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أتمت تخرجون فقرراً قيام السماء والأرض هو بأمره أى خلقها من آياته فكيف بما هو أخط من قيامها بدرجتين وهو إعادة البشر أهون عليه من الابتداء ليتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإذا تأملت الذى ذكرته منسوباً لما ذكره الزمخشري علمت أن ما ذكره هو لباب المراد لجدد عهده إن لم تعلم ذلك ۖ قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون (قال فيه) هلا قيل ولكن أكثرهم فيستغنى عن التكرير وأجاب بأن فى التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكروا إن الإنسان لكفور إن الإنسان لظلوم كفار

شَيْءٌ إِلَّا هُوَ فَإِنِ تَوَفَّكُونَ ۖ كَذَلِكَ يُؤْتِكُمُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْكُمُونَ ۖ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً ۖ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۖ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ
أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شِوَاوًا وَمِنْكُمْ
مَّن يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۖ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا

كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له (فإن توفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته
إلى عبادة الأوثان ۖ ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همه طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما
أفكوا ۖ وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتوفكون بالناء والياء هذه أيضا دلالة أخرى على تمييزه بأفعال
خاصة وهي أنه جعل الأرض مستقرا (والسما بناء) أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء في منظر العين كقبة
مضروبة على وجه الأرض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من
الإنسان وقيل لم يخلفهم منكرسين كالبهايم كقوله تعالى في أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة
من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها
الحمد لله رب العالمين ۖ (فإن قلت) أمانه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته
البيئات من ربه (قلت) بلى ولكن البيئات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى
أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البيئات ذكرها لأدلة العقل
والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر تناصر الأدلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى في إبطال
مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يقيقكم لتبلغوا وكذلك
لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمعناه وفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة ۖ

قوله تعالى قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيئات من ربي (قال فيه) فإن قلت التني عليه
الصلاة والسلام قد اتضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجي الوحي فعلام تحمل الآية وأجاب بأن الأمر كذلك
ولكن البيئات مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون
وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى في
إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) اللائق بقواعد السنة أن يقال أمامعرفة الله تعالى
ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الأصنام آلهة فاستفاد من أدلة العقول وقد ترد الأدلة العقلية في مضامين السمعيات
وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الأصنام فحكم شرعي لا يستفاد إلا من السمع فعلى هذا يترك الجواب عن هذا
السؤال وقوله تعالى إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله إنما أريد به والله أعلم بتحريم عبادة غير الله فهذا لا يستفاد
إلا من نهي الله تعالى عن ذلك لا من العقل لكن قاعدة الزمخشري تقتضي أن تحريم عبادة غير الله تعالى تتلوق من العقل قبل
ورود الشرع إذ العقل عنده حاكم بمقتضى التحسين والتبسيط ولهذا أورد الإشكال عليه واحتاج إلى الجواب عنه ثم قوله
في الجواب أن أدلة الشرع مقوية لأدلة العقل ضعيف مع اعتقاده أن العقل يدل على الحكم قطعا ومادل قطعا كيف يحتمل

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرَفُونَ ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا
 أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۚ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۚ فِي الْحَرِّ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۚ
 ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۚ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
 يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۚ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ۚ ادْخُلُوا
 أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ۚ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِينِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ

وقرئ شيوخا بكسر الشين وشیخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأن الغرض
 بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا (ولعلكم تعقلون) مافى ذلك من
 العبر والحجج (فإذا قضى أمرا فإنما) يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة
 وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء
 وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فإن قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون) إذا الأغلال
 في أعناقهم (إلى مثل قولك سوف أصوم أمس) (قلت) المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله
 تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان وجد والمعنى على الاستقبال ۚ وعز ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب
 وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الإسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذا أعناقهم
 في الأغلال مكان قوله إذا الأغلال في أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقتين حمل قوله والسلاسل
 على العبارة الأخرى ونظيره مشائم ليسوا مصلحين عشيرة ۚ ولا ناعب إلا بين غرابها

كأنه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون (في النار يسحبون) من سحر التنوير إذا ملأه بالوقود ومنه السجيرة كأنه
 سحر بالحب أى ملأ ومعناه أنهم في النار فهم محيطون بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار
 الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك فإنما عائدون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم
 ولا نفتقح بهم (فإن قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرنون بأهلهم
 فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله
 فيغيثوكم ويشفعوكم وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون
 عنهم (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئا) أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء
 فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم ترعده خبراً (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال أهلهم عنهم يضلهم عن آلهتهم
 حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم تصادفوا (ذاكم) الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق)
 وهو الشرك وعبادة الأوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم
 جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مَثْوًى المتكبرين) عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم (فإن قلت)

الزيادة والأكد والقطعيات لا تفاوت في ثبوتها ۚ قوله تعالى وادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مَثْوًى المتكبرين
 (قال فيه) فإن قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وأجاب بأن

(قوله ومنه السجيرة كأنه سحر) في الصحاح يسحر الرجل صفيه وخليفه والجمع السجرام (قوله في سائر الأوقات) أى
 باقى الأوقات بعد وقت التوبيخ

أَوْ تَوَفِّيكَ فَأَلَيْنَا يَرْجِعُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَبَاتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ *
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ

أليس قياس النظم أن يقال فمُس مدخل المتكبرين كما تقول زريت الله فنعلم المزار وصل في المسجد الحرام فنعلم المصلي
(قلت) الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء (فإنما نرينك) أصله فإن نرك وما مزبدة لنا كيد معنى الشرط ولذلك
ألحقت النون بالفعل الأتراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن أما تكرمني أكرمك (فإن قلت) لا يخلو إماما تعطف
(أو توفيك) على نرينك وتشرهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فإلينا يرجعون) فقولك فإنما نرينك بعض الذي
نعدمه فإنما يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإنما يرجعون مختصاً بالمعطوف الذي هو توفيك بقي المعطوف عليه بغير جزاء
(قلت) فإنما يرجعون متعلق بتوفيك وجزاء نرينك محذوف تقديره فإنما نرينك بعض الذي نعدمه من العذاب وهو
القتل والأسر يوم بدر فذاك أو إن توفيك قبل يوم بدر فإنما يرجعون يوم القيامة فننقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله
تعالى * فإنما نذهبن بك فإنما منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنما عليهم مقتدرون (ومنها من لم نقصص عليك)
قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه
أن الله تعالى بعث نبياً أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عناداً يعني أنا قد أرسلنا كثيراً من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية إلا بإذن الله) فنل بأن أتى بآية بما
تقرحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها (فإذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة
(المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسوها سحراً * الأنعام الإبل خاصة
(فإن قلت) لم قال (لتركبوا منها) ولتبغوا عليها ولم يقل لنا كلوا منها وتصلوا إلى منافع أو هلاقال منها تركبونها ومنها تأكلون وتبغون
عليها حاجة في صدوركم (قلت) في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين
أو طلب علم وهذه أغراض دينية إقواءاجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس

الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء * قوله تعالى فإنما نرينك بعض الذي نعدمه أو توفيك فإنما يرجعون (قال فيه
المصحيح للحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولا ما لم يحز دخولها) قلت وإنما كان كذلك لأن النون
المؤكدة حقها أن تدخل في غير الواجب والشرط من قبيل الواجب إلا أنه إذا أكد قوياً لإيهامه فقربته قوة الإيهام من غير
الواجب فيساغ دخول النون فيه * ثم قال وقوله تعالى أو توفيك إما أن يشارك مع الأول في الشرط ويكون قوله فإنما
يرجعون جزاء مشركاً بينهما فلا يستقيم المعنى على فإنما نرينك بعض الذي نعدمه فإنما يرجعون وإن جعل الجزاء مختصاً
بالثاني بقي الأول بغير جزاء وأجاب بأنه مختص بالثاني وجزاء الأول محذوف تقديره فإنما نرينك بعض الذي نعدمه
وهو ما حل بهم يوم بدر فذاك أو توفيك فإنما يرجعون فننقم منهم اه كلامه (قلت) وإنما حذف جواب الأول
دون الثاني لأن الأول إن وقع فذاك غاية الأمل في اتكأهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على
التمام وأما إن لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسلي وتطمين النفس
على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه * قال ومثله قوله تعالى فإنما نذهبن بك فإنما منهم
منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنما عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الأول محذوف بذكر هذه الآية
* قوله تعالى * لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع وتبغوا عليها حاجة في صدوركم * (قال فيه) فإن قلت هلا قيل

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ هـ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ هـ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا

المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله (وعليها وعلى الفلك تحملون) وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك
في البر والبحر (فإن قلت) هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا أجل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء
كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حاملة له يستعملها فلما صح المعنيان صححت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها بزواجه
(فأى آيات الله) جاءت على اللغة المستقبضة وقولك فآية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات
نحو حمار وحمار غريب وهي في أى أغرب لإيهامه (وآثارا) قصورهم ومصانعهم وقيل مشبههم بأرجلهم لعظم أجرامهم
(فما أغنى عنهم) مانافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعنى أى شئ أغنى
عنهم مكسوبهم أو كسبهم) فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهنيت في قوله تعالى
بل ادرك عليهم في الآخرة وعليهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت
إلى ربى إنى لعنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها من قبلا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون
به البينات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والديريين من بني بونان
وكانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى عليهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه
وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم
ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفى فرحهم بالوحى الموجب لأقصى الفرح والمسرّة مع تهكم
بفرط جهلهم وخلوهم من العلاء ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا
بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها أن يجعل
الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتدادى واستهزائهم بالحق وعلووا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة
على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم وبحوز
أن يريد بما فرحوا به من العلم عليهم بأموال الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى أبعد شئ من علمهم لبعثنا على رفض الدنيا والظلف

لتركبوا منها ولتأكلوا منها ولتبلغوا منها ومنها تكون ومنها تأكلون وعليها تبلغون وأجاب بأن في الركوب الركوب في الغزو
والهجم وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو علم وهذه أغراض دينية إما واجبة أو مندوبة بما يتعلق به
إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به الإرادة اه كلامه (قلت) جواب متداع للسقوط
مؤسس على قاعدة وإيهامية وهى أن الأمر راجع إلى الإرادة فالواجب والمندوب مرادان لأنهما مندرجان في الأمر والمباح
غير مراد لأنه غير مأمور به وهذا من هنيات المعتزلة في إنكار كلام النفس فلا نطيل فيه النفس وقاعدة أهل الحق أنه لا يربط
بين الأمر والإرادة فقد يأمر بخلاف ما يريد ويريد خلاف ما يأمر به فالجواب الصحيح إذ أن المقصود المأمور به من الأنعام
والمنفعة المشهورة فيها إنما هى الركوب وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الأسفار والانتقال في ابتغاء الأوطار فلذلك ذكرهما
هنا مقرونين باللام الدالة على التعليل والغرض وأما الأكل وبقية المنافع كالأصواف والأوبار والألبان وما يجرى مجراها

(قوله المباح الذي لا يتعلق به) مبنى على مذهب المعتزلة أن الإرادة بمعنى الأمر فلا تتعلق إلا بالمطلوب وعند أهل السنة
هى صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه فتعلق بجميع الممكنات كما تقرر في علم التوحيد
(قوله قلت معنى الإيعاء) في الصحاح أوعيت الزاد والمتاع إذا جعلته في الوعاء
(قوله على رفض الدنيا والظلف) في الصحاح ظلفت نفسى عن كذا بالكسر تظلف ظلفا أى كفت

يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *
فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا
بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ *

سورة فصلت مكية

وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ

عن الملاذو الشهوات لم يلفتوا إليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للقرائد من علمهم ففرحوا به *
البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئس (فإن قلت) أى فرق بين قوله تعالى (قلم يك ينفعهم إيمانهم) وبينه
لوقيل فلم ينفعهم إيمانهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن
ينفعهم إيمانهم (فإن قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا
أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجاء مجرى البيان والفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق
زيد المال فنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما
رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله (سنت الله) بمنزلة وعد الله وما أشبهه
من المصادر المؤكدة و (هنالك) مكان مستعار الزمان أى وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك
المبتلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضى بالحق أى وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق * عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

(سورة السجدة مكية وهى أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) إن جعلت (حم) إسما للسورة كانت في موضع المبتدا و (تنزيل) خبره وإن جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز
الزجاج أن يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجه أن تنزلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا (فصلت آياته) ميزت
وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواظ و وعد ووعد وغير ذلك وقرئ فصلت أى فرقت

فهى وإن كانت حاصلة منها تغير خاصة بها خصوص الركوب والحمل وتوابع ذلك بل الأكل بالغم خصوص الضأن أشهر فلذلك
اخترت الضحا بامنها على الغم فلذلك جردت هذه المنافع بالإخبار عن وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على أنها المقصودة قوله تعالى
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فإن قلت أى فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبينه لوقيل فلم ينفعهم وأجاب
بأن معنى كان هنا معناها في قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد بمعنى فلم يستقم ولم يصح أن ينفعهم إيمانهم اه كلامه (قلت)
كان الذى ثبت التصرف فيها بإجراء نونها مجرى حروف العلة حتى حذفت للجازم هى كان الكثير استعمالها المسكر
دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف بل هى مثل صان وحان في القلة
فالأولى بقاءها على بابها المعروف وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتعديد جهة
نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية مثلاً فكأنه نفي مرتين والله أعلم

يَعْلَمُونَ ۖ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۖ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ
ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُ غَرَامَكَ ۖ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ

بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرأنا عربيا) نصب على الاختصاص
والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أى فصلت آياته فى حال
كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى المبين
لا يلتبس عليهم شئ منه (فإن قلت) هم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل
من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والوجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أى قرآنا عربيا كائن القوم عرب لثلا
يفرق بين الصلات والصفات ۖ وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون
من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعته ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه
ۖ والآكنة جمع كنان وهو الغطاء ۖ والقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبل قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها
فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومح أسمعهم له كأنها صمما عنه وتباعد المذهبين والدينين
كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا
تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) أى على ديننا وفاعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك وقرئ إننا
عاملون ۖ (فإن قلت) هل لزيادة من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى
أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك
مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فإن قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفى آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد

﴿القول فى سورة فصلت﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
الآية (قال فيه) فإن قلت ما فائدة من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب وأجاب بأن فائدتها الدلالة على أن من جهتهم
ابتدأ الحجاب ومن جهته أيضا ابتدأ حجاب فيلزم أن المسافة المتوسطة بينهما مملوءة بالحجاب لا فراغ فيها ولولا ذكر
من فيها لكان المعنى على أن فى المسافة بينهما حجابا فقط اه كلامه (قلت) لا ينفك المعنى بدخول من عما كان عليه قبل
ولو كان الأمر كما ذكر لكانت من مقدرة مع بين الثانية لأنه جعلها مفيدة للابتداء فى الثانية كما هى مفيدة للابتداء
فى الأولى فيكون التقدير إذا ومن بيننا وبينك حجاب وهذا يخل بمعنى بين إخلالا بينا فإنها تأبى تكرار العامل معها
حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لأن تكرار العامل يصيرها داخلية على مفرد فقط
ويقطع عن قرينه المتقدم ومن شأنها الدخول على متعدد لأن فى ضمن معناها التوسط وزاد الزمخشري على هذا
لجعل بين الثانية غير الأولى لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هى الثانية بعينها
وهى عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمحل فوجب تكرار حافظه
وهو بين والدليل على هذا أنه لا تفاوت باتفاق بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين
عمرو وإنما كان ذكرهما مع الظاهر جواز أو مع المضمحل وجوبا لما بيناه فإذا وضع ذلك فالظاهر والله أعلم أن موقع من
ها هنا كوقعها فى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وذلك للإشعار بأن الجهة المتوسطة مثلا بينهم
وبين النبي عليه الصلاة والسلام مبدأ الحجاب لا غير ووجود من قريب من عدمها ألا ترى إلى آخر هذه الآية كيف لم
تستعمل فيها من وهى قوله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا

إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْبَشَرِ كَيْفَ ۚ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۚ
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۚ قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرُوكُمْ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ

(قلت) هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطاييع منهم لا يراعون الطبايق والملاحظة إلا في المعاني (فإن قلت) من أين كان قوله (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) جواباً لقولهم قلوبنا في أكنة (قلت) من حيث أنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت بالوحى إلى وأنا بشر نبوتى وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى إلى أن إلهكم إله واحد (فاستقيموا إليه) فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً ولا شمالاً ولا ملتفتين إلى ما يسوق لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وتوبوا إليه) بما سبق لكم من الشرك (واستغفروه) ۚ وقرئ قال إنما أنا بشر ۚ (فإن قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرّونا بالكفر بالآخرة (قلت) لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم أى يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإتفاق الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بملظة من الدنيا ففقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجرحهم وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قریش بطمعون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزياء وهو الإيمان الممنون المقطوع وقيل لا يمين عليهم لأنه إنما يمين التفضل فأما الأجر فحق أدأوه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كما صح ما كانوا يعملون (أنتم) بهمزتين

على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وكلام الرخصى هذا إذا امتحنته بالتحقيق الذى ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفي هذه الآية وأختها من المبالغة والبلاغة ما لا يليق أن ينتظم إلا في درر الكتاب العزيز فإنها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية كل واحد منها كاف في فنه فأولها الحجاب الحائل الخارج وبلبه حجاب الصمم وأقصاها الحجاب الذى أكن القلب والعياذ بالله فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتجياً إلا أسبلته ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمئناً ولا صريحاً إلا استلبته ففسأل الله كفايته قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم الآية (قال) فإن قلت كيف كان هذا جواباً لما تقدمه (وأجاب) بما نلخصه فنقول لما أبوا القبول منه عليه الصلاة والسلام كل الإباء بدأهم بإقامة الحججة على وجوب القبول منه فإنه بشر مثله لا قدرته على إظهار المعجزات التى ظهرت وإنما القادر على إظهارها هو الله تعالى تصديقاً له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحججة عليهم أهم ما بعث به وهو التوحيد واندرج تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع ونعم ذلك بإبذارهم على ترك القبول بالويل الطويل ۚ قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (قال فيه) فإن قلت لم خص الزكاة وأجاب بأن أحب الأشياء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداقاً لاستقامته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بملظة من الدنيا وأهل الردة ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجرحهم اه كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وما خدع المؤلفة فإن استعماله الخداع غير لائق لأنهم إنما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الإيمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة وما تخاف هذا النحو

(قوله الطبايق والملاحظة) لعله والملاحظة (قوله إلا بملظة من الدنيا) في الصحاح لمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فنه اه فلمظه بمعنى ملبوظ كمضغة بمعنى ممضوغ (قوله أنتم بهمزتين) لعله قرئ بهمزتين الخ

وَجَعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ ثَلَاثِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا

الثانية بين بين وآانسكم بألف بين همزتين (ذلك) الذى قدر على خلق الأرض فى مدة يومين هو (رب العالمين ۝ رواسى) جبالا ثوابت (فإن قلت) ما معنى قوله (من فوقها) وهل اختصر على قوله وجعل فيها رواسى كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسى شامخات وجعلنا فى الأرض رواسى وجعل لها رواسى (قلت) لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان أيضا وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المرافق فى الجبال معرضة لطالبها حاضرة محصلها وليصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى عسك لابتدأ لها منه وهو عسكها عز وعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأنعماء (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعاشهم وما يصلحهم وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام سواء) فذلكم لمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قبل خلق الله الأرض فى يوم الأحد ويوم الإثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقال الزجاج فى أربعة أيام فى تنمة أربعة أيام يريد بالتنمة اليومين وقرئ سواء بالحرركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أى استواء والرفع على هى سواء (فإن قلت) بم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها أويقدر أى قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج (فإن قلت) هلا قيل فى يومين وأى فائدة فى هذه الفذلكة (قلت) إذا قال فى أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت فى يومين علم أن ما فيها خلق فى يومين فبقيت المخيرة بين أن تقول فى يومين وأن تقول فى أربعة أيام سواء فكانت فى أربعة أيام سواء فائدة ليست فى يومين وهى الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال فى يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى إلى السماء) من قولك استوى إلى مكان كذا إذا

قوله تعالى أنسكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ويجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) إن قوله فى أربعة أيام فذلكم بمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال وقدر فيها أقواتها فى يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء ومعنى سواء كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ونقل عن الزجاج أن معنى الآية فى تنمة أربعة أيام يريد بالتنمة اليومين ثم قال فإن قلت بم تعلق قوله للسائلين وأجاب بأنه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها أويقدر أى قدر فيها الأقوات لأجل السائلين المحتاجين إليها من المقتاتين ثم قال وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) لم يبين امتناعه على التفسير الأول ونحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الأول أن قوله فى أربعة أيام فذلكم ومن شأنها الوقوع فى طرف الكلام بعد تمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بمقدر لزوم وقوع الفذلكة فى حشو الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج فإن الأربعة على قوله من تنمة الأول وهى متعلقة بمقدر على تأويل حذف التنمة تعلق الظرف بالمظروف ليلآئم ذلك لإتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الأقوات بعد بيان من خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرجح فإنه يشتمل على ذكر مدة خلق الأقوات بالتأويل القريب الذى قدره ومتضمن لما يقوم مقام الفذلكة إذ ذكر جملة العدد الذى هو ظرف لخلقها وخلق أقواتها وعلى تفسير الزخشرى تسكون الفذلكة مذكورة من غير تقدم تصريح بجملة تفاصيلها فإنه لم يذكر منها سوى يومين خاصة ومن شأن الفذلكة أن يتقدم النص على جميع أعدادها مفصلة ثم تأتى هى على الجملة كقوله فصيام ثلاثه أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاهلة ۝

آتَيْنَا طَائِعِينَ ۖ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ

توجه إليه توجها لا يلوى على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام إليه وامتد إليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فقهها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ۖ ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان ومثالهما أنه أراد شكرينهما فلم يمتنع عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخيلا وبينى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما اتيا شئنا ذلك أو آيتناه فقلنا آتينا على الطوع لاعلى الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوثة لم تشقني قال الوثة أسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي (فإن قلت) لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى ۖ والأرض بعد ذلك دحاها ۖ فالمعنى اتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف اتيا بأرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك واتى باسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما نقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤنات وهي الموافقة أى لتأت كل واحدة أختها وتوافقها قلنا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمرى ومشيتي ولا تمتعا (فإن قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت وتفعله طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين (فإن قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعتين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين (فقدضاهن) يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء

قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها والأرض اتيا طوعا أو كرها قلنا آتينا طائعتين (قال فيه) إما أن يكون هذا من مجاز التمثيل كان عدم امتناعهما على قدرته امتثال المأمور المطيع إذا ورد عليه الأمر المطاع فهذا وجه وإما أن يكون تخيلا فيبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السموات والأرض فأجابته والغرض منه تصوير أثر القدرة في المقدور من غير أن يحقق شيئا من الخطاب والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للوثة لم تشقني فقال الوثة أسأل من يدقني لم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي اه كلامه (قلت) قد تقدم إنكارى عليه إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فإن معنى هذا الإطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصور لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من إيهام وسوء أدب والله أعلم ۖ قوله تعالى ۖ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض اتيا طوعا أو كرها قلنا آتينا طائعتين ۖ الآية (قال) فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان معها والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين وأجاب بأنه قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والأرض بعد ذلك دحاها فالمعنى اتيا على ما ينبغي من الشكل اتى بأرض مدحوة وقرارا ومهادا واتى باسماء مقببة ۖ ثم قال فإن قلت ما معنى طوعا أو كرها وأجاب بأنه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده أفعل هذا شئت أو أبيت ۖ ثم قال فإن قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ وطائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون وأجاب بأنه لما جعلن مخاطبات

(قوله فعل الأمر المطاع) لعله أمر الأمر (قوله تصوير أثر قدرته) لعله تأثير

وَحَفَظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ ۝ إِذْ جَاءَهُمْ
الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا أَرْسَلْنَا بِهِ

على المعنى كما قال طائعتين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصيبين
أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز قبل خلق الله السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر
ساعة من يوم الجمعة خلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من أنه لو قيل في يومين
في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان (فإن قلت) فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين
وقدر فيها أوقاتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح
واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصة القرائح ومصاك الركب لتمييز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكس
وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها
وما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعنى من المسترفة بالثواب ويجوز أن يكون مفعولا لاله على المعنى كأنه قال وخلقنا
المصائب زينة وحفظا (فإن أعرضوا) بعدما تلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته ۝ فحذرهم أن تصيبهم صاعقة
أى عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة ۝ وقرئ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهي المزة من الصعق أو الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم
وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن
خلفهم يعنى لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكنلى فيه حيلة وعن

ومجيبات وموصوفات بالطوع والكراهة ۝ قيل طائعتين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين اه كلامه (قلت) لم يحقق
الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن فى ضمن الآية سؤالين أحدهما لم ذكرها وهي مؤنثة وهذا هو السؤال الذى أورده
الثانى أتى بها على جمع العقلاء وهي لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذى ذكره مختص بالسؤال الذى لم يذكره ولهذا
نظره بقوله ساجدين فإن تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء فأما السؤال الآخر فلا لأن
الكلام راجع إلى السكواكب وهي مذكرة والشمس وإن كانت مؤنثة إلا أنه غلب فى الكلام المذكر على المؤنث على
المنهاج المعروف فأما هذه الآية فتزيد على تلك بهذا السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والأرض
مؤنثة فيقال أولا لم ذكرها وثانيا لم أتى جمعها المذكر على نعت جمع العقلاء ليتحقق نسبة السؤال والجواب والطوع
اللاتى تختص بالعقلاء لآبها ولم يوجد فى جمع المؤنث عدول إلى جمع المذكر لوجود الصيغة المرشدة إلى العقل فيه فتمت
الفائدة بذلك على تأويل السموات والأرض بالآفلاك مثلا وما فى معناه من المذكر ثم يغلب المذكر على المؤنث ولا
يعدم مثل هذا التأويل فى الأرضين أيضا ۝ قوله تعالى «فققضاهن سبع سموات فى يومين» (قال فيه) قيل إن الله تعالى
خلق السموات وما فيها فى يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم فى تمامه اليوم وفيه تقوم
القيامة ثم استدل بذلك على ما ذكره من أنه لو قال فى يومين فى موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان
أو ناقصان اه كلامه (قلت) كأنه يستدل بإهمال اليومين عن التأكيده حيث لم يكن خلق السموات بما فيها فى جملة
اليومين على أنه إنما فذلك أيام خلق الأرض بما فيها لأنه لو فصلها لم يكن فيها دليل على استيعاب الخلق لكل يومين
منها بل كان يجوز أن يكون الخلق فى أحد اليومين وبعض الآخر كما كان فى هذه الآية على النقل الذى ذكر وهذا لا يتم
له منه غرض فإن للقاتل أن يقول إنما كان خلق السموات بما فيها فى يومين كاملين لأن آدم لم يكن فى السموات

كَفَرُونَ ۖ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ۖ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ

الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (فإن قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن يحى من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل جميعاً قد جاؤهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم ۖ أن في (أن لا تعبدوا) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تعبدوا أي بأن بالشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ۖ ومفعول شاء محذوف أي (لو شاء ربنا) إرسال الرسل (لأنزل ملائكة) فإننا بما أرسلتم به كافرون (معناه) فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإننا لاؤم من بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون روى أن أبا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التستم لنا رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أنا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلت من ذلك علماً وما يخفى عليّ فأنا فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آل هنتا وتصلنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك من ۖ أهوالنا ما نستغني به ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فأنطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حسبك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمداً أبداً ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت فيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا في الأرض) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استولوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد مناقوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصحرة من الجبل فيقتلعها بيده (فإن قلت) القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فالأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صحّ قوله (هو أشد منهم قوة) وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضوعين شيء واحد (قلت) القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صحّ

حينئذ وبخلقه كمل اليومان على مقتضى ما نقله فتأمل ۖ قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً (قال فيه) القوة الشدة في البنية ونقيضها الضعف والقدرة ما لأجله يصح الفعل من الفاعل وهي نقيضة العجز فإن وصف الله تعالى بالقوة فذلك بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها فكيف صحّ قوله هو أشد منهم قوة ولا بد أن يراد بالقوة في الموضوعين شيء واحد وأجاب عنه بأن القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والشدة والقوة زيادة القدرة فكما صحّ أن يقال أقدر منهم صحّ أن يقال أقوى

(قوله من تميز بذات أو لصحة بنية) هذا كقوله الآتي إنه يقدر لذاته تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة على أنه تعالى قادر بذاته لكن مذهب أهل السنة أنه تعالى قادر بقدرة قائمة بذاته وكذا بقية الصفات كما في التوحيد

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۚ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ
فَآخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ وَبِجُنَا الذِّينِ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۚ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ

أَنْ يُقَالَ اللَّهُ أَفْذَرُ مِنْهُمْ جَازَ أَنْ يُقَالَ أَقْوَىٰ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَعْنَى أَنَّهُ يَقْدِرُ لِدَاثِهِ عَلَىٰ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِازْدِيَادِ قُدْرَتِهِمْ (بِحُجُودِهِمْ)
كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا مَا يَجْعَدُ الْمَوْدِعَ الْوَدِيعَةَ وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ فَاسْتَكْبَرُوا أَيْ كَانُوا كُفْرًا فَسَقَةً ۚ
الضَّرَرُ الْعَاصِفَةُ الَّتِي تَصْرُصُ أَيْ تَصُوتُ فِي هُبُوبِهَا وَقِيلَ الْبَارِدَةُ الَّتِي تَحْرِقُ بِشِدَّةِ بَرْدِهَا تَسْكِرُ لِبِنَاءِ الضَّرَرِ وَهُوَ الْبَرْدُ
الَّذِي يَصِرُ أَيْ يَجْمَعُ وَيَقْبِضُ (نَحْسَاتٍ) قُرِئَ بِكسرِ الحاءِ وَسُكُونِهَا وَنَحْسٌ نَحْسًا نَقِيزٌ سَعْدٌ سَعْدًا وَهُوَ نَحْسٌ وَأَمَّا
نَحْسٌ فَإِنَّمَا مَخْفَفُ نَحْسٍ أَوْ صَفَةُ عَلَىٰ فِعْلِ كَالضَّخْمِ وَشَبَّهَ أَوْ وَصَفَ بِمَصْدَرٍ ۚ وَقُرِئَ لِتَذِيقِهِمْ عَلَىٰ أَنْ الْإِذَاقَةَ لِلرَّيْحِ
أَوْ الْإِيَّامِ النَّحْسَاتِ ۚ وَأَضَافَ الْعَذَابَ إِلَى الْخِزْيِ وَهُوَ الذِّلُّ وَالِاسْتِكَاةُ عَلَىٰ أَنَّهُ وَصَفَ لِلْعَذَابِ كَأَنَّهُ قَالَ عَذَابُ خِزْ
كَأَنَّ قَوْلَ فِعْلِ السُّوءِ تَرِيدُ الْفِعْلَ السَّيِّئَ وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ) وَهُوَ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ
وَوَصَفَ الْعَذَابَ بِالْخِزْيِ أَبْلَغَ مِنْ وَصْفِهِمْ بِهِ أَلَا تَرَىٰ إِلَى الْبُؤْسِ بَيْنَ قَوْلِكَ هُوَ شَاعِرٌ وَلَهُ شِعْرٌ شَاعِرٌ ۚ وَقُرِئَ ثَمُودُ
بِالرَّفْعِ وَالتَّصْبِ مَتُونًا وَغَيْرَ مَتُونٍ وَالرَّفْعُ أَفْصَحُ لَوْ قَوَّعَهُ يَدُ حَرْفِ الْإِبْتِدَاءِ وَقُرِئَ بِضَمِّ التَّاءِ (فَهَدَيْنَاهُمْ) فَدَلَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ
طَرِيقِ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ) فَاخْتَارُوا الدُّخُولَ فِي الضَّلَالَةِ عَلَىٰ
الدُّخُولِ فِي الرِّشْدِ (فَإِنْ قُلْتَ) أَلَيْسَ مَعْنَى هَدَيْتِهِ حَصَلَتْ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُكَ هَدَيْتَهُ فَاهْتَدَىٰ بِمَعْنَى تَحْصِيلِ الْبَغْيَةِ
وَحَصُولِهَا كَمَا نَقُولُ رَدَعْتَهُ فَارْتَدَعَ فَكَيْفَ سَاغَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الدَّلَالَةِ الْمَجْزُوءَةِ (قُلْتَ) لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ مَكْنُهُمْ وَأَزَاحَ عَنْهُمْ
وَلَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرَاءٌ وَلَا عِلَّةٌ فَكَأَنَّهُ حَصَلَ الْبَغْيَةُ فِيهِمْ بِتَحْصِيلِ مَا يَوْجِبُهَا وَيَقْتَضِيهَا (صَاعِقَةُ الْعَذَابِ) دَاهِيَةُ الْعَذَابِ وَقَارِعَةُ
الْعَذَابِ ۚ وَ (الْهُونِ) الْهُونُ وَصَفَ بِهِ الْعَذَابَ مِبَالِغَةً أَوْ أَبْدَلَهُ مِنْهُ وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّتِي فِيهَا
يُجَسَّسُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِشَهَادَةِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَىٰ بِهِ شَاهِدًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَكُنْفَىٰ بِهَا حُجَّةٌ ۚ قُرِئَ يُحْشَرُ عَلَى الْبِنَاءِ

مِنْهُمْ عَلَىٰ مَعْنَى أَنَّهُ يَقْدِرُ لِدَاثِهِ عَلَىٰ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِازْدِيَادِ قُدْرَتِهِمْ أَنْتَهَىٰ كَلَامُهُ (قُلْتَ) فَسَرَّ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ خِلَافِ مَا هِيَ
فِي اعْتِقَادِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَإِنْ سَلِمَ لَهُ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ فَقَدْ نَكَصَ عَنْهُ إِلَىٰ حَمْلِ الْقُدْرَةِ فِي الْآيَةِ عَلَىٰ مَقْتَضَاهَا فِي فَنِّ الْكَلَامِ وَجَعَلَ
التَّفْضِيلَ مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ لِدَاثِهِ أَيْ بِالْقُدْرَةِ وَالْمَخْلُوقُ قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْفَاسِدَةِ لِلْقُدْرَةِ وَنَظِيرُ هَذَا
التَّفْسِيرُ فِي الْفَسَادِ تَفْسِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ زَيْدٌ أَعْلَمُ مِنْ عَمْرٍو بِإِثْبَاتِ صِفَةِ الْعِلْمِ لِلْمَفْضُولِ وَسَلْبِهَا بِالْكَلْبَةِ عَنِ الْأَفْضَلِ وَهَلْ هَذَا إِلَّا عَمَلٌ وَعَمَى
فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَعَمَهُ فَالْحَقُّ أَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ الْقُدْرَةَ الثَّابِتَةَ لِلْعَبْدِ قُدْرَةٌ مَقَارِنَةٌ لِفَعْلِهِ مَعْلُومَةٌ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ مَفْقُودَةٌ غَيْرُ مَوْثُورَةٍ
فِي الْعَقْلِ الرَّاجِحِ فِي مَحَلِّهَا فَضْلًا عَنْ تَجَاوُزِهَا إِلَى غَيْرِهِ وَقُدْرَةُ اللَّهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مَوْثُورَةٌ فِي الْمَقْدُورَاتِ مَوْجُودَةٌ أَزَلًا وَأَبَدًا عَامَةً
التَّعْلُقُ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ فَهَذَا هُوَ النُّورُ الَّذِي لَا يُلُوحُ إِلَّا مِنَ الْإِثْبَاتِ عَقَائِدُ السَّنَةِ لَمْ يَسْبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْمُنَّةُ
ۚ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ (قَالَ فِيهِ) فَدَلَّلْنَاهُمْ عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ ۚ ثُمَّ قَالَ فَإِنْ قُلْتَ أَلَيْسَ مَعْنَى هَدَيْتِهِ حَصَلَتْ
لَهُ الْهُدَىٰ وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُكَ هَدَيْتَهُ فَاهْتَدَىٰ فَكَيْفَ سَاغَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الدَّلَالَةِ الْمَجْزُوءَةِ وَأَجَابَ بِأَنَّهُ مَكْنُهُمْ وَأَزَاحَ عَنْهُمْ
وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ عَذْرَاءٌ وَلَا عِلَّةٌ فَكَأَنَّهُ حَصَلَ الْبَغْيَةُ فِيهِمْ بِحُصُولِ مَوْجِبِهَا ۚ ثُمَّ قَالَ وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّتِي فِيهَا
يُجَسَّسُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِشَهَادَةِ نَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَكُنْفَىٰ بِهَا حُجَّةٌ أَنْتَهَىٰ كَلَامُهُ (قُلْتَ)

(قَوْلُهُ وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى فَاسْتَكْبَرُوا) أَيْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَانُوا الْخُ (قَوْلُهُ حُجَّةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّتِي فِيهَا يُجَسَّسُ) يَرِيدُ أَهْلَ
السَّنَةِ سَمَاهُمُ الْمُعْتَزِلَةَ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ جَمِيعُ الْخَوَادِثِ خَيْرٌ كَانَتْ أَوْ شَرًّا مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا فَهِيَ بِقَضَاءِ
اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَةِ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ لَيْسَتْ بِقَضَاءِ تَعَالَى وَقُدْرَةِ وَلَا تَأْثِيرَ لَهَا فِيهَا
أَصْلًا وَهَذَا أَحَقُّ بِالتَّقْيِصِ الَّذِي يَفِيدُهُ الْحَدِيثُ وَفَسَّرُوا الْإِضْلَالَ وَالْهُدَىٰ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ۚ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ
بِخَلْقِ الضَّلَالِ وَخَلْقِ الْإِهْتِدَاءِ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ حَيْثُ فَسَّرُوا الْإِضْلَالَ بِالْخُذْلَانِ وَتَرْكِ الْعَبْدِ شَأْنَهُ وَالْهُدَىٰ بِالْبَيَانِ وَنَقْلِ

اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا مَاجَأَ شُهُودُهُمْ عَلَيْهِمْ أَلْفُ بَيْتٍ مِّنَ النَّارِ يَنصُرُونَ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ
وَقَالُوا لَجُودَهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ۚ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۚ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ

للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أى يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من
الاولين والآخرين (يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم نوالهم وهى عبارة
عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يمجربنا منها بسعة رحمته (فإن قلت) ما فى قوله (حتى إذا ماجأوها) ماهى (قلت)
مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله
قوله تعالى أثم إذا ما وقع آمنتم به أى لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملاسة للحرام وما أشبه
ذلك مما يفضى إليها من المحرمات (فإن قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما
أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هى كناية عن الفروج أراد بكل شئ كل شئ من الحيوان
كما أراد به فى قوله تعالى والله على كل شئ قدير كل شئ من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر
على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإثباتكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم (لم شهدتم علينا) لما
تعاضدتم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم (المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند
ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم
جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما) كنتم (تعملون) وهو الخفيات من
أعمالكم وذلك الظن هو الذى أهلككم وفى هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله
عينا كائنه ورقباً مهيماً حتى يكون فى أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاماً وأوفر تحفظاً وتصوناً مع الملائكة
ولا يتيسر فى سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وفريئ ولكن زعمتم (وذلكم) رفع بالابتداء (و(ظنكم) و(أرداكم)

قد أنطقه الله الذى أنطق كل شئ. بأن القدرية يجوزس هذه الأمة بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم وقد شهد بحجة الاكرمون أن
الطائفة الذين قفا الزمخشري أثرهم القدرية المتمجسة الذين أديانهم بأدناس الفساد متنجسة فهم أول منخرط فى هذا السلك ومنهبط
فى مهواة هذا الهلك (ولنرجع إلى أصل الكلام فنقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة حقيقة هو خلق الهدى فى قلوب
المؤمنين والإضلال خلق الضلال فى قلوب الكافرين ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازاً واتساعاً نحو هذه الآية فإن
المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقة كما فسره الزمخشري وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على أن استعمال الهدى ههنا
بجواز ثم إن أهل السنة يحملونه على المجاز فى جميع موارد فى الشرع فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون وأى دليل

النسفي عن ابن منصور الماتريدى أن الهدى المضاف للخالق يكون تارة بمعنى البيان كما فى هذه الآية وتارة بمعنى خلق
الاهتداء كما فى قوله تعالى «يضل من يشاء ويهتدى من يشاء» والمضاف للمخلوق بمعنى البيان فقط ويحتمل أن يكون هدى
ثمود بمعنى خلق الاهتداء فهم وأنهم آمنوا قبل عقرب الناقة ثم كفروا وعقروها اه (قوله لأن يخلو منهم) لعله منها
(قوله كما أنطق الشجرة) على زعم المعتزلة أن تكليمه مع موسى عليه السلام هو خلقه الكلام فى الشجرة التى
كانت عند الطور وعند أهل السنة هو بأن كشف له عن كلامه القديم وأسمعه إياه كما بين فى محله
(قوله وذلك الظن هو الذى أهلككم) لعله وذلكم (قوله فى سره مراقبة من التشبه) أى مخافة كما أفاده الصحاح

يَسْتَعْتَبُوا فَسَاهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ۝ وَقِيضْنَا لَهُمْ قَرْنًا ۖ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَلَنَذِقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ

خبر أن يجوز أن يكون ظنكم بدلائل ذلك وأرادكم الخبر (فإن يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفعوا به من الثواب في النار (إن يستعذبوا) وإن يسألوا العتي وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزاء ما هم فيه لم يعذبوا لم يعطوا العتي ولم يجابوا إليها ونحوه قوله عز وجل أجزنا أم صبرنا ما لنا من محض وقرئ وإن يستعذبوا فاهم من المعتبين أي إن سئلوا أن يرضوا عنهم فاهم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك (وقضيضنا لهم) وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قبضان إذا كان متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخذانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين» (فإن قلت) كيف جاز أن يقبض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعني كلمة العذاب (في أم) في جملة أم ومثل في هذه ما في قوله :

إن تك عن أحسن الصنعة مأ ۝ فوكا في آخرين قد أفكوا

يريد فأت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد (فإن قلت) في أم ما محله (قلت) محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أم (إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأم قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يغني ولغى بالغوا والغوا الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من الغا ورث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلو عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهديان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قریش يوصى بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللادين والآخرين لهم بالغوا خاصة وأن يذكر الذين كفروا وعامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر . و (أسوأ الذي كانوا يعملون) في الآخرة (ذلك) إشارة إلى الأسوأ ويجب أن

في هذه الآية على أهل السنة لأهل البدعة حتى يرميهم بما ينعكس إلى نحوه ويذيقه وبال أمره ۝ قوله تعالى وقضيضنا لهم قرناء (قال) فيه كيف جاز أن يقبض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم وأجاب بأن معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية انتهى كلامه (قلت) جواب هذا السؤال على مذهب أهل السنة أن الأمر على ظاهره فإن قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهى عما يريد وقوعه ويأمر بما لا يريد حصوله وبذلك نطق هذه الآية وأخواتها وإيماناً وألها الزمخشري لاتباعها هو الفاسد في اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد وإن وقع النهي عنه فعلى خلاف الإرادة تعالى الله عن ذلك وبه نستعين من جعل القرآن تبعا للهوى وحينئذ فنقول لولم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبينا عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكفى بها فهذا موضع هذه المقالة التي أنطقه الله بها الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه

(قوله قرناء أخذانا من الشياطين) أي أصدقاء أفاده الصحاح (قوله قلت معناه أنه خذلهم) هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يقتدر الشر أم على مذهب أهل السنة أنه تعالى يقدره كالخير فلا داعي إلى هذا التكلف قال تعالى ۝ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين ۝ الخ (قوله والهديان والزمل) الذي في الصحاح الزمل الصوت والأزملة بالضم المصوت من الوعول وغيرها

جَزَاءٌ أَعَدَّ اللَّهُ النَّارَ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا
الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْآسَفِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَمُوا أَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتِ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۝ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝ وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي

يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (فإن قلت)
ما معنى قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) (قلت) معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء بما
كانوا بآياتنا يجحدون) أي جزاء بما كانوا يلغون فيها ذكر الجحود الذي هو سبب اللغو (الذين أضلانا) أي الشيطانين
الذين أضلانا (من الجن والإنس) لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الإنس والجن وقال تعالى الذي يؤسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما أسنا
الكفر والقتل بغير حق ۝ وقرئ أَرْنَا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في نخذ نخذ وقيل معناه أعطنا الذين أضلانا
وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرفى ثوبك بالكسر فالمعنى بصره وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك
ونظيره اشتار الإتياء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار (ثم) لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه
لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا
على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً وعنه أنه تلاها ثم قال
ما تقولون فيها قالوا لم يذبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي
الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله
عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت يارسول الله أخبرني بأمر أعظم به قال قل ربّي
الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا (تنزل
عليهم الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم (الاتخافوا)
أن بمعنى أي أو مخففه من الثقل وأصله بأنه لاتخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لاتخافوا
أي يقولون لاتخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه ۝ والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضرر
والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذرّوه أبداً وقيل لاتخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم ۝
كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين (تدعون) تمنون ۝ والنزل
رزق النزيل وهو الضيف واتصابه على الحال (ومن دعا إلى الله) عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا إلى الإسلام (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نخلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين
هذه الثلاث أن يكون موحداً معتقداً الدين الإسلام عاملاً بالخير داعياً إليه ومأمراً لاطلبة العالمين العاملين من أهل العدل
والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله (وقال إني من المسلمين) ليس الغرض أنه تسكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام

(قوله العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة) إن أراد بهم المعتزلة سمو أنفسهم بذلك فلا وجه للتخصيص

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ

مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه ۝ يعني أَنَّ الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتقتدي ولده من يذمك فافعل ذلك انقلب عدوك المشاقق مثل الولي الحميم مصافاة لك ۝ ثم قال وما بقي هذه الخليفة أو السجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر ۝ ولا لرجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فإن قلت) فهلا قبل فادفع بالتي هي أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقبل ادفع بالتي هي أحسن ۝ وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة (فإن قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة (قلت) أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنة هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدواً مؤذياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مصافياً ۝ النزغ والنسخ بمعنى وهو شبه النخس والسيطان بزغ الإنسان كأنه ينخسه بيعته على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغك نازغ وصفاً للسيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره واهض على شأنك ولا تقطعه الضمير في (خلقهن) لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقبل خلقهن (فإن قلت) أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعي رحمه الله تعالى (تعبدون) وهي رواية مسروقة عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم السكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنوا عن هذه الوساطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصاً إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فإن استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الوساطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزاني والمكابة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ۝ الحشرع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت حطلة لنبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وتري الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والريق وهو الانتفاخ إذا أخضبت وتزخرت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة وقرئ ورأت أي ارتفعت لأن النبات إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض ۝ يقال ألد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ

فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقِي فِي النَّارِ خَيْرَ أَمِّ مِنْ يَأْتِي ~ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كَرِّ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ • لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ • مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ • وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَآذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ • وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف • (فان قلت) بم اتصل قوله (إن الذين كفروا بالذكر) (قلت) هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا تأويله (وإنه لكتاب عزيز) أى منيع محي بحماية الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فإن قلت أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدّم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن يقض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقوالهم فلم يخلو طعن طاعن إلا محوقا ولا قول مبطل إلا مضمحلا ونحو قوله تعالى إننا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ما يقال لك أى ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسول كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة ورحمة لأنبيائه (وذو عقاب) لا عدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسول من قبلك والمقول هو قوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا (لولا فصلت آياته) أى بينت ولخصت بلسان نفقهم (العجمي وعربي) الهمزة همزة الإنكار يعنى لأنكروا وقالوا أفرأنا أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي وقرئ أعجمي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أى جنس كان والعجمي منسوب إلى أمة العجم وفي قراءة الحسن أعجمي بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل اليه عربي والمعنى أن آيات الله على أى طريقة جامتهم وجدوا فيها متعنتا لأن القوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب إلى قوم من العرب يقول كتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سبق إليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل عرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللباس قصير ولوقلت واللباس قصيرة جئت بما هو لكنته وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللباس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما (هو) أى القرآن (هدى وشفاء) إرشاد إلى الحق وشفاء (لما في الصدور) من الظن والشك • (فان قلت) (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به (قلت) لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر إلا أن فيه عطفًا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وإما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر

• قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى (أجاز) في الواو في هذه الآية وجهين أحدهما أن تكون الواو لعطب الذين على الذين وقر على هدى وشفاء ويسكون من العطف على

مُوسَى السَّكَّابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَلَئِنْ شَكَّ مِنْهُ مَرِيبٌ مِنْ عَمَلٍ
صَالِحًا فَلَنْفُسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيمٍ لَلْعَبِيدِ ۝ إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمَ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ
أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَعِزَّنَا مِنْ شَيْءٍ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۝ لَا يَسْتَمُ إِلَّا نَسْنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ
الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

على حذف المبتدأ أوفى آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد)
يعنى أنهم لا يقبلونه ولا يرفعونه أسماعهم فثلمهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطلة لا يسمع من مثالا الصوت فلا
يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات
تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخروهم إلى أجل مسمى (فلنفسه)
فنفسه نفع (فعلها) نفسه ضرر (وماربك بظلام) فيعذب غير المسمى (إليه يرد علم الساعة) أى إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو
لا يعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أى وما يحدث شئ من خروج
ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عددا أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والنمى والذكورة
والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركائى) أضافهم إليه تعالى على زعمهم وبيانه في قوله تعالى أين شركائى الذين
كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقرع (آذناك) أعلنناك (ما منا من شهيد) أى ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم
شركاؤك أى ما منا إلا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة
التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلأهم عنهم على هذا التفسير
أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا والمحيص المهرب (فإن قلت) آذناك إخبار بإيدان كان منهم فإذا
قد آذنوا فلم سئلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم أين شركائى إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على
إعادة المحكى ويجوز أن يكون المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من
نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء الإيدان ولا يكون إخبار بإيدان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من
الأمر كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء الخير (وإن مسه الشر) أى
الضيق والفقر (فيؤس قنوط) دلغ فيه من طريقين من طريق بناء فعمل ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر
اليأس فيتضامل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا يأس من روح
الله إلا القوم الكافرون ۝ وإذا فرجنا عنه بصحة بما مضى أوسع بعد ضيق قال (هذا) أى هذا حتى وصل إلى لآنى
استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لى لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
ونحو قوله تعالى (وما أظن الساعة قائمة) إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين يرد وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم

عالمين قال وإما أن يكون والذين مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أوفى آذانهم منه
وقراه (قلت) أى وبتقدير الرابط يستغنى عن تقدير المبتدأ

(قوله وقرئ من ثمرات من أكمامهن) يفيد أن القراءة المشهورة من ثمرة من أكمامها والذى في النسخ من ثمرات من أكمامها ومن ثمرة
من أكمامها وأما من ثمرات من أكمامهن فهي المزیدة منا لحذر (قوله أحواله من الخداج والتمام) أى النقصان كما في الصحاح

وَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنُتَبِّحَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ
وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَتَأْبَاهِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ
عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۖ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

(إِن لِي) عند الله الحالة الحسنی من الكرامة والنعمة قانسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر
أمنيتان يقول في الدنيا وأئن رجعت إلى ربِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ ويقول في الآخرة باليقين كنت ترابا وقيل
نزلت في الوليد ابن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنصبرنهم عكس ما اعتقدوا
فيها أنهم يستوجون عليها كرامة وقربة عند الله وقدما إلى ما عملوا من عمل لجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم
كانوا ينفقون أموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى
والصحة وأنهم محققون بذلك هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرت النعمة وكأنه
لم يلق بؤسا قط فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ۖ وإن مسه الضر
والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهاج والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة
الأجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلط بشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإنباع
وناء على القلب كما قالوا راء في رأى (فإن قلت) حقق لى معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع
جانبه موضع نفسه كإذ كرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه
قوله ونفيت عنه مقام الذنب يريد ونفيت عنه الذنب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرت فلان
وجلسه وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه
وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار
كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبروني (إن كان) القرآن (من عند الله) يعنى أن ما أتم عليه من إنكار القرآن
وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلت منها على اليقين وثالج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل
أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون
حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضلّ منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم
وقوله تعالى (من هو في شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفهم (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم)
يعنى ما يرس الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده ونصاردينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب
عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على
الجبارة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسلط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من
المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقرار بطلعك في التواريخ
والكتب المدونة في مشاهد أهل وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى
معدن اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحمده إلا المكابر حسه مغالط نفسه
وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق

(قوله ونفيت عنه مقام الذنب) في الصحاح الرجل اللعين شيء ينصب وسط الزرع تسقط به الوجوب قال الشماخ
ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين (قوله وفي باحة العرب) أى ساحتهم أفاده الصحاح (قوله
وأن الباطل ريحا تخفق) لعله ريح أولعله وأن الباطل ريحا

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝

سورة الشورى مكية

إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ - إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ

ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (ربك) في موضع الرفع على أنه فاعل كفى و(أنه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره
أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوى عنده غيبه وشهادته
فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولولم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة
وقرئ في مرية بالضم وهي الشك (محيط) عالم بجمل الأشياء وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم
وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله
بكل حرف عشر حسنات

(سورة حم عسق مكية وهي تسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق (كذلك يوحى إليك) أي مثل ذلك
الوحي أو مثل ذلك الكتاب إليك وإلى الرسل (من قبلك الله) يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله
إليك مثله في غيرها من السور وأوحاه من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن في جميع
الكتب السماوية لمسا فيها من التنبيه البالغ واللفظ العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على
لفظ المضارع ليدل على أن إحياء مثله عادته ۝ وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول (فإن قلت) فما رافع اسم الله على
هذه القراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كأن قائله قال من الموحى فقيل الله كقراءة السلي وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم على معنى زينه لهم شركاؤهم (فإن قلت) فما رافعه فيمن قرأ
نوحى بالنون (قلت) يرتفع بالابتداء ۝ والعزير وما بعده أخبار والعزير الحكيم صفتان والظرف خبر ۝ قرئ تكاد
بالياء وينفطرن وينفطرن وروى يونس عن أبي عمر وقراءة غريبة تنفطرن بتأمين مع النون ونظيرها حرف
نادر روى في نوادر ابن الأعرابي الأبل تشمن ومعناه يكدن تنفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد
العلو العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات ينفطرن منه ۝ (فإن قلت) لم قال من فوقهن (قلت)
لأن أعظم الآيات وأدله على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح
والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (ينفطرن من فوقهن) أي
يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن
من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن
من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عزّ وعلا يصب من فوق رؤسهم الجيم يصهر به

(قوله تكاد السموات ينفطرن منه) لعله ينفطرن وهما قرأتان

يَسْبَحُونَ بِحَمْدِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ • وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ • وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

ما في بطونهم فجعل الخيم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقون من فوق الارضين • (فإن قلت) كيف صح أن
يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون
لاعين مستغفرين لهم (قلت) قوله (لمن في الأرض) يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم
فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم
ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة المؤمن «ويستغفرون للذين آمنوا» وحكايتهم عنهم «فاغفر للذين تابوا واتبوا سبيلك»
كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصبتين طمعا في استغفارهم
فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله تعالى «إن الله يمسك السموات والأرض
أن تزولا إلى أن قال إنه كان حليما غفورا» وقوله تعالى «إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» والمراد الحلم عنهم
وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فإن قلت) قد فسرت قوله تعالى «تكاد السموات ينفطرن بتفسيرين فما وجه
طباق ما بعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكانه قبل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه
والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوف بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته
وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكانه قيل يكدن ينفطرن من
إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها
إليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من الطافة التي علم أنهم عندها يستعصمون مخنارين غير ملجئين ويستغفرون
لمؤمني أهل الأرض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم
بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق
منهم (والذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) جعلوا له شركاء وأنشأ (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء
وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرم على
الإيمان إنما أنت منذر غيب • ومثل ذلك (أوحينا إليك) وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم وما
أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمعو الكاف مفعول به لا وحينناو (قرأنا عريبا) حال
من المفعول به أي أوحينا إليك وهو قرآن عربي لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حدا لا تذارو ويجوز أن يكون
ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآننا عريبا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته
كذا وأنذرته بكذا وقد عدى الأول أعني لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى
المفعول الثاني (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسأل القرية (ومن حولها) من العرب • وقرئ لينذر بالياء
والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين
الآرواح والأجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له • قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب
فالرفع على أنهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي
متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فإن قلت) كيف يكونون بجموعين متفرقين في حالة واحدة

وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا

(قلت) هم يجمعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وإن أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالنفرق على معنى مشارفتهم للنفرق (لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم على القسر والإكراه كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الإلجام إلى الإيمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى أفأنت تكره بإدخال همزة الإنكار على المكروه دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الإيمان * ولكن شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبني أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنون في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى إلى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه * معنى الهمزة في (أم) الإنكار (فالله هو الولي) هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد فالفاء في قوله فإله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه إن أرادوا وليا بحق فإله هو الولي بالحق لا ولي سواه (وهو يحيي) أى ومن شأن هذا الولي أنه يحيي (الموتى وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليادون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أتمم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك اختلف فيه مفوض إلى الله تعالى وهو إثابة المحققين فيه من المؤمنين ومعاينة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم هو (الله ربى عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (وإليه) أرجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجموا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لاتنصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (فإن قلت) هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة (قلت) لا لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة رسول الله ﷺ (فاطر السموات) قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم وأخبر مبتدأ محذوف والجزء على حكمه إلى الله فاطر السموات وذلكم إلى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف (جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الأنعام أزواجا) أى وخلق من الأنعام

﴿القول في سورة حم عسق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذكركم فيه (قال إن الضمير المنصل يندرج عند على الأنفس وعلى الأنعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب بما لا يعقل وهى من الأحكام

(قوله لقسرهم جميعا على الإيمان) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فالإرادة تستلزم وجود المراد لكن لا تستلزم القسر والجبر للعباد لأنها لاتنافى الاختيار لمسلم في أعمالهم من الكسب وإن كانت مخلوقة له تعالى وأما التي لا تستلزم المراد وهى التي سماها مشيئة الحكمة فهى التي بمعنى الأمر عند المعتزلة ولا يثبتها أهل السنة كما تقرر في التوحيد فعنى الآية ولو شاء ربك إيمان الكل لآمن الكل ولكن شاء إيمان البعض فآمن من شاء إيمانه

يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

أزواجاً ومعناه وخلق للإنعام أيضاً من أنفسها أزواجاً (يذروكم) يكثر كم يقال ذر الله الخلق بهم وكثرهم والذرو والذرو والذرو أخوات (فيه) في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والآنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع إلى المخاطبين والآنعام مغلبات في المخاطبات والعقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الأحكام ذات العلتين (فإن قلت) ما معنى يذروكم في هذا التدبير وهلا قيل يذروكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للثب والتكثير ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة ۝ قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فساكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن بسد مسدده وعن هو على أخص أو صافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صبي في سقيا عبد المطلب ألو فيه الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقتان على معنى واحد وهو نفي المائلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يدها مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى أنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كثررت للنأ كيد كما كثرها من قال وصاليات ككيا يؤثفين ومن قال ۝ فأصبحت مثل كعصف مأ كوك ۝ وقرئ ۝ ويقدر (إنه بكل شيء عليم) فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره (شرع لكم من الدين) دين

ذات العلتين انتهى كلامه (قلت الصحيح) أنهما حكيان متباينان غير متداخلين أحدهما مجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطباً أو غائباً والثاني مجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب فالأول لتغليب العقل والثاني لتغليب الخطاب ۝ قوله تعالى ۝ ليس كمثل شيء ۝ (قال) فيه تقول العرب مثلك لا يبخل فينفون البخل عن مثله والمراد نفسه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذم ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه وفي حديث رقيقة بنت صبي في سقيا عبد المطلب ألو فيه الطيب الطاهر لداته تريد طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ونحوه قوله تعالى بل يدها مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور ولا بسط لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون بها شيئاً آخر حتى أنهم يستعملونها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كثررت للنأ كيد كما كثررت في قول من قال وصاليات ككيا يؤثفين ۝ ومن قال ۝ فأصبحت مثل كعصف مأ كوك ۝ انتهى كلامه (قلت) هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى وذلك أن الذي يليق هنا تأ كيد نفي المائلة والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المائلة وفرق بين تأ كيد المائلة المنفية وبين تأ كيد نفي المائلة فإن نفي المائلة المهملة عن التأ كيد أبلغ وآ كيد في المعنى من نفي المائلة المقترنة بالتأ كيد إذ يلزم من نفي المائلة الغير المؤكدة نفي كل مماثلة ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأ كدة بالغة نفي مماثلة دونها في التحقيق والتأ كيد وحيث وردت الكاف مؤكدة للمائلة وردت في الإثبات فأكدته فليس النظر في الآية بهذين النظيرين مستقيماً والله أعلم بما يرشد إلى صحة ما ذكرته أن للفاضل أن يقول ليس زيد شياً بعمره لكن مشبهاً له ولو عكس هذا لم يكن صحيحاً

(قوله لا تخفر الذم كان أبلغ) في الصحاح أخفرت إذا أنقضت عهده وغدرت به وفيه أيفع العلام أي ارتفع وهو يافع ولا تقول موقع وقوله كان أبلغ لعل تقديره فإن قلت له ذلك كان أبلغ (قوله وصاليات فكيا يؤثفين) أي أحجار تلاقى النار ويؤثفين أي يجعلان أثافي للقدر وهي الأحجار التي توضع عليها القدر عند الطبخ

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۚ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْشِكُ مِنْهُ مِرْيَبٌ ۚ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ فِي اللَّهِ رَبِّنَا وَرَبِّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۚ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه وإما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هي إقامة الدين ونحوه قوله تعلق أن هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم إليه) من إقامة دين الله والتوحيد (يجتبي إليه) يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء) من ينفع فيهم توفيقه ويجرى عليهم لطفه (وماتفرقوا) يعني أهل الكتاب بعد أنبياءهم (إلا من بعد) أن علوا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي عدة التأخير إلى يوم القيامة (لفضى بينهم) حين افترقوا لعظم ما افترقوا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن ي شك) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وماتفرق أهل الكتاب لإلزام بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وماتفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءتهم البينة وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب النوراة والإنجيل وقرئ ورثوا وأورثوا (فلذلك) فلاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً (فادع) إلى الاتفاق والاتلاف على الملة الخفيفة القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها كما أمر الله (ولاتتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب أي كتاب صح أن الله أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقاً (لأعدل بينكم) في الحكم إذا تخاصمتهم فتحاكمكم إلى (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى الحاجة ومعناه لإيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يوردها حجته وهذا حجة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا وينقم لنا منكم وهذه محاجة ومشاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام (فإن قلت) كيف حرجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء (قلت) المراد محاجرتهم في مواقف المفاولة لا المقاتلة (يحاجون في الله) يخاضعون في دينه (من بعد) ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله تعالى وذ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من

وما ذاك إلا أنه يلزم من نفي أدنى المشابهة نفي أعلاها ولا يلزم من نفي أعلاها نفي أدناها فني أكد التشبيه قصر عن المبالغة والوجه الأول الذي ذكره هو الوجه في الآية عنده وأنى بمطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله ولك أن تزعم فافهم

مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلَّا الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لِتَنِضِلَّ بَعِيدٌ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ

بعد إيمانكم كفراً كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق
وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام (داحضة) باطلة زالة (أنزل الكتاب) أى جنس
الكتاب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل الذى يوزن به ۝ بالحق ملتبساً بالحق
مقترناً به بعيداً من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك (الساعة) فى تأويل
البعث فلذلك قيل (قريب) أولعل مجيء الساعة قريب (فإن قلت) كيف يوفق ذكراً اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب
والميزان (قلت) لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكأنه قيل أمر الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع
قبل أن يفاجئكم اليوم الذى يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفى لمن أوفى ويطفف لمن طفف ۝ الممارسة الملاحة لأن كل واحد منهما
يمرى ما عند صاحبه (لنى ضلال بعيد) من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية
لأرب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف بعباده) بربليخ البر بهم قد توصل بزه إلى جميعهم وتوصل من كل
واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحدهم كلياته وجزئياته (فإن قلت) فامعنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بزه إلى جميعهم
(قلت) كلهم مبرورون لا يخلو أحدهم بزه إلا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمه بين العباد تفاوت على حسب تفاوت قضايها
الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه
فنقسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذى أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق أحد الاخوين ولداً دون الآخر
على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شىء (العزير) المنيع الذى لا يغلب
سمى ما يعمله العامل مما يعنى به الفائدة والزكاه حراً على المجاز وفوق بين عملي العاملين بأن من عمل الآخرة وفق فى عمله
وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئاً منها لا ما يريد به ويتغنى وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط
فى الآخرة ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب
ما هو بصدد من زكاه عمله وفوزه فى المسآب معنى الحمزة فى (أم) التقرير والتقريع ۝ وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم
الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غير ما هو الدين الذى شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به

۝ قوله تعالى «من كان يريد حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»
(قال فرق بين عملي العاملين بأن من عمل الآخرة وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئاً منها لا ما يريد به
ويتغنى وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله فى الآخرة من نصيب ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب
على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدد من زكاه عمله وفوزه فى المسآب

(قوله ونحن خير منكم وأولى بالحق الخ) لعله فمعن كعبارة النسق (قوله الملاحة لأن كل واحد) بالجيم التماضى فى الخصومة
ويمرى أى يستخرج كذا فى الصحاح

الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۚ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نِّدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا

وقيل شركاؤهم أو ثانهم وإنما أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت سببا لضلالهم وافتنائهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه لإنه أضلن كثير آمن الناس (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفاً له على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا (ترى الظالمين) في الآخرة (مشفقين) خائفين خوفاً شديداً أرق قلوبهم (بما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) يريد ووبالواقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا ۚ كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف لا ييشأون ۚ قرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذى يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله تعالى هذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده روى أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً فنزلت الآية (إلا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلاً أى لا أسألكم أجراً إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرايتي ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعاً أى لا أسألكم أجراً قط ولكننى أسألكم أن تودوا قرايتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم (فإن قلت) هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى ومعنى قوله إلا المودة في القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة ومقرأ لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المسال فى الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة فى القربى وتممكنة فيها والقربى مصدر كالزنى والبشرى بمعنى قرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابنائهما ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبی صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يحازيه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقينى يوم القيامة وروى أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضى الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنام فى مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بنى قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا أضلالا فهذا كم الله بنى قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوننى

ۚ قوله تعالى إلا المودة فى القربى (قال فيه) إن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وأجاب بأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرأ لها كقولك لى فى آل فلان هوى وحب شديد وليس فى صلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى وإنما هى متعلقة بمحذوف تقديره إلا المودة ثابتة فى القربى وتممكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذى قصد بقوله فى الآية التى تقدمت إن قوله يذروكم فيه إنما جاء عوضاً من قوله يذروكم به فافهمه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۖ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ

قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدفناك أو لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد ففتح له قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش ألا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرني فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن تودوني في القرني أي في حق القرني ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجنبي وأطاعني فإذا قد أيتم ذلك فاحفظوا حق القرني ولا تؤذوني ولا تهجروا علي وقيل أنت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هذان الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نواب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القرني التقرب إلى الله تعالى أي إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح ۖ وقرئ إلا المودة في القرني (ومن يقترب حسنة) عن السدي أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القرني دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولاً أولاً كأن سائر الحسنات لها توابع ۖ وقرئ يزد أي يزد الله وزيادة حسناتها من جهة الله مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبرى ۖ الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم) منقطعة ومعنى الهمة فيه التوبيخ كأنه قيل يتهاونون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذى هو أعظم القرى وأخشا (فإن يشأ الله يختم على قلبك) فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأماناء فيقول لعل الله خذلى لعل الله أعمى قلبى وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحى الباطل ويثبت الحق (بكلماته) بوحىه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه وبحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحى الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم إن الله عليم بما فى صدوركم وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افتري على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (فإن قلت) إن

(قوله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) لعله مكتوباً (قوله ومعنى الهمة فيه التوبيخ) لعله فيها (قوله من البهت والتكذيب) أى اتهام الإنسان بما ليس فيه

مَا تَعْلَمُونَ ۖ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ
وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَآيَشَاءَ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۖ وَهُوَ الَّذِي
يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فا بال الواو ساقطة في الخط (قلت) كما سقطت في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشكر وقوله تعالى سندع الزبانية على أنها مثبتة في بعض المصاحف يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فغنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزله عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلالة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) عن الكيثر إذا تيب عنها وعن الصغار إذا اجتنبت الكيثر ويعلم ما يفعلون قرئ بالثاء والياء أى يعلمه فيذهب على حسناته ويعاقب على سيئاته (ويستجيب الذين آمنوا) أى يستجيب لهم لحذف اللام كما حذف في قوله تعالى وإذا كالوهم أى يشبههم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلاً وإذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم أى يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها (ويزيدهم) هو (من فضله) على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه إذا دعاهم وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم يجيبوه ثم قرأوا الله يدعو إلى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا (لبغوا) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذلك وذلك على هذا الآن الغنى مبصرة مآثرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها وبعض العرب وقد جعل الوسمى يثبت بيننا وبين بنى رومان نبعا وشوحطا يعنى أنهم أحبوا أخذوا أنفسهم بالبغى والتفان أو من البغى وهو البذخ والكبر أى لتكبروا في الأرض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك أننا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها (بقدر) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (خبير بصير) يعرف ما يؤل إليه أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلاح لهم وأقرب إلى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا (فإن قلت) قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فإن كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم فإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه (قلت) لاشبهة في أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البغى والإحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقط الناس فقال مطروا إذا أراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة (الولى) الذى يتولى عباده بإحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمداه أهل طاعته (وما ب) يجوز أن يكون مرفوعا

(قوله مبصرة مآثرة) في الصحاح الأشر البطر (قوله وقد جعل الوسمى الخ) مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات والنبع والشوحط نوعان من شجر الجبال تتخذ منهما القسي كذا في الصحاح (قوله عكس ما عليه الآن) لعلة ما هو عليه

فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ
كَثِيرٍ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي

ومجروا يحمل على المضاف إليه والمضاف (فإن قلت) لم جاز (فيهما من دابة) والدواب في الأرض وحدها (قلت) يجوز
أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وإنما هو في نغز من
أنفادهم أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نوبس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وإنما يخرج من الملح ويجوز أن يكون للبلائية عليهم السلام مشى مع الطير أن فيوصفوا بالديب كما يوصف به الأناسي
ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانا يمشي فيها مشى الأناسي على الأرض سبحانه الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف
الخلق ۖ إذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل إذا يغشى ومنه (إذا يشاء) وقال الشاعر
وإذا ما أشاء أبعت منها ۖ آخر الليل ناشطا مذهورا

ۖ في مصاحف أهل العراق (فيما كسبت) بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف أهل المدينة بما كسبت بغير فاء على أن
ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط الآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفى الله بعض عقاب المجرم
ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالأنباء والأطفال والمجانين فهو لا إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر
وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في
إحسان ربه إليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية
المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يظهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله
في القيامة ولولا عفو ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفى عنه في الدنيا عفى عنه في الآخرة
ومن عوقب في الدنيا لم تن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن (بمعجزين)

ۖ قوله تعالى وما بث فيها من دابة (قال فيه فإن قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الأرض وحدها) وأجاب بأنه يجوز
أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان لبعضه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح الخ قال
أحمد إطلاق الدواب على الأناسي بعيد من عرف اللغة فكيف في إطلاقه على الملائكة والصواب والله أعلم هو الوجه الأول
وقد جاء مفسرا في غير ما آية كقوله إن في خالق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ثم قال وما أنزل الله من السماء
من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة نخس هذا الأمر بالأرض والله أعلم ۖ قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة
فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير (قال فيه الآية مخصوصة بالمجرمين الخ) قال أحدهم هذه الآية تنكسر عندها القدريّة
ولا يمكنهم ترويح حيلة في صرفها عن مقتضى نصها فإنهم حملوا قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك إن شاء على التائب وهو غير
ممكّن لهم ههنا فإنه قد أثبت التبعيض في العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقرونا بالتوبة فإنه يلزم تبعيض التوبة أيضا
وهي عندهم لا تتبع بعض وكذلك نقل الإمام عن أبي هاشم وهو رأس الاعتزال والذي تولى كبره منهم فلا يحمل لها إلا الحق الذي
لا مزية فيه وهو مردّ العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة وقول الزمخشري إن الآلام التي تصيب الأطفال والمجانين
لها أعواض وإنما يريد به وجوب العوض على الله تعالى على سياق معتقده وقد أخطأ على الأصل والفرع لأن المعتزلة وإن أخطأت في
إيجاب العوض فلم تقل بإيجابه في الأطفال والمجانين ألا ترى أن القاضي أبا بكر ألزمهم قبح إبلام البهائم والأطفال
والمجانين فقال لأعراض لها وليس مترتبة على استحقاق سابق فيحسن فإنما يتم إلزامه بموافقتهم له على أن لا أعواض لها

(قوله نغز) العشاير أفلها الفخذ وفوقه البطن ثم العارة ثم الفصيلة ثم القبيلة ثم الشعب فهو أكثرها أفاده الصراح

الْبَحْرُ كَالْأَعْلَمِ ۝ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوْادَ كَدَّ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝
أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ۝ فَمَا أُوتِيتُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَتَسْتَعِجِلُوا الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ

بقائتين ماقضى عليكم من المصائب (من ولى) من متول بالرحمة (الجواري) السفن وقرئ الجوار (كالاعلام) كالجبال
قالت الخنساء كأنه علم في رأسه نار ۝ وقرئ الرياح فيظلل بفتح اللام وكسرهما من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل
ويضل (رواكذ) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعمائه وهما صفتا
المؤمن الخالص لغيرهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستعمل منها العبر (يوقن) يهلكه والمعنى أنه
إن يشأ يبتلى المسافرين في البحر بإحدى بلتين أما أن يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمتنع من الجرى
وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلك إغراقا ۝ بسبب ما كسبوا من الذنوب (ويعف عن كثير) منها (فإن قلت) علام
عطف يوقن (قلت) على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركد أو يعصفها فيغرق بعصفها (فإن قلت) فما
معنى إدخال العفو في حكم الإيقان حيث جزم جزمه (قلت) معناه أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم
(فإن قلت) فمن قرأ ويعفو (قلت) قد استأنف الكلام ۝ (فإن قلت) فساوجوه القراءات الثلاث في (ويعلم) قلت أما
الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم
الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعل آية للناس وقوله تعالى
وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها
جزاء تقول ما صنعت أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وإن شئت وأكرمك جزما ففيه
نظر لما أورده سيويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتتك وأعطيك ضعيف وهو نحو
من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس
بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجب كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه
أه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى
سيويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشككة (فإن قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه
قال وإن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم ونحذير آخرين (من محيص) من محيد عن عقابه ۝ ما الأولى
ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لأبي بكر رضى الله عنه مال
فنصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأ الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا
وكذلك ما بعده ومعنى (كبار الإثم) الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كبير الإثم
هو الشرك (هم يغفرون) أي هم الإخصاء بالغفران في حال الغضب لا يقول الغضب أحلامهم كما يقول حلوم الناس والنجى بهم

۝ قوله تعالى إن يشأ يسكن الريح فيظلل رواد كد على ظهره (قال فيه معناه ثوابت لا تجرى على ظهر البحر قال أحمد
وهم يقولون إن الريح لم ترد في القرآن إلا عذابا بخلاف الرياح وهذه الآية تحرم الاطلاق فإن الريح المذكورة هنا نعمة
ورحمة إذ بواسطتها يسير الله السفن في البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولا ينسکر أن الغالب من ورودها مفردة
ما ذكره وأما أطراده فلا وما ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلاجل الغالب في الاطلاق والله أعلم

شورى بينهم ومما رزقهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاؤ سيئة سيئة مثلها * فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغشون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم * ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور * ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا

وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانتصار دعاهم الله عز وجل الإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وآتوا الصلوات الخمس * وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هودوا الأرشد أمرهم * والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم) أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة شورى * هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلو أنفسهم فيجئهم عليهم الفساق (فإن قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لأن من أخذ حقه غير متعدي حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أورد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود * كلنا الفلعتين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى «وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك» يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزأك الله قال أخزأك الله (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء كما قال تعالى «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» (فأجره على الله) عدة مهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله (إنه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة بإذن الله (بعد ظلمه) من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم (فأولئك) إشارة إلى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للعقاب ولا للعائب والعائب (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالظلم (ويغشون في الأرض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم ينتصر وقوض أمره إلى الله (إن ذلك) منه (لمن عزم الأمور) وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام قتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب إليه ثم الأمر قد ينعكس في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهى فقال لعائشة دونك فانصرى

* قوله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) (قال فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم فيشفي غليل السائل

الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۖ وَتَرْهَمُ يَعْرُضُونَ عَلَيْهَا خَشَعِينَ مِّنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِّن طَرَفٍ خَفِيٍّ
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنَّا ظَالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۖ
وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَالَهُ مِمِّن سَبِيلٍ ۖ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ
أَنْ يَأْتِي يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ مَالَكُم مِّن مَّالِكُمْ يَوْمَئِذٍ وَمَالَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ ۖ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَسَاءَ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا

(ومن يضل الله) ومن يخذل الله (فما له من ولي من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين)
متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يعلق من الذل ينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفي)
أى يبتدئ نظره من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكروه
لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملا عينه منها كما يفعل في نظره إلى الحجاب وقيل يحشرون عينا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك
نظر من طرف خفي وفيه تعسف (يوم القيامة) إيمان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين وأقاعى الدنيا وإما أن يتعلق
بقال أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة يأتى
أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده ۖ والنكير الإنكار أى مالكم من نخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا
شيئا ما فترقموه ودون في صحائف أعمالكم ۖ اراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله وإن نصبهم سيئة ولم يرد إلا للمجرمين لأن إصابه
السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم ۖ والرحمة النعمة من الصحة والغنى والأمن ۖ والسيئة البلاء من المرض والفقرو والخوف ۖ
والكفور البالغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلم كافرين
الإنسان له به لكونه والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها ۖ لما ذكر إذافة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها أتبع ذلك
أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالإناث وبعضا
بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولد أقط (فإن قلت) لم تقدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم
عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد مانكر الإناث (قلت) لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران
الإنسان بنسبائه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيتته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام
أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم
وليلي الجنس الذى كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء وآخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاه
بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون
عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعزف أن تقديمهم لم يكن لتقدمهم ولكن لمقتضى

ويحصل منه على كل طائل ۖ ومن هذا النمط والله الموفق قوله تعالى « وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن
نصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور » (قال فيه لم يقل فإنه كفور ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم
بكفران النعم الخ) قال أحمد وقد أغفل هذه النكته بعينها في الآية التى قبل هذه وهى قوله تعالى (وقال الذين آمنوا إن
الخاصرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ۖ فوضع الظالمين موضع الضمير
الذى كان من حقه أن يود على اسم إن فيقال ألا إنهم فى عذاب مقيم فأتى هذا الظاهر تسجيلا عليهم بلسان ظلمهم

(قوله ومن يخذل الله فسأله من ولي) تأويل على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخاق الشر وعند أهل السنة يخلقه كالخير
قال إضلال خلق الضلال ومن بعده أى من بعد إضلاله (قوله كما ترى المصور ينظر إلى السيف) أى المحبوس للقتل
أفاده الصحاح (قوله وينسى النعم ويغمطها) يبطرها ويحقرها أفاده الصحاح

إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّجْنَا بِهَا وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَيِّئَةٌ بِمَافَعَدْتُمْ أَيْدِيَهُمْ قَدْ أُلْهِمْنَا لَكُمُ الْغُفُورَ ۝ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ۝ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ

آخر فقال (ذكرنا وإنا) كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل نزلت في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط وإنا وإبراهيم ذكور ولحمدا ذكورا وإنا وإنا جعل يحيى وعيسى عقيمين (إنه عليم) بمصالح العباد (قدير) على تكوين ما يصلحهم (وما كان لبشر) وماصح لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلا) على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره قال عبيد ابن الأبرص

وأوحى إلى الله أن قد تأمروا ۝ يا بل أبي أوفى فقامت على رجل

أى ألهمنى وقذف في قلبى وإما على أن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه فى ذاته غير مرئى وقوله (من وراء حجاب) مثل أى كما يكلم الملك المحتجب ببعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وأما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحى الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أى نبييا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل فى معنى إرسال ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وماصح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون موحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفى فى سرعه كما تقول لا أكله إلا جهرًا وإلا خفانا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكذلك أرسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا معنى أن يوحى وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أى إلا بأن يوحى أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا فى معنى موحيا وروى أن اليهود قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ألا تنكلم الله وتنتظر إليه إن كنت نبييا كما كلمه موسى ونظر إليه فإذا لن تؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فقلت هذه الآية (إنه على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجرى أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا (روحا من أمرا) يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيى الجسد بالروح ۝ (فإن قلت) قد علم أن رسول الله صلى الله

قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان (قال فإن قلت قد علم أن النبى عليه الصلاة والسلام ما كان يدري

(قوله لأنه فى ذاته غير مرئى) أى لا يجوز رؤيته وهذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فتجوز كما تنقز فى محله

(قوله أو أن يسمع من وراء حجاب) لعله أو بأن

لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝

سورة الزخرف

إلا آية ٤ ۝ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّ فِي

عليه وسلم ما كان يدرى ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله (ولا الإيمان) والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقولوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر (قلت) الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعني به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان (من نشاء من عبادنا) من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدى عليه (صراط الله) بدل ۝ وقرئ لتهدى أى يهديك الله وقرئ لتدعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان بمن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

﴿سورة الزخرف مكية﴾

وقال مقاتل لإقوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم

الكتاب قبل الوحي الخ) قال أحمد لما كان معتقد الزخري أن الإيمان اسم التصديق مضافا إليه كثير من الطاعات فعلا وتركها حتى لا يتناول الموحد العاصي ولو بكبرة واحدة اسم الإيمان ولا يناله وعد المؤمنين وتفطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية عدما فرصة لينتهزها وغيمة ليحزها وأبعد الظن بإرادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجيب عنه بمقتضى معتقده فكأنه يقول لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق كما تقول أهل السنة للزم أن ينفي عن النبي عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقا ولما كان التصديق ثابتاً للنبي عليه الصلاة والسلام قبل البعث باتفاق الفريقين لزم أن لا يكون الإيمان المنفي في الآية عبارة عما اتفق على ثبوته وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياء من جملتها التصديق ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي وحينئذ يستقيم نفيه قبل البعث وهذا الذي طمع فيه يخترط القناد ولا يبلغ منه ما أراد وذلك أن أهل السنة وإن قالوا أن الإيمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقاً يخصون التصديق بالله وبرسوله فالنبي عليه الصلاة والسلام مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه كما أن أمته مخاطبون بتصديقه ولا شك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله وما علم ذلك إلا بالوحي وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله وبرسوله ولم يكن هذا المجموع ثابتاً قبل الوحي بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفي الإيمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة والله أعلم

﴿القول في سورة الزخرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون الآية (قال فيه أقسم بالكتاب المبين وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم الخ) قال أحمد تنبيه حسن جداً ووجه التناسب فيه أنه أقسم بالقرآن وإنما يقسم بعظيم ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربي مرجو به أن يعقل به العالمون أى يتعقلوا آيات الله تعالى

أَمْ الْكِتَابَ لَدَيْنَا عَلَى حَكِيمٍ ۖ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۖ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۖ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۖ فَاهْلِكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمِثْلَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۖ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

وهو من الإيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك إنها إغريض (المبين) البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليهم وقيل الواضح للتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة (جعلناه) بمعنى صيرناه معنًى إلى مفعولين أو بمعنى خلقناه معنًى إلى واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و (قرأنا عربياً) حال ۖ ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجى أى خلقناه عربياً غير عجمي إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته ۖ وقرئ أَمْ الْكِتَابَ بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذى أثبت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ۖ على رفع الشأن في الكتاب لكونه معجزاً من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة أى منزلته عند منزلة كتاب هما صفاته وهو مثبت في أم الكتاب هكذا (أفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) بمعنى أفنعي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الخوض ومنه قول الحجاج ولا ضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال طرفة

والقاء للعطف على محذوف تقديره أنهم لم يفسدوا عنكم الذكر إنكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إزاله الكتاب وخلق قرآن عربياً ليعقلوه ويعملوا بما أوجبه وصفحاً على وجهين أما صدره من صفح عنه إذا عرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعل عنكم إزال القرآن وإزام الحجج به إعراضاً عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفنعيه عنكم جانباً فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانباً وامش جانباً وتعضده قراءة من قرأ صفحاً بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوف وينصب على الحال أى صالحين معرضين (إن كنتم) أى لأن كنتم وقرئ أن كنتم وإذ كنتم (فإن قلت) كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت (قلت) هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفى حقى وهو عالم بذلك ولكنه يخجل في كلامه أن يقر يترك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجلالاً له (وما يأتينهم) حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ۖ الضمير في (أشد منهم) للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر عنهم (ومضى مثل الأولين) أى سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حققها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعيد لهم (فإن قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الأوصاف عقبيه إن كان من

فكان جراب القسم مصححاً للقسم وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا وإنما يقسم الشعراء بمثل هذه الأشعار لأنه في غاية الحسن ثم جعل المقسم عليه كونهما في نهاية الحسن لأنها هي أغريض وهو من أحسن تشبيهات الثنايا فجعل المقسم عليه مصححاً للقسم والله أعلم ۖ عاد كلامه إلى قوله تعالى ۖ لعلمكم تعقلون ۖ (فسره بالإرادة) وقد بينا فساد ذلك غير مأمرة ۖ قوله تعالى ۖ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهذاً وجعل لكم فيها سبلاً لعلمكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأثرت به بلدة ميتة الآية (قال فيه) فإن قلت قوله ليقولن خلقهن

(قوله إنما إغريض) في الصحاح الإغريض والغريرض الطلع وكل أبيض طرى (قوله لتلاحظ معناها) لعله يلاحظ (قوله ومعنى الترجى) لعله أو معنى (قوله فونس الفرس) العظم الناقى بين أذنى الفرس كذا في الصحاح (قوله عن المدل بصحة الأمر) أى المواضع أفاده الصحاح

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُونَ ۝ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ

قولهم فاتصنع بقوله فاتشربنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فواجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي هو من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أو صافه وليسندنه إليه (بقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا و(الأزواج) الأصناف (ما تتركبون) أي تركبونه (فإن قلت) يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال ما تتركبونه (قلت) غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تتركبون وهو الفلك والأنعام ۝ ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدا عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحانه الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب

العزيز العليم وماسرد من الأوصاف عقبه إن كان من قولهم الخ (قلت) قال أحمد الذي يظهر أن الكلام مجزا فبعضه من قولهم وبعضهم من قول الله تعالى فالذي هو من قولهم خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل وأصل الكلام أنهم قالوا خلقهن الله ويدل عليه قوله في الآية الأخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات ولما سبق الكلام كله سياقه وأخذه حذف الموصوف من كلامهم وأقيمت الصفات المذكورة في كلام الله تعالى مقامه كأنه كلام واحد ونظير هذا أن نقول للرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمني زيد فنقول أنت واصفا للذكور الكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم إلى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الاقتنان في البلاغة فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال منها إلى التكلم في قوله فاتشربنا كل ذلك اقتنان في أفنان البلاغة ۝ ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى قال عليها عند ربّي في كتاب لا يضلّ ربّي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهجداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، فجاء أول الكلام حكاية عن موسى إلى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى إلى كلام الله تعالى فوصف ذاته أوصافا متصلة بكلام موسى حتى كأنه كلام واحد وابتدأ في ذكر صفاته على لفظ الغيبة إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر إلى تحقيق التطبيق بين الآيتين تر العجب والله الموفق ۝ قوله تعالى ۝ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تتركبون ، الآية (قال فيه يقال ركب الدابة وركبت في الفلك إلى آخره) قال أحمد لم يحزّر العبارة في هذا الموضع فإن قوله غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بنفسه يؤهم أن بين الفعلين تباينا وليس كذلك فإن المتعدي إلى الأنعام هو عين الفعل المتعدي إلى السفن غاية ما ثم أن العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة وباعتبار بعضها بالمتعدي بنفسه والاختلاف بالتعدي والقصور أو باختلاف آلات التعدي واختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف في المعنى فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة مثل سكرت وأخواته ويعدون الأفعال المترادفة بآلات مختلفة مثل دعوت وصلت فإنك تقول صلى النبي على آل أبي أوفى ولو قلت دعا على آل أبي أوفى لأفهم عكس المقصود ولكن دعا لآل أبي أوفى ويعدون بعضها إلى مفعولين ومرادفه إلى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدي والقصور الاختلاف في المعنى فالذي يحزّر من هذا إن ركب باعتبار القبيلين معناه واحد وإن خص أحدهما باقتران الواسطة الآخر بسقوطها فالصواب أحد الأمرين أما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا فسيكون التقدير ما تتركبون فيه والأقرب تعليله باعتبار التعدي بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب في قوله تعالى «فاجمعوا أمركم وشركاءكم» على أحد التأويلين فيه فإن التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعني أجمع على الأمر وجمع الشركاء ولكن لما تقاربا غلب إحداهما على الآخر ثم جعل الم أغلب هو المتعدي بنفسه والله أعلم

إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۖ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۖ وَجَعَلُوهُ
مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَسَكُفُورٌ مُّبِينٌ ۖ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفًا كُم بِالْبَنِينَ ۖ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ

في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يركب
دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد
ففيه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظةهم على دقيقتها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين
بسيرتهم فإحسنا بالعاقلة النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن
الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة وأقرنت ماحلتني ولقلمها ۖ يطاق احتمال الصديادعد والهجور

وحقيقة أقرنه وجده قرينه وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن
به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد (فإن قلت) كيف اتصل بذلك قوله ۖ وإنا إلى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب
دابة عثرت به أو شمس أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان
الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف
أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لاحالة فنقلب إلى الله غير منقلب من قضائه ولا يدع ذكر ذلك قبله ولسانه
حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل
عنه ويستعين بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا تنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم
أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم
لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما
مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين
ما أمره الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنائز (وجعلوا له من عبادته جزءا) متصل بقوله ولئن
سألتم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عبادته جزءا
فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عبادته جزءا إن قالوا الملائكة بنات الله فجعلهم جزءا له وبعضنا منه كما يكون الولد
بضعة من والده وجزأ له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالأنثى وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو
إلا كذب على العرب ووضع مستحدث متحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزاء المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا
إن أجزاء حرة يوما فلا عجب ۖ زوجتها من بنات الأوس مجزئة

وقرئ جزؤا بضمين (لكفور مبين) لجحود النعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل لسكفران كله
(أم اتخذ) بل اتخذوا الهمة للإنكار تهجيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا الله من عبادته جزءا حتى جعلوا ذلك
الجزء شرا الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى
أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم

ۖ قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبني (قال فيه كأنه قيل هبوا أن إضافة الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا
أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعاء أنه آثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول أن كل

(قوله أو شمس أو تقحمت) في الصباح شمس الفرس شموسا وشماسا منع ظهره وفيه القحمة بالضم المهلكة وقحم
الطريق مصاعبه اه فتقحم الدابة براكبها خوضها به في قحمتها (قوله حتى تميل طلاهم) في الصباح الطلي الأعناق قال
الأصمعي وأحدثها طلية وقال أبو عمرو والفراء وأحدثها طلاة

بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۖ أَوْ مَنْ يَنْشُرُوا فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ

أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناها ۖ وتذكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكور عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا أي شها لأنه إذا جعل الملائكة جزأ الله وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومائلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

شيء بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعا لدليل العقل وتصديقا لنص النقل في أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وآية الزخرف هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح إلا تمهيدا ولا تنفيده إلا تصويبا وتسديدا فنقول إذا قال الكافر لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلا أما كونها كلمة حق فلبا مهندناه وأما كونه أرادها باطلا ففراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على الله توهم أن يلزم من مشيئة الله تعالى لضلالة من "ضل" أن لا يعاقبه على ذلك لأنه إنما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدريه إخوان الوثنية ذلك فأشركوا بربههم واعتقدوا أن الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لأن هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية في ملك ربهم المتوحد بالربانية جلّ وعلا فإذا وضع ما قلناه فإنما رد الله عليهم مقالتهم هذه لأنهم توهموا أنها حجة على الله فدهض الله حجبتهم وأكذب أمانيهم وبين أن مقالتهم صادرة عن ظن كاذب وتخبر محض فقال ما لهم بذلك من علم إنهم إلا بخرصون وإنهم إلا يظنون وقد أفصححت آية مع هذه الآية عن هذا التقدير وذلك قوله تعالى في سورة الأنعام والذين أشركوا لو شاء الله ما أشركوا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا بخرصون فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء على التكذيب الرسل والإشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا فشبّه تعالى حالهم في الاعتماد على هذا الخيال بحال أوائلهم ثم بين أنه معتقد نشأ عن ظن خلب وخيال مكذب فقال إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا بخرصون ثم لما أبطل أن يكون لهم في مقالتهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فله الحجة البالغة ثم أوضح في الرد عليهم ليس إلا في احتجاجهم على الله بذلك لا لأن المقالة في نفسها كذب فقال فلو شاء لهداكم أجمعين وهو معنى قولهم لو شاء ما أشركنا من حيث أن لو مقتضاها امتناع الهداية لا امتناع المشيئة فدلّت الآية الأخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالتهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللامع والمنهج الواضح والذي يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقوع الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل للعبد تأتيا وتيسرا للهداية وغيرها من الأفعال الكسبية حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف لأنها اختيارية يفرق بالضرورة بينهما وبين العوارض القسرية فهذه الآية أقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاه الله للبعثات الصحيحة المحجة ولما كانت تفرقة دقيقة لم تنتظم في سلك الأفهام الكشيفة فلا جرم أن أفهامهم تبددت وأفكارهم تبدلت فغلّت طائفة القدريه واعتقدت أن العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وجارت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار وأن جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار أما أهل الحق فنحهم الله من هدايته قسطاً وأرشدهم إلى الطريق الوسطى فاتبهوا سبيل السلام وساروا ورائد التوفيق لهم إمام مستضيئين بأنوار العقول المرشدة إلى أن جميع الكائنات بقدره الله تعالى ومشيئته ولم يغيب عن أفهامهم أن يكون بعض الأفعال للعبد مقصورة لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة لسكنها قدرة تقارن بلا تأثير وتميز بين الضروري والاختياري في التصوير فهذا هو التحقيق والله ولي التوفيق

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْتَلُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ
الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَأْهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۖ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ

مالا في حجة لا يأتينا ۖ يظل في البيت الذي يلينا ۖ غضبان أن لا تلد البنية ليس لانما أمرنا ماشينا
ۖ وإنما نأخذ ما أعطينا ۖ

والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسود على أن في ظل ضمير المبشر
ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه
(ينشأ في الحلية) أي يترقى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثنة الخصوم ومجاراتة الرجال كان غير مبين ليس عنده
بيان ولا يأتي ببرهان يحتاج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال فلما تكلمت
امراة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعموة من المعايير والمذام
وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يحتجب بذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه
اخشوشوا واخشوشوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس النقوى وقرئ ينشأ وينشأ وينشأ
ونظير المنشأة بمعنى الإنشاء المغلاة بمعنى الإغلاء ۖ قد جمعوا في كفره ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد
ونسبوا إليه أحسن النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحترقواهم وقرئ
عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعبد الرحمن وهو مثل لزلقهم واختصاصهم وأناثا وأناثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا
أنهم آث ۖ وقرئ أشهدوا وأشهدوا بهمزين مفتوحة ومضمومة وأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون
ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن
خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على
الملائكة من أنوثتهم (ويستلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وستكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويسألون
على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم
الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول لإخوانهم المجبرة (فان قلت) ما أنكرت على من يقول قالوا
ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل
على أن الله تعالى قد حكى عنه ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عبادته جزأ وأنه اتخذ بنات وأصفاهم
بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المسكرين إناثا وأنهم عبدوه وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق
الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكى الذي هو إيمان عنده لوجدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات
كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا لنجعل هذا الأخير

(قوله إلى مجاثات الخصوم) مفاعلة من جثا يثجو إذ برك على ركبته أفاده الصحاح (قوله يحتاج به من يخاصمه) لعله على من
يخاصمه أو لعله يوجب به من يخاصمه أي يغلبه في الحجاج (قوله هم أكرم عباد الله على الله) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فبعض البشر
أكرم عندهم من الملك (قوله المجبرة فإن قلت ما أنكرت على من يقول) يريد أهل السنة حيث قالوا أنه تعالى يريد الشر كالخير لأنه
لا يقع في ملكه إلا ما يريد لكن هذا لا يستلزم الجبر ولا ينافي اختيار العبد لما له في أفعاله من الكسب وإن كانت مخلوقة له
تعالى في الحقيقة بل الجبر إنما يكون لو كان العبد لا دخل له في أفعاله أصلا كالريشة في الهواء كما قالت المجبرة الحقيقية
وإنما ذم الله تلك المقالة من الكفار لأنهم قالوها استهزاء وعنادا لإقرارا واعتقادا والدليل على ذلك إجماع سلف الأمة
على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله لكان النطق بالمحكيات الخ ممنوع وكذا ما بعده والمعتزلة قالوا لا يريد الشر بناء
على أن الإرادة هي الأمر وهو ممنوع وعفا الله عن صاحب الكتاب في بذأة لسانه على أهل السنة وجعلهم لإخوان الكفار

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۖ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۖ قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُودُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قُلُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۖ فَاتَّقِمْنَا مِنْهُم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۚ
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ۖ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرجِعُونَ ۚ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۚ وَلَمَّا جَاءَهُمْ

وحده مقولا على وجه الهزم دون ماقبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزأ لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) معنى لأن من قال لا إله إلا الله عل طريق الهزم كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جاذا كان أو هازنا (فإن قلت) ماقولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إنهم إلا يخوضون في ذلك القول لافي تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تمحل مبطل وتحريف مكابرو نحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ۖ الضمير في (من قبله) للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند إلى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحى فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لاحجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على أمة بالكسر وكنناهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أى تقصد كالرحلة للرحول إليه والأمة الحالة التي يكون عليها الأم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبر إن أو الظرف صلة لمهتدون (مترفوها) الذين أترفهم النعمة أى أبطرتهم فلا يجوزون إلا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه ۖ قرئ قل وقال وجنكم وجنناكم يعنى أتبعون آباءكم ولو جننكم بدين أهدى من دين آباءكم قالوا إنا ثابتون على دين آباتنا لانفك عنه وإن جننا بما هو أهدى وأهدى ۖ قرئ براء بفتح الباء وضما وبرئ فبرئ وبراء نحو كريم كرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك (الذى فطرنى) فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى فإنه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إني براء مما تعبدون إلا من الذى فطرنى (فإن قلت) كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثانى أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما فى ما تعبدون موصوفة تقديره إني براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (فإن قلت) ما معنى قوله (سيهدين) على التسويف (قلت) قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فاجمع بينهما وقدّر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فدلان على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تسلم بها وهى قوله إني براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا إلى توحيده لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف

(قوله ماقولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم) لعله يفسر ما لهم بذلك بقوله ما لهم بقولهم الخ (قوله نحو كريم وكرام) فى الصحاح الكرام بالضم مثل الكريم

الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ

وفي عقبه كذلك وفي عاقبه أى فيمن عقبه أى خلفه (بل تمتعت هؤلاء) يعنى أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمدة في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين) الرسالة واضحا بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه إبراهيم وقرئ بل متعنا (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ تمتعت بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل تمتعتهم بما تمتعهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطباب في تعبيرهم لأنه إذا تمتعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لأن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فثاله أن يشكروا الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعرفتك وإحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسىء لا تنقيح فعله (فإن قلت) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالتمتع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عزّ وجلّ بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين نخيل بهذه الغاية أنهم تنهوا عن غفلتهم لاقتضاها النبى ثم ابتدأ فصمتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التى كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخيير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهى الغاية في تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل يسكون الجيم من القريتين من إحدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلى القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبدليلى وعن قادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن على أوعلى أبى مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود مازالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتسكير الله الحجة أن الرسل لم يكونوا إلا رجالا من أهل الفرى جاؤا بالإنكار من وجه آخر وهو تحكهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجب من اعتراضهم وتحكهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التى لا يتولاها إلا هو

ه قوله تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) (قال فيه فإن قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتع ثم أردفه إلى آخره) قال أحمد كلام نفيس لا مزيد عليه إلا أن قوله خيل بهذه الغاية أنهم تنهوا عنها إطلاق ينبغى اجتنابه والله أعلم وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الإضراب في بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا وليس المراد بها أن الفعل المذكور قبلها منقطع عندها على ما هو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيادته فكان تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ما هو أكمل منها كذلك الإضراب في مثل قوله تعالى بل أذكركم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وهذه الإضرابات ليست على معنى أن الثانى منها رد للأول بل ثانيا أكد من أولها وجاء الإضراب مع التوافق والزيادة للإشعار بأن الثانى لما زاد على الأول صار باعتبار زيادته ونقصان الأول كأنهما شيان متافيان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما ومثله كثير وبالله التوفيق ه قوله تعالى

بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون ۝ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ۝ وليبوتهم أبواباً وسريراً عليها يتسكنون ۝ وزخرفاً وإن كل ذلك لما متع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ۝ ومن يعيش عن ذكر الرحمن فيقبض له شيطاناً

يباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلاً فاعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله عزّ وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسق بينهم ولكن فارت بينهم في أسباب العيش وغير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالى وخداما ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدموهم في مهتهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويتراقدوا ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مراقبتهم ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لصاعوا وهلكوا وإذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق إلى حيازة حظوظ الآخرة والسلم إلى حلول دار السلام ثم قال (ورحمت ربك) يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فإن قلت) معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فإذا قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع وأذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً وسماها رزق الله وإذا لم يسلكها تناولها حراماً وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعاش والمنافع ولكن العبادم الذين يكسبون صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدو لهم فيه عما شرعه الله إلى ما لم يشرعه (لبيوتهم) بدل احتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكوناً بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوباً قميصه ۝ وقرئ سقفاً بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف ويضمها جمع سقف كرهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفاً بفتح السين كأنه لغة في سقف وسقوفاً ۝ ومعارج ومعارج جمع معارج وأواسم جمع لمعارج وهي المصاعد إلى العلى (عليها يظهرون) أى على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه ۝ وسرراً بفتح الراء لاستئصال الضميتين مع حرفي التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هي الفارقة بين إن الخففة والثافية وقرئ بكسر اللام أى الذى هو متاع الحياة كقوله تعالى مثلاً ما بعوضة ولما بالثديد بمعنى إلا وإن

« نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » (قال فيه فإن قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع الخ) قال أحمد قد تقدم أن الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالاً كان أو حراماً وهذه الآية معصدة والزخري بنى على أصله وقد تقدم ۝ قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم الآية (قال فيه معناه) لولا كراهية أن يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفرة سقوفاً من فضة أى لو سنعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا انتهى كلامه (قال أحمد) لولا هنا أخت، لولا في قوله ولولا أن تصيهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهية ذلك بأن لا تقدر محذوفاً كما قدمته فيكون وجه الكلام هنا أن إجماعهم الكفر مانع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا المطرد أن ما بعدها أبداً مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجوداً تحقيقاً فيمتنع الجواب بلا إشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وهو الأكثر وقد يكون وجوده تقديراً معه وعلى ذلك الآية أى لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدراً لوجد مانعاً عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدراً معه وكل ما أدى وجوده إلى وجود مانعه

(قوله وليس له أن يسميها رزق الله) هذا على مذهب المعتزلة وأما عند أهل السنة فالرزق ما يتبع به ولو حراماً والمصنف يريد أن الله لا ييسر الحرام لأنه لا يفعل القبيح عن المعتزلة ومذهب أهل السنة أن فاعل الكائنات كلها هو الله تعالى

نافية وقرئ إلا وقرئ وما كل ذلك إلا لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوا ومصاعداً وأبوياً وسرراً كلها من فضة وجعلناهم زخرفاً أى زينة من كل شيء والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الأصل سققاً من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفاً على محل من فضة وفى معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها شربة ماء (فإن قلت) لخين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما تؤدى إليه من الدخول فى الإسلام لأجل الدنيا والدخول فى الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل فى الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى وقرئ ومن يعيش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الخطيئة متى تأته تعشوا إلى ضوء ناره متى تأته تعشوا إلى ضوء ناره

أى تنظر إليها نظر العشى لما يضعف بصره من عظم الوقود واتساع الضوء وهويين فى قول حاتم أعشوا إذا ماجارنى برزت حتى يوارى جارقى الخدر

وقرئ يعيشوا على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح

لا يوجد ثم (قال) لخين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى إليها التوسعة من الإطباق على الكفر فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإيمان وأجاب بأن التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما يؤدى إليه من الدخول فى الإسلام لأجل الدنيا وذلك من دين المنافقين اه كلامه (قال أحمد) سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين إحداها تعليل أفعال الله تعالى والآخرى أن الله تعالى أراد الإسلام من الخلق أجمعين أما الأولى فقد أخرس الله السائل عنه بقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً قوله تعالى ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنيهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا الآية (قال) فيه يقال عشى بصره بكسر الشين إذا أصابته الآفة الخ قال أحمد فى هذه الآية نكتتان بديعتان إحداها الدلالة على أن النسكرة الواقعة فى سياق الشرط تفيد العموم وهى مسألة اضطرب فيها الأصوليون وإمام الحرمين من القائلين بإفادتها العموم حتى استدرك على الأئمة لإطلاقهم القول بأن النسكرة فى سياق الإثبات تخص وقال أن الشرط يعم والنسكرة فى سياقه تعم وقد رد عليه الفقيه أبو الحسن على الانبارى شارح كتابه رداعنيفا وفى هذه الآية للإمام ومن قال بقوله كفاية وذلك أن الشيطان ذكر فيها منكراً فى سياق شرط ونحن نعلم أنه إنما أراد عموم الشياطين لا واحداً لوجهين أحدهما أنه قد ثبت أن لكل أحد شيطاناً فكيف بالعاشي عن ذكر الله والآخر يؤخذ من الآية وهو أنه أعاد عليه الضمير بجموعاً فى قوله وأنهم فإنه عائد إلى الشيطان قولاً واحداً ولولا إفادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا إشكال فهذه نكتة تجدد عند إسماعها لمخالفى هذا رأى سكتة نكتة الثانية أن فى هذه الآية رداً على من زعم أن العود على معنى من يمنع من العود على لفظها بعد ذلك واحتج المانع لذلك بأنه إجمال بعد تفسير وهو خلاف المعهود من الفصاحة وقد نقض الكندي هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ونقض غيره بقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه الآية وكان جدى رحمه الله قد استخرج من هذه الآية بعض ذلك لأنه أعاد على اللفظ فى قوله يعيش وله مرتين ثم على المعنى فى قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى إذا جاءنا وقد قدمت أن الذى منع ذلك قد يكون اقتصر بمنعه على مجيئ ذلك فى جملة واحدة وأما إذا تعددت الجمل واستقلت

فَهُوَ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۖ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۖ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ
أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۖ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي

ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عي وأما القراءة بالضم فعناها ومن يتعام عن ذكره
أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) نخذه ونخل
بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقبضنا لهم قرناء ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقبض أى يقبض له
الرحمن ويقبض له الشيطان ۖ (فإن قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله (وإنهم ليصدونهم) (قلت) لأن من
مبهم في جنس العاشي وقد قبض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن يتناولوا لإيهامهما غير واحدين جاز أن يرجع
الضمير إليهما مجوعا (حتى إذا جاءنا) العاشي وقرئ جاءنا على أن الفعل له ولشيطانه (قال) لشيطانه (يأليت بيني وبينك
بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قبل العمران والقمران (فإن قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والاصل
بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المقتربين بالتثنية أضاف البعد إليهما (إنكم) في محل الرفع
على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في
تحمل أعبائه وتقسمهم لشدة وعنايه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمنى
في قوله يأليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمنى مباحة القرين وقوله إنكم في العذاب مشتركون
تعليل أى لن ينفعكم تمنىكم لأن حقكم أن تشركوا أتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر
وتقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل إذا رأى الممتو بشدة من مفي بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسى الذى
ذكرته الخنساء ۖ أعزى النفس عنه بالتأسى ۖ فهو لا يؤسهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه (فإن قلت) ما معنى
قوله تعالى إذ ظلمتم (قلت) معناه إذ صرح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذ بدل من
اليوم ونظيره ۖ إذا ما تنسبنا لم تلدنى لثيمة ۖ أى تبين أنى ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجود ويجهد ويكدر روحه
في دعاء قومه وهم لا يريدون على دعائه إلا تصميا على الكفر وتماديا فى الغي فأنكر عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم)
إنكار تعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإجماع والقسر
كقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ۖ ما فى قوله (فإنما نذير بكم) بمنزلة لام القسم فى أنها إذا
دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن تنصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم (فإنما منهم
منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة كقوله تعالى أو نؤفك فإلينا يرجعون وإن أردنا أن نتجز فى حياتك ما وعدناهم
من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتونا وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال
ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذى أوحى إليك على البناء للفاعل وهو
الله عز وجل والمعنى وسواء عجّلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل

كل بنفسها فقد لا يمنع ذلك حتى رددت على الزخشرى فى قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ۖ

(قوله نقيض له شيطانا نخذه) تأويله بذلك مبنى على أنه تعالى لا يفعل القبيح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة
أنه فاعل الكائنات كلها فالآيات على ظاهرها (قوله إذا رأى الممتو بشدة) أى المبتلى ومنى أى ابتلى أفاده الصحاح
(قوله أعزى النفس عنه) أوله ولولا كثرة الباكين حولى ۖ على إخوانهم لقتلت نفسى
ولا يكون مثل أخى ولكن ۖ أعزى الخ

وَعَدْنَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ۖ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۚ وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَاهُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ۚ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۚ وَقَالُوا

به فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحد عنه إلا ضال شق وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجج بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا ينطه تأخير (وإن الذي أوحى إليك (لذكر) لشرف (لك ولقَوْمِكَ) لسوف (تسألون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحاطته ولكنه مجاز عن النظر في أديابهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظراً وخصاً نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجاز أعني النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسالة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأقاهم وقيل له سألهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكانه سأل الأنبياء ۚ ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب (العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية (إذا هم منها يضحكون) أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونهم سحراً وإذا المفاجأة (فإن قلت) كيف جاز أن يجاب لما إذا المفاجأة (قلت) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم آياتنا فاجأوا وقت ضحكهم (فإن قلت) إذا جاءهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات (قلت) أختها التي هي آية مثلاً وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول أو أفضل رجل رأيت به تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذ قروهم رجلاً رجلاً (فإن قلت) هو كلام متنافض لأن معناه ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فضلة ومفضولة في حالة واحدة (قلت) الغرض بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر لا يكمن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل

فإن الجملة واحدة فانظره في موضعه ۚ قوله تعالى ۚ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ۚ (قال سؤال الرسل مجاز عن الفحص في شرائعهم والنظر في مللهم الخ) قال أحمد ويشهد لإرادة سؤال الأمم فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك والله أعلم ۚ قوله تعالى ۚ فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها (قال جازت فيه إجابة لما إذا التي للمفاجأة لأن فعل المفاجأة مقدر معها وهو العامل فيها النصب الخ) قال أحمد الظاهر في تسويغ هذا الإطلاق والله أعلم أن كل واحدة من هذه الآي إذا أفردتها بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته حتى يجزم أنها النهاية وأن كل آية دونها فإذا نقل الفكرة إلى أختها استوعبت أيضاً فكره بعظمها وذهل عن الأولى فجزم بأن هذه النهاية وإن كل آية دونها والحاصل أنها لا يقدر الفكر على أن يجمع بين آيتين منهما ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة بل مهما أفردته بالكفر جزم بأنه النهاية وعلى هذا

(قوله ولكن كما يفعل الثابت لعله وكن أو لعله ولكن كن) (قوله لم تجبك حواراً) أي مخاطبة بالنطق في الصحاح استجاره أي استنطقه (قوله إذا قروهم رجلاً رجلاً) أي تتبعهم (قوله قليلة التفاوت شكلهم) في الصحاح الشكل فقدان المرأة ولدها

يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْسُكُونَ *
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا

وتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجلا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة :

من تاق منهم ثقل لا قيت سيدهم * مثل النجوم التي يسرى بها الساري
وقد افاضت الأنمارية بين الكلمة من بينها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت شكلهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفترقة لا يدري أين طرفاها (لعلهم يرجعون) إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان (فإن قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد والإدار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه * والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك * وقرئ يا أيها الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه (فإن قلت) كيف سموه بالساحر مع قولهم (إننا لمهتدون) (قلت) قولهم إننا لمهتدون وعدم نوى إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعولهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحرا لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عن اهتدى (ونادى فرعون في قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأما كنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيها بينهم ثم ينشر عنه في جوع القبط فكانه نودى به بينهم فقال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) يعني أنهار النيل ومعظمهما أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قبل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للبتداء وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمتهم وأمر فنودى بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الآبهة والجلالة على صغير ولا كبير

التقدير يجري جميع ما يرد من أمثاله والله أعلم * قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان الخ) قال أحمد تقدم في غير موضع أن لعل حينما وردت في سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين أي ليكونوا بحيث يرجي منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأويل سيدي ماورد وأما الزبحري فيحمل لعل على الإرادة لأنه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيئا ويريد العبد خلافا فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فما أشنعها زلة وأبشعها خلة ولقد أساء الأدب في هذا الموضع حتى أنه لو لاعتين الرد عليه لما جرى القلم بنقل ما هذى به وما اهتدى وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه وأن مراد العبد يقع ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه الغواية ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

(قوله ليس إلا أن يأمره به) هذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فأرادته غير الأمر سواء كانت لفعل نفسه أو لفعل غيره ولا يلزم تأويل الآية بالإرادة لجواز أن يكون معناها ليكون حالهم عند الأخذ بالعذاب حال من يرجي رجوعهم (قوله لئلا تخفى تلك الآبهة والجلال) كسكرة كذا بهامش الصحاح وفي الصحاح وهما الناس جماعتهم

خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين .
 فاستخف قومه فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين . فلأسفوا أسفوناً اتقمتا منهم فافرقهم اجمعين . فجعلناهم

وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قراها قال لأولينا أخس عبيدي فولاها
 الحصيب وكان على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي
 افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه (أم أنا خير) أم هذه متصلة
 لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنه إذا قالوا له أنت خير فهم عنده
 بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة للقرير وذلك أنه قدم
 تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير
 كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي (من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير
 (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتبة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه
 مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أئبنا بلغاء . وأراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد
 الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوره بسوار وطوقه بطوق من ذهب (مقترنين) إماما مقترنين به من
 قولك قرنته فافترن به وإما من افترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات
 الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الأعضاء اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوره وسوره وجعل الملائكة
 أعضاده وأنصاره . وقرئ أساور جمع أسورة وأساور جمع إسوار وهو السوار وأسورة على تعويض التاء من ياء
 أساور . وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فاستخف قومه) فاستفهم وحقيقته
 حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفهم من قولهم للخفيف فز (أسفونا) منقول من أسف أسفا إذا اشتد
 غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه إنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم
 فاستوجبوا أن نجعل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم . وقرئ سلف جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمهم جمع
 سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق
 مثل عقابهم ونزولهم بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثنا عجيب الشأن سائر أمسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون .
 لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قریش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم متعصرون ذلك امتعاضا شديدا
 فقال عبدالله بن الزبير يا محمد أخا صلة لنا ولا لهتما جميع الأم فقال عليه السلام هو لكم ولا لهتماكم ولجميع الأم فقال خصمتك
 ورب الكعبة ألسنت تزعم أن عيسى بن مريم نبي وثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير
 يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهما مهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله
 عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقتم منكم من الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبدالله بن الزبير عيسى
 بن مريم مثلاً وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه (إذا قومك) قریش من هذا المثل (يصدون)
 ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجزلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجده كما يرتفع
 لغضب القوم ولجبههم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي من أجل هذا المثل
 يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما

(قوله لما به من الرتبة) بالضم العجمة في الكلام كذا في الصحاح (قوله وكانت الأنبياء كلهم أئبنا) في الصحاح إن
 الشيء أئبنا أتضح فهو بين والجمع أئبنا مثل هين وأهيناء (قوله قرنته فافترن به) لعله قرنته به فافترن (قوله امتعصوا من
 ذلك) غضبوا منه وشق عليهم كذا في الصحاح (قوله ترتفع لهم جلبة وضجيج) أي صياح وكذا اللجب أفاده الصحاح

سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ۝ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَإِلهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ

(وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حسب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك إلا جدلا) لا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميزين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لشداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله تعالى قوما لداؤ ذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام هولكم وآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبيري بخبه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله بمتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقع في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقتم لهم منا الحسن فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن الظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وماضربوه لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعنى آلهتنا خير أم هو إلا للجدال ۝ وقرئ آلهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أى جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصتدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ۝ ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلنا فإننا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسى فقليل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وماتصلكم مما أتمم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل وما عيسى (إلا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل (ولونشاء) لقدرتنا على عجائب الآلهة وروبائع الفطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال (ملائكة) يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير خل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (وإنه) وإن عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) أى شرط من أشراتها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرنا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفق وعليه مصرتان وشعر رأسه دهن ويده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤمهم فيأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن

(قوله وخبث دخلته) بالضم باطن أمره أفاده الصحاح (قوله على طريقة المحك والجدال) أى اللجاج كما في الصحاح

(قوله ونحن أشف منهم) أى أرق أفاده الصحاح

مُسْتَقِيمٌ ۖ وَلَا يَصِدَّنَا الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَلَا يَبِينُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ۖ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ
تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ الْإِخْلَافُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۖ يَعْبَادُ لَاخَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ
وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۖ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۖ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۖ يُطَافُ
عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ
الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۖ إِنَّ الْجَحْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ

وَأَنَّ الْقُرْآنَ بِهِ عِلْمُ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ فِيهِ الْإِعْلَانُ بِهَا (فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا) مِنَ الْمَرِيَةِ وَهِيَ الشُّكُّ (وَاتَّبِعُونَ) وَاتَّبِعُوا هَدَايَ وَشَرَعِي
أَوْ سَوِيٌّ وَقِيلَ هَذَا أَمْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَهُ (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أَيْ هَذَا الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ أَوْ هَذَا الْقُرْآنُ إِنْ جَعَلَ الضَّمِيرُ
فِي وَإِنَّهُ لِلْقُرْآنِ (عَدُوٌّ مُبِينٌ) قَدْ بَانَ عِدَاوَتُهُ لَكُمْ إِذْ أَخْرَجَ آبَاكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَزَعَ عَنْهُ لِبَاسَ النُّورِ (بِالْبَيِّنَاتِ) الْمَعْجَزَاتِ
أَوْ بَيِّنَاتِ الْإِنْجِيلِ وَالشَّرَائِعِ الْبَيِّنَاتِ الْوَاضِحَاتِ (بِالْحِكْمَةِ) يَعْنِي الْإِنْجِيلَ وَالشَّرَائِعَ ۖ (فَإِنْ قُلْتَ) هَلَا بَيْنَ لَكُمْ كُلِّ الَّذِي
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَكِنْ بَعْضُهُ (قُلْتَ) كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِي الدِّيَانَاتِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّكْلِيفِ وَفِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَتَعَبَّدُوا
بِمَعْرِفَتِهِ وَالسُّؤَالِ عَنْهُ وَإِنَّمَا بَعَثَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِمَّا يَعْنِيهِمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ (الْأَحْزَابُ) الْفِرَقُ الْمُتَحَزِبَةُ بَعْدَ
عِيسَى وَقِيلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) وَعِيدٌ لِلْأَحْزَابِ ۖ (فَإِنْ قُلْتَ) مَنْ بَيْنَهُمْ إِلَى مَنْ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِيهِ
(قُلْتَ) إِلَى الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ عِيسَى فِي قَوْلِهِ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَهُمْ قَوْمُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَيْهِمْ (أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بَدَلُ مِنَ السَّاعَةِ وَالْمَعْنَى
هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا إِيَّانَا السَّاعَةَ ۖ (فَإِنْ قُلْتَ) أَمَّا أَدَى قَوْلِهِ (بَغْتَةً) مُؤَدَى قَوْلِهِ (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فَيَسْتَعْنِي عَنْهُ (قُلْتَ)
لَا لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَهُمْ غَافِلُونَ لَا شُغْلَهُمْ بِأُمُورِ دُنْيَاهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى تَأْخُذْهُمْ وَهُمْ يَخْصُمُونَ وَيَجُوزُ
أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ فَطَنُونَ (يَوْمَئِذٍ) مَنْصُوبٌ بَعْدَ أَيْ تَنْقَطِعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُلُّ خَلَّةٍ بَيْنَ الْمُتَخَالِفِينَ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ
وَتَتَقَلَّبُ عِدَاوَةٌ وَمَقْتًا لِإِخْلَافِ الْمُتَصَادِقِينَ فِي اللَّهِ فَإِنَّهَا الْخَلَّةُ الْبَاقِيَةُ الْمَزْدَادَةُ قُوَّةً إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ النَّحَابِ فِي اللَّهِ تَعَالَى
وَالْتِبَاطُخِ فِي اللَّهِ وَقِيلَ (إِلَّا الْمُتَّقِينَ) إِلَّا الْمُجْتَنِبِينَ أَخْلَاءَ السُّوءِ وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَنٍ خَلْفَ وَعَقِبَهُ ابْنُ أَبِي مَعْبُطٍ
(يَا عَبَادِي) حِكَايَةً لِمَا يَنَادِي بِهِ الْمُتَّقُونَ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ ۖ (وَالَّذِينَ آمَنُوا) مَنْصُوبٌ بِالْحُلِّ صِفَةً لِعِبَادِي لِأَنَّهُ
مِنَادِي مُضَافٌ إِلَى الَّذِينَ صَدَقُوا (بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) مُخْلِصِينَ وَجُوهَهُمْ لَنَا جَاعِلِينَ أَنْفُسَهُمْ سَالِمَةً لَطَاعَتَنَا وَقِيلَ إِذَا
بَعَثَ اللَّهُ النَّاسَ فَرَعَ كُلِّ أَحَدٍ فَيَنَادِي مُنَادٍ يَا عَبَادِي فَيَرْجُوها النَّاسُ كُلَّهُمْ ثُمَّ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَأْسُ النَّاسُ مِنْهَا غَيْرِ
الْمُسْلِمِينَ ۖ وَقُرِئَ يَا عَبَادُ (تَحْبَرُونَ) تَسْرُونَ سُرُورًا يَظْهَرُ حَبَارُهُ أَيْ أَثَرُهُ عَلَى وَجْهِكُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى تَعْرِفُ فِي وَجْهِهِمْ
نُصْرَةَ النِّعَمِ وَقَالَ الزَّجَّاجُ تَكْرُمُونَ إِكْرَامًا يَبَالِغُ فِيهِ وَالْحَبْرَةُ الْمُبَالَغَةُ فِيهَا وَصَفٌ بِجَمِيلٍ ۖ وَالسُّكُوبُ السُّكُوزُ لِعَارُوهُ لَهُ
(وَفِيهَا) الضَّمِيرُ لِلْجَنَّةِ ۖ وَقُرِئَ تَشْتَهِي وَتَشْتَهِي وَهَذَا حَصْرٌ لِأَنْوَاعِ النِّعَمِ لِأَنَّهَا إِذَا مَشَتْهُ فِي الْقُلُوبِ وَإِنَّمَا مُسْتَلْذَذَةٌ فِي الْعْيُونِ
(وَتِلْكَ) إِشَارَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهِيَ مُبْتَدَأُ (الْجَنَّةِ) خَبَرٌ (الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا) صِفَةُ الْجَنَّةِ أَوْ الْجَنَّةُ صِفَةُ لِلْمُبْتَدَأِ

(قوله قد بان عداوته لكم) في الصحاح بان الشيء بآنا اتضح فهو بين كذلك أبان فهو مبين

خَالِدُونَ هَ لَا يَفْتَر عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ هَ وَمَا ظَنَّهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ هَ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ
عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ هَ لَقَدْ جِئْتُمْكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ هَ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا
مَبْرَمُونَ هَ أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ هَ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا
أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ هَ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ هَ فَذَرَهُمْ يَخوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى

الذي هو اسم الإشارة والتي أورشتموها خبر المبتدأ أو التي أورشتموها صفة و (بما كنتم تعملون) الخبر والباء تتعلق
بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبار أو في الوجه الأول تتعلق بأورشتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث
الباقى على الورثة هَ وقرئ ورثتموها (منها تأكلون) من للتبعية أى لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها
فهى مزينة بالثمار أبداً مورقة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل
في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاًها (لا يفتقر عنهم) لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحى إذا سكنت عنه
قليلاً ونقص حرها هَ والمبلس اليأس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار
ثم يردم عليه فيبقى فيه خالداً لا يرى ولا يرى (هم) فصل عند البصريين عماد عند السكوفيين هَ وقرئ وهم فيها أى في النار
وقرأ على وابن مسعود رضى الله عنهما يامال يحذف الكاف للترخيم كقول القائل هَ والحق يامال غير ما تصف هَ
وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ ونادوا يامال فقال ما شغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم
أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ أبو السرار الغنوى يامال بالرفع كما يقال يا حار (ليقض علينا
ربك) من قضى عليه إذا أماته فذكره موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (فإن قلت) كيف قال ونادوا يامالك بعد
ما وصفهم بالإيلاس (قلت) تلك أزمانه مطاوله وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكنون أو قاتل الغلبة اليأس عليهم وعلهم أنه
لا فرج لهم ويعتقون أو قاتل الشدة ما بهم (ما كئون) لا بثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضى الله عنهما لما يجيهم
بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكم الكافيدعون
يامالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئناكم ويجب أن يكون في قال
ضمير الله عز وجل لما سألوها مالكان يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لا تقبلونه وتنفرون
منه وتشتمزون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق النعب (أم) أبرم مشركو مكة (أمراً) من كيدهم ومكرهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم (فإن مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون
وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) ما المراد بالسر والتجوى (قلت) السر ما حدث
به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والتجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) يريد
الحفظة عندهم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذى لا يخفى عليه شيء
في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق (قل إن كان للرحمن ولد) وصح ذلك وثبت ببرهان
صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها (فإننا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كيعظم الرجل

هَ قوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قال فيه معناه إن صح وثبت برهان قاطع فأنا أول من يعظم

(قوله من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاًها) في الخازن ورد في الحديث أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاًها (قوله
وقرئ وهم فيها أى في النار) لعل تأخير الكلام على هذه القراءة عن الكلام على الضمير السابق من تصرف الناسخ لأنه مخالف لترتيب
التلاوة (قوله كما يقال يا حار) في نداء حارث (قوله ويعتقون) في الصحاح غوث الرجل قال واغوثاه

يَسْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۖ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۖ وَتَبَارَكَ

ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفى الولد والإطباب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة إلهامه حجة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكنيونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها فهو في صورة إثبات الكنيونة والعبادة وفي معنى نفىهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي للجبر إن كان الله تعالى خالقاً للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذاباً سرمداً فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بآله فعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفى أن يكون الله تعالى خالقاً للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه والشهادة القاطعة بإحاطته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفاذ والاشتمزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تالظي لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلهاً غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنسك والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد ۖ وقرأ بعضهم العبدین وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحيد وروى أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولده وقرئ ولد بضم الواو ۖ ثم زه ذاته موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسماً لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وإن ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخيلة

ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له إلى آخره) قال أحمد لقد اجتراً عظيماً واقتحم مهلكة في تمثيله ذلك بقول من سماه عدلياً إن كان الله تعالى خالقاً للكفر في القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين إنه شيطان وليس بآله فليقيم عليه ذلك بقول القائل قد ثبت قطعاً عقلاً وشرعاً أنه تعالى خالق لذلك في القلوب كما خلق الإيمان وفاء بمقتضى دليل العقل الدال على أن لا خالق إلا الله وتصديقاً بمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شيء وإذا ثبتت هذه المقدمة عقلاً ونقلًا لزمه فرك أذنه وغل عنقه إذ يُلحَد في الله إلحاداً لم يسبقه إليه أحد من عباده الكفرة ولا تجرأ عليه مارد من مردة الفجرة ومن خالف في كفر القدريه فقد وافق على كفر من تجرأ فقال هذه المقالة واقتحم هذه الضلالة بلا محالة فإنه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحائها والله المستوثق أن يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ۖ قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله (قال فيه ضمن اسمه عز وجل معنى وصف فعلق به الظرف وهو قوله في السماء الخ) قال أحمد وبما سهل حذف الراجع مضافاً إلى الطول الذي ذكره وقوع الموصول خبراً عن مضمر لو ظهر الراجع لكان كالتركيب المستكره إذ كان أصل الكلام وهو الذي هو في السماء إله ولا ينكر أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل وأن الراجع إنما حذف على قلة حذف مثله لأمراً كدفعه لم يرد في الكتاب العزيز إلا في قوله تعالى وما على الذي أحسن ومع أي في موضعين على رأي ۖ عاد كلامه قال وتحتل الآية أن يكون في السماء صلة الذي على تأويل الإلهية الخ

(قوله ونظيره أن يقول العدلي للجبر) يريد أحد المعتزلة لأحد أهل السنة وفي هذا التنظير من سوء الأدب في حق تعالى ما لا يخفى (قوله قال له أما والله) في الصحاح أما مخفف تحقيق للكلام الذي يتلوهاه ولعل حذف الألف لغة فليحرر

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ *
وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *

سورة الدخان مكية

وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ

بينهم وبين الشياطين كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وإبعاد بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف لذلك
علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي
شهر به كأنك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب * وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله تعالى
وهو الله في السموات وفي الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول مخذوف
لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قاتل لك شيئاً وزاده طولاً أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في
السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ مخذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لا على
معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة
وقرئ تحشرون بالتاء * ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من
(شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء
منقطع ويجوز أن يكون متصلاً لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة * وقرئ تدعون بالتاء وتدعون
بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الأخفش أنه حملة على أم يحسبون أنا لا نسمع
سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمراً وحمل الجز
على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده
علم الساعة وعلم قيله والذي قاله ليس بقوى في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً ومع
تأخر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجز والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم آمين الله
وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يارب أو
وقيله يارب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم بئساً عن إيمانهم وودعهم وتاركهم
(وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسليته لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير في وقيله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجاء إليه : عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الزخرف كان بمن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

﴿سورة الدخان مكية الا قوله إنا كاشفوا العذاب قليلاً الآية﴾

﴿وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * الواو في (والكتاب) واو القسم إن جعلت حم تعديداً للحروف أو اسماً للسورة
مرفوعاً على خبر الابتداء المخذوف وواو العطف إن كانت حم مقسماً بها وقوله (إنا أنزلناه) جواب القسم * والكتاب

كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ

المبين القرآن ۝ والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصلوة وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصلوة أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكان أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى «إنا أنزلناه في ليلة القدر» ولطابقة قوله «فيها يفرق كل أمر حكيم» لقوله «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر» وقوله تعالى «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان (فإن قلت) مامعنى إنزال القرآن في هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفارة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً ونجوماً ۝ (فإن قلت) (إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ماموقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسرهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفروق كل أمر حكيم ۝ والمباركة الكثيرة الخير لما يتبع الله فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكانت بهركة ومعنى يفرق يفصل ويسكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسوف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيبقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيئته وقرئ تفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه تفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز (أمرًا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً غمماً بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه نغامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمرًا حاصلًا من عندنا كأننا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد الهوى ثم إيماناً بوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث أنه إذا حكم بالشئ وكتبه فقد أمر به وأوحى أو يكون حالاً من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه أمرين أمراً أو من ضمير المفعول

(قوله يرحم أمتي في هذه الليلة) لعله من أمتي (قوله ملفوفتان) لعله من اللف والنشر المقرر في البيان وبيانه ما بعده (قوله لما يتبع الله فيها) أي يقدر

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ الْآوَالِينَ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۚ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۚ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا

أى أنزلناه فى حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل (فإن قلت) (إنا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلا من قوله إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها فى قوله تعالى «وما يمسك فلا مرسل له من بعده» أى يفصل فى هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأن الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين وفى قراءة زيد ابن على أمر من عندنا على هو أمر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بأنها مفعول له (إنه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحقق إلا لمن هذه أو صافه وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك (فإن قلت) ما معنى الشرط الذى هو قوله (إن كنتم موقنين) (قلت) كانوا يقولون بأن للسموات والأرض ربا وخالقا فقل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذى أتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذى تسمع الناس بكم وهو أشهر واشتهر وإن بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم ردوا أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) وأن إقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتى السماء) مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرتة وانتظرته ۚ واختلف فى الدخان فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الخنيز ويغترى المؤمن منه كهية الزكام وتكرن الأرض كلها كبكت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلا المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصبيه كهية الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضى الله عنه خمس قدمضت الروم والدخان والقمرو البطشة والزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصا عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتى يوم القيامة يأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فشى إليه أبوسفين ونفر معه وناشدوه الله والرحم واعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد فى أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة

(قوله كالرأس الخنيز) أى المشوى كما فى الصحاح (قوله ليس فيه خصاص) أى فرج أفاده الصحاح
(قوله أبين) فى الصحاح أبين اسم رجل نسب إليه عدن (قوله حتى أكلوا الجيف والعلز) فى الصحاح العلز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى زمن المجاعة (قوله وكان يحدث الرجل فيسمع) لعله يحدث الرجل الرجل ويمكن أن يجعل الفاعل ضميرا يعود على الرجل السابق

الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَلَيْسَ لَكُمْ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ بَجْنُونَ ۝ إِنَّا
كَاشَفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ
فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَذْوَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي
ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ أَنْ تَرْجِعُونِ ۝ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۝ قَدْ عَا رَبَّهُ أَنْ

لدخان و(هذا عذاب) إلى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي
قائلين ذلك (إنا مؤمنون) موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب (أليست الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويقون
بما وعده من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ما هو أعظم وأدخل في وجوب الأذكار من كشف الدخان
وهو مظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا
وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي عليه ونسبه إلى الجنون ثم قال (إنا كاشفوا العذاب
قليلًا إنكم عائدون) أي ربنا نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من
التضرع والابتهال (فإن قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله إنا كاشفوا العذاب قليلًا
(قلت) إذا أتت السماء بالدخان تضرع المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا
مؤمنون منيرون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثا يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال (يوم نبطش البطشة
الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى (إنا منتقمون) أي ننقم منهم في ذلك اليوم (فإن
قلت) بم انتصب يوم نبطش (قلت) بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننقم ولا يصح أن ينتصب بمنقمون لأن إن تحجب
عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى
أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالشديد للنأ كيد أولوقوعه على
القوم ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام أو ابتلاهم
بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم (كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين
أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبيا إلا من سرة قومه وكرامهم (ان أدوا إلى) هي أن المفردة لأن مجيء الرسول من بعث
إليهم متضمن لمعنى القول لا ينجيهم إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله أو الخففة من الثقلة ومعناه وجاههم بأن الشأن والحديث
أدوا إلى (وعباد الله) مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم إلى وأرسلوهم معي كقوله تعالى أرسل معنا بني إسرائيل
ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداهم على أدوا إلى يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع
سبيلي وعلل ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد أتمته الله على وحيه ورسالته (وأن لا تعلوا) أن هذه مثل الأولى في
وجهها أي لا تستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله (بسلطان مبين) بحجة واضحة
(أن ترجعون) أن تقتلون ۝ وقرئ عت بالإدغام ومعناه أنه عائد بربه مشكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو
غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) يريد إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمنوا
فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصله عني أي نخلوني كفافا لالي ولا على ولا تنعزضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من
دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك (أن هؤلاء) بأن هؤلاء أي دعا به بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه

(قوله تضرع المعذبون به) التضرع الصباح والتلوى عند الألام أفاده الصحاح (قوله وتولوا عنه وبهتوه) رموه بما ليس فيه
والنغم واث قولها واغوثاه كافي الصحاح أيضا

هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ فَأَسْرِبْ بَعْدَ بَدْيِ لَيْلٍ لِّئَلَّا تُنْكَبُ لَكُمْ دُيُوتُنُورٌ ۝ وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ۝ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَسَكَّهِنَ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَسَاسُكُنْتُمْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَأَتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ

بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لتجعلنا فتنة للقوم الظالمين وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ إن هؤلاء بالسكسر على إضمار القول أى فدعا ربه فقال إن هؤلاء (فأسر) قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادى وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر (بعبادى) يعنى فأسر بنى إسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين ۝ الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى

يمشين رهوآ فلا الإعجاز خاذلة ۝ ولا الصدور على الإعجاز تسكل

أى مشياً ساكناً على هيئة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كماضربه فانفلق فأمر بأن يتركه ساكناً على هيئة قارأ على حاله من اتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئاً ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثانى أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملاً فالجأ فقال سبحان الله وهو بين سنامين أى اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً (إنهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم ۝ والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر ۝ والنعمة بالفتح من التمتع وبالسكسر من الإلغام ۝ وقرئ فأكهن وفكهن (كذلك) الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجهن منها (وأورثناها) أو فى موضع الرفع على الأمر كذلك (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم ۝ إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم هلكته بكى عليه السماء والأرض وبكىته الريح وأظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه إلا بكى عليه السماء والأرض وقال جرير ۝ تبكى عليك نجوم الليل والقمر ۝ وقالت الخارجية أياشجر الخابور مالك مورقا ۝ كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الأرض ومساعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم فى قوله تعالى (فما بكى عليهم السماء والأرض) فيه تهكمهم وبجأهم المنافية لحال من يعظم فقداه فيقال فيه بكى عليه السماء والأرض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعنى فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه فى نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه فى تعذيبهم وإهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيظته ثم عرف حاله فى ذلك

مبين • إن هؤلاء ليقولون • إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمبشرين • فاتوا بآياتنا إن كنتم صدقين

بقوله (إنه كان عالياً من المسرفين) أى كبيراً رفيع الطبقة ومن بينهم فائقاً لهم بليغاً فى إسرائفه أو عالياً متكبراً كقوله تعالى إن فرعون علا فى الأرض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل إنه كان متكبراً مسرفاً الضمير فى (اختراناهم) لبنى إسرائيل و (على علم) فى موضع الحال أى عالين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منابأهم يرغبون ويفرط منهم الفرط فى بعض الأحوال (على العالمين) على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعاً لكثرة الأنبياء منهم (من الآيات) من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها (بلاء مبين) نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختباراً لظاهره لنظر كيف تعملون كقوله تعالى «وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم» (هؤلاء) إشارة إلى كفار قريش (فإن قلت) كان الكلام واقعاً فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمبشرين كما قيل إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله (إن هي إلا موتتنا الأولى) وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا مائة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى (قلت) معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم أنكم تموتون مائة تتعقبها حياة كما تقدمتكم مائة قد تعقبها حياة وذلك قوله عز وجل «وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» فقالوا إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا الموتة الأولى خاصة فلا فرق إذاً بين هذا وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا فى المعنى • يقال أنشأ الله الموتى ونشرهم إذ بعثهم (فاتوا بآياتنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى إن صدقتم فيما تقولون فمجلوا لنا إحياء من مات من آياتنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلاً على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصي ابن كلاب ليشاوروه فإنه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعظم الشؤون • هو تبع الحميري كان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذى سار بالجيش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان إذا كتب قال بسم الله الذى ملك برأ وبحراً وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان نبياً وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبي بنت تبع لا تشركان بالله شيئاً وقيل هو الذى كسا البيت وقيل للملوك الذين التابعون لأنهم يتبعون كما قيل الأقبال لأنهم يتقبلون وسمى الظل

﴿القول فى سورة الدخان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى» (قال فيه فإن قلت) كان الكلام معهم واقعاً فى الحياة الثانية لا فى الموت الخ) قال أحمد وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين آخرين الأولى منهما الموت والأخرى حياة البعث أثبتوا الحالة الأولى وهى الموت ونفوا ما بعدها وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شيء بعدها لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم وهذا أولى من حمل الموتة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين أحدهما أن الاختصار عليها لا يعتقدونه لأنهم يثبتون الموت الذى يعقب حياة الدنيا وحمل الحصر المباشر للموت فى كلامهم على صفة تذكر لآعلى نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة الثانى أن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالموتة فإن الموتة فعلة فيها إشعار بالتجدد والطريان والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تقدمه حياة طراً عليها هذا مع أن فى بقية السورة قوله تعالى «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» وإنما غنى بالموتة الأولى هنا الموت المنقب للحياة الدنيا فقط ففيه إرشاد لما ذكرته والله أعلم

(قوله واقعاً فى الحياة الثانية) أى التى ينكرونها (قوله لأنهم يتقبلون) فى الصحاح تقبل شرب نصف النهار تقبل فلان أباه تبعه

أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعَيْنَ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ۝ طَعَامُ الْآثِمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ

تبعاً لآله يتبع الشمس (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (أَمْ خَيْرٍ) ولا خير في الفريقين (قلت) معناه أَمْ خَيْرٌ فِي الْقُوَّةِ وَالْمُنْعَةِ كقوله تعالى أَمْ كَفَرْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَم بعد ذلك كَرَأَى لَفَرْعُونَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَمْ أَشَدَّ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ (وما بينهما) وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهما وقرأ أميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل (لا يغني مولى) أي مولى كان من قرابة أو غيرها (عن مولى) عن أي مولى كان (شيئاً) من إغناء أي قليلاً منه (ولا هم ينصرون) الضمير للموالى لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى (إلا من رحم الله) في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء (إنه هو العزيز) لا ينصر منه من عصاه (الرحيم) لمن أطاعه قرئ إن شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروى أنه لما نزل ذلك خير نزل أم شجرة الزقوم قال ابن الزبير إن أهل اليمن يدعون أكل الزيت والتمر الزم فعدا أبو جهل بتمروز بدق قال تزقوا فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل إن (شجرت الزقوم طعام الآثم) وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلاً فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كالمها من غير أن يخرج منها شيئاً قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى عن ابن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية (كالمهل) قرئ يضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك (تغلي) وقرئ بالناء للشجرة وبالياء للطعام و (الحميم) الماء الحار الذي انتهى غليانه ۝ يقال للزبانية (خذوه فاعتلوها) فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يأخذ بتليب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجاني وقرئ بكسر التاء وضمها (إلى سواء الجحيم) إلى وسطها ومعظمها ۝ (فإن قلت) هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لاعتذابه (قلت) إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدة إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله ۝ صبت عليه صروف الدهر من صلب ۝ وكقوله تعالى أفرغ علينا صبراً فقد ذكر العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له ليكون أهول وأهيب ۝ يقال (ذق إنك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والتهمك

۝ قوله تعالى «إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْآثِمِ» الآية (قال فيه نقل أن أبا الدرداء أقرأها رجلاً فلم يقم النطق بالآثم وجعل يقول طعام اليتيم الخ) قال أحمد لأدليل فيه لذلك وقول أبي الدرداء محمول على إيضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عونا على أن يأتي بالقراءة كما أنزلت على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار وهو الوجه والله أعلم

(قوله وهو دردى الزيت) لعله ردى الزيت كعبارة النسفي (قوله وهو أن يؤخذ بتليب الرجل) الذي في الصحاح لبس الرجل تليباً إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحوه في الخصومة ثم جررته اه ويجوز أنه أراد بتليب الرجل ثيابه من عند صدره ونحوه

مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ۖ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۚ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۚ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۚ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۚ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۚ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ آمِنِينَ ۚ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۚ فَضَلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۚ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ۚ

بِمَنْ كَانَ يَتَعَزَّزُ وَيَتَكْرَمُ عَلَى قَوْمِهِ وَرَوَى أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا أَعَزُّ وَلَا أَكْرَمُ مِنِّي فَوَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ أَنْ تَفْعَلَ بِي شَيْئًا وَقُرِئَ إِنَّكَ بِمَعْنَى لَأَنَّكَ وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَرَأَ بِهِ عَلَى الْمَنْبَرِ (إِنَّ هَذَا) الْعَذَابِ أَوَّلًا هَذَا الْأَمْرُ هُوَ (مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) أَيْ تَشْكُونَ أَوْ تَتَارُونَ وَتَتَلَاوُونَ ۚ قُرِئَ فِي مَقَامٍ بِالْفَتْحِ وَهُوَ مَوْضِعُ الْقِيَامِ وَالْمَرَادُ الْمَكَانَ وَهُوَ مِنَ الْخَاصِّ الَّذِي وَقَعَ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَى الْعُمُومِ وَبِالضَّمِّ وَهُوَ مَوْضِعُ الْإِقَامَةِ أَوَّلًا آمِنِينَ مِنْ قَوْلِكَ أَمِنْ الرَّجُلُ أَمَانَةً فَهُوَ أَمِينٌ وَهُوَ ضِدُّ الْخَائِنِ فَوْصَفَ بِهِ الْمَكَانَ اسْتِعَارَةً لِأَنَّ الْمَكَانَ الْخَفِيفَ كَأَنَّمَا يَخُونُ صَاحِبَهُ بِمَا يَبْقَى فِيهِ مِنَ الْمَكَارِهِ قِيلَ السُّنْدُسُ مَارِقٌ مِنَ الدِّيَابِجِ وَالْإِسْتَبْرَقُ مَا غُلِظَ مِنْهُ وَهُوَ تَعْرِيبُ اسْتَبَرَّ (فَإِنْ قُلْتَ) كَيْفَ سَاخَ أَنْ يَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْعَرَبِي الْمُبِينُ لَفْظُ أَتَجْمَعُ (قُلْتَ) إِذَا عَرَبٌ خَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَجْمِيًّا لِأَنَّ مَعْنَى التَّعْرِيبِ أَنْ يَجْعَلَ عَرَبِيًّا بِالنَّصْرِ فِيهِ وَتَغْيِيرِهِ عَنْ مَنَاجِهِ وَإِجْرَائِهِ عَلَى أَوْجِهِ الْإِعْرَابِ (كَذَلِكَ) الْكَافُ مَرْفُوعَةٌ عَلَى الْأَمْرِ كَذَلِكَ أَوْ مَنْصُوبٌ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَتَبْنَاهُمْ (وَزَوَّجْنَاهُمْ) وَقُرَأَ عَكْرَمَةً بِحُورٍ عِينٍ عَلَى الْإِضَافَةِ وَالْمَعْنَى بِالْحُورِ مِنَ الْعَيْنِ لِأَنَّ الْعَيْنَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ حُورًا أَوْ غَيْرَ حُورٍ فَهُوَ لَاءٌ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ لَأَنَّ شَهْلِينَ مِثْلًا وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بِعَيْسٍ عَيْنٍ وَالْعَيْسَاءُ الْبَيْضَاءُ تَعْلُوهَا حَمْرَةٌ وَقُرَأَ عَيْدٌ بِنِ عَمِيرٍ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ وَقُرَأَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا طَعْمَ الْمَوْتِ (فَإِنْ قُلْتَ) كَيْفَ اسْتَنْثِيَتِ الْمَوْتَ الْأُولَى الْمَذْذُوقَةَ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمَوْتِ الْمُنْفَى ذَوْقَهُ فِيهَا (قُلْتَ) أَرِيدُ أَنْ يَقَالَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ الْبَتَّةَ فَوْضَعُ قَوْلِهِ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى مَوْضِعُ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَوْتَ الْمَاضِيَةَ مَحَالِ ذَوْقِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ بِالْمَحَالِّ كَأَنَّهُ قِيلَ إِنْ كَانَتْ الْمَوْتَ الْأُولَى يَسْتَقِيمُ ذَوْقُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَإِنَّهُمْ يَذُوقُونَهَا وَقُرِئَ وَوَقَّاهُمْ بِالْتَّشْدِيدِ (فَضَلًا مِنْ رَبِّكَ) عَطَاءٌ مِنْ رَبِّكَ وَثَوَابٌ يَعْنِي كُلَّ مَا عَطَى الْمُتَّقِينَ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَقُرِئَ فَضْلٌ أَيْ ذَلِكَ فَضْلٌ (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) فَذَلِكَ لِكُلِّ السُّورَةِ وَمَعْنَاهَا ذَكَرَهُمُ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ أَيْ سَهَّلْنَاهُ حَيْثُ أَنْزَلْنَاهُ عَرَبِيًّا بِلِسَانِكَ بَلَّغْنَاكَ إِرَادَةَ أَنْ يَفْهَمَهُ قَوْمُكَ فَيَتَذَكَّرُوا (فَارْتَقِبْ) فَاتَنْظُرْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ (أَنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) مَا يَحِلُّ بِكَ مَتَرَبِّصُونَ بِكَ الدُّوَاثِرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ حِمِّ الدِّخَانِ فِي لَيْلَةِ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قِرَاءَةِ حِمِّ الَّذِي يَذْكُرُ فِيهَا الدِّخَانُ فِي لَيْلَةِ جُمُعَةِ أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ

قَوْلُهُ تَعَالَى «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى» (قَالَ إِنَّمَا اسْتَنْثِيَتِ الْمَوْتَ الْأُولَى الْمَذْذُوقَةَ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمَوْتِ الْمُنْفَى ذَوْقَهُ فِيهَا الْخ) قَالَ أَحْمَدُ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مَبْنِي عَلَى أَنَّ الْمَوْتَ بَدَلَ عَلَى طَرِيقَةِ بَنِي تَمِيمٍ الْمَجْزُوزِ فِيهَا الْبَدَلَ مِنْ غَيْرِ الْجُنْسِ وَأَمَّا عَلَى طَرِيقَةِ الْحِجَازِيِّينَ فَاتَّصَبَتِ الْمَوْتَ اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعًا وَسَرُّ اللَّغَةِ الْقِيَمِيَّةُ بِنَاءُ النَّفْيِ الْمُرَادُ عَلَى وَجْهِه لَا يَبْقَى لِلْسَامِعِ مَطْمَعًا فِي الْإِثْبَاتِ فَيَقُولُونَ مَا فِيهَا أَحَدًا لِأَحْمَارٍ عَلَى مَعْنَى إِنْ كَانَ الْحَمَارُ مِنَ الْأَحْدِيدِ فَقِيهَا أَحَدُ فَيَعْلَقُونَ الثُّبُوتَ عَلَى أَمْرِ مَحَالٍ حَتْمًا بِالنَّفْيِ وَعَلَيْهِ حَمْلُ الرَّخِشِيِّ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ أَيْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَمُنُّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَإِذَا نَفَرَ السَامِعُ مِنْ ثُبُوتِ الْأَوَّلِ تَعَدَّتِ النَّفْرَةُ إِلَى ثُبُوتِ الثَّانِي لِجُزْمَتِ بِنَائِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

سورة الجاثية مسكية

إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَلْ لَكُلِّ أَفَّاكَ أَتَيْمٌ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ

﴿سورة الجاثية مسكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) إن جعلتها اسماً مبتدأ خبراً عنه (تنزيل الكتاب) لم يكن بدم من حذف مضاف
تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و(من الله) صلة للنزول وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف
خبراً (إن في السموات والأرض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله (وفي خلقكم)
(فإن قلت) علام عطف (وما يبتث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه (قلت) بل على المضاف لأن
المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك
إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا
في الدار وعمراً في السوق أو وعمرو في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو
رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات
وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل
والنهار (فإن قلت) العطف على عاملين على مذهب الأخفش شديد لا مقال فيه وقد أباه سيدي فواجه تخريج الآية
عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها وبعضه قراءة
ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفاً على ما قبله على التكرير ورفعها بإضمار
هي ۝ وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبتث من دابة آية وقرئ وتصريف الرياح والمعنى
إن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع
فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض
من صنوف الحيوان ازدادوا إيماناً وأيقنوا واتقوا عنهم اللبس فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت
كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوباً وشمالاً وقبلاً ودبوراً
عقلوا واستحكم عليهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقاً لأنه سبب الرزق (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدمة أي تلك
الآيات آيات الله و(تتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل مادلّ عليه تلك من معنى الإشارة ونحوه
هذا بعلى شيخاً وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم
زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه أو قرآنه كقوله تعالى أنزل أحسن الحديث ۝ وقرئ (يؤمنون)

(قوله وأما قوله آيات لقوم) أي مع قوله واختلاف وقوله عملت أي الواو

اللَّهُ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصْرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَنْ رَأَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أُولِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ * اللَّهُ الَّذِي
سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَى الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

بالتاء والياء الأفاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام (بصر) يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من إصرار
الحمار على العاقبة وهو أن ينحى عليها صار أذنيه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما
عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عامة في كل
ما كان مضارا لدين الله (فإن قلت) ما معنى ثم في قوله ثم يصير مستكبرا (قلت) كمنه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها
وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها فامر مستبعد
فمعنى ثم الإيذان بأن فعل المتقدم عليها بعد مارأها وعابنها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة
بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها (كان)
مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله * كأن ظبية تعطر إلى ناضر السلم * ومحل الجملة النصب
على الحال أى يصير مثل غير السامع (وإذا) بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أى اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل
اتخذها للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم
خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث
به المعاند ويجدله محملا يتسلى به على الطعن والغمزة افترسه واتخذ آيات الله هزواً وذلك نحو افتراص ابن الزبير
قوله عز وجل إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتمكم ويجوز
أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسى بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة وقرئ علم (أولئك) إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين والوراء اسم للجهة التي يوارىها الشخص
من خلف أقدام قال أليس ورائى أن تراخت منيتى * أدب مع الولدان أزحف كالنسر
ومنه قوله عز وجل (من ورائهم) أى من قدامهم (ما كسبوا) من الأموال في رحلهم ومتاجرهم (ولما اتخذوا من دون
الله) من الأوثان (هذا) إشارة إلى القرآن يدل عليه قوله تعالى «والذين كفروا بآيات ربهم لأن آيات ربهم هي القرآن»
أى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل كامل في الرجولية وأيام رجل والرجز أشد العذاب وقرئ بجر أليم
ورفعه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع
البحر * (فإن قلت) ما معنى منه في قوله (جميعا منه) وما موقعها من الإعراب (قلت) هي واقعة موقع الحال والمعنى أنه
سخر هذه الأشياء كائنه منه وحاصلة من عنده يعنى أنه مكونها وموجدتها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقها ويجوز أن

(قوله من إصرار الحمار على العانة) جماعة حمر الوحش كما في الصحاح وفيه أيضا صر الفرس أذنيه ضمها إلى رأسه
فإذا لم يوقعوا قالوا أصر الفرس بالالف

أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ *
وَلَقَدْ آتَيْنَا نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ *
وَأَتَيْنَاهُم بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ *
هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ

يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعاً منه وأن يكون وسخر لكم تأكيذاً لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله
ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه وأن يكون ما في الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منه
وقرأ سلة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك
أوهو منه حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع
الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأمرون الأوقات التي وقتها الله ثواب المؤمنين ووعدهم الفوز
فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش
به وعن سعيد بن المسيب كناية يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقراء قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر بما
صنع (ليجزى) تعليل الأمر بالمغفرة أي إنما أمروا بأن يغفروا لما أَرَادَهُ اللهُ من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة
(فإن قلت) قوله (قوما) ما وجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه
قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجزعونهم
من الغصص (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر
بما صنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب
في وجهي وقرئ ليجزى قوما أي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب)
التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم والنبوَّة (من الطيبات) بما أحل الله لهم وأطاب
من الأرزاق (وفضلائهم على العالمين) حيث لم تؤت غيرهم مثل ما آتيناهم (بينات) آيات ومعجزات (من الأمر) من أمر الدين فأوقع
بينهم الخلاف في الدين (إلا من بعد ما جاءهم) ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبغي حدث بينهم وألعداوة
وحسد (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه
من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك * ولا توألمهم إنما يوالى الظالمين
من هو ظالم مثلهم * وأما المتقون فولهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولائتين (هذا) القرآن (بصائر للناس)
جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحاً وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من
العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أي هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمة فيها إنكار الحسبان * والاجتراح
الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى إلى مفعولين

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٌ

فأولها الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانياً فكانت
في حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سيديداً كما تقول ظننت زهداً أبوه منطلق ومن قرأ
سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفرداً غير جملة ومن قرأ ومماتهم
بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى إنكار أن يستوى
المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لا فراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على
ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من
رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم وقيل معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين
والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن
محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدار يرضى الله
عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل أنه بلغها
فجعل يرددوها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أى الفريقين أنت (ولتجزى) معطوف على بالحق لأن فيه معنى
التعليل أو على معلل مخوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل به على قدرته ولتجزى كل نفس ۝ أى هو مطواع
لهوى النفس يتبع ماندعوه إليه فكأنه يعبد كما يعبد الرجل إلهه وقرئ آلهة هو أنه كان يستحسن الحجر فيعبده فإذا
رأى ما هو أحسن رفضه إليه فكأنه اتخذ هو آلهة شتى يعبد كل وقت واحداً منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية
واللطف وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدى عليه وأنه بمن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع
اللطاف المحصلة والمقربة (فمن يهديه من بعد) إضلال (الله) وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح
وقرئ تذكرون (نموت ونحيي) نموت نحن ويحيا أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطقاً في الأضلاب
ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا لأمران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ
نحيا بضم النون وقرئ إلا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن ونحمن كانوا يزعمون أن مرور الأيام
والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث
إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أى
فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخير (فإن قلت) لم سمي
قولهم حجة وليس بحجة (قلت) لأنهم أدلوا به كما يدل المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه في حسابهم
وتقديرهم حجة أولانه في أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة والمرادنى أن تكون لهم
حجة البتة (فإن قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحكم) جواباً لقولهم اتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث

(قوله وتركه عن الهداية) تأويل الآية بذلك لتوافق مذهب المعتزلة أنه لا يريد الشر ولا يفعله وعند أهل السنة لا يقع في
ملكه إلا ما يريد والله خالق كل شيء فالإضلال خلقه الضلال في القلب (قوله المحصلة والمقربة) يعنى للهداية

مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْتُوا بِنَاءً تَنَادَى إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ قُلِ اللَّهُ يُحْسِبُكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ۖ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۖ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ۖ وَبَدَّاهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۖ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نُصْرَةٍ ۖ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا لَهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۖ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ

وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذي يحبسهم ثم يميتهم وضم إلى الإلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا أو أصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم إلى يوم القيامة ومن كان قادر على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائهم وكان أهون شيء عليه ۖ عامل النصب في (يوم تقوم) يخسر، و (يومئذ) بدل من يوم تقوم (جائية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذبة والجذو أشد استيفازا من الجثو لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضى الله عنهما جائية مجمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها جثى وفى الحديث من جثى جهنم ۖ وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الإبدال من كل أمة (إلى كتابها) إلى صحائف أعمالها فاكتمى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على القول (فإن قلت) كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عز وجل (قلت) الإضافة تكون للبابسة وقد لا بسهم ولا بسه أماملا بسه إياهم فلا ن أعمالهم مثبتة فيه وأماملا بسه إياه فلا نه مالكة والأمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (إننا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون) أى نستكتبهم أعمالكم (فى رحمة) فى جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (ألم تكن آياتى تتلىٰ عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلىٰ عليكم فحذف المعطوف عليه ۖ وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل إن واسمها (ما الساعة) أى شئ الساعة (فإن قلت) ما معنى إن نظن إلا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن لحسب فأدخل حرفا لنفى والاستثناء ليقاد إثبات الظن مع نفى ماسواه وزيدنى ماسوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستقيين سيئات ما عملوا) أى قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (نفسا كم) ترككم فى العذاب كما تركتم عدة (لقام يومكم هذا) وهى الطاعة أو يجعلكم بمنزلة الشئ المنسى غير المبالى به كالم تبالوا أنتم ببقاء يومكم ولم تخطر و بهال كالشئ الذى يطرح نسيان (فإن قلت) ما معنى إضافة اللقاء إلى اليوم (قلت) كمعنى إضافة المكسر فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه : وقرئ لا يخرجون بفتح الباء (ولاهم يستعبتون) ولا يطلب منهم أن

(قوله فى جثى جهنم) فى الصحاح الجثوة مثلثة الحجارة المجموعة وجثى الحرم بالضم وبالسكسر ما اجتمع فيه من حجارة الجمار

رَبِّ الْعَالَمِينَ • وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ •

سورة الأحقاف مكية

إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَوِّى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَئِنْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ

يعتبروا بهم أى يرضوه (فلله الحمد) فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والتناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (فى السموات والارض) وحق مثله أن يتكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الأحقاف مكية وهى أربع وثلاثون آية وقيل خمس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (إلا بالحق) (إلا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهى إليه وهو يوم القيامة) (والذين كفروا عما أُنذروا) من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خلق من انتهائه إليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن إنذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أُنتم عليه من عبادة غير الله (أو إثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمعت الناقة على إثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثره أى من شئ أو أثرتم به وخصصتم من علم لإحاطة به لغيركم وقرئ أثره بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون التاء فالأثره بالكسر بمعنى الأثره وأما الأثره فالمراد إذا رواه وأما الأثره بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به (ومن أضل) معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء السميع

﴿القول فى سورة الأحقاف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دُونِ اللَّهِ من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استفهام معناه إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أضلالا من عبدة الأصنام الخ) قال أحمد وفى قوله إلى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المغنى عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لأنهم فى القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فالوجه والله أعلم أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثانى حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحدا لتفاوت ما بينهما كالشئ وضده وذلك أن الحالة الأولى التى جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التى فى القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم ليأبى الله من وادى ما تقدم آنفا فى سورة الزخرف فى قوله بل تمتعت هؤلاء وآباؤهم حتى جاءهم الحق ورسول

دَعَا لَهُمْ غَفْلُونَ ۖ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ۖ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۖ وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۖ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا

الحبيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام وبدعون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضداً فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجدد عبادتهم وإنما قيل من وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلاً وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها ۖ قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهمك بها وبعدها ونحوه قوله تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبینات ۖ واللام في (للحق) مثلها في قوله وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لمساجمهم) أي بادعاهم بالجحود ساعة أناهم وأول ما سمعوه من غير إجابة فكر ولا إعادة نظر ۖ ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحراً مبيهاً ظاهراً أمره في البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراه) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى ذكر قولهم إن محمداً افتراه ومعنى الهزيمة في أم الإنكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتره على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً والضمير للحق والمراد به الآيات (قل إن افتريته) على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدر على كفه عن معاجلتي ولا تطية عن دفع شيء من عقابه غنى فكيف افترته وأنعرض لعقابه يقال فلان لا يملك إذا غضب ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فإن تملك له من الله شيئاً ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيئاً ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تدفعون فيه من الفتح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحراً تارة وفرية أخرى (كفى به شهيداً بيني وبينكم) يشهد بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا (فإن قلت) فسامعني إسناد الفعل إليهم في قوله تعالى فلا تملكون لي (قلت) كان فيما أناهم به الصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكانه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصيح لكم

مبين ولمساجمهم الحق قالوا هذا سحر وإنابه كفرون ۖ قوله تعالى ۖ وإذا تنزلت عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه ۖ الآية (قال فيه اللام في قوله تعالى للحق نحو اللام في قوله وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا الخ) قال أحمد هذا الإضراب في باب مثل الغاية التي قدمتها آنفاً في بابها فإنه انتقل إلى موافق لكنه أزيد من الأول فنزل بزيادته عليه مع ما تقدم مما ينقص عنه منزلة المتنافين كالنفي والإثبات الذين يضرب عن أحدهما الآخر وذلك أن نسبتهن للآيات إلى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها إلى أنها سحر فأضرب عن ذلك الأول إلى ذكر ما هو أغرب منه ۖ قوله تعالى ۖ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ۖ (قال فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إليهم الخ) قال أحمد فيه نظر من قبيل أن الكلام جرى فرضاً وتقديراً ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره

مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ - إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عن أي المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه ۖ البدع بمعنى البدع كالخلف بمعنى الخفيف وفري بدعا بفتح الدال أي ذابذع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يفترون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فأتيكم بكل ما تنقرونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله عليها عندني (وما أدري) لأنه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قدر فعت لي ورايتها يعني في متامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ويجوز أن يكون نفيًا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أي يفعل الله عز وجل (فإن قلت) إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم (قلت) أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صحت ذلك وحسن الاترى إلى قوله «أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر» كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة ۖ وقرئ يوحى أي الله عز وجل ۖ جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ما أول أسراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وبال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أسراط الساعة فإن تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد

نصح فإن النصيح عبارة عن الدعاء إلى ما فيه نفع ولا ينفع المكلف في عمل ظاهر أو باطن إلا أن يكون مأمورًا به من الله تعالى ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحي الحق لا غير فإذا لا يتصور نصيح مع الافتراء وإنما يتيم هذا الذي قرره على قاعدة المعتزلة للقاتلين بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى لأنه إذا أمر بطاعة من الطاعات كالنوحيد مثلاً وقال إن الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأن رسول الله إليكم ولم يكن متعوقاً فإنه محق في الأمر بالتوحيد لأن العقل دل على وجوبه عندهم وإن كان مفترياً في دعوى كونه رسولاً من الله عز وجل وهذه قاعدة قد أفسدها الأدلة القاطعة فيحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون إسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشئ على مقابلة بطريق المفهوم فالمعنى إذا إن كنت مفترياً فالعقوبة واقعة بي لا تدفعونها عنى ففهموه وإن كنت محققاً وأنتم مفترون فالعقوبة واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى «قل إن افتريته فعلي إجراي وأنا يرى مما تجرمون» وأمثلة كثيرة والله أعلم ۖ قوله تعالى «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» (قال أجود ما ذكر فيه حمله على الدراية المفصلة يريد بذلك أن تفصيل ما يصير إليه من خير وبصيرون إليه من شر إلى آخره) قال أحمد بنى على أن المجرور معطوف على مثله وأنهما جميعا في صلة موصول واحد ولو قيل إن المجرور الثاني من صلة موصول محذوف معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدري ما يفعل بي ولا ما يفعل بكم لكانت لا واقعة بمكانة غير مفتقرة إلى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفصيله كثيرة ومنه فمن يهجو رسول الله منكم ۖ ويمدحه وينصره سواء ۖ يريد حسان رضي الله عنه أفن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يمدحه سواء

(قوله ولحم زيم) في الصحاح اللحم الزيم المتفرق ليس مجتمع في مكان فيدين وفيه أيضاً بدن الرجل يبدن إذا ضخم وسمن

كَانَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِيدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ

فإذا سبق ماء الرجل نزعته وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقاً ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا قال أرايتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذة الله من ذلك نخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أى على مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة فى القرآن من التوحيد والوعود والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وإنه لى زبر الأولين إن هذا لى الصحف الأولى كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتكم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فإن قلت) أخبرنى عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الأولى عاطفة لكفرتكم على فعل الشرط كما عطفته ثم فى قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتكم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتكم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد شاهد فقد عطف جملته قوله شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتكم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتكم به ونظيره قولك إن أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عنى لم تنفق فى أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثلتهما والمعنى قل أخبرونى إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به أستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الإيمان فى قوله فأمن مسيئاً عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد علته واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عاقبة من يتبع محمد السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيراً ما سبقنا اليه رعا اليهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفر ثم يقول لو أنى فترت لزدتك ضرباً وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقاً ما سبقنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه ۝ (فإن قلت) لا بد من عامل فى الظرف فى قوله (وإذ لم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل فى الظرف لتدافع دلالتى المضى والاستقبال فساوجه هذا الكلام (قلت) العامل فى إذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حيثئذ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا إفاك قديم فهذا

قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتكم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتكم (قال فيه إن قلت أخبرنى عن نظم هذا الكلام لأقف عليه من جهة النظم الخ) قال أحمد إنما لم بوجه المعطوف إلى جملة واحدة لأن التفصيل قد يكون عطف بمجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والآية وقد تقدم تقرير ذلك فى الآيتين فجذب به عهداً ۝ قوله تعالى وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفاك قديم (قال فيه لا بد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه الخ) قال أحمد إن لم يكن مانع من عمل فسيقولون فى الظرف إلا تنافى دلالتى

قَدِيمٌ ۝ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ
لِلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا

المضمر صحّ به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسيئاً عنه كما صحّ بإضمار أن قوله حتى يقول
الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (إفك قديم) كقولهم أساطير الأولين (كتاب موسى) مبتدأ
ومن قبله ظرف واقع خبراً مقدماً عليه وهو ناصب (إماماً) على الحال كقولك في الدار زيد قائماً وقرئ ومن قبله
كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إماماً قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام (ورحمة)
لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب
وقرئ مصداقاً لما بين يديه (ولساناً عربياً) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب
عن كتاب لتخصّصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة وجوز أن يكون مفعولاً لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو
الرسول ۝ وقرئ ولينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر (وبشرى) في محل النصب معطوف على محل لينذر
لأنه مفعول له ۝ قرئ حسناً بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما وإحساناً وكرهاً بالفتح والضم وهما لغتان
في معنى المشقة كالفقر والعقر وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملاً ذا كره (وحمله وفصاله)
ومدة حملة وفصاله (ثلاثون شهراً) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز
وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر ۝ وقرئ وفصله والفصل والفصال كالقطم والقطام
بناء ومعنى (فإن قلت) المراد بيان مدة الرضاع لا النظام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع بابه الفصال
وبلبسه لأنه ينتهى به ويتم سمي فصلاً كما سمي المدة بالأمد من قال

كل حى مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهى الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال ووقته وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلغ الأشدان
يسكتل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة
ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين وقيل لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة ۝

المضى والاستقبال فهذا غير مانع فإن الاستقبال هنا إنما خرج مخرج الإشعار بدوام ما وقع ومضى لأن القوم قد حرموا
الهداية وقالوا هذا إفك قديم وأساطير الأولين وغير ذلك فعنى الآية إذا وقالوا إذا لم يهتدوا به هذا إفك قديم وداموا
على ذلك وأصرروا عليه فمبر عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال كما قال إبراهيم إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين وقد
كانت الهداية واقعة ماضية ولكن أخبر عن وقوعها ثم دوامها فمبر بصيغة الاستقبال وهذا طريق الجمع بين قوله سيهدين
وقوله فى الأخرى فهو يهدين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذى ذكرته هو الوجه واسكن الفاء المسبية دلت
بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم فوجب تقدير المحذوف عاملاً فيه لينتظم بتقدير
عاملاً أمران مصادفة الظرف للعامل والفعل المعلل لعلته فتعين ما ذكره الزمخشري لأجل الفاء لالتنافى الداللتين والله
أعلم ۝ قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً (أجاز في نصبه أن يكون حالاً عن كتاب لتخصّصه بالصفة الخ) قال أحمد وجهان
حسنان أعزهما بالثالث وهو النصب على الاختصاص وهذه الوجوه فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا والله أعلم

(قوله وآتينا الذين من قبله) لعله الذين قبله (قوله كالفقر والفقر وانتصابه) فى الصحاح والفقر لغة فى الفقر كالضعف
والضعف (قوله ومود إذا انتهى أمده) أى هالك أفاده الصحاح

وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ هـ
أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَعْمَلًا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقُ الَّذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ هـ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِي أَفْ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ

والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليها نعمة عليه هـ وقبل في العمل المرضى هو الصلوات الخمس هـ (فإن قلت) مامعنى في قوله (وأصلح لي في ذريتي) (قلت) معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه هـ يجرى في عراقيها نصلي (من المسلمين) من المخلصين هـ وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء الضمير فيهما والله عز وجل وقرئ بالنون (فإن قلت) مامعنى قوله (في أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمي في عدادهم ومحل النصيب على الحال على معنى كائنين من أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعدم الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأقف بهما وقال ابعثوا إلى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهدوا لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس والذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته

هـ قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي (قال فيه فإن قلت مامعنى في ههنا وأجاب بأن المراد جعل ذريته الخ) قال أحمد ومثله قوله تعالى إلا المودة في القربى عدولا عن قوله إلا مودة القربى أو المودة للقربى والله أعلم هـ قوله تعالى والذي قال لوالديه إلى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم أن المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبي بكر الخ) قال أحمد ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبي بكر ولكننا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فإن له أن يقول أراد عبد الرحمن وأمه ومثله ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا إنه من كيد كثر إن كيد كثر عظيم فخاطبها وخاطب أمها والمقصود هي وقد عاذ إلى خطابها خصوصا بقوله واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن ما ذكره الزمخشري ثانيا فقال إن الذين حق عليهم القول هم المخلدون في النار في علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم ونقل أن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم فقال مروان أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في

اللَّهُ وَيَلَكَّ آمَنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمَلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ

ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضرر كما إذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأنيف كما خاصة ولا جملها دون غيركما وقرئ أتعذاني بنونين وأتعذاني بأحدهما وأتعذاني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعذاني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحرياً للتخفيف كما تحراه من أذغم ومن أطرح أحدهما (أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج (وقد دخلت القرون من قبلي) يعني ولم يبعث منهم أحد (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (وبلك) دعاء عليه بالشور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (في أم) نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات ماعملوا) أي منازل ومراتب من جزاء ماعملوا من الخير أو الشر ومن أجل ماعملوا منهما (فإن قلت) كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار درجات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتغال كل على الفريقين (وليوفيهم) وقرئ بالنون تعليل معلله مخدوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم لجعل الثواب درجات والعقاب درجات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل (أذهبتم) وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقبلوا ويدل عليها تفسير ابن عباس رضى الله عنه بجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها (أذهبتم طيباتكم) أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لدعوت بصلاتك وصناب وكرأكر وأمنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لسكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً وسكنى استبقى طيباتى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه

صلبه فأنت فضض من لعنة الله اه كلامه (قلت) وفي هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنسي لا يعمم لأنه لا يعامل معاملة الجمع لافى الصفة ولا فى الخبر فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا مردود بأن خبر الذى الواقع جنساً جاء على نعت خبر المجموع كما رأيت والله أعلم ۝ قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الآية (قال فيه عرضهم على النار إمام من قولهم عرض بنو فلان على السيف الخ) قال أحمد بن حنبل كان قولهم عرضت الناقة على الحوض مقولاً بفليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقولاً بالإن الملقب ثم إلى اعتقاد القلب أن الحوض جماد لا إدراك له والناقة هي المدركة فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فقد وردت النصوص بأنها حيث تدرك إدراك الحيوانات بل إدراك أولى العلم فالأمر في الآية على ظاهره كقولك عرضت الأسرى على الأمير والله أعلم

(قوله فأنت فضض من لعنة الله) فى الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض أنت فضض من لعنة الله يعنى ما انفض من لطفة الرجل وتردد فى صلبه (قوله ومن أجل ماعملوا منهما) لعله أو من أجل (قوله بصلاتك وصناب) فى الصحاح الصلات الخبز الرقاق والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب والكركرة رحي زور البعير والزور أعلى الصدر اه أخذنا من مواضع

يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ۖ وَإِذْ كُنَّا أَعَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ قَالُوا أَاجْتَمَعْنَا لِتَأْفِكِنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ۖ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى

بأخرى ويستريه كاستر السكبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أذهبتم بهمة الاستفهام وآذهبتم بالفاء بين هزتين ۖ الهون والهوان وقرئ عذاب الهوان ۖ وقرئ يفسقون بضم السين وكسرهما الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه أنحاء من أحقوق الشيء إذا أعوج وكانت عاد أصحاب عمديسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هوداً عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلعت النذر بقوله إنذار قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلعت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضاً بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا) ويكون المعنى وإذ كُرِ إِنْذَارُهُ قَوْمَهُ عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذا ذكر الإفك الصرف يقال أفكك عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتنا (بما تعدنا) من معاملة العذاب على الشرك (إن كنت) صادقاً في وعدك (فإن قلت) من أين طابق قوله تعالى (إنما العلم عند الله) جواباً لقولهم فاتنا بما تعدنا (قلت) من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا هم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواباً إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل فتقرحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأنى وشرطى أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدى ولكنكم جاهلون ولا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) في الضمير وجهان أن يرجع إلى تعدنا وأن يكون مبهماً قد وضع أمره بقوله (عارضاً) إما تمييزاً وإما حالاً وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحى والعنان من جبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفاً للسكر (بل هو) القول قبله مضمّر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أى قال الله تعالى قل (تدمر كل شيء) نهلك من نفوس عاد وأموالهم الجمل الكثير فعبّر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دماراً إذا هلك (لا ترى) الخطاب للرائى من كان وقرئ لا يرى على البناء للفعل بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهى عن الحسن رضى الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم ومنه بيت ذى الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ ألا ترى إلا مساكنهم ولا يرى إلا مساكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسائط والظئينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جراداة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها كشهب النار وروى أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم

إِلَّا مَسْكَنَهُمْ كَذَلِكَ يَجْزِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۖ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَرًا
وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَمْجِدُونَ بِتَأْيِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۖ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۖ فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ

فقلعت الريح الأبواب وصرعهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لم أنين ثم كشفت
الريح عنهم فاحتملهم فطرحهم في البحر وروى أن هوداً لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً إلى جنب
عين تسع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود
وتلذذ الأنفس وأنها تمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان
إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا
رأى تخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يارسول الله ماتخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد
حيث قالوا هذا عارض بمطربنا (فإن قلت) ما فائدة إضافة الرب إلى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أختها بما
يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكبر جنوده وذكرا لا مروكونها مأمورة من جهته عز وجل يعضد ذلك ويقويه
(أن) نافية أي فيما ما مكنناكم فيه إلا أن أحسن في اللفظ لمافيها بجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله يجنب ألا ترى
أن الأصل في مهمما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله ۖ لعمر ك ما ما بان منك لضارب ۖ وما
ضربه لو اقتدى بعدوبة لفظ التنزيل فقال لعمر ك ما أن بان منك لضارب وقد جعلت أن صلة مثلها فيما أنشدته الأخفش
يرجى المرء ما إن لا يراه ۖ وتعرض دون أدناه الخطوب ۖ وتقول بأنا مكنناهم في مثل ما مكنناكم فيه والوجه هو الأول
ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأكثر إثارة وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث
على الاعتبار (من شيء) أي من شيء من الإغواء وهو القليل منه (فإن قلت) بم انتصب (إذ كانوا يمجدون) (قلت) بقوله
تعالى فما أغنى (فإن قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته
إذا أساء لك إذا ضربته في رقت إساءته في ما ضربته فيه لولا أن إذ وحيث غلبت دون سائر الظروف في ذلك
(ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون)

ۖ قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكنناكم فيه الخ (قال أحمد بيت المتنبي ليس كما أنشدته وإنما هو كما يروى :

لعمر ك ما ما بان منك لضارب ۖ بأقتل ما بان منك لغائب

ولا يستقيم إلا كذلك لأن قبله هو ابن رسول الله وابن صفيه ۖ وشبههما شبهت بعد التجارب

من نصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي ولو أتى أبو الطيب عوض ما بان لجاء البيت

يرى أن إن ما بان منك لضارب ۖ وهذا التكرار أثقل من تكرار ما بلا مرأه وإنما فائدة الزخشرى وألزمه استعمال

أن عوض ما لا اعتقاده أن البيت كما أنشدته لعمر ك ما ما بان منك لضارب ۖ بأقتل ما بان منك لغائب

ولو عوض إن عوض ما كما أصلحه الزخشرى لزم دخول الباء في خبرها وإنما تدخل الباء في خبر ما الحجازية العاملة وإن

لا تعمل عمل ما على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء في خبرها فما عدل المتنبي عن ذلك إلا لتعذره عليه من كل وجه

على أني لأبرئ المتنبي من التجرف فإنه كان مغرئ به مغرماً بالغريب من النظم ونقل الزخشرى في الآية وجهاً آخر

وهو جعلها صلة مثلها في قوله يرجى المرء ما إن لا يراه ۖ وتعرض دون أدناه الخطوب ۖ قال ويكون معناه على هذا

مكنناهم في مثل ما مكنناكم الخ (قلت) واختص بهذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي

(قوله ولقد أغث أبو الطيب) في الصحاح أغث أي ردو وفسد تقول أغث الرجل في منطقه

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۖ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝

القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين المخذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهنا منعهم من إهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرتهم (وذلك) إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والإفك كالخذر والحذر وقرئ وذلك إفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ إفكهم على التشديد للبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك (صرفنا إليك نفرا) أملناهم إليك وأقبلناهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا (فلما حضروه) الضمير (للقرآن) أي فلما كان يسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) استمعوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجعوا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبي حدث ففض سبعة نفر أو تسعة من أشرف جن نصيين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أوفى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلوا في صلاته فغروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فأنطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخطبني خطبا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستغفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة

خلقهم هو أشد منهم قوة وقوله مكناهم في الأرض مالم نمك لكم ۖ قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الموصول المخذوف الخ) قال أحد لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب ونحن ننبه فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لأن السبد إذا وبخ عبده وقال اتخذ فلانا سيذا دوني فأبما معناه اللوم على نسبة السيادة إلى غيره وليس هذا المقصد فإن الله تعالى يتقرب إليه ولا يتقرب به لغيره فأبما وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى فكان حق

(قوله اتخذ الراجع إلى الذين المخذوف) هو الذي أبرزه في قوله أي اتخذوهم (قوله وذلك مما كانوا يفترون) لعله ما كانوا (قوله فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعله فوافقا (قوله مستغفري ثياب بيض) قوله مستغفري الخ في القاموس الاستغفار أن يدخل إزاره بين نخذه ملويا وإدخال الكلب ذنبه بين نخذه حتى يلزقه ببطنه اه

يَقُومَنَّ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِزْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدَرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّمَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ۚ

التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فإن قلت) كيف قالوا من (بعد موسى) (قلت) عن عطاء رضى الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى ۚ (فإن قلت) لم بعض في قوله (من ذنوبكم) (قلت) لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وجل أن عبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فإن قلت) هل للجن ثواب كما للإنس (قلت) اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله تعالى (ويجركم من عذاب أليم) وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم (فليس بمعجز في الأرض) أى لا ينبغي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وأناظن أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً (بقادر) محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتغال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقاتم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقترنة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ۚ ويقال عيت بالامر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعبنا بالخلق الأول (أليس هذا بالحق) محكى بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر و (من) يجوز أن تكون للتبعية ويراد بأولى العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده وإسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه لما مدركون قال كلا إن معى ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لينة على لينة وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل) لسكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وإنهم مستقصدون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوا (ساعة من نهار بلاغ) أى هذا الذى وعظمت به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) إلا الخارجون عن الاعتاض به والعمل بموجبه ويدل على معنى

الكلام أن يكون آلهة هو المفعول الثاني لا غير ۚ قوله تعالى يا قومنا أجيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم الآية (قال) إنما بعض المغفرة لأن من الذنوب ما لا يغفره الإيمان كذنوب المظالم اه كلامه) قال أحمد ليس ما أطلقه من أن الإيمان لا يغفر المظالم بصحيح لأن الحربى لو نهب الأموال المصونة وسفك الدماء المحقونة ثم حسن إسلامه وجب الإسلام عنه إثم ما تقدم بلا إشكال ويقال إنه ما وعد المغفرة الكافر على تقدير الإيمان في كتاب الله تعالى إلا مبعضة وهذا منه فإن لم يكن لا طراده بذلك سرفا هو إلا أن مقام الكافر قبض لا بسط فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب وقد ورد في حق المؤمنين مثله كثير والله أعلم

سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : مدنية

إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ

التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعد بن جبير مكية وهى سورة القتال وهى تسع وثلاثون آية وقيل ثمان (بسم الله الرحمن الرحيم) وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضى الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام وبأمر ونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي بمضيعة لأرب لها يحفظها ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وأعمالهم ماعلوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ماعلوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليه وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قریش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام وقوله (وآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) اختصاص الإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الإيمان تعظيماً ل شأنه وتعليلاً لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء للفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كاذب بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوباً على هذا ومر فوعا على الأول

(القول في سورة محمد صلى الله عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۝ (قال معناه جعلها كالضالة من الإبل الخ) قال أحد هذا المعنى الثاني حسن متمكن ملىء بمقابلة قوله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ قَالَ كَفَر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم وتحرير المقابلة بينهما أن الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي حتى صار صالحهم مستهلكاً في غمار سيئهم ومقابلة في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفراً بمحققاً في جنب صالح أعمالهم وإلى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيئ أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى ۝ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝ والله أعلم

الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ
فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرُّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مِنْهُمَا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ

(والباطل) ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (وكذلك) مثل ذلك الضرب
(يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس
ليعتبروا بهم (فإن قلت) أين ضرب الأمثال (قلت) في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين
أو في أن جعل الإضلال مثلاً لحية الكفار وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين (لقيتهم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب
الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً مخدفاً للفعل وقدم المصدر فأنيب مناه مضافاً إلى المفعول فيه اختصاراً مع إعطاء معنى
التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب
خاصة دون غيرها من الأجزاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه
إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبة فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب بغير رقبة من المقاتل كما ذكرنا
في قوله بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة
وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق
الأعناق واضربوا منهم كل بنان (أتختمهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموه بالقتل
والجراح حتى أذهبتم عنهم النعوض (فشدوا الوتاق) فأسروهم والوتاق بالفتح والسكر اسم ما يوثق به من أوثاق منسوبة إلى
بعضهم مضمرب أي فإماتتمون منا وإما تفدون فداء والمغز التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم
(فإن قلت) كيف حكم أسارى المشركين (قلت) أمّا عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إمّا قتلهم وإمّا الاسترقاقهم أي همارأي
الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء وإنما
هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمتن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية
وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادى بأسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه
لا يرى فداءهم للأمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حرباً للمسلمين وأمّا الشافعي فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب
ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من على أبي عروة الحجبي وعلى بن أمثال الحنفي وفادى رجلاً برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ
فدى بالقصر مع فتح الفاء أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكرع قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها • رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جزائها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها
آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فإن قلت) حتى بهم تعلقت (قلت)
لا تخلوا إيماناً تتعلق بالضرب والشد أو بالمتن والفداء فاعني على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون
على ذلك أبداً إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة وقيل إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام
وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد فاعني أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار
وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين وإذا علق بالمتن والفداء فاعني أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها

(قوله وضرب ما فيه عيناه) لعلة كناية عن رأسه أو عن وجهه (قوله لما فيه من تصوير القتل) لعلة لما فيها

(قوله وهو القتل والاسترقاق) لعلة وهي

الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَالْكَافِرُونَ لَيَبْلُوَنَّكُمْ بَعْضُ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَبِيلَهُمْ وَيُصْلِحَ بِهِمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۖ يَسْأَلُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصَرُكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ۖ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۖ

إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك (لا انتصر منهم) لا انتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ماوجب لهم من العذاب ۖ وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا ۖ وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للفعول ويضل أعمالهم من ضلّ وعن قيادة أنها نزلت في يوم أحد (عرفها لهم) أعلمها لهم وبيننا بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدى أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل إن الملك الذى وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القمارى وعرف كفوح القمارى أو حدها لهم نجاة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرفها والعرف والارف الحدود (إن تنصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسأهم) كأنه قال أنعس الذين كفروا ۖ (فإن قلت) علام عطف قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذى نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسأهم أو ففضى تعسأهم وتعسأه نقض لعاله قال الأعشى ۖ بالتعس أولى لها من أن أقول لها ۖ يريد فالغور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردد في النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذفق عليهم ذلك وتعاضلهم ۖ دمره أهلكتهم ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عزّ وعلا سنة الله في الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولى الذين آمنوا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشيت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم يوم والحرب سجال إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون (فإن قلت) قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لأن الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) يتنعمون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين

(قوله عزف كنوح القمارى) العزف الغناء والقمارى جمع قمرى اسم طير والعود القمارى منسوب إلى موضع يبلا دل الهند أفاده الصحاح

وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۖ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَذِبًا زَيْنَ لَهٗ سَوَاءٌ عَمَلُهُ وَاتَّبَعُوهَا هِيَ أَوْ آتَاهُمْ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ

غير مفكرين في العاقبة (كما تأكل الأنعام) في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدد من النحر والذبح (مثنوى لهم) منزل ومقام ۖ وقرئ وكائن بوزن كاعن ۖ وأراد بالقريّة أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) (كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم ۖ ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك ۖ (فإن قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وإنما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بيعة من ربه أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بيعة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا) للحمل على لفظ من ومعناه ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد في النار (قلت) هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلسله وهو قوله تعالى أفمن كان على بيعة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أى كمثل جزاء من هو خالد في النار (فإن قلت) فلم عرى من حرف الإنكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبيعة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من ثبت التسوية بين الجنة التي تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل أفرح أن أرزأ الكرام وأن ۖ أورت ذودا شصا نصا نبلا

هو كلام منكسر للفرح برزية الكرام ووراثه الذود مع تعريه عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أفرح بموت أخيك وبوراثه إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزاة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلها قال ومماثلها فليل فيها أنهار وأن يكون

ۖ قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الآية (قال فيه هو كلام في صورة الإثبات ومعناه النفي الخ) قال أحمد كم ذكر الناس في تأويل هذه الآية فلم أر أظلي ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها لا يعوزها إلا التنبيه على أن في الكلام محذوفا لا بد من تقديره لأنه لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين في النار إلا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كفتاه ۖ ومن هذا النمط قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله فإنه لا بد من تقدير محذوف مع الأول والثاني ليتعادل القسمان وبهذا الذي قدرته في الآية ينطبق آخر الكلام على أوله فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسبيّة والراكب للهوى بعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين وهو من وادى تنظير السبيّة بنفسه باعتبار حالتي أحدهما أوضح في البيان من الأخرى فإن المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة بالمنع للهوى هو المعذب في النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولا وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

(قوله وكائن بوزن كاعن) في الصحاح كائن معناها معنى كم في الخبر والاستفهام وفيه الغتان كائن مثال كعين وكائن مثال كاعن اه (قوله ما أزن به) أى أنهم أفاده الصحاح (قوله ذودا يقل طائله) لأن الشصا نص قليلات اللبن والنبل السكبار من الإبل والصغار منها أيضا فهو من الأضداد أفاده الصحاح (قوله هي فيها) لعله أى هي فيها

وَأَنهَرُ مَنْ لَبِنَ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَرُ مَنْ خَرَّ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرُ مَنْ عَسَلَ مَصْفًى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ فَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

في موضع الحال أى مستقرة فيها أنها روى قراءة على رضى الله عنه أمثال الجنة أى ماصفاتا كصفات النار ۖ وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد ابن زيد بن معاوية

لقد سقتني رضا بغير ذى أسن ۖ كالمسك فت على ماء العناقيد

(من لبن لم يتغير طعمه) كما تغير ألوان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا مايكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذ وهو اللذيد أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة أى لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا اللذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (مصفى) لم يخرج من بطون التحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميا) قيل إذا دنا منهم شوى وجومهم وانما زت فروة رؤسهم فإذا شربوه قطع أمعائهم ۖ هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالآثاناه ومنهم فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا غاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (آنفا) وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال فى أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالنوفيق (وآناهم تقواهم) أعانهم عليها أو آناهم جزاء تقواهم وعن السدى بين لهم ما يتقون وقرئ واعظاهم وقيل الضمير هم زادهم لقول الرسول أو الاستهزاء المنافقين (أن تأتيتهم بدل اشتغال من الساعة نحو أن تطوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتيتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهى فى مصاحف أهل مكة كذلك (فإن قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله فأنى لهم ومعناه أن تأتيتهم الساعة فكيف لهم ذكرهم أى تذكرهم وآنعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعنى لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يذكّر الإنسان وأنى له الذكرى (فإن قلت) بهم يتصل قوله (فقد جاء أشراطها) على القراءتين (قلت) بآتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمنى زيد فأنا تحقيق بالاكرام أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الأسود فإن كنت قد أزمعت بالصرم نيتنا ۖ فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللثام ۖ وقرئ بغتة بوزن جربة وهى غريبة لم ترد فى المصادر أختها وهى مروية عن أبي عمرو وما أخوفنى أن تكون غلظة من الراوى على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم ۖ لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما

(قوله ولا حاذرا ولا مايكره) لعله مخدوف وأصله حازر بالزاي وفى الصحاح الحاذر اللبن الحامض (قوله وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف) لعله بالضم (قوله بغتة بوزن جربة وهى غريبة) فى القاموس الجربة محركة مشددة جماعة الحراء وفى الصحاح الجربة بالفتح بغتة وتشديد الباء العانة من الخمر وفيه أيضا العانة القطيع من حمر الوحش

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فثبت على ما أنت عليه من العلم بوحداية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك ۖ والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معاشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله تحقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعملوا إنما الحياة الدنيا لعب وهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة ثم أمر بالعمل بعد ۖ كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) في معنى الجهاد (فإذا أنزلت) وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبدئة غير متشابهة لاتحمل وجهها إلا وجوب القتال وعن قيادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي المحدثنة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أوتيت غير منسوخة وفي قراءة عبدالله سورة محدثة وقرئ فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين في قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام (نظر المغشى عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولئك لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف (فإذا عزم الأمر) أي جد والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر إسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الأمور (فلو صدقوا الله) فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه أسنتهم ۖ عسيت وعسيت لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد (فإن قلت) ما معنى فهل عسيت أن تفسدوا في الأرض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الإفساد (فإن قلت) فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لماعد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليت أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من الخبايا (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل إن أعرستم وتوليت عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتجاوز

(قوله وحرصوا عليه كاعوا) في الصحاح كاع الكلب يكوع أي مشى على كوعه في الرمل من شدة الحر

قُلُوبَ أَقْفَالُهَا ۖ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْتَضَىٰ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۚ

والتأهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا وواد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توليت أي إن تولاكم ولاية غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم يفسادهم ۚ وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطيع (أولئك) إشارة إلى المذكورين (لعنهم الله) لإفسادهم وقطعهم الأرحام فتنعهم أطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعدة وعصوا عن إبطار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخالص الثابتين وأنهم يتشفون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم فإذا أزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من المواظ والواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قتادة إذا والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمشابهة فهلكوا (فإن قلت) لم تنكرت القلوب وأضيفت الأفعال إليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين وأما إضافة الأفعال فلأنه يريد الأفعال المختصة بها وهي أفعال الكفر التي استغفلت فلا تفتح وقرئ إقفالها على المصدر (الشيطان سؤل لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الإذن كقولك إن زيدا عمرو مر به . سؤل لهم سهل لهم ركوب العظام من السؤل وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لاعلمه بالنصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم) ومد لهم في الآمال والأمانى وقرئ وأملى لهم يعني إن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى إنما نملى لهم وقرئ وأملى لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم وقرئ سؤل لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فإن قلت) من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعت في التوراة وقيل هم المنافقون ۚ الذين قالوا اليهود ۚ والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لخرجتم معكم ۚ وقيل بعض الأمر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للبشركين سنطيعكم في النظار على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعودة عن الجهاد معه ومعنى (في بعض الأمر) في بعض ما تأمرون به أو في بعض الأمر الذي يهكمم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ أسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاء الله عليهم ۚ فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت إحدى تاءيه كقوله تعالى إن الذي توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (ذلك) إشارة إلى التوفى الموصوف (ما أسخط) الله من كتابان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و(رضوانه) الإيمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم

ۚ قوله تعالى الشيطان سؤل لهم (قال فيه هو مشتق من السؤل وهو الاسترخاء أي سهل لهم ركوب العظام قال وقد اشتقه من السؤل من لاعلم له بالنصريف والاشتقاق جميعا) قلت لأن السؤل مهموز وسؤل معتل ۚ قوله تعالى

(قوله وقرئ وليتم) لعله بالبناء للجهول وكذا توليت في قراءة علي (قوله وقد اشتقه من السؤل) لعله هنا بالهمز (قوله وقرئ سؤل لهم) لعله بالبناء للجهول (قوله وقيل هم المنافقون الذين قالوا) التلاوة ذلك بأنهم قالوا ولعل عبارة المفسر الذين قالوا اليهود الخ فلفظ القايلون من زيادة الناسخ سهوا

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمِهِمْ
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۖ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وإخراجها إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي
حنقا عليهم (لأريناكم) لعرفناكم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك (بسيامهم) بعلامتهم وهو أن
يسمهم الله تعالى بعلامة تعلقون بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية
شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيامهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكروهم الناس فناموا ذات
ليلة وأصبحوا وعلى جهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق (فإن قلت) أى فريق بين اللامين في فلعرقتهم ولتعرفتهم
(قلت) الأولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكم كهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفتهم فواقعة مع
النون فى جواب قسم محذوف (فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم مالنا إن أطعنا من الثواب
ولا يقولون ماعلينا إن عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله إلى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك
كالعرض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكىما تفقهوا ۖ واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقيل بالمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنها
من قبيحها لأن الخبر على حسب الخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقيح ۖ وقرئ يعقوب ونبلو بسكون الواو
على معنى ونحن نبلو أخباركم ۖ وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم
لا تبلى فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (وسيجبط أعمالهم) التى عملوها فى دينهم يرجون بها الثواب
لأنهم مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أوسيجبط أعمالهم التى عملوها والمكاييد التى نصبوها
فى مشاققة الرسول أى سيطلتها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستنصرون بها ولا يشر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم
وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر (ولا تبطلوا أعمالكم) أى لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبى إلى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبى العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون
أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكاوا يخافون الكبائر على أعمالهم

«ولا تبطلوا أعمالكم» قال فيه معناه لا تحبطوا الطاعات بالكبائر الخ قال أحمد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر
مادون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة لأن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما
نعم يقولون إن الحسنات يذهبن السيئات كما وعد به الكريم جلّ وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة
تحبط ما تقدمها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر لأنهم يقطعون بخلود الفاسق فى النار وسلب سمة الإيمان عنه
ومتى خلد فى النار لم تنفع طاعاته ولا إيمانه فعلى هذا بنى الزحشرى كلامه وجلب الآثار التى فى بعضها موافقة فى الظاهر
لمعتقده ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل لأن القاعدة المتقدمة ثابتة قطعاً بأدلة اقتضت ذلك يحاشى كل معتبر فى الحل
والعقد عن مخالفتها فهم ماورد من ظاهر يخالفها وجب ردّه إليها بوجه من التأويل فإن كان نصاً لا يقبل التأويل فالطريق
فى ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه والتوريك بالغلط على النقلة على أن الأثر المذكور عن ابن عمر هو أولى بأن يدل
ظاهره لاهل السنة فتأمله وأما حمل الآية عند أهل الحق فعلى أن النهى عن الإخلال بشرط من شروط العمل وبركن يقتضى
بطلانه من أصله لأنه يبطل بعد استجماعه شرائط الصحة والقبول

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۖ فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَغْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَ أَعْمَالَكُمْ ۖ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۖ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفَفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۖ هَـٰذَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْثِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَنُفِثَ مِنْ بَيْنِكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۖ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۖ

وعن حذيفة نخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فسكننا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصيبها وعن قيادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القلب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تذللوا للعدو (و) لا (تدعو إلى السلم) وقرئ السلم وهما المسالمة (وأنتم الأغليون) أي الأغليون الأفهرون (والله معكم) أي ناصركم وعن قيادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتهما بالموادعة ۖ وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا إذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي أو منصوب لإخمار إن ونحو قوله تعالى وأنتم الأغليون قوله تعالى إنك أنت الأعلى (ولن يترككم) من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الوتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد عنهم قتيلا ونهبا (يؤتكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسألكم) أي ولا يسألكم جميعها وإنما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال (إن يسألكموها فيحففكم) أي يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسئلة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفي شاربها إذا استأصله (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل أي يضغفكم بطلب أموالكم أو للبخل لأنه سبب الاضطغان ۖ وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون (لننفقوا في سبيل الله) قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخاتم وكرهتم العطاء وضطغنتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر فنكم ناس يبخلون به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وإنما (يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضمنت عليه وعنه ۖ ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه فهو الغنى الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب (وإن تتولوا) معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) بخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى «ويأت بخلق جديد» وقيل هم الملائكة وقيل الأنصار

(قوله فقلنا الكبائر الموجبات) عبارة الخازن الكبير والفواحش (قوله أي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصالح الضغن الحقد وتضاغن القوم واضطغنونوا الطوروا على الأحقاد

سورة الفتح مدنية

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ

وعن ابن عباس كسدة والنخع وعن الحسن العجمي وعن عكرمة فارس والرم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لالتوا وله رجال من فارس وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح : مدنية : وهي تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجمي به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (فإن قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عتد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد للعدو سبيل للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق مالم يظفر به فإذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المشركين حتى أدخلوا في ديارهم وعن الكلبي ظهر وأعليهم حتى سألو الصلح (فإن قلت) كيف يكون فتحاً وقد أحصروا فتحوا وحلّقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحاً مبيناً وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعاً فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصدهدنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوك عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة مالم يصب في غزوة أصاب أن يبيع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى

القول في سورة الفتح

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ » الآية (قال فيه جاء الإخبار بالفتح على لفظ الماضي وإن لم يقع بعد لأن المراد فتح مكة والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح وذلك على عادة رب العزة في أخباره لأنها كانت محققة نزلت بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (قلت) ومن الفخامة الالتفات من التكلم إلى الغيبة ۝ عاد كلامه (قال) فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة وأجاب بأن ذلك علة لاجتماع ما عتد من الأمور الأربعة المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ۝ قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهاداً وعبادة سبباً للغفران

(قوله علو شأن المخبر) لعله المخبر به وعبرة النسب في المخبر عنه (قوله عن بلادهم بالراح) في الصحاح الراح الخمر والراح جمع راحة وهي الكف والراح الارتياح اه والظاهر هنا الثالث

عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بِسُكْرٍ

لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فحاش بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خير وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحتها ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بيننا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاح وهو الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (نصرأ عزيرًا) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور إسنادًا مجازيًا أو عزيرًا أصحابه (السكينة) السكون كالبينة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمانينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينًا إلى يقينهم وأنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع (ليزدادوا إيمانًا) بالشرائع مقررونا إلى إيمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا إيمانًا إلى إيمانهم أو أنزل فيها الوفاق والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانًا إلى إيمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليراحوا فيزداد إيمانهم (ولله جنود السموات والأرض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه عليه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديدية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكروهه ۝ وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضى الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) أي ما يظنونونه ويترصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويستخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فإن قلت) هل من فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالسكر والسكر والضعف والضعف من ساء إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذمومًا وكانت الدائرة محودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصيح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عزّ وعلا إن أراد بكم سوا أو أراد بكم رحمة (شاهدا) تشهد على أمتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (ليؤمنوا) الضمير للناس

وَأَصِيلًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ جَزَاءٌ عَظِيمٌ ۚ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا
يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ

(ويعزروه) ويقووه بالنصرة (ويوقروه) ويعظموه (ويسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل
والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد ۚ وقرئ لتؤمّنوا وتعزروه
وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمنته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه
بضم التاء والتخفيف وتعزروه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله (بكرة وأصيلًا) عن ابن عباس
رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر ۚ لما قال (إنما يبايعون الله) أكدته تأكيداً على طريق التخييل
فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله التي تعلوا بأيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن
صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى
من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان (فإنما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه لإعليه قال جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفرّ فما نكث أحد منا البيعة إلا وجد بن
قيس وكان منافقاً اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم ۚ وقرئ (إنما يبايعون الله) أي لأجل الله ولوجهه ۚ وقرئ
ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد (فستؤنيه) بالنون والياء يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهي لغة تهامة
ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهنة وأشجع
وأسلم والدبل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول
المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم
هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حرباً فتناقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم قد
غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم
وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم وقرئ شغلنا بالتشديد (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في
اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون وإنما هو الشك في الله والتناقض وطلبهم للاستغفار أيضاً ليس
بصادر عن حقيقة (فمن يملك لكم) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إن أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم
نفعاً) من ظفر وغنمة وقرئ ضراً بالفتح والضم . الأهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كأرض

ۚ قوله تعالى وإن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ۚ (قال فيه لما قال إنما يبايعون الله أكدته
تأكيداً على طريق التخييل الخ) قال أحمد كلام حسن بعد إسقاط لفظ التخييل وإبداله بالتمثيل وقد تقدمت أمثاله
ۚ قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً (قال أي قتلًا وهزيمة أو أراد بكم نفعاً أي ظفراً وغنمة انتهى
كلامه) قال أحمد لا تخلو الآية من الفن المعروف عند علماء البيان باللف وكان الأصل والله أعلم فمن يملك لكم من
الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ومن يحرمكم النفع إن أراد بكم نفعاً لأن مثل هذا النظم يستعمل في الضر وكذلك ورد في الكتاب
العزير مطرداً كقوله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله
شيئاً فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في بعض الحديث إننى لأملك شيئاً

(قوله وقرئ لتؤمّنوا وتعزروه) يفيد أن قراءة الباء هي المشهورة وقد تشير إلى تفريق الضمائر قراءة وتسبحوا الله الآية
(قوله قد غزوه في عقر داره) في المصباح عقر الدار أصلها وهو محلة القوم وأهل المدينة يقولون عقر الدار بالضم

كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۖ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزِينَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سُوًّا ۖ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۖ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۖ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لَّنَا خِذُوا هَٰذَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرَةٌ إِلَىٰ

وأرضات وقد جاء أهله وأما أهل فاسم جمع كليل وقرئ إلى أهلهم وزين على الباء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم أعمالهم ، والبور من بار كالحلك من هلك ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائد وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه (للكافرين) مقام مقام لهم الإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ، ونسك (سعي) لأنها نار مخصوصة كانسك نار اتظلي (ولله ملك السموات والأرض) يديره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للنايب وتعذيب المصر (وكان الله غفورا رحيما) رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتنايب الكبار ويغفر الكبائر بالتوبة (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) الذين تخلفوا عن الحديدية (إذا انطلقتم إلى مغائم) إلى غنائم خبير (أن يبدلوا كلام الله) وقرئ كلم الله أن يغيروا موعده الله لأهل الحديدية وذلك أنه وعدمهم أن يعقوبهم من مغائم مكة مغائم خبير إذا قفلوا مواعدين لا يصيدون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا (تحسدونا) أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرهما (لا يفقهون) لا يفهمون إلا فهما (قليلا) وهو فظنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (فإن قلت) ما الفرق بين حرق الإضراب (قلت) الأول إضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم

يخاطب عشيرته وأمثاله كثيرة وسر اختصاصه بدفع المضرة أن الملك مضاف في هذه المواضع باللام ودفع المضرة نفع يضاف للدفع عنه وليس كذلك حرمان المنفعة فإنه ضرر عائد عليه لاله فإذا ظهر ذلك فإنما انتظمت الآية على هذا الوجه لأن القسمين يشتركان في أن كل واحد منهما في دفع المقدر من خير وشر فلما تقاربا أدرجهما في عبارة واحدة وخص عبارة دفع الضرر لأنه هو المتوقع لهؤلاء إذ الآية في سياق التهديد أو الوعيد الشديد وهي نظير قوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة فإن العصمة إنما تكون من سوء لا من الرحمة فهاتان الآيتان يرمان في التقرير الذي ذكرته والله أعلم ۖ قوله تعالى والله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (قال فيه يغفر ويعذب بمشيئته الخ) قال أحمد قد تقدمت أمثاله والقول بأن موجب الحكمة ما ذكر تحكم هذا وأدلة الشرع القاطعة تأتي على ما يعتقده فلا تبقى ولا تدر فكم من دليل على أن المغفرة لا تقف على التوبة وكم يروم اتباع القرآن للرأى الفاسد فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق ۖ قوله تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغائم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدونا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (قال المراد بكلام الله وعده أهل الحديدية بغنائم خبير عوضا عما يفوتهم من غنائم مكة الخ) قال أحمد فالإضراب الأول إذا هو المعروف والثاني هو المستغرب المستعذب الذي ليس فيه مباينة بين الأول والثاني بل زيادة بينة ومباغة متمسكة وإنما كان المنسوب إليهم ثانيا أشد من المنسوب إليهم أولا لأن الأول نسبة إلى جهل في شيء مخصوص وهو نسبتهم الحسداني المؤمنين والثاني يعتبر بجهل على الإطلاق وقلة فهم على الاسترسال

قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَقُولْ يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۚ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً

وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للخالفين) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (إلى قوم أولى بأس شديد) يعني بني حنيفة قوم مسيلة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب والمتردين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوم تعالى فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً وقيل هم فارس والروم ومعنى (يسلمون) يتقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء الجزية (فإن قلت) عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) إن صح ذلك فالعنى لن تخرجوا معي أبداً مادمت على ما أتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم (كما توليتم من قبل) يريد في غزوة الحديبية ۚ أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لاثالث لها وفي قراءة أبي ۚ أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا ۚ نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات في التخلف عن الغزو ۚ وقرئ تدخله ونعذبه بالنون ۚ هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فنهه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي ليأهم وما بمكة عدوى يمنعني ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه يخبرهم أنه لم يأت بحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمة فوقوه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى تناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه ويدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلاثمائة (فعلم ما في قلوبهم) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة والأمن بسبب الصالح على قلوبهم (وأثابهم فتحا قريبا) وقرئ وآناهم وهو فتح خير غلب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجره وهو أجل فتح اتسعوا بشمرها زمانا (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغنم خير وكانت أرض ذات عقار

(قوله جواس) قوله جواس الذى فى أبى السعد وفى الشهاب خراش بالخاء والراء والشين اه ماخصا من هاهنا وكذا فى النسفى والخازن (قوله ذات عقار) فى الصحاح العقار بالفح الأرض والضياع والنخل

يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَآخَرَى لَمْ تَقْدُرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ قَاتَلَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ

وأموال قسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق (وعدكم الله مغانم كثيرة) وهى ما بقى على المؤمنين إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفاؤهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقفز الله فى قلوبهم الرعب فنكسوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى منامه ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحى فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وأخرى) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدرواعليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم تقدرُوا عليها لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدرُوا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدرُوا وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ والجز بإضمار رب ۝ (فإن قلت) قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه (قلت) هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا (ولوقاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغللبوا وانهمزوا (سنة الله) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لأعلن أناورسلى (أيديهم) أيدى أهل مكة أى قضى بينهم وبينكم المكافاة والمجازرة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبوحنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لاصلاحا وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت ۝ وقرئ تعملون بالتاء والياء ۝ قرئ والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى السكة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم أى صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدى (معكوبا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل لآبى حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم (فإن قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروى أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومضلاه فى الحرم (فإن قلت) فإذا نحر فى الحرم فلم قيل معكوبا أن يبلغ محله (قلت) المراد المحل المعهود وهو منى (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (وأن تطوهم) بدل اشتغالهم منهم

مَعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى

أو من الضمير المنصوب في تعلوهم والمعرفة مفعلة من عره بمعنى عراه إذا دهاه ما يكره ويشق عليه و (بغير علم) متعلق بأن تطوهم يعني أن تطوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال ووطننا ووطأ على حق ه ووطأ المقيد ثابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن آخر وطأة ووطأها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين يختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفين إلا ما كن قفيل ولولا كراهة أن يهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلا كهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لوتزايلا كالتكرير للرجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فإن قلت) أي معرفة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء حالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير (فإن قلت) قوله تعالى (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لما ذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخيرو الطاعة مؤمنهم أولي دخل في الإسلام من رغب فيه من مشركهم (لوتزايلا) لوتفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لوتزايلا (إذ) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكنة المؤمنين والحمية الأنفة والسكنة الوقار ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويط بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن كتب باسمك اللهم ثم قال كتب هذا اصالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام كتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشتموا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و (كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبه وللذين معه أهل الخير ومستحقه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رضي الله عنه كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى ه وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب

ه قوله تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلوهم إلى قوله لوتزايلا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (قال فيه يجوز أن يكون جواب لولا بخوف الخ) قال أحمد وإنما كان مرجعها ههنا واحدا وإن كانت لولاتل على امتناع لوجود ولواتل على امتناع لا امتناع وبين هذين تناف ظاهر لأن لولا ههنا دخلت على وجود ولودخلت على قوله تزيلا وهو راجع إلى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فالأمر واحد من هذا الوجه وكان جدي رحمه الله يختار هذا الوجه الثاني ويسميه نظرية وأكثر ما تسكون إذا تطاول الكلام وبعد عهدا وله واجتنب إلى رد الآخر على الأول فرة يطرى بلفظه ومرة بلفظ آخر يؤدي مؤداه وقد تقدمت لها أمثال والله أعلم وهو الموفق

(قوله بمعنى عراه إذا دهاه) عبارة الصحاح بلفظها هو يعرقومه أي يدخل عليهم مكروها يلطخهم به والمعزة الإثم (قوله ووطأ المقيد ثابت الهرم) لعله نابت بالنون والهرم بالتسكين نبت وهو ضرب من الخوص ترعاه الإبل كما في الصحاح

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ۝ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيداً ۝ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً

عبدالله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج ۝ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبدالله بن أبي وعبدالله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقتنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله رسوله الرؤيا) صدقه في رؤياه ولم يكذبته تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علواً كبيراً لحذف الجاز وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه ۝ (فإن قلت) بهم تعلق (بالحق) (قلت) إتما بصدق أى صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقاً ملتبساً بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالاً منها أى صدقه الرؤيا ملتبساً بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسماً إتما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالذي هو من أسمائه و (لندخان) جوابه وعلى الأول هو جواب قسم محذوف ۝ (فإن قلت) ما وجه دخول (إن شاء الله) في أخبار الله عز وجل (قلت) فيه وجوه أن يتعلق عدته بالمشيئة تعلمها لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لندخان جميعاً إن شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحاً قريباً) وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى ديناً قط إلا والإسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقبض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة (وكفى بالله شهيداً) على أن ما وعده كائن عن الحسن رضى الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد) إما خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله وإمامتداً ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلب عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن رضى الله عنه بلغ من تشدهم على الكفار وأنهم كانوا يتحززون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صاحبه وعانقه والمصاحفة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك التقييل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئاً من جسده وقد رخص أبو يوسف في المعانقة من حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه

(قوله أى صدقه الرؤيا ملتبساً) لعله ملتبسة (قوله إنه سيظهر دينك) لعله دينه كعبارة النسفي

سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝

ويعاشرُوا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتفال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ أشداه ورحمائه بالنصب أن يصبهما على المدح أو على الحال بالمقدّر في معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيما والمراد بها السمة التي تحدث في جهة السجود من كثرة السجود وقوله تعالى (من أثر السجود) يفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملأك يقال له ذوالثفتان لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفتان البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه (فإن قلت) فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلقوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود فقال إن صورة وجهك أنفك فلا تعلق وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك إذا اعتمد بجبهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدثت في جهة السجود الذي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنافلي فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركة البعير فما ندري أنفك الأروس أم خشدت الأرض وإنما أراد بذلك من تعدد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الأرض وعن عطاء رحمه الله استنارت وجوههم من طول ماصلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريدهم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدئ ومثلهم في الإنجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمّة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ۝ وقرئ الإنجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال شطا الزرع إذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطأه بتخفيف الهمزة وشطأه بالمد والسطه بخذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها وواو (فآزره) من المؤازرة وهي المعاونة وعن الأخفش أنه أفعل وقرئ فآزره بالتخفيف والتشديد أي فشدّ أزره وقواه ومن جعل أزرأفعل فهو في معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة إلى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه يعني وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قورى واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرع (فإن قلت) قوله (ليغيط بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعاد الله الذين آمنوا) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزم به في الدنيا غاظم ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان بمن شهد مع محمد فتح مكة

(قوله والاخلاق السجيحة) أي السهلة أفاده الصحاح (قوله في مواقعه منهما أشباه ثفتان) في الصحاح هي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استنح (قوله لا تعلقوا صوركم) في الصحاح علبته أعلبه بالضم إذا وسمته أو خدشته أو أثرت فيه (قوله ليس بالندب في الوجوه) في الصحاح الندب أثر الجرع إذا لم يرتفع عن الجلد

فهرس

الجزء الثالث من تفسير الكشاف

ص السورة	ص السورة
فاطر ٢٦٦	الأنبياء ٢
يس ٢٧٩	الحج ٢٤
الصافات ٢٩٥	المؤمنون ٤٢
ص ٣١٥	النور ٥٩
الزمر ٣٣٧	الفرقان ٨٧
غافر ٣٥٩	الشعراء ١٠٧
فصلت ٣٨١	النمل ١٣٢
الشورى ٣٩٦	القصص ١٥٦
الزخرف ٤١٠	العنكبوت ١٨٢
الدخان ٤٢٨	الروم ١٩٧
الجاثية ٤٣٦	لقمان ٢٠٩
الاحقاف ٤٤١	السجدة ٢١٨
محمد عايه السلام ٤٥٢	الاحزاب ٢٢٥
الفتح ٤٦٠	سبا ٢٥٠

((تم الجزء الثالث من تفسير الكشاف))
 ((ويليه الجزء الرابع واوله سورة الحجرات))



